الدكتور حسان حلاق

مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات

مع دراسة للارشيف العثماني واللبناني والعربي والدولي

الدكتور حسَّان حلّاق

مَناهج الفِكر والبحث التاريخي والعُلُوم المساعدة وتحقيق المخطُوطات

بين النظرية والتطبيق

المقَدّمَة

تعتبر دراسة مناهج الفكر والبحث التاريخي المدخل الأساسي لفهم القواعد والأسس المنهجية التي يجب أن تتوفر في العمل التاريخي، ويجب أن تتوفر في المؤرخ أو الباحث نفسه. لا سيما وأن دراسة المناهج التاريخية وأصول البحث التاريخي، هي من المُسَلّمات الموضوعية التي يجب توفرها في الدراسات التاريخية، مع ما تحويه من دراسة للمصادر والوثائق وتحقيق المخطوطات، مع التأكيد على أهمية دراسة هذه المناهج والأصول سواء من حيث النظرية أم من حيث التطبيق.

إن هذه الدراسة تجيب على الكثير من التساؤلات التي تدور حول التاريخ والتأريخ. ولكنها لن تجيب على كل التساؤلات التي قد تطرح من هذه الزاوية أو من تلك. ذلك لأن كل جانب من الجوانب التاريخية قد يحتاج إلى دراسة منفصلة أو كتاب خاص. وهذه الدراسة هي بمثابة مقدمة في مناهج البحث التاريخي، وهي مقدمة تهدف لعرض بعض الاتجاهات والتيارات والأفكار والأسس التاريخية الخاصة بمذاهب ومناهج وقواعد الكتابة التاريخية، وتقنيات البحث التاريخي.

ومن الأهمية بمكان القول، أنني حرصت على ربط دراسة المناهج التاريخية عبر العصور، بدراسة العلوم المساعدة للكتابة التاريخية، ودراسة تحقيق المخطوطات والأسس المتبعة في هذا المجال، مع إلقاء الضوء على العلاقة الحديثة القائمة بين التقنية المعاصرة وبين البحوث التاريخية. فضلاً عن تخصيص فصل عن قواعد وأصول كتابة البحوث التاريخية، وفصل آخر عن الأرشيف والوثائق والمخطوطات في لبنان والعالم العربي والعالم، لأن لا

تاريخ بدون وثائق أو مستندات أو مخطوطات.

«إذا ضاعت الأصول، ضاع التاريخ»، انطلاقاً من هذه القاعدة العلمية والتاريخية، يتبين لنا أهمية الأصول والمستندات والوثائق والمخطوطات التاريخية، لأنها تمثل العنصر الأساسي لذاكرة الأفراد والشعوب والأمم. ولا تكمن أهميتها بالذاكرة التاريخية فحسب، وإنما لأهميتها الوطنية والقومية، لأن الأرشيف التاريخي يمثل ماضي وحاضر الأمة، ويستشرف آفاق المستقبل، وبواسطته يمكن الحفاظ ليس على التراث الوطني والقومي، وإنما الحفاظ أيضاً على الحقوق الوطنية والقومية، لأن الوثائق التاريخية تمثل عاملاً أساسياً في كيان الدول والحفاظ على حقوقها المشروعة، ولعلّ احتفاظ مصر بوثائقها التاريخية منذ العهد العثماني هي من جملة الأسباب الرئيسية التي أدت إلى استرداد منطقة طابا المصرية من إسرائيل التي سبق أن احتلتها عام ١٩٦٧. كما حرصت إسرائيل عند احتلالها بيروت في أيلول (سبتمبر) ١٩٨٢ على نهب محتويات ووثائق «مركز الأبحاث» التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية، وذلك لطمس الهوية الفلسطينية. وقد جرت مفاوضات شاقة أعادت إسرائيل جزءاً من هذه الوثائق إلى «مركز الأبحاث». بالإضافة إلى حرص إسرائيل على نهب الوثائق الفلسطينية في داخل فلسطين المحتلة لأسباب سياسية بحتة. كما أن القمة العربية التي عقدت في بيروت في آذار (مارس) ٢٠٠٢ حرصت على إصدار قرار يقضي بإعادة العراق أرشيف الكويت الوطني، الذي أعيد فعلاً في ١٨ و ١٩ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٢ بإشراف الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية. ويتضمن هذا الأرشيف الكويتي: أرشيف وزارة الخارجية الكويتية، ودائرة الأمن الوطني، ووزارة الداخلية، ومراسلات المكتب الأميري في الكويت مع مختلف دول العالم وسوى ذلك من وثائق ومراسلات[١].

كما اعتبر مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية في معرض

---

(١) النهار ١٨/ ١٠/ ٢٠٠٢.

تعليقه على كشف وزارة الخارجية البريطانية للوثائق الخاصة بالجزر الثلاث: طنب الكبرى وطنب الصغرى وأبو موسى، بعد مرور ثلاثين سنة عليها أنه «رغم تأخر هذه الوثائق كل هذه السنين، جاء دور... الفاعل الأول في احتلال الجزر... كي يقف وقفة مع النفس والضمير، ويكفّ عن مواصلة المغالطة...»[١].

وكانت الحكومة البريطانية، كشفت معظم الوثائق السرية التي تعود لعام ١٩٦٩ المتعلقة بموضوع الجزر الثلاث، والاتصالات السرية بين السفير البريطاني في الإمارات ووزارة الخارجية في لندن بشأن قضية الجزر. ومهما يكن من أمر فإن هذا الموضوع يؤكد مجدداً على أهمية الوثائق التاريخية في الشأنين الوطني والقومي.

ومن الأهمية بمكان القول، إن النماذج والأمثلة في هذا الإطار، لا عدّ ولا حصر لها. وهذه الدراسة ـ التي بين أيدينا ـ تمثل بعض «الذاكرة التاريخية» ولا يقصد بها حصر جميع الوثائق والمستندات العثمانية، ولا حصر جميع المكتبات والمراكز الموجودة فيها سواء في لبنان أو العالم العربي أو العالم، إنما أدرجنا بعضها كنماذج لمساعدة الباحثين وطلاب الدراسات العليا، ولفت نظرهم إلى أهميتها العلمية والتاريخية[٢]، لتوظيفها في مناهج الفكر والبحث التاريخي.

بيروت المحروسة في ٣ ذي القعدة ١٤٢٤ هـ
٢٦ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٣م

---

(١) الحياة ٥/ ١/ ٢٠٠٠.

(٢) من يود الاطلاع على جميع المكتبات العاملة في لبنان مثلاً يراجع كتاب: دليل المكتبات ومراكز المعلومات في لبنان، إعداد جمعية المكتبات اللبنانية، بيروت ١٩٩٥، أما فيما يختص بالمؤسسات الثقافية الإسلامية في تركيا وهي حوالي ثلاثمائة مؤسسة ومكتبة (مراكز أبحاث ـ مكتبات وأرشيف ـ متاحف ـ جامعات ومعاهد ـ =

= ومراكز وثائق ومخطوطات) يراجع كتاب: المؤسسات الثقافية الإسلامية في تركيا من تصنيف شامل شاهين، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق الصفاة ـ الكويت ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، علماً أن جميع دول العالم حريصة على وضع دليل عام للتعريف بالمكتبات القائمة في مدنها ومناطقها استناداً إلى توصيات ومقترحات الاتحاد العالمي للمكتبات (IFLA).

The International Federation of Library Association and Institutions.

الفصل الأول

المسَار العِلمي لِدرَاسة التّاريخ والفكر التّاريخي

إن التاريخ لأمة أو لشعب أو لفترة معينة إنما يهدف إلى إظهار تطور الحركة التاريخية للأمم والشعوب وإظهار تطور الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعلمي أيضاً. وهو دراسة لمراحل النمو والانحطاط التي مرّت بها تلك الشعوب، وبمعنى آخر فإن أهداف التاريخ إنما تكمن في العمل لمعرفة ماضي البشرية بإيجابياتها وسلبياتها مع الحرص على إحياء الإيجابيات وتسليط الأضواء على خفايا الحقب التاريخية والابتعاد عن السلبيات والاستفادة من التجارب السابقة.

والتاريخ كما يقول ابن خلدون هو «فن عزيز المذهب، جم الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا. . .» وفي مكان آخر يقول في التاريخ «. . . إذ هو في ظاهرة لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأولى. . . وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق. . .»[1].

أما السخاوي فقد عرّف التاريخ في كتابه «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم

---

(١) مقدمة ابن خلدون، ص ٤، ٩.

التاريخ» بشكل شامل بأنه اصطلاحاً هو «التعريف بالوقت الذي تضبط به الأحوال من مولد الرواة والأئمة ووفاة وصحة وعقل وبدن ورحلة وحج وحفظ وضبط وتوثيق وتجريح وما أشبه هذا مما مرجعه الفحص عن أحوالهم في ابتدائهم وحالهم واستقبالهم [مستقبلهم] ويلتحق به ما يتفق من الحوادث والوقائع الجليلة من ظهور ملمة وتجديد فرض وخليفة ووزير وغزوة وملحمة وحرب وفتح بلد وانتزاعه من متغلب عليه وانتقال دولة. وربما يتوسع فيه لبدىء الخلق وقصص الأنبياء وغير ذلك من أمور الأمم الماضية وأحوال القيامة ومقدماتها مما سيأتي أو دونها كبناء جامع أو مدرسة أو قنطرة أو رصيف أو نحوها مما يعم الانتفاع به مما هو شائع مشاهد أو خفي سماوي كجراد وكسوف وخسوف أو أرضي كزلزلة وحريق وسيل وطوفان وقحط وطاعون وموتان وغيرها من الآيات العظام والعجائب الجسام» ثم خلص إلى أن التاريخ هو «فن يبحث فيه عن وقائع الزمان من حيثية التعيين والتوقيت بل عما كان في العالم. وأما موضوعه فالإنسان والزمان. ومسائله أحوالهما المفصلة... وأما فائدته فمعرفة الأمور على وجهها...»[(١)] واعتبر بعض المؤرخين القدامى بأن التاريخ هو صنف من علوم الخبر بما يتضمن من أخبار متنوعة ومتعددة[(٢)].

وبالرغم من تعدد نظريات ومذاهب ومناهج الفكر التاريخي فإنها تتفق جميعها على أن مهمة المؤرخ هي في الكشف عن ماضي الشعوب والغور في خفايا تاريخها الشامل وتتبع تطورها منذ ما قبل التاريخ. وعلى هذا يمكن

---

(١) السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ص ٧.

(٢) للمزيد من التفصيلات حول هذه الآراء أنظر: د. عزيز العظمة: الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية، الفصل الأول، ص ١٢ ـ ٤٢. هذا ويمكن الاستفادة أيضاً من كتاب د. حسين مؤنس: التاريخ والمؤرخون في مجال دراسة علم التاريخ وبشكل موسّع. دار المعارف ـ القاهرة ١٩٨٤.

القول إن من الواجبات الأولى للمؤرخ أن يكشف ويجمع حقائق ووثائق الماضي. وقد عرفت الإنسانية مؤرخين من مختلف الأمم والبلدان أرخ كل منهم بأسلوب خاص وبمنهج فكري مختلف عن الآخر مع التأكيد على أن بعض المؤرخين تأثروا بسواهم فأرخوا تاريخ بلادهم وشعوبهم أو بلاد سواهم على غرار ما عرفوه من أساليب تأريخية.

أما لفظ التاريخ فيدل على معان متفاوتة فيعتبر البعض أن التاريخ يشتمل على المعلومات الطبية والعلمية والكونية، وهنا يمكن أن يسمى تاريخ العلم علماً أن مؤرخي هذا النوع يسموا بمؤرخي العلوم. وبذلك يتبّين بأن بعض المؤرخين القدامى يبدأون تدوين التاريخ بدراسة تاريخ الأرض والكون بينما يرى البعض الآخر بأن معنى التاريخ هو ما يتعلق بدراسة التفاصيل التاريخية البحتة واستقصاء الأحداث الماضية دون الإشارة إلى بدايات تكوين البشرية. والواقع فإن اللبس ما يزال موجوداً إلى الآن بين المعنيين بكتابة التاريخ سواء في البلدان العربية أو في أوروبة والولايات المتحدة.

فلفظة (HISTOIRE) الفرنسية و(HISTORY) الإنكليزية تستخدم لمعنى التاريخ والتأريخ لذلك يميل المؤرخون الفرنسيون إلى استخدام لفظ (H) (HISTOIRE) للدلالة على ماضي وأحداث التاريخ و (histoire) (h) للدلالة على تاريخ العلوم، بينما يميل أغلب المؤرخين إلى أن التاريخ هو بحث وسبر أغوار الماضي والاطلاع على حقائقه وهذا ما تعنيه الكلمة اللاتينية (HISTORIA)(١).

وعند اليونان لم تكن في الأساس كلمة (HISTORIA) تعني التاريخ، إنما كانت في جذورها تعني «التحقيق» في حين أن كلمة (HISTOR) كانت تعني «المحقق»، ولهذا فإن الكتابة التاريخية باتت في حقيقتها مرادفة للتحقق من الرواية أو الخبر أو الحدث.

---

(١) د. قسطنطين زريق: نحن والتاريخ، ص ١٣.

أما صناعة التاريخ أو طرق ومناهج التأريخ فيعرف باسم (Methodology) وهو الذي أسماه د. أسد رستم (مصطلح التأريخ) تأثّراً بعلم (مصطلح الحديث). ولا بدّ من الإشارة أيضاً بأنه يوجد تمييز وفرق بين التأريخ وبين التاريخ. فالتاريخ كأحداث وماضٍ وتطورات وواقع وجد قبل التأريخ بينما كان التأريخ حاجة ملحة استلزمتها التطورات التاريخية واستلزمتها الحاجة لتسجيل تلك التطورات والأحداث حفظاً لها وخوفاً عليها من الضياع وللاطلاع على الماضي أو الحاضر. ولا بدّ من الإشارة بأن التأريخ كان يعرف منذ نشأته الأولى في اليونان باسم تسجيل الأخبار (Logographi) ولم تكن كلمة التاريخ أي (HISTORIA) (H) قد استخدمت لأن أصل استخدامها إنما يعود إلى كلمة (Histor) أي المحقق التي تعني المحقق القضائي ولم تستخدم كلمة (Historia) إلاّ في فترة تقدم ورقي الكتابة التاريخية في أيام هيرودوت. أَما التأريخ أو علم تدوين التاريخ فيعرف باسم (Historio - Graphy(ie)).

إن أصحاب المذاهب والمناهج التاريخية في العصور اليونانية والرومانية والإسلامية وفي العصور الحديثة اتبعوا عدة وسائل وقواعد في كتابة التاريخ وبين هذه الوسائل ـ التي ما يزال بعضها مستخدماً ـ على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ المشاهدات العينية: وهي تعبر عن الأحداث المعاصرة للمؤرخ أو سماع الأخبار بالتواتر، وإجراء المقابلات الشخصية لبعض الأشخاص المعاصرين للحدث، وإجراء المراسلات مع المهتمين والدارسين والمتخصصين سواء في الداخل أو الخارج.

٢ ـ جمع المواد التاريخية من المخطوطات والكتب المتوفرة.

٣ ـ تسخير العلوم الأخرى لعلم وفن التاريخ كأن نوظف الجغرافيا في كتابة تاريخ المدن، وكأن يستفاد من علم الأجناس الطبيعي أو الحضاري في التأريخ للبشرية.

٤ ـ الاعتماد على الرحلات وكتب الرحلات ودراسة الآثار والنقوش (الأبيغرافيا) والمستندات الموثوقة.

٥ ـ معرفة فقه اللغة وهو علم «الفيلوجيا» (Philology)إذ لا بدّ للمؤرخ من معرفة وفهم النصوص التاريخية ولغة العصر الذي كتبت فيه، ويرتبط بهذا العلم علم الكتابات القديمة أو قراءة الخطوط حيث يتعرف المؤرخ إلى الخطوط الكتابية القديمة التي تبدو أحياناً غير مفهومة أو غير مقروءة.

٦ ـ الاعتماد على الوثائق (Documents) أو على الوثائق القنصلية الدبلوماسية (Diplomatic) وهي الوثائق والمراسلات والتقارير الأصلية الرسمية.

٧ ـ دراسة المذكرات الشخصية التي تركها القادة ورجال السياسة في التاريخ القديم والوسيط والحديث وبعضها يعرف باسم «سيرة ذاتية» (Auto - Biography). وبالرغم من أن الميول الذاتية تسيطر عادة على المذكرات الشخصية، غير أنها تعطينا في بعض الأحيان معلومات فريدة وهامة، وفي كل الأحوال لا يمكن الاستغناء عنها في كتابة التاريخ، ذلك لأن بعض الترجمات الذاتية تعتبر اسهاماً جاداً في التاريخ.

٨ ـ دراسة النقود أو ما يسمى النوميات أو النميات (Numismatics) (Numismatiques) والأختام وبواسطتها يمكن تحديد الحقب التاريخية وتحديد حكم الأباطرة والملوك والسلاطين، وذلك اعتماداً على التواريخ والصور والأسماء المسجلة عليها.

٩ ـ دراسة وتحقيق سجلات ووثائق المحاكم الشرعية الإسلامية ووثائق الكنائس والأديرة والأماكن الدينية الأخرى، لأن دراستها تعبر عن التاريخ الحقيقي الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والديني والحضاري بشكل عام.

١٠ ـ وضع الهوامش (Footnote) وذكر المصادر المعتمد عليها.

١١ ـ التعريف بالأشخاص والأماكن الواردة في المخطوط وتفسير ما غمض من عبارات وألفاظ.

١٢ ـ دراسة التراجم (Biography) والسير الذاتية (Autobiography) والمذكرات الشخصية (Memoirs).

١٣ ـ اعتماد أسلوب المقارنة بين أكثر من مصدر للوصول إلى الحقيقة المتوخاة.

١٤ ـ البحث عن أسباب الأحداث وربطها بالنتائج والابتعاد عن التفصيلات الواهية.

١٥ ـ نقد الأصول نقداً داخلياً وخارجياً أي من حيث الشكل والمضمون، من حيث المعلومات الواردة في النص ومن حيث الوثيقة ذاتها(*).

(*) تتم عملية النقد عادة بواسطة النقد الخارجي والنقد الداخلي. فالنقد الخارجي يتضمن الاهتمام بمعرفة الوثيقة ومؤلفها وتاريخ تدوينها ومكانه. ثم ما هي الموضوعات التي تناولتها الوثيقة، وما علاقتها بنسخة أخرى للوثيقة نفسها؟ إن الإجابات عن هذه التساؤلات والتحقق منها تقودنا إلى وضعية الوثيقة فيما إذا كانت صحيحة أم مزورة. أما النقد الداخلي فيتضمن بحثاً في مضمون نص الوثيقة لمعرفة منهجية كاتبها واتجاهه الاجتماعي والسياسي، والبحث فيما إذا كان الكاتب معاصراً للحدث ومشاركاً فيه أم مراقباً ومدوناً فحسب؟ ثم دراسة منهجيته من خلال الأساليب والأدوات التي استخدمها في كتابة الوثيقة أو المصدر بشكل عام. ونقد الأصول يهتم أيضاً بدراسة التزييف والانتحال، وفيما إذا كان بخط المؤلف أم لا. وقد قسم د. حسن عثمان النقد الباطني إلى قسمين: النقد الباطني الإيجابي ويهدف إلى التحقق من معنى الألفاظ ومن قصد المؤلف بما كتبه، والعناية التامة بقراءة النص التاريخي ومحتوياته، وعدم تسخير النص لآراء واتجاهات المحقق. أما النقد الباطني السلبي، فعلى المحقق أن يعي حقيقة وهي أن المؤرخين يخطئون ويصيبون كسواهم. ومن الخطأ =

وبالنسبة للتاريخ القديم فقد عرفت مناطق الشرق الأدنى القديم أساليب في التدوين والتوثيق والتأريخ بسبب الحاجة إلى حفظ المعلومات لأسباب دينية وعلمية، ففي بلاد ما بين النهرين (Mesopotamia) عثر على نصوص وسجلات محفوظة على ألواح من الطين، ذلك لأن مادة الطين كانت الأكثر شيوعاً واستخداماً في بلاد ما بين النهرين ثم لأنها أكثر ديمومة بعد جفافها من أوراق البردي المستخدمة في مصر. وقد عمد سكان بلاد ما بين النهرين إلى حفظ الوثائق الهامة لعدم التلاعب فيها مما اضطرهم إلى وضعها في مغلفات أخرى من الطين وقد وجدت آلاف الوثائق الخاصة بالملوك والكهنة والقادة

= الاعتقاد بأن كل المعلومات الواردة في جميع الأصول صحيحة. فبعضها غير صحيح. من هنا أهمية النقد الباطني السلبي من حيث هو عملية ضرورية لتصفية الحقائق واستبعاد الزائف منها، ووضع الشك للوصول إلى الحقيقة التاريخية. ويجب التمييز بين تزوير وكذب المؤرخ وبين خطأ ارتكبه أو معلومة خدع بها.

أنظر: د. حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ص ١١٧ ـ ١٤٥.

أنظر أيضاً: د. أسد رستم: مصطلح الحديث، ص ١٢ ـ ٤١.

ومن الأهمية بمكان القول في معرض الحديث عن النقد. فالنقد التاريخي سواء للوثائق أو للمخطوطات أو للمقالات أو للدراسات التاريخية يجب أن يكون نقداً تاريخياً علمياً بناءً، يهدف إلى تصحيح الأخطاء الواردة في الدراسات التاريخية خدمة للعلم وللعلم وحده. ذلك أن النقد البناء يؤدي إلى تصحيح المسار في مجال التأريخ والتدوين، وهذا النقد يفيد عادةً صاحب الدراسة لتصحيح أخطائه، ويفيد القراء والمهتمين بالتأريخ.

وهناك نوع آخر من النقد، وهو النقد السلبي الهادف إلى التشهير بمؤرخ ما لأهداف خاصة وشخصية، وليس هدف هذا النقد ـ التشهير سوى المس بالمؤرخ بسبب اتجاهاته السياسية أو الفكرية وبسبب دوره الفكري الذي يقوم به في المجتمع، فتتكون فئة حاقدة عليه ليس لها أي دور في الميدان الفكري، فتبدأ بالكتابة ضده بأسلوب النقد السلبي وأحياناً بأسلوب التشهير المقيت.

إن من واجبنا كمؤرخين الابتعاد عن أساليب النقد السلبي، لأنها بعيدة كل البعد عن الأهداف والقواعد العلمية، وبعيدة كل البعد عن قواعد التأريخ. ثم علينا تعميق المفاهيم العلمية والأخلاقية لترسيخ قواعد النقد الإيجابي العلمي.

ووثائق ذات طابع عام شعبي يعود بعضها إلى العام ١٥٠٠ق.م. وكان هذا التوثيق أداة هامة لحفظ التاريخ في بلاد ما بين النهرين، فبواسطته حفظ التاريخ السومري والكتابة المسمارية. والحقيقة فإن عدم توصل السومريين إلى طريقة استخدام (الكتاب) أدى إلى ضياع بعض الألواح أو تناثرها أو عدم ترتيبها بالتسلسل التاريخي. وكان لهذا الواقع فائدة تاريخية لأنهم اضطروا إلى إنشاء دور السجلات وخزانات الألواح لحفظها من التبعثر وقد سبقوا في ذلك المصريين واليونانيين، ووجد في معبد مدينة (نافارا السومرية) على خزانة ضمن آلاف الألواح الطينية تضمنت نصوصاً تاريخية وعلمية وأدبية ودينية. كما وجدت الألوف من الوثائق الخاصة بالملوك والكهنة والقادة. كما وجدت وثائق ذات طابع شعبي يعود بعضها إلى العام ١٥٠٠ق.م[١].

ولقد أدت اهتمامات سكان بلاد ما بين النهرين بحفظ تراثهم ولغتهم إلى وضعهم قوائم لغوية أو ما يعرف اليوم بالقواميس اللغوية، فقد عثر في مدينة (أوروك ـ الوركاء) على مجموعة من هذه القوائم (القواميس) تعود إلى ما قبل عام ٣٠٠٠ق.م. وشهدت بلاد اليونان والرومان والمسلمين فيما بعد الكثير من وجود الفهارس والمكتبات والمخطوطات وتنظيم الكتب والوثائق التي سخرت لتدوين التاريخ والعلوم والمعارف الأخرى.

أما فيما يختص بتاريخ المناهج والمذاهب الفكرية التاريخية، فإنها أصبحت اليوم خاضعة إلى حدّ كبير لقواعد وأسس علمية. وهناك فرق شاسع بين المؤرخ صاحب المنهج التاريخي الإنشائي، وبين المؤرخ صاحب المنهج التاريخي العلمي. فالنوع الثاني هو المؤرخ المميز والتي تحظى كتاباته بالتقدير والإعجاب، وهو من النوع الذي يحرص على رقي الكتابة التاريخية وتقدمها وتقديمها للبحاثة والدارسين بأسلوب علمي مدروس مبني على قواعد وأدوات

---

(١) أنظر كتابنا: تاريخ العلوم والتكنولوجيا، ص ١٦٣ ـ ١٦٤.

وثائقية. ولقد استطاع عدد من المؤرخين منذ ما قبل القرن الخامس ق.م. من أن يحددوا مناهجهم ومذاهبهم التاريخية، غير أن هيرودوت (مواليد ٤٨٤ ق.م.) اعتبر من أوائل المؤرخين الذين جعلوا التاريخ تحقيقاً للأحداث وليس سرداً له، وحدد لنا منهجه التاريخي. وقام من بعده ثوكوديدس الأثيني (٤٦٠ ـ ٣٩٥ق.م.) ليحدد بدوره منهجه التاريخي عندما تحدث عن الحروب البلوبونيزية (٤٣١ ـ ٤٠٤ق.م.) وهي فترة الحروب التي عاصرها وشارك في أحداثها. وقد أوضح لقارئيه بكل أمانة ودقة كيفية جمعه لمادته التاريخية، وقد بذل ـ كهيرودوت ـ جهده في جمع المصادر المتوفرة للاعتماد عليها.

وعلى سبيل المثال فقد ظهر مؤرخون في التاريخ القديم حرصوا على الالتزام والتقيد بقواعد الكتابة التاريخية العلمية مما لا نراه متوفراً عند بعض المؤرخين المعاصرين اليوم. فبوليبيوس مثلاً (Polibius) (مواليد ٢٠٧ق.م.) عندما كتب عن تاريخ الجمهورية الرومانية منذ الحرب البونية الثانية حتى منتصف القرن الثاني حرص على أن يكون كتابه أوثق مصدر عن تاريخ هذه الجمهورية، فقد ضمنه وثائق أصلية ذات طابع عام وخاص، وعاد إلى السجلات الرسمية الحكومية في بلاد اليونان وروما معاً، وقارن بين هذه السجلات ليتوصل إلى الحقيقة، كما اطلع على بعض المذكرات الشخصية، وعلى سجلات دور المحفوظات العامة. وكان بوليبيوس يرى بأن على المؤرخ أن يتميز بمميزات علمية لا بدّ منها في كتابة التاريخ، ومن بين هذه المميزات: دراسة الوثائق، معرفة الجغرافية الطبيعية والسياسية ميدانياً وبالمشاهدة والسفر، والإلمام بالعلوم السياسية والعسكرية.

وفي التاريخ الروماني شواهد هامة في بعض المؤرخين الذين وضعوا مناهج ومذاهب تاريخية على أسس وقواعد علمية منهم «بيكتور» (Pictor) و«كاتو» (Cato) و «يوليوس قيصر» (Caesar) و «ڤارو» (Varo) و «ساللوستيوس» (Sallustius) وسواهم. وعلى سبيل المثال فإن القائد يوليوس قيصر استطاع أن يوظف تجاربه السياسية والعسكرية في خدمة التاريخ، فقام

وثائقية. ولقد استطاع عدد من المؤرخين منذ ما قبل القرن الخامس ق.م. من أن يحددوا مناهجهم ومذاهبهم التاريخية، غير أن هيرودوت (مواليد ٤٨٤ ق.م.) اعتبر من أوائل المؤرخين الذين جعلوا التاريخ تحقيقاً للأحداث وليس سرداً له، وحدد لنا منهجه التاريخي. وقام من بعده ثوكوديدس الأثيني (٤٦٠ ـ ٣٩٥ق.م.) ليحدد بدوره منهجه التاريخي عندما تحدث عن الحروب البلوبونيزية (٤٣١ ـ ٤٠٤ق.م.) وهي فترة الحروب التي عاصرها وشارك في أحداثها. وقد أوضح لقارئيه بكل أمانة ودقة كيفية جمعه لمادته التاريخية، وقد بذل ـ كهيرودوت ـ جهده في جمع المصادر المتوفرة للاعتماد عليها.

وعلى سبيل المثال فقد ظهر مؤرخون في التاريخ القديم حرصوا على الالتزام والتقيد بقواعد الكتابة التاريخية العلمية مما لا نراه متوفراً عند بعض المؤرخين المعاصرين اليوم. فبوليبيوس مثلاً (Polibius) (مواليد ٢٠٧ق.م.) عندما كتب عن تاريخ الجمهورية الرومانية منذ الحرب البونية الثانية حتى منتصف القرن الثاني حرص على أن يكون كتابه أوثق مصدر عن تاريخ هذه الجمهورية، فقد ضمنه وثائق أصلية ذات طابع عام وخاص، وعاد إلى السجلات الرسمية الحكومية في بلاد اليونان وروما معاً، وقارن بين هذه السجلات ليتوصل إلى الحقيقة، كما اطلع على بعض المذكرات الشخصية، وعلى سجلات دور المحفوظات العامة. وكان بوليبيوس يرى بأن على المؤرخ أن يتميز بمميزات علمية لا بدّ منها في كتابة التاريخ، ومن بين هذه المميزات: دراسة الوثائق، معرفة الجغرافية الطبيعية والسياسية ميدانياً وبالمشاهدة والسفر، والإلمام بالعلوم السياسية والعسكرية.

وفي التاريخ الروماني شواهد هامة في بعض المؤرخين الذين وضعوا مناهج ومذاهب تاريخية على أسس وقواعد علمية منهم «بيكتور» (Pictor) و«كاتو» (Cato) و «يوليوس قيصر» (Caesar) و «ڤارو» (Varo) و «ساللوستيوس» (Sallustius) وسواهم. وعلى سبيل المثال فإن القائد يوليوس قيصر استطاع أن يوظف تجاربه السياسية والعسكرية في خدمة التاريخ، فقام

بتأليف عدة مؤلفات تاريخية هي بمثابة مذكرات شخصية ووثائق عامة وخاصة وتقارير عسكرية، وقد ضمن تلك المؤلفات معلومات هامة تنشر للمرة الأولى عن جغرافية أوروبة وثرواتها وشعوبها وقبائلها وعاداتها وتقاليدها، وبذلك يكون سخر التاريخ لمعلومات متنوعة منها، «علم الأجناس» (Antropology)(١).

وفيما يختص بالفكر العربي والإسلامي، فقد شهد كتابات تاريخية مبكرة تباينت مستوياتها المنهجية، فمن المعروف أن أول تدوين لأخبار العرب السابقين للإسلام كان في عهد معاوية بن أبي سفيان في أواسط القرن الأول الهجري، عندما أمر «عبيد بن شُريه» بتدوين أخبار العرب والعجم. ثم بدأت الكتابة التاريخية تتطور تباعاً عند المسلمين بسبب عوامل عديدة منها ميولهم نحو الكشف عن ماضيهم. وأصبح عدد المؤرخين المسلمين منذ العهد الأموي مروراً بالعهود العباسية والفاطمية والمملوكية ومن ثم العثمانية أكثر من أن يحصوا، ويحتاج الحديث عنهم إلى دراسات مفصلة معمقة تبعاً للعهود التي عاشوا فيها أو تبعاً للموضوعات التي بحثوها أو تبعاً لمناهجهم التاريخة التي اتبعوها. وبالرغم من أن ابن خلدون يعتبر من أشهر علماء الاجتماع ومن أشهر المؤرخين المسلمين، غير أن أحداً لا يستطيع نكران أهمية ابن عبد الحكم (١٨٧ ـ ٢٥٧هـ) والبلاذري (١٩٥ ـ ٢٧٩هـ) واليعقوبي (المتوفى ٢٨٤عـ) والطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ) والبيهقي (٣٨٥ ـ ٤٨٠هـ) وكذلك المؤرخون الرحالة مثال: ابن حوقل، ابن جبير، الأدريسي، ابن بطوطة.

والحقيقة فقد استطاع ابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ) أن يكون مؤرخاً وعالماً وفيلسوفاً اجتماعياً مبدعاً، وقد استطاع أن يربط التاريخ بعلم الاجتماع والجغرافيا والسياسة والاقتصاد والصناعة والزراعة والطب والفقه والنحو واللغة والفنون، فلم يكن مؤرخاً لأحداث التاريخ فحسب بل كان أيضاً مؤرخاً للعلوم

(١) أنظر كتابنا: تاريخ العلوم والتكنولوجيا، ص ١٧٩ ـ ١٨٣.

والفنون. وكان منهجه التاريخي والاجتماعي قد أعطاه شهرة في العالمين الإسلامي والغربي. واستطاع أن يضع قواعد وأسس للتاريخ وللمؤرخين وهو القائل «اعلم أن فن التأريخ فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية...» وسنرى ـ فيما بعد ـ بشيء من التفصيل منهجه التاريخي ومناهج بعض المؤرخين المسلمين الآخرين كنماذج من أساليب التأريخ الإسلامي ومناهجه.

ومن الأهمية بمكان القول، انه بعد أن أصبح التاريخ علماً، كان لا بدّ من الاهتمام بوضع قواعد علمية خاصة به، وقد يكون بهذه القواعد جوامع مشتركة مع علوم أخرى. ولهذا لم تعد مناهج ومذاهب التاريخ تؤخذ من بين ثنايا الكتب والمصنفات التاريخية فحسب، بل قام نفر بإصدار مجموعة من الكتب متخصصة في المناهج والمذاهب التاريخية والأساليب الفنية للتأريخ. فقد أصدر «أرنست برنهايم» (Ernst Bernheim) في ليبزج عام ١٨٨٩ كتابه بالألمانية «تعلم المنهج التاريخي والفلسفة التاريخية» (Lehrbuch der historischen Methode Und der Geschichts philosophie).

ثم ظهرت تباعاً عدة مؤلفات في العالم الغربي منها مؤلفات «لانجلوا» (Langlois) و «سينوبوس» (Seignobos) للفرنسيين، ومؤلفا «جونسون» (Johnson) و «نيڤنز» (Nevins) للأميركيين، ومؤلفات «وولف» (Wolf) و «هوكيت» (Hockett) و «بلوخ» (Bloch) و «رنيوفين» (Renouvin) وهي من الكتب المتخصصة في دراسة المناهج التاريخية لطلبة التاريخ. وفي الفترات الأخيرة ظهر العديد من المؤلفات الأجنبية والعربية التي تعني بدراسة ماهية التاريخ والتعريف به وبمناهجه وبمذاهبه وبقيمته[١].

ومن الأهمية بمكان القول بأن الدول والشعوب في التاريخ المعاصر باتت أكثر اهتماماً بدراسة تاريخها القديم والوسيط والحديث، على اعتبار أن

(١) يمكن الاطلاع على أسمائها مفصلة في ثبت مصادر الدراسة.

الشعوب التي ليس لها تاريخ ليس لها حضارة ولا أصول ولا جذور تاريخية، وبمعنى آخر فإنها تفتقر إلى الأسس الحضارية. فالتاريخ يعكس مختلف أوجه النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وهو مرآة لهذه الحياة، ويمكن الاستفادة من التاريخ عبر صفحات التأريخ من عبر الماضي وأخطائه لبناء المستقبل بصورة أفضل، وذلك اعتماداً على مبدأ ونظرية «نفعية التاريخ». فالدراسة التاريخية إذا كانت لمجرد الاطلاع والدرس أفرغت من محتواها الحضاري والإيجابي، فأهمية دراسة التطورات التاريخية لبلد ما أو لشعب ما هو في ما يمكن تلافيه من أخطاء وقع فيها الجيل الماضي. وفي هذا المجال لا بدّ من أن يكون المؤرخ مؤرخاً علمياً بعيداً عن تزوير الحقائق وبعيداً عن الأهواء والعواطف متقيداً بل وملتزماً بقضايا أمته وشعبه. والالتزام لا يعني الانحياز إنما هو في حقيقته مؤشر علمي لباحث ملتزم.

تجديد التاريخ وعلاقته بالحرية:

إن التاريخ علم من حيث منهجيته وأدواته وأساليبه وبينما قيل بأن الكتابة التاريخية متغيرة، متحولة، غير ثابتة، نظراً لاستمرار الكشوفات الوثائقية والأثرية التي تغير من واقع الحال. غير أن الرد، هو: كما أن التاريخ متغير، فإن العلوم البحتة متغيرة، بدورها، فإن كثيراً من النظريات التي كانت معتمدة في أوائل القرن العشرين، أصبحت اليوم في عداد النظريات العلمية القديمة سواء في مجالات الطب أو الهندسة وسواهما. وطالما أن هناك اختراعات أو كشوفات علمية بحتة جديدة تضرب بالأسس والمبادىء العلمية القديمة، فإنه يمكن أيضاً اعتبار هذه العلوم متغيرة. وفي هذا المجال لا بدّ من القول، إنه من الأجدى استخدام تعبير «تجديد التاريخ» أو «تجديد العلم» عوضاً من استخدام تعبير «تغيير أو متحول». فالتجديد يؤدي إلى سد الثغرات ووضع إضافات تاريخية وعلمية لا بدّ منها سواء من المؤرخ أو العالم نفسه، أو من سواه من المؤرخين والعلماء. وأخيراً فإنه أصبح من المتفق عليه أنه إذا كان

يكتنف الكتابة التاريخية بعض الشكوك، فإن هذه الشكوك ليست بعيدة أيضاً عن العلوم الطبيعية[١].

وكم من اختراع علمي استخدم لسنوات عديدة، ثم ثبت بالتجربة أضراره على الإنسان والبيئة، ما لبث أن عُدل فيه أو ألغي استخدامه. وهذا ينطبق أيضاً على العقاقير والأجهزة العلمية وسواها.

وفي هذا المجال طرح العلاّمة الدكتور عمر فروخ نظرية «تجديد التاريخ» في كتابه الموسوم بهذا الإسم. ومما قاله: «وأما التاريخ الذي يجري في المعالجة المعللة فهو المقصود ببحث «تجديد التاريخ» وهو مجموع الوقائع التي يجب أن نعيد كتابتها مرة بعد مرة كلما وصل إلينا تفاصيل جديدة منها أو انكشفت لنا أسباب مستأنفة لها»[٢] أما مسوغات تجديد التاريخ فهي كثيرة ومنها[٣]:

١ ـ إن الوقائع تتوالى بتوالي الأيام، فكل يوم جديد يأتي بوقائع جديدة يجب أن تدوّن وتضاف إلى سلسلة التاريخ التي لا تنتهي. ثم إن عدداً من الوقائع تنكشف لها مع الأيام تفاصيل جديدة. . . فيحتاج المؤرخ إلى عرض الوقائع القديمة عرضاً جديداً لفهم تلك الأحوال فهماً أدق وأصح وأحسن.

٢ ـ تحدث في العالم أحداث ووقائع هامة من الحروب والثورات والنهضات العلمية والاجتماعية، فتبرز في الحياة عناصر جديدة في مختلف الميادين، فيرجع نفر من المؤرخين إلى التاريخ يريدون أن يفسروا به ما حدث من التغيير في بيئتهم أو في بيئة سواهم، لاعتقادهم أن الذي

---

(١) ر.ج كولنجوود: فكرة التاريخ، ص ٥٤٢.
(٢) د. عمر فرّوخ: تجديد التاريخ في تعليله وتدوينه (إعادة النظر في التاريخ)، ص ١١.
(٣) د. عمر فرّوخ، المرجع نفسه، ص ١١، ١٢.

حدث من حرب أو ثورة لم يكن ابن ساعته، ولكن نتيجة أسباب كثيرة ونهاية تطور طويل[١]، فيعيدون تدوين عدد من فصول التاريخ من جديد ليؤكدوا جانب العوامل الجديدة.

٣ ـ إن تجديد التاريخ مرتبط بالعلم والأمانة والخلق. فتجديد التاريخ ليس إلغاء لما سبق من الوقائع. إن نفراً من الأمراء أو الحكام إذا هم وصلوا إلى الحكم أشاروا بطمس آثار من سبقهم وبإبراز آثارهم هم. وربما رجع بعض هؤلاء إلى التاريخ المدوّن فأمر بتبديله أو تشويهه حتى يكون اسمه هو بارزاً بين الأسماء دون سواه[٢]. فالتجديد في التاريخ لا يعني التزوير أو طمس الحقائق، إنما بالإمكان إهمال وتناسي ما ساء من الحياة الماضية دون حرق وثائقها ومستنداتها، والاهتمام بإيجابياتها وتقديمه للمواطنين بأسلوب يخدم تطلعاتهم ويحيي فيهم روح المحبة والانتماء لأوطانهم ويعزز من وجودهم وكرامتهم.

ويدخل في هذا الإطار القرار الصادر عن وزير خارجية تركيا آنذاك السيد

---

(١) على سبيل المثال فإن الحرب اللبنانية ١٩٧٥ ـ ١٩٩٠، ليس سببها الحقيقي حادث عين الرمانة في ١٣ نيسان (إبريل) ١٩٧٥، إنما لها أسباب سياسية واقتصادية واجتماعية تعود إلى جذور التاريخ اللبناني، ويمكن رد أسبابها الحقيقية تباعاً إلى أحداث ١٨٤٢ ـ ١٨٦٠، إعلان دولة لبنان الكبير ١٩٢٠، تيارات الوحدة والانفصال ١٩٢٠ ـ ١٩٤٣، ولادة الاستقلال وظروفه ١٩٤٣. ثم توالت التطورات تباعاً إلى ثورة ١٩٥٨، أحداث ١٩٦٨، ١٩٧٣ ومن ثم كان الانفجار عام ١٩٧٥ المسبوق بانفجارات سابقة.

(٢) إن وثائق ومستندات عهد والي مصر محمد علي باشا وأسرته الحاكمة إلى عام ١٩٥٢، ما تزال محفوظة إلى الآن في قصر عابدين والقلعة ودور التوثيق الرسمية في مصر، وبإذن خاص يمكن أن توضع تحت تصرف الدارسين والبحاثة، مما يشير إلى أن قادة ثورة عام ١٩٥٢، لم يعمدوا إلى حرق وثائق تلك الفترة أو إتلافها. في حين أن ثورات أخرى كالثورة الفرنسية ذاتها شهدت حرقاً وإتلافاً لكثير من وجوه التاريخ الفرنسي.

«مسعود يلماظ» في أوائل كانون الثاني (يناير) ١٩٨٩، القاضي بتمكين الباحثين والمؤرخين بالاطلاع على وثائق العهد العثماني ابتداء من أول أيار (مايو) ١٩٨٩ لإلقاء الضوء على وثائق المشكلة الأرمنية وما ينسب إلى الأتراك خطأ من ارتكاب مذابح بحق الأرمن في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٨[١] ولتوضيح الحقائق التاريخية وحقيقة الموقف التركي في تلك الفترة. وقد أدى نشر هذه الوثائق إلى تعديلات جوهرية في إطار تاريخ المشكلة الأرمنية مع الأتراك. وهذا يمكن أن نسميه أيضاً «تجديد التاريخ».

بالإضافة إلى ذلك، فإنه رغم غزارة وثائق العهد العثماني ١٥١٦ ـ ١٩١٨ التي اكتشفت حتى الآن في العالم العربي وفي أوروبا، غير أنها لا تمثل الكم الحقيقي لتلك الوثائق. ذلك أن المعلومات الرسمية التركية أوضحت إلى أن سجلات ووثائق العهد العثماني من القرن الثالث عشر حتى قيام الجمهورية التركية الموجودة في استانبول وبعض المراكز التركية، تضم نحو خمسين مليون وثيقة ومستند، منها ثلاثة بالمائة ٣٪ فقط من هذه الوثائق تم تصنيفها وأرشفتها، أي مليون ونصف مليون وثيقة. ومعنى ذلك أنه لن يفهم ويدرس مختلف وجوه ومراحل التاريخ العثماني إلاّ بعد نشر هذه المستندات والوثائق. وبذلك يتم فعلاً التأريخ للعهد العثماني: وما ينشر حتى الآن من وثيقة تركية هنا ووثيقة تركية هناك سوى قراءة أولية ومتواضعة للتاريخ العثماني. هذا وقد حرصت منظمة المؤتمر الإسلامي ومركز الأبحاث[٢] التابع لها في استانبول على إصدار عدد كبير من الوثائق العثمانية والدراسات التي تدور حول التاريخ العثماني.

والحقيقة فإن «لا تأريخ بدون حقيقة ولا حقيقة بدون حرية». فالحرية

---

(١) أنظر: اللواء الإسلامي، ٢٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٩.

(٢) مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في استانبول.

عامل هام من عوامل التأريخ، إذ لا يمكن أن ننتظر من المؤرخ المقيد الذي يحيا حياة مكبلة، لا يمكن أن ننتظر منه نتاجاً فكرياً حقيقياً، ذلك لأن المؤثرات السياسية الضاغطة تقوم بدور بارز في تعطيل العمل التأريخي والفكري بشكل عام. وكم من مؤلفات تاريخية نشرت تبعاً لأهواء الحاكم وسياسة الحكم، ولما تغير الحكم ظهرت مباشرة مؤلفات مناقضة تماماً للمؤلفات التاريخية السابقة.

ومن هنا تأتي أهمية الحرية للمؤرخ ولسواه من المفكرين، غير أن هذه الحرية بدورها لن تكون مجدية إذا تحولت إلى فوضى ثقافية، بمعنى أن يستغل المؤرخ والمفكر أجواء الحرية لينشط ضد شعبه أو وطنه أو أمته. وفي هذا الإطار فإن المؤرخ ليس حراً في أن يكتب ما يشاء وفي أن يفعل ما يختار ضد شعبه وأمته. وهكذا فقد ثبت خلال العصور وإلى اليوم، بأن النشاط الذي يبذله الإنسان مبتغياً من ورائه بناء صرح عالمه التاريخي، نشاط يصدر عن الإرادة الحرة. فالحرية هي من ضمن العوامل الأساسية لتغيير واقع الإنسان. ولقد أشار «كولنجوود» (Collingwood) أنه «في الوقت الذي يكتشف فيه المؤرخ حريته، سيكتشف حرية الإرادة الإنسانية، بوصفها قوة في أحداث التاريخ»[١].

قضية حرية المؤرخ وحرية النقد بين مؤرخ ووزير سابق:

وفي هذا الإطار نعرض لقضية محاكمة المؤرخ المصري جمال حمّاد المرتبطة بموضوع سامي شرف وزير شؤون رئاسة الجمهورية في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر[٢]:

---

(١) ر.ج. كولنجوود: فكرة التاريخ: The idea of History، ص ٥٤٢.
(٢) الوفد (القاهرة)، ٢ آذار (مارس) ١٩٨٩.

وقد أصدرت محكمة جنايات القاهرة حيثيات حكمها في قضية سامي شرف وزير شؤون الرئاسة في عهد الرئيس جمال عبد الناصر ضد جمال حماد المؤرخ العسكري قضت المحكمة ببراءة جمال حماد من تهمة سب وقذف والتشهير بسامي شرف.

أكدت المحكمة أنه من حق المؤرخ والكاتب تبصير الشعب المصري بما كان يدور في تلك الحقبة من تاريخ مصر. وتعريف الشعب بالدور الذي كان يقوم به سامي شرف ومن كانوا معه شركاء في الحكم. أكدت المحكمة أن ما كتبه جمال حماد عن تاريخ سامي شرف هو في مصلحة شعب مصر كي يعي ويتعظ ويتعلم من تجارب الماضي. وأضافت المحكمة في حيثيات حكمها، أن كل ما كتبه جمال حماد عن سامي شرف، كان القصد منه كشف ما كان يدور على الساحة المصرية في عهد جمال عبد الناصر من أمور خلال تلك الحقبة، التي شارك فيها سامي شرف في الحكم، وأرست المحكمة مبدأ قانونياً هاماً في حكمها، يقضي بأن حق النقد يبيح للمؤرخ أو الناقد أن يتناول الحوادث المتصلة بالتاريخ سواء ما تعلق منها بموظفين أو أفراد، لأنها بمجرد وقوعها من حق المؤرخ أن يتناولها بالنقد والتحليل ولا يعتبر عمله فيها وحكمه قذفاً إذا رواها. كما أكدت المحكمة أن الوقائع لا يعاقب الكاتب على نشرها إذا أثبت اعتقاده بصحتها ولو كانت كاذبة طالما توافر حسن النية. أما إذا أثبت الناقد أو المؤرخ أن الوقائع ثابتة أو مسلم بها فلا تتوافر جريمة القذف على أساس انتفاء القصد الجنائي، وذلك إن كان المؤرخ يستند إلى أسباب معقولة. وأكدت المحكمة أن في هذه المناسبة من حق المؤرخ أن يستعمل في معرض النقد العبارات المرة أو القاسية، والعنيفة في وصف سامي شرف دون أن يعتبر استعمالها سباً ما دام مستعملها يتوخى المصلحة العامة، ولا يريد التشهير. وأعلنت المحكمة أن جمال حماد مؤرخ وكاتب صحفي فمن واجبه أن يطلع الجمهور على ما رأى وجوب اطلاعه غير مدفوع بعوامل شخصية. وأن الموضوع محل القضية هو من الموضوعات التي تهم كافة الناس في طول

البلاد وعرضها أن يعلموا حقيقتها، والتيارات الظاهرة، والخفية فيها، وأن ما تناوله المؤرخ جمال حماد في كتاباته عن سامي شرف قد تناولته أقلام أخرى كثيرة في مؤلفات ومقالات عديدة، وأضافت المحكمة أن ما أخذه سامي شرف على جمال حماد من أنه يتبع السياسة «الميكيافيلية» فإنه لما كان من الثابت أن ميكيافيلي أحد فلاسفة السياسة الذين وضعوا أساس الدولة القوية الحديثة لأنه من رواد الكتابة في علم السياسة، ومن ثم فهذا اللفظ لا يمثل سوى أسلوب من أساليب النقد شائع الاستعمال يخرجه عن دائرة القذف أو السب. وبالنسبة لما أخذه سامي شرف على جمال حماد فيما نشره عن استعماله لخاتم عبد الناصر، فإنه لما كان من الثابت أن ما ذكره جمال حماد في مقالاته لم يرد به نسبه تهمة تزوير أو استعمال نفوذ وإنما ذكر هذه الواقعة ليوضح نفوذ سامي شرف.

وأن ما رواه جمال حماد لم يخرج عن كثير من المقالات لكتّاب آخرين تناولوا الواقعة نفسها.

وأن ما أخذه سامي شرف على جمال حماد بما وصفه بأنه جاسوس لصالح السوفييت فأكدت المحكمة أن كل ما نشر عن تلك الواقعة في الصحف والمجلات والكتب المصرية والأجنبية وما قرره رئيس الجمهورية السابق أنور السادات في إحدى خطبه أمام مجلس الشعب فإن واقعة جاسوسية سامي شرف أصبحت في حوزة الجمهور مما استقرت به على أنها واقعة سليمة ومعروفة ومن واجب المؤرخ أن يتناول هذه الواقعة بالنقد والدراسة والبحث، الأمر الذي يخرجها عن دائرة القذف والسبب المعاقب عليه. وفي نهاية الحيثيات قضت المحكمة برئاسة المستشار رشيد الكيلاني وعضوية المستشارين جميل ندا ورشدي عمار وبحضور طارق المصري وكيل النيابة وأمانة سر فاروق أبو الحجاج، ببراءة محمود جمال الدين إبراهيم حماد الشهير بجمال حماد مما أسند إليه وبرفض الدعوى المدنية وألزمت سامي شرف بمصروفات الدعوى ومبلغ خمسين جنيهاً مقابل أتعاب المحاماة. ترافع عن جمال حماد الدكتور

عبد المنعم الشرقاوي المحامي وعضو الهيئة العليا بالوفد.

ولا بد من أن نذكر ملاحظة ميدانية أطلعنا عليها بأنفسنا من خلال زياراتنا العلمية للقاهرة، ذلك أن المكتبات المصرية تزخر حالياً ومنذ أكثر من خمسة عشر عاماً بمجموعة من الكتب التاريخية أو المذكرات التاريخية لمسؤولين مصريين عاصروا الفترات التي تحدثوا عنها. إن هذه المذكرات دونت الفترة من عهد الملك فاروق وعهد الرئيس جمال عبد الناصر وعهد الرئيس محمد أنور السادات، وبعضها في عهد الرئيس الحالي محمد حسني مبارك. والأمر اللافت للنظر أن هذه المذكرات التاريخية المتنوعة والمتعددة سارت في تيارات معارضة ومؤيدة لهذا العهد أو ذاك. ففي المكتبات المصرية مذكرات مؤيدة للملك فاروق وأخرى معادية له؛ ومذكرات مؤيدة للرئيس جمال عبد الناصر وأخرى معادية له؛ ومذكرات مؤيدة للرئيس محمد أنور السادات وأخرى معادية له. وهكذا بالنسبة لمجموعة كبرى من كتب التاريخ والمذكرات التاريخية الصادرة في لبنان أو العالم العربي أو العالم.

وهكذا يلاحظ بأن هذا التعدد والتنوع في الآراء السياسية والتاريخية، إنما يشير إلى إطلاق الحرية للمؤرخين في إبداء آرائهم استناداً إلى المعلومات أو الوثائق التي عثروا عليها أو استناداً إلى الأحداث التي عاصروها. غير أننا لا بد من أن نشير إلى أن بعض المؤرخين المنتمين إلى تيارات سياسية أو دينية، أرخوا للأحداث وللعهود من منطلقات انتمائهم لتلك التيارات، لذلك جاءت كتاباتهم منحازة مع أو ضد هذا العهد أو ذاك.

الفصل الثاني

مَناهج البَحث التاريخي عِندَ اليُونانَ والرّومَان وَالمُسلِمين

أولاً ـ نشأة علم التاريخ عند اليونان:

في خلال القرن الحادي عشر ق.م. اجتاحت بلاد اليونان قبائل الدوريين والبرابرة الذين عاثوا في البلاد نهباً وفساداً وقضوا على معالم الحضارة اليونانية القديمة وبينها الكتابة اليونانية القديمة، الأمر الذي أدى إلى ضياع التراث اليوناني القديم مما اضطر الشعب اليوناني إلى تداول أخباره وتاريخه بواسطة التواتر والأحاديث الشفوية ومن أحاديث المخضرمين. ومن بين التراث اليوناني المنقول بالتواتر «إلياذة وأوديسة هوميروس» اللتان كتبتا فيما بعد في القرن السادس ق.م. وهي بمثابة مصادر تاريخية يونانية أصيلة. فالإلياذة أمدت المؤرخين والأدباء بتفصيلات عن الحروب التي دارت بين الإغريق وطروادة، ولقد عمدت المدن اليونانية الأخرى إلى إيجاد أبطال أسطوريين لمدنهم مما ساهم في تطوير الكتابة التاريخية خاصة في القرن الثامن ق.م. بعد أن توصل اليونانيون إلى اعتماد الحروف الهجائية في كتابتهم، وبعد التطور السياسي والعسكري لمدينتي إسبارطة وأثينا، وبعد نشوء نظام المدينة (Polis) وكانت الهيكلية السياسية للمدينة التي تمارس فيها شؤون الحياة. وبعد نشوء الأنظمة الدكتاتورية

والديمقراطية والأوليغاركية[١].

وكان على اليوناني أن يؤرخ لهذه الأحداث الجسام ولهذه التطورات الهامة، كما أرّخ بعض اليونانيين لتاريخ تطور البشرية أو تطور المدن والأقاليم وقد كتب أكثرها بواسطة الشعر والملاحم في القرن السادس (ق.م.) حيث بدأت أُولى جذور حركة التأريخ في بلاد اليونان في المناطق الأيونية (ما يعرف اليوم بالبلاد التركية) في الساحل الغربي لآسيا الصغرى (أي تركيا) واعتمدت هذه الحركة على نقد الكتابات القديمة وتصحيحها بل والشك بصحتها. ومن بين المؤرخين الذين اعتمدوا هذا الأسلوب (كزونوفان وستيغوروس) اللذان انتقدا أعمال هوميروس لأسباب تاريخية ودينية.

ومن أسباب نشوء الكتابة التاريخية عند اليونان الظروف السياسية والعسكرية التي مرّت ببلادهم سواء على الصعيد الداخلي أم على الصعيد الخارجي ويأتي في مقدمتها الحروب بين الفرس واليونان في النصف الثاني من القرن السادس (ق.م.) وهي الحروب التي كانت مدخلاً هاماً للتأريخ لبلاد اليونان والفرس وبلاد الشرق الأدنى القديم. وتقترن البداية التاريخية في بلاد اليونان بالمؤرخ الجغرافي (هيكاتايوس) الذي كان جغرافياً ورحالة ومؤرخاً وناقداً وكاتباً في النثر وليس في الشعر. فهو الذي استطاع أن يخلّص الكتابة التاريخية من تعقيدات كتابة الشعر وكانت الكتابة بالنثر شرطاً هاماً لنشوء كتابة التاريخ. مع الإشارة إلى ما للمكتبات اليونانية من دور هام في تنشيط ومساعدة الكتابة التاريخية وبقية العلوم.

المكتبات والتوثيق[٢]:

قامت المكتبات بدور بارز في تنشيط التأريخ وحفظ العلوم وتداولها

(١) كان الدكتاتور في النظام اليوناني القديم يعني الحاكم المنقذ، بينما كانت الديمقراطية تعني حكم الشعب، في حين كانت الأوليغاركية تعني حكم ونظام الفرد.
(٢) للمزيد من التفصيلات يمكن مراجعة: سارتون: تاريخ العلم، (٦ أجزاء).

ونقلها وكان إنشاؤها خطوة هامة في تاريخ العلوم وتاريخ الحضارات عامة. وبعد أن قام الإسكندر وبطليموس سوتير من بعده بإقامة وتوسيع مدينة الإسكندرية تبيّن بأن الهدف منها لم يكن عسكرياً فحسب، وإنما كان لأهداف حضارية وثقافية أيضاً ولذا أسس في الإسكندرية المكتبة الكبرى.

مكتبة الإسكندرية(١):

لقد كانت مكتبة الإسكندرية أشهر المكتبات في العالم القديم مع العلم أنه سبق إقامتها وجود مكتبات في مصر وبلاد ما بين النهرين. غير أن مكتبة الإسكندرية اتخذت طابعاً عالمياً وحضارياً وضمت الآلاف من المخطوطات والأبحاث والدراسات، بحيث أصبح من المتعذر أن تبقى بدون تنظيم أو بموظفين قلائل لذا عمد اليونانيون إلى تعيين عدد من الموظفين بما فيهم المدير الخاص بالمكتبة أو أمين المكتبة، واهتم بهذا التنظيم المؤسس الأول للمكتبة الملك بطليموس الأول (سوتير) ومن بعده بطليموس الثاني. وقد مرّ على مكتبة الإسكندرية عدد من أمنائها يمكن ذكرهم على النحو التالي:

١ ـ ديمتريوس	حوالي ٢٨٤ ق.م.
٢ ـ زينودوتوس الأفيسي	حوالي ٢٨٤ ـ ٢٦٠ ق.م.
٣ ـ كاليماخوس البرقاوي	حوالي ٢٦٠ ـ ٢٤٠ ق.م.
٤ ـ أبوللونيوس الرودسي	حوالي ٢٤٠ ـ ٢٣٥ ق.م.
٥ ـ أراتوسثنيس البرقاوي	٢٣٥ ـ ١٩٥ ق.م.
٦ ـ أريستوفانيس البيزنطي	١٩٥ ـ ١٨٠ ق.م
٧ ـ أبوللونيوس أيدوجرافوس	١٨٠ ـ ١٦٠ ق.م.
٨ ـ أريستاخوس الساموتراقي	١٦٠ ـ ١٤٥ ق.م.

(١) أنظر كتابنا: تاريخ العلوم والتكنولوجيا، ص ١٦٦ ـ ١٦٧.

ويلاحظ بأن المكتبة نمت نمواً مطرداً في فترة ديمتريوس وزينودوتوس، وفي منتصف القرن الثالث ق.م. صار المبنى الأصلي ضيقاً، فأنشيء ملحق للمكتبة عرف بالسارابيوم، وقد ضم الملحق وحده حوالي ٤٢.٨٠٠ لفافة بردية، وبلغ اهتمام بطليموس الثالث (٢٤٧ ـ ٢٢٢ ق.م) بالمكتبة أن فرض على كل مسافر قادم من الخارج أن يسلم أي كتاب يوجد بين أمتعته، فيصادره إذا لم توجد نسخة مماثلة في المكتبة فينسخ الكتاب، ثم يعطي نسخة لصاحبه مكتوبة على ورق البردي الرخيص. كما طلب بطليموس الثالث من أمين مكتبة أثينا إعارة مكتبة الإسكندرية المؤلفات والمخطوطات غير الموجودة فيها على أن يدفع ضمانة لمكتبة أثينا مقابل إعادة المخطوطات.

هذا وقد ضمت المكتبة مؤلفات عديدة في الفلك والطب والتنجيم والعمارة والهندسة والآداب. وقد واجه المصنف اليوناني صعوبات كثيرة في عمليات التصنيف لأنه كان عليه قبل الفهرسة أن يقرأ آلاف اللفائف من البرديات قبل تصنيفها، مع العلم أن أكثر المخطوطات القديمة لم تكن كلها تضم علماً واحداً إنما عدداً من العلوم والدراسات الإنسانية معاً، غير أنه من المؤسف أن أكثر هذه المؤلفات مع فهارسها لم تصل إلينا بسبب ضياع المكتبة، ولكن وردت أسماء بعض هذه المؤلفات في كتب المعاصرين لها والذين أتوا من بعدها بقليل.

أما فيما يختص بعدد المخطوطات في مكتبة الإسكندرية، فقد بلغت زمن بطليموس الأول (سوتير) ما يقارب مئتي ألف لفافة بردية، ثم ارتفع العدد إلى حوالي (٥٠٠) ألف ثم إلى (٧٠٠) ألف في عهد يوليوس قيصر.

أما فيما يختص بأمناء المكتبة وأعمالهم التوثيقية لها فيمكن إيجازها كما يلي:

١ ـ زينودوتوس الأفيسي:

هو أول أمين حقيقي لمكتبة الإسكندرية، وقد كرّس وقته لتنظيم المكتبة

وكان تنظيمها بسيطاً في عهده. وكان له مساعدون يقومون بتأدية الأعمال المكتبية التي يطلبها منهم لا سيما جمع مؤلفات الشعراء اليونانيين ومراجعتها كما أن زينودوتوس نفسه راجع الإلياذة والأوديسة ونقحها من الإضافات، ثم أدخل عليها قراءات جديدة، ووضع معجماً لأهم الكلمات الهوميرية «هوميروس» ومعجماً للكلمات الأجنبية، وقسّم ملاحم هوميروس إلى ٢٤ فصلا[١].

٢ ـ كاليماخوس البرقاوي:

وهو أحد أمناء مكتبة الإسكندرية، وكان مدرساً للنحو في بلدة قرب الإسكندرية، وبعد اتصاله بالملك بطليموس الثاني تمّ تعيينه أميناً للمكتبة حوالي عام ٢٦٠ ق.م. وفي عهده ازدهرت المكتبة وكثرت مقتنياتها بحيث اضطر إلى وضع فهرس عام للاستعانة بكتبها ومصنفاتها واسم هذا الفهرس «قوائم جميع المؤلفات الهامة في الثقافة اليونانية وأسماء مؤلفيها» والفهرس بحد ذاته اشتمل على (١٢٠) لفافة بردية، وقسمت لفائف المخطوطات إلى ثمانية أقسام هي:

١ ـ المؤلفون المسرحيون.

٢ ـ شعراء الملاحم والأناشيد.

٣ ـ المشرعون.

٤ ـ الفلاسفة.

٥ ـ المؤرخون.

٦ ـ الخطباء.

---

(١) أنظر كتابنا: تاريخ العلوم والتكنولوجيا، ص ١٦٧.

٧ ـ أساتذة علم الخطابة.

٨ ـ مؤلفون متنوعون.

ولا بدّ من الإشارة إلى أن الكتب العلمية صنّفت ضمن هذه المجموعات مثل «مؤلفون متنوعون» ومثل «الفلاسفة». وكان أسلوب التصنيف يسير وفق أساليب عديدة ومتنوعة منها:

أ ـ تصنيف على أساس زمني.

ب ـ تصنيف على أساس الموضوعات.

جـ ـ تصنيف حسب الأحرف الأبجدية.

وكان يوضع لكل كتاب اسم مؤلفه وعنوانه، ودقة في الفهرسة كانت توضع السطور الأولى من الكتاب على البطاقة المرافقة للبردية. وفي بعض الأحيان اضطر المصنف إلى تحليل بعض المؤلفات، مما يشير إلى أهمية فهرس كاليماخوس لأنه فهرس تصنيفي وتحليلي. غير أن فقدان هذا الفهرست أفقد معه أسماء المؤلفات اليونانية التي احتوتها مكتبة الإسكندرية. ونعطي مثالاً على أهمية الفهارس، إذ إننا ندين اليوم بمعرفة الكثير من المؤلفات العربية إلى الفهرست الذي وضعه ابن النديم في النصف الثاني من القرن العاشر الميلادي.

٣ ـ أبوللونيوس الرودسي:

ولد أبوللونيوس في الإسكندرية، ولذا فهو مصري من أصل يوناني، سمي بالرودسي لأنه عاش فترة في رودوس. وتولى وظيفة أمين مكتبة الإسكندرية بعد أستاذه كاليماخوس من ٢٤٠ إلى ٢٣٥ ق.م. وهو في الأصل شاعر اهتم بالشعر، وكانت ثقافته واطلاعه الثقافي في الإسكندرية ورودوس مؤهلاً لأن يتولى أمانة المكتبة التي ازدهرت في فترة تسلمه لها، ولوحظ أنه أضاف إليها الكثير من الكتب المخطوطة التي تتناول الآداب والشعر اليوناني وفي مقدمتها ملحمته «الأرجوتوت».

٤ ـ أراتوسثنيس البرقاوي:

كان أراتوسثنيس يتميّز عن سواه من أمناء المكتبة بأنه كان عالماً بينما كان سواه من الأدباء والشعراء، فقد انصبت اهتماماته كما نعلم على دراسة الرياضيات والفلك والجغرافيا والتاريخ وفقه اللغة أيضاً.

استدعاه بطليموس الثالث إلى الإسكندرية وعينه أميناً للمكتبة حوالي ٢٣٥ ق.م. وفي فترة أمانته للمكتبة ألّف عدة مؤلفات منها: الدراما الأتيكية، و «كرونوغرافيا» أي التأريخ الوصفي والوقائع التاريخية التي وقعت في البلاد الرومانية. وكان سبب وضعه للكتاب الأخير اختلاف التواريخ والآراء حول هذه الوقائع.

والحقيقة فإن المكتبة في فترة أراتوسثينس أضفى عليها الطابع العلمي بسبب اتجاهاته ومعارفه العلمية، كما أنه ساعد كثيراً على وضع القواعد الأولى للتأليف «الكرونولوجي». و«الكرونوغرافي».

٥ ـ أريستوفانيس البيزنطي:

أصبح أميناً لمكتبة الإسكندرية بعد وفاة أراتوسثينس في حوالي ٢٥٧ ق.م وكان مؤلفاً للمعاجم، وأنجز تحقيقات لملاحم هوميروس وقصائد بندار وسواه. كما ساهم في تنظيم النحو اليوناني، وصنّف معجماً باللغة اليونانية، وهو أول من استخدم الترقيم مما سهل عملية المتابعة في القراءة.

والواقع فإن أريستوفانيس لم يكتف بتصنيف المؤلفات والمخطوطات بل قام بتحقيقها وإعادة كتابة بعضها وإدخال التعديلات اللازمة عليها مع الإشارة إلى ذلك. فقد وضع علامات مميّزة عند الإشارة إلى وجود ثغرات أو لفظ مفقود أو تغييرات أو حدوث سقط أو حذف.

٦ ـ أريستارخوس الساموتراقي:

وهو من جزيرة ساموتريك بالقرب من بحر إيجه. واشتهر بأنه كان ناقداً

ونحوياً وشارحاً، كما ألّف عدة مؤلفات في النقد قاربت (٨٠٠) لفافة بردية. والملاحظ أن نقد أريستارخوس لم يكن نقداً فقهياً لغوياً فحسب، بل كان أيضاً نقداً أثرياً، فهو حاول الاكتشاف والمناقشة. وفي عهد بطليموس السادس والسابع والثامن تدهورت الأحوال في مصر فانعكس أثر ذلك على وضع المكتبة، مما اضطر أريستارخوس عام ١٤٥ ق.م إلى الرحيل عن الإسكندرية، لا سيما بعد شعوره بأن البطالمة لم يعودوا يهتمون بها.

في العام ٤٨ ق.م. عندما تعرضت مدينة الإسكندرية لحصار يوليوس قيصر، وبدأت المناوشات والمعارك امتدت الحرائق إلى مكتبة الإسكندرية فأحرق قسم منها. ويرجح أن المؤلفات التي كانت موجودة على الأرصفة لنقلها إلى روما هي التي أحرقت. ولكن في العام ٤١ ق.م قدم ماركوس أنطونيوس أحد الحكام الثلاثة في روما هدية إلى الملكة كليوباترا هي ما يقارب مائتي ألف من المؤلفات اليونانية.

لقد ظلت مكتبة الإسكندرية في ازدهارها في العهد الروماني الأول، ولكن بدأت تتسرب كتبها إلى روما تباعاً بأوامر من الرومان. غير أن التدهور الحقيقي للمكتبة لم يكن في العهود الرومانية الوثنية وإنما في العهد المسيحي خاصة عند ازدياد نفوذ الأساقفة المسيحيين على مدينة الإسكندرية، سواء أكان هؤلاء الأساقفة أريوسيين أم أثناسيين. ولقد وجه المسيحيون الأوائل جهودهم للقضاء على مكتبة الإسكندرية ظناً منهم أن هذه المكتبة اليونانية والمؤلفات التي حوتها إنما تمثل الكفر والوثنية، ولهذا أحرقت المكتبة ودمرت في هذه العهود. وكان تدميرها النهائي في زمن الامبراطور الروماني المسيحي ثيودوسيوس الكبير بأمر من البطريرك تيوفيلدس الذي كان يكره كل إنجاز وثني بما فيه المؤلفات، وكانت المكتبة قد اندثرت تماماً في العام ٤١٦. وعندما فتح المسلمون مصر والإسكندرية ٦٤٠ ـ ٦٤٥م لم يجدوا مكتبة الإسكندرية ولا المؤلفات اليونانية، وما وجدوه من كتب متناثرة هنا وهناك قاموا بالحفاظ عليها

وترجمتها والاستفادة منها[1].

والحقيقة فإن هذه التنظيمات العلمية أرست بشكل أكثر المفاهيم التاريخية والعلمية. ومن ثم فقد تعرف العالم اليوناني إلى أن التأريخ علم أو على الأقل من الممكن أن يكون علماً، والتاريخ الإغريقي ليس كله من قبيل الأساطير وإنما كان بعضه الآخر من قبيل البحث العلمي المتعلق ـ بشكل أو بآخر ـ بتاريخ الإنسان، وبصورة أخرى فإن اليونانيين رأوا أن التاريخ علم يهتم ويؤرخ لجهود الإنسان وأعماله الماضية، ولكن برأيهم أن هذا العلم متحول ومتبدل وليس كالعلوم الرياضية مثلاً. ومثال ذلك فإن الأمر الذي يتسم بالتغير وعدم الاستقرار لا يمكن أن يخضع للبرهان الرياضي أو المنطقي ومن ثم لا يمكن أن يكون موضوعاً للعلم البحت، بل يمكن أن يكون موضوعاً للإدراك الحسي فحسب يستطيع الجهاز الحسي للإنسان أن يدرك هذه الظواهر المادية العابرة في حال خضوعها للتغير ومن هنا كانت الضرورة إلى فلسفة ونظرية جديدة هي نظرية «التجديد في التاريخ» فإذا صدر كتاب لأحد المؤرخين في فترة زمنية فإنه لا بدّ من تجديده بعد عشر سنوات أو أكثر أو أقل خاصة في ضوء العثور على وثائق ومراسلات ومخطوطات جديدة تدور حول موضوع ذلك الكتاب بحيث يمكن تصحيح ما سبق أن جاء فيه أو الإضافة إليه.

وبشكل عام فإن منهج البحث التاريخي اليوناني اعتمد على المعلومة التاريخية وعلى التفنيد والتحليل وعلى نقل الأخبار من المعاصرين الذين كانوا يناقشون على معلوماتهم من قبل المؤرخين. هذا وقد عرفت بلاد اليونان العشرات من المؤرخين الذين أوجدوا لأنفسهم وللعالم مذاهب ومناهج فكرية.

ولا بدّ من أن نذكر في هذا المجال بأنه كان للتأريخ دور بارز في عملية

---

(١) أنظر كتابنا: تاريخ العلوم والتكنولوجيا، ص ١٦٨ ـ ١٧١.

التوثيق والتدوين، فبواسطة التأريخ حفظ الكثير من المعالم الحضارية في العالمين الشرقي والغربي على السواء. ولقد أشار ديودورس الصقلي في كتابه «المكتبة التاريخية» في عام ٣٠ ق.م. إلى أهمية التأريخ بقوله:

«من واجب الناس جميعاً أن يدينوا بالشكر العظيم لأولئك المؤرخين الذين وضعوا للبشر تاريخاً عاماً، لأنهم بمجهوداتهم الفردية قدموا خدمة كبرى للجنس البشري برمته. وكما أن العناية الإلهية ربطت بين الحركات المنتظمة للأفلاك وبين طبائع الناس برباط واحد عام، ووجهت الكل منذ الأزل إلى الطريق الذي يسير فيه، ومنحت الكل ما قدر له أن يكون، كذلك المؤرخون، فإنهم بتسجيلهم الشؤون العامة لسكان هذا العالم، كما لو كانوا أهل مدينة واحدة، قد جعلوا من كتاباتهم سجلاً واحداً لأحداث الماضي، ومرجعاً نهائياً تصفى فيه معرفتنا بهذه الأحداث. ولذا حق لنا القول بأن لمعرفتنا بالتاريخ أعظم نفع في كل شأن من شؤون الحياة، لأنها تزود الشبان بحكمة الشيوخ، وتمد الشيوخ بتجارب يضيفونها إلى تجاربهم، وتهيء المواطنين لمهام القيادة والزعامة، وتلهم الزعماء القيام بأنبل الأعمال لما يخلعه التاريخ عليهم من صفات المجد الخالد».

والتأريخ له جوانب هامة عديدة لأنه يميط اللثام عن كثير من الأسرار التاريخية والمعلومات العلمية والأدبية، ثم ينير الطريق لمعرفة تاريخ الشعوب والدول، ولولا التاريخ والتدوين لضاعت معالم حضارية كثيرة من العالم القديم والحديث على السواء.

وفي التاريخ القديم أرخ هيرودوت وثوكوديدس وكسينوفون وهكاثايوس وأرسطو وبوليبيوس وإيزوكراتيس الذي كان له تلميذان هما: أفوروس وثيوبمبوس.

٧ ـ أفوروس الكيمي (Ephoros):

ولد أفوروس في كيمي حوالي عام ٤٠٥ ق.م. في اليونان وانتقل منها

بعد ذلك إلى أثينا، وقد تتلمذ على إيزوكراتيس. واهتم بعد ذلك بالتأريخ، فكتب تاريخاً عاماً ابتداءً من تاريخ هرقليداي والمستعمرات الدورية في البلوبونيز في نهاية القرن الحادي عشر إلى عام ٣٤١ ق.م. وكتب هذا التاريخ في ثلاثين مجلداً تحت عنوان «تاريخ الشؤون العامة للإنسان». (Historia Coinon Praxeon).

والكتاب يعتمد على المنهج المقارن والبحث في شؤون الإنسان وأوضاعه السياسية وظروفه التي يعيش فيها جغرافياً واجتماعياً وسياسياً، ويعتبر أفوروس أحد الأوائل الذين كتبوا في التاريخ العام اليوناني. وحاول أن يتجنب الأساطير في تاريخه وأن يعلل الحوادث تعليلاً علمياً.

٨ ـ ثيوبمبوس الخيوسي (Theopompos):

ولد ثيوبمبوس في جزيرة خيوس اليونانية حوالي العام ٣٨٠ ق.م. وقد تلقى علومه في أثينا، وعندما أصبح خطيباً تعرف على الإسكندر وعلى بطليموس الأول وتنقل بين اليونان ومصر.

ومن بين مؤلفاته الضخمة ما أرخه تتمة لتاريخ ثوكوديدس والمجموعة الفيليبية في (٥٨) مجلداً، وتاريخ اليونان من ٣٦٢ ق.م. إلى ٣٣٦ ق.م. وقد ضاع الكثير من هذه المؤلفات ولم يبق منها إلاّ شذرات.

وتتميز كتاباته التاريخية باعتمادها على التحليل النفسي، وعلى تفسير الحوادث التاريخية اعتماداً على العوامل السياسية والجغرافية، ذلك لأن ثيوبمبوس كان عالماً نفسياً وناقداً لاذعاً، غير أنه كان بخلاف أفوروس، فقد اعتمد على الأساطير في التاريخ.

والجدير بالذكر أنه إذا حاولنا الاستطراد وتوسيع حلقة المؤرخين، فإننا يمكن أن نعتبر كل من كتب في الطب والهندسة والرياضيات والفلك وكافة العلوم، يمكن اعتبارهم من المؤرخين، ويمكن أن نطلق على كل منهم «مؤرخ

العلوم» ذلك لأنهم بواسطة كتاباتهم العلمية أرخوا لنا وتركوا مجلدات ومؤلفات أفادتنا في معرفة ماضي العلوم؛ وأصبح بالمستطاع مقارنتها بالعلوم الوسيطة والمعاصرة.

هذا وقد عرفت بلاد اليونان العشرات من المؤرخين الذين تميزوا بمناهج ومذاهب فكرية متنوعة، ويمكن دراسة بعضهم على النحو التالي:

١ ـ بوليبيوس:

ولد بوليبيوس في القرن الثاني ق.م. حوالي ٢٠٧ ق.م في اركاديا، وقد عاصر الحروب مع أسبرطة وروما وشهد حروباً عديدة في المناطق اليونانية وعاش فترة في روما امتدت إلى (١٨) عاماً ونظراً لتجاربه ومشاهداته وخبراته فقد ألّف كتباً متعددة في مقدمتها كتاب «التاريخ العام» الذي استغرق منه (١٨ عاماً)، وقد وصف فيه الغزو الروماني لبعض مناطق العالم في نصف قرن أو ما يزيد بين (٢٢٠ ـ ١٦٨ ق.م.) ويضم الكتاب أربعين جزءاً فقد أكثرها.

وكان الهدف من هذه المؤلفات التأريخ لحقبة تاريخية خصبة وهامة في التاريخ الروماني، ثم ليعلّم فن السياسة للرجال والموظفين الذين يمارسونها. ونظراً لعلاقته مع القادة والمسؤولين الرومان واليونان فقد كان مؤرخاً مطلعاً على حقائق الحرب والسلم ومشكلات الاستراتيجية والتكتيك والدبلوماسية، وأساليب المفاوضات السياسية.

٢ ـ أبوللودورس الأثيني:

عاش في النصف الثاني من القرن الثاني ق.م. في أثينا وأمضى فترة من حياته في الإسكندرية وبرجامة ولقد اهتم بالتاريخ ومن بين مؤلفاته تاريخ بالشعر وحسب تسلسل الوقائع من سقوط طروادة إلى عام ١٤٤ ثم زاد فيه إلى عام ١٩٩ ق.م كما كتب تعليقاً على قدماء الشعراء، وكان ملماً بتاريخ الخرافات، ومن أعماله الهامة تاريخ الآلهة Peri Theon في ٢٤ جزءاً، ومن

مصنفاته الهامة المصنف المعروف باسم «مكتبة أبوللودورس». (Apollodorir Bibliothèc).

٣ ـ بوسيدونيوس:

عاش في النصف الأول من القرن الثاني ق.م. وقد أرخ هذا المؤرخ للفترة من ١٤٤ إلى ٨٢ ق.م ضمنها دراسات عن الكلتيين وأوضاع أثينا وروما وعرف عنه أنه كان محاضراً ومعلماً ناجحاً تتلمذ عليه بومبي وشيشرو.

٤ ـ كاستور الرودسي:

عاش في النصف الأول من القرن الأول ق.م. اهتم بكتابة مؤلفات في التاريخ (Chronica) لا سيما الستة أجزاء منها، وألحق بهذا التأريخ جداول تاريخية ابتداء من البناة الأسطوريين لبابل ونينوى.

٥ ـ ديودور الصقلي:

عاش في النصف الثاني من القرن الأول، اشتهر في حكم قيصر وأغسطس. وبعد مضي ما يقارب ثلاثين عاماً من السياحة والأبحاث، ألّف كتاباً في تاريخ اليونان وسماه «المكتبة التاريخية» (Historion bibliothècè) وقد قسمه إلى ثلاثة مجلدات هي:

المجلد الأول: ويتحدث عن اليونان قبل حرب طروادة (ستة كتب).

المجلد الثاني: ويتحدث عن حرب طروادة إلى موت الإسكندر (١١ كتاباً).

المجلد الثالث: ويتحدث من العام ٣٢٣ ق.م. إلى بداية غزو قيصر لبلاد الغال (فرنسا) عام ٥٨ (٢٣ كتاباً).

وبذلك يكون ديودور قد ألّف (٤٠ كتاباً) في تاريخ اليونان، نجد أن أكثرها فقد، ولم يعثر إلاّ على أجزاء قليلة بلغت (١٥ كتاباً).

٦ ـ نيكولاوس الدمشقي:

ولد نيكولاوس في دمشق عام ٦٤ ق.م. وعاش في روما وأثينا، وقد ألّف مجموعات كبرى أرخ فيها للعالم الوثني والروماني ولهيرود ملك يهوذا ولصقلية وإيطاليا وسوريا وبمعنى آخر فقد سجل تاريخ البشرية منذ بدايتها حتى موت الملك هيرود عام ٤ ق.م. وهذا السجل تألف من (١٤٤ كتاباً). وقد احتلت سيرة هيرود وتاريخ اليهود النصيب الأوفر في هذه المؤلفات. وقد اعتمد المؤرخ اليهودي الشهير يوسيفوس (النصف الثاني من القرن الأول) على هذه السيرة.

كما أرخ نيكولاوس لسيرة أغسطس، وسيرة ذاتية لحياته هو.

٧ ـ ديونيسيوس:

اشتهر في روما من عام ٣٠ ق.م. إلى ٨ ق.م. بعد انتهاء الحروب الأهلية. وكان في البدء معلماً وناقداً أدبياً. ألّف كتباً عديدة في الأدب، ولكن ما يهمنا هنا كتابة عن بداية التاريخ الروماني الذي أنهاه في عام ٨ ق.م. وهو يدور حول عظمة روما وتاريخها ومنذ إنشائها حتى الحروب البونية الأولى ٢٦٤ ـ ٢٤١ ق.م.

ثانياً ـ نشأة علم التاريخ عند الرومان اللاتين:

اعتمد المؤرخون الرومان على مصادر عديدة في كتابة مؤلفاتهم التاريخية وبين هذه المصادر الأدبية المختلفة المتمثلة في مؤلفات المؤرخين والخطباء والشعراء وفقهاء القانون كما اعتمدوا على المصادر غير الأدبية التي تشمل مختلف الوثائق كالآثار والنقوش والنقود وأوراق البردي. والواقع فإن التأريخ المنهجي لم يبدأ عند الرومان إلاّ في أواخر القرن الثالث ق.م. أي بعد أن أصبحت روما دولة قوية في حوض البحر الأبيض المتوسط، ولذلك فإن المؤرخين الرومان الأوائل لم يسعهم إلاّ الاعتماد على مصدرين رئيسيين وهما

(حوليات الكهنة العظام) (Annales) ومبادىء التأريخ ومذاهبه لدى كتاب العصر الهلنستي اليوناني، وقد ظهر أثر هذه المصادر لفترة طويلة في كتابة التاريخ الروماني. وعندما بدأ المؤرخون الرومان في كتابة تاريخ القرون الخمسة الأولى من تاريخ بلادهم اعتمدوا على مجموعة كبرى من الأساطير والروايات المتداولة الرومانية أو اليونانية الأصل وعلى سجلات الأسر العريقة وعلى الوثائق والمعاهدات والقوانين ومحاضر الكهنة العظام (Pontifices Maximi) الذين كانوا يقومون بتقويم التأريخ للحكام وأهم الأحداث في عهدهم، وأصبحت هذه السجلات السنوية جزءاً من المحفوظات العامة ابتداءً من عام ٣٢٠ ق.م. ومن الملاحظ أن المنهج العام للمؤرخين الرومان الأوائل كان ممثلاً بمنهج الكهنة العظام فكتب في شكل حوليات وقد بقيت هذه الظاهرة ملحوظة في أكثر الكتابات التاريخية عند الرومان وبينما ضاعت كل المؤلفات التاريخية التي كتبت قبل منتصف القرن الأول ق.م. ما عدا بعض الشذرات فإن معظم ما تبقى من روايات تاريخية عن العصرين الملكي والجمهوري مثل روايات ليڤيوس وديونيسيوس وكاسيوس إنما هي مستمدة أصلاً من كتّاب الحوليات القدامى، والأمر الملاحظ أيضاً بأن أكثر كتاب الحوليات الرومان حتى منتصف القرن الأول ق.م. ينتمون إلى طبقة السناتو (مجلس الشيوخ) وهي الطبقة الحاكمة في الجمهورية، وبسبب طبيعة مناصبهم فقد صبغوا التاريخ الروماني بصبغة تتلاءم والآراء الاجتماعية والسياسية السائدة بين طبقتهم وحاولوا إبراز موارد بلادهم وقوتها لكي يبرروا أمام الدوائر اليونانية الوسائل التي اتبعتها روما في معالجة المشاكل الدولية.

وشهدت بلاد اليونان والرومان وبلاد المسلمين فيما بعد الكثير من وجود العلوم المرتبطة بالتاريخ كتنظيم الفهارس والمكتبات والمخطوطات وتنظيم الكتب والوثائق. ففي العهد الروماني مثلاً بالإضافة إلى وجود المكتبات وجدت المحفوظات والنشرات اليومية. واحتفظ مجلس الشيوخ بمجموعات من الوثائق والقرارات الحكومية. وقد وجد في المجلس مكان لحفظ هذه

القرارات يعرف اليوم باسم «الأرشيف» كان الشيوخ يعودون إليها لقراءتها أو لتعديلها على غرار ما حدث بعد اغتيال أغسطس قيصر.

وفي عهد القنصل قيصر سنة ٥٩ ق.م. صدرت صحيفة رسمية يومية عرفت باسم «الأعمال اليومية» (Acta Diurna) وقد اشتملت على ذكر عدد المواليد والوفيات في روما، والأخبار المالية والكميات الغذائية وقرارات المحاكم والحكام الجدد ووصاياهم. كما تضمنت وقائع ومضابط مناقشات مجلس الشيوخ (Acta Senatus) والمنشورات القضائية. والأمر الملاحظ أنه كان لهذه الصحيفة نسخاً توزع على المعنيين في روما والولايات.

وبالإضافة إلى «الأعمال اليومية» عرفت روما دار السجلات في معبدي فينوس وليبتينا التي كانت تختص بتدوين عدد المواليد والوفيات، كما أن كبار القادة والزعماء على المذكرات الخاصة والعامة، فلم يكتفوا بالصحيفة الرسمية، بل اعتمدوا على مذكراتهم ومذكرات مساعديهم وأمنائهم. وعرفت روما أيضاً «الصحيفة العامة» التي كانت تنشر الأخبار العامة التي من المفروض أن يعرفها المواطن، وكانت تكتب على لوحات للإعلان عرفت باسم (Alba) توضع في الأماكن العامة. وكان يمكن للمواطن أن يقرأ الأخبار الجديدة، تباعاً، بل لم تمانع الحكومة من أن ينسخها المواطن إذا شاء بهدف نشر الأخبار بشكل أسرع وأوسع.

هذا وقد تأثرت كتابة التاريخ عند الروماني في مرحلة النضج تأثراً كبيراً بمباديء ومناهج مؤرخي اليونان الذين كانت مصنفاتهم نموذجاً، فحرص المؤرخون الرومان على احتذائه منذ البداية، ولذا نجد الرومان كاليونان لا يعتبرون التاريخ علماً من العلوم الاجتماعية بقدر ما هو فرع من فروع الأدب، غير أن الرومان ورثوا عن مؤرخي اليونان الأساليب الفنية في التأريخ وإبراز دور الأفراد وأثرهم في مجرى التاريخ وما يستتبع ذلك من طمس المؤثرات التاريخية الهامة أو إغفالها كذلك ورثوا عنهم فكرة نفعية التاريخ بوصفه مرشداً

مفيداً لرجال السياسة واستخدام وقائع التاريخ كدروس أخلاقية لتهذيب القراء، كما حرص المؤرخون الرومان على تمجيد روما والاستشهاد بمواقف أبطالها كدروس في التربية الوطنية.

ومن مميزات التأريخ عند الرومان لا سيما في القرنين الثاني والأول (ق.م.) الشغف التاريخي بدراسة القديم وهو اتجاه شجعته المدرسة الفلسفية الأرسطية، وكان من أثر هذا الاتجاه بروز المؤلفات عن التاريخ القديم وظهور دوائر المعارف والموسوعات لا سيما في عصري الجمهورية والامبراطورية، ورأى البعض أن هذا الاتجاه الروماني لم يكن في حينه إحياء للتراث بقدر ما كان عزاء عن التصدي للواقع التاريخي ومعالجته. ولما حاول المؤرخون الرومان معالجة الواقع القائم في روما فإنهم أرضوا مشاعر العامة وفضولهم بنشر الشائعات وفضائح القصر غير أن أغسطس طلب الكف عن كتابة التاريخ المعاصر ونادى بتمجيد السلف الصالح وإحياء التقاليد الرومانية القديمة.

والواقع فإن الفترات الرومانية الأولى لم تشهد مناهج ومذاهب فكرية تاريخية بالمعنى الصحيح. ويمكن دراسة بعض المؤرخين الرومان على النحو التالي:

١ ـ أنيوس (Ennius):

عاش في النصف الأول من القرن الثاني ق.م. وكان قائداً للجيش الروماني في سردينيا عام ٢٠٤ ق.م. وفيما بعد كتب حولياته التاريخية شعراً باللاتينية وضم إليها ملاحق أخرى.

٢ ـ كاتو الرقيب:

أول مؤرخ روماني كتب بالنثر اللاتيني في النصف الأول من القرن الثاني ق.م. ويعرف مؤلفه في التاريخ باسم «الأصول» (Origines) وقد قسمه إلى ثلاثة كتب:

الأول: واختص بأصول حرب طروادة وتأسيس روما وعصر الملوك إلى العام ٥١٠.

الثاني والثالث: عرض فيهما أصول الجماعات الإيطالية وإنشاء المدن الإيطالية وضمت ملاحق وكتب أخرى إلى الأصول بحثت في الحرب البونية والحروب المقدونية وشؤون رودوس وسوريا.

٣ ـ قيصر:

عاش قيصر في النصف الأول من القرن الأول ق.م. وكان قائداً عسكرياً وحاكماً سياسياً، وقد اهتم بتاريخ الأحداث والمناطق التي غزاها في كتاب عرف باسم «التعليقات» وهو ذكريات عن معاركه الحربية. وتشمل «التعليقات» على مصنفين منفصلين هما: حرب الغال (De bello Gallico) ويقع في سبعة كتب ثم الحرب الأهلية (De bello Civili) ويقع في ثلاثة كتب. والحقيقة فإن «التعليقات» تعتبر المصدر الأساسي لتاريخ حرب الغال والحرب الأهلية.

٤ ـ ڤارو:

عاش ڤارو في النصف الثاني من القرن الأول ق.م. وعاش عمراً مديداً وصل إلى ٨٩ عاماً. وتعتبر كتبه التاريخية ليست كتباً تقليدية بقدر ما هي وثائق من الدرجة الأولى يستخدمها المؤرخون. ومن أهم كتبه التاريخية رسالته عن الآثار القديمة التي أصدرها في (٤١) كتاباً كتبها عام ٤٧. وهي تتضمن الآثار الدنيوية والآثار المقدسة والتي بحثت في الناس والأماكن والأزمنة والأشياء والكهنة والعرافين والمذابح والمعابد والأعياد وأيام التمثيل والتقديس والقرابين الإلهية.

ومن كتبه الأخرى «السبعيات» (Hebdomades) وكتاب «الآثار» وكتاب «تاريخ الأسرة الرومانية» و «تاريخ الشعب الروماني». وكانت كتبه في الواقع

للمعاصرين ولمن أتوا من بعد بمثابة معاجم ودائرة معارف أو أرشيف وثائق تدويني.

وهناك مؤرخون لاتين آخرون قاموا بدور بارز في موضوع التاريخ والتدوين وبينهم «سترابون» الذي عرفناه جغرافياً، و «ساللوست» و «ليفي» وكان هذا الأخير من أشهر مؤرخي عصر أغسطس، فقد ألّف طوال حياته كتاباً ضخماً واحداً هو بمثابة تاريخ كامل لروما منذ تأسيسها إلى عصره.

لقد قام المؤرخون بدور هام في حفظ التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعسكرية التي مرّت بها دول وشعوب العالم، ولهذا فإن التاريخ يعتبر علماً مرتبطاً بعلم التوثيق، وتدويناً وسجلاً شاملاً لمختلف الفنون والعلوم والأحداث.

ثالثاً ـ نشأة علم التاريخ عند العرب والمسلمين:

نشأ علم التاريخ العربي والإسلامي نتيجة لاهتمامات العرب بتدوين الأخبار والأحداث السابقة لعصرهم والمعاصرة لهم، ولم تكن كتابة التاريخ عندهم في الفترات الأولى بالمعنى نفسه الذي ساد وعرف فيما بعد، فقد كان قبل الإسلام يتمثل بتدوين الأخبار السالفة كما كان في بداية العهد الإسلامي مهتماً بتدوين أحاديث الرسول محمد ﷺ وأعماله، فإن كلمة التاريخ التي يمكن اعتبارها منذ القرن التاسع الميلادي تعبيراً فنياً خاصاً مرادفاً من حيث العموم لكلمة (History) أو (Histoire) إنما هي بالنسبة لعلم التاريخ العربي القديم كانت كلمة مختلفة تماماً، إذ يبدو أن أصول كلمة تاريخ مستمدة من الكلمة السامية «يرخ» التي تعني القمر أو الشهر وهي في الأكادية «أرخو» وفي العبرية «يرخ» أو «ياريخ» بمعنى القمر. غير أن ذلك لا يعني أن كلمة تاريخ مشتقة من الأكادية أو العبرية أو الأثيوبية أو الآرامية أو السريانية ولكن من الثابت أن المناطق العربية الجنوبية اليمنية استخدمت لفظ «ورخ» و «توريخ»

قديماً ومنها جاءت كلمة تاريخ ومؤرخ وياريخ، وعلى هذا فإن كلمة تاريخ لفظ عربي أصيل وإن استخدمت الشعوب القديمة لفظاً مماثلاً له. وتأريخ مصدر من أرّخ بلغة قيس وهذا اللفظ شائع عند العرب أو «ورخ» بلغة تميم. ومنهم من زعم بأن لفظ تأريخ تعريب لكلمة «ماه روز» الفارسية ومعناها حساب الشهور والأيام أو التوقيت حسب القمر(١). غير أن استخدام كلمة تاريخ وردت في بردية في زمن الخليفة عمر بن الخطاب يرجع تاريخها إلى عام ٢٢ هـ مما يشير إلى أن اللفظ كان متداولاً في تلك الفترة. وقد أكّد «جب» (H. Gibb) في كتابه (علم التاريخ) من أن «تأريخ» لفظ عربي بمعنى العهد أو الحساب أو التوقيت، أي تحديد الوقت وتحديد الشهر(٢).

ومن جهة ثانية فقد حملت كلمة تاريخ في الفكر العربي الأول بعض المعاني المنهجية منها:

١ ـ تاريخ وسير الأَعلام والرجال.

٢ ـ عملية التدوين التأريخي، أو التأريخ ووصف التطور وتحليله.

٣ ـ الأخبار، ومنها أخبار العالم.

٤ ـ سير الزمن والأحداث والتطور التاريخي.

٥ ـ علم التأريخ والمعرفة به.

٦ ـ تحديد وقت الحادثة باليوم والشهر والسنة.

ولا بدّ من الإشارة إلى أن كلمة تاريخ بدأت في صدر الإسلام تعني التقويم والتوقيت ثم أصبحت تعني تسجيل الأحداث على أساس الزمن وتحمل اسم الأخبار، ثم بدأت كلمة تاريخ تحل تباعاً في الكتابة التدوينية العربية لا

---

(١) أنظر: السخاوي: الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، ص ٦.

(٢) جب (كب) (H. Gibb): علم التاريخ، ص ٢٦ ـ ٢٧.

سيما في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الهجري. ومن الأهمية بمكان القول أن العرب قبل الإسلام اهتموا بالتأريخ للأحداث الهامة والوقائع المشهورة مثل عام الفيل، وبناء الكعبة، وكانت بعض الأحداث التاريخية تحفظ بواسطة النقوش أو بواسطة الرواية الشفوية. ولا شك بأن الأحداث الكبرى الهامة كانت تستثير اهتماماً تلقائياً من قبل العرب. ومن النقوش القديمة نقش عربي باقٍ وهو نقش امريء القيس الذي يرجع إلى عام ٣١٨م وقد وضع لتخليد الأعمال التاريخية للأمير المتوفى، كما وجد نقش تدمير خيبر عام ٥٧٧م، فضلاً عن ذلك فإن الهمداني يشير في كتابه «الإكليل» الجزء الأولى إلى: «ما ادخرته ملوك حمير في خزائنها من مكتوب العربية واليونانية واللاتينية فأخذوا منها بعض المعلومات التاريخية وأضافوا إليها معلوماتهم البدائية[١].

هذا ويعتبر أول تدوين لأخبار العرب السابقين للإسلام كان على عهد معاوية بن أبي سفيان في أواسط القرن الأول الهجري. ويذكر ابن النديم في الفهرست بأن أول تدوين في العصر الإسلامي عن أخبار الجزيرة في عصر ما قبل الإسلام هو عند «عبيد بن شُريّه» الذي أمره معاوية أن يدوّن أخبار العرب والعجم وقيل أنه ألّف كتاباً لمعاوية اسمه **كتاب الملوك وأخبار الماضي** وهو يتضمن الكثير من أخبار العرب في الجاهلية، كما تضمن الأشعار التي وضعت على لسان عاد وثمود وطسم وجديس والتبابعة وأخبار بني إسرائيل. ويغلب

---

(١) هناك دراسة قيمة للدكتور عمر فروخ حول العلاقة بين الإسلام والتاريخ تجيب على تساؤلات عديدة، وهي تحت عنوان: الإسلام والتاريخ (الإسلام في نظره إلى الله والإنسان والمجتمع والتاريخ)، كما يمكن الاطلاع على كتاب د. محمد رشاد خليل: (المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره)، وفيه موضوعات عديدة حول المنهج والمصادر والشروط والتفسير المتعلقة بدراسة المنهج التاريخي الإسلامي. أنظر أيضاً: د. عثمان موافي: (منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوروبي) ود. فرانتز روزنثال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي.

على هذا الكتاب أخبار الإسرائيليات المأخوذة عن أساطير العهد القديم. أما «وهب بن منبه» فقد كان يمنياً من أصل فارسي وقيل إنه كان يهودياً وأسلم وينسبون إليه معظم الإسرائيليات الواردة في المصادر العربية وقد ركّز وهب اهتمامه على أخبار اليمن في الجاهلية ومن الكتب المنسوبة إليه «الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم» وتمتاز كتابات عبيد ووهب بالطابع الأسطوري والخرافي وينسب إلى وهب كتاب «المبتدأ» الذي يتحدث فيه عن بدء الخليقة وقد اعتمد عليه ابن قتيبة في كتاب المعارف والطبري في كتاب «تاريخ الرسل والملوك» والمقدسي في كتابه «البدء والتاريخ» والثعلبي في كتابه «عرائس المجالس في قصص الأنبياء» وكان وهب بن منبه يتقن عدداً من اللغات القديمة ومنها السريانية والحميرية واليونانية والعبرية، وقد أكّد المسعودي في مروج الذهب (الجزء الثالث) على إتقان وهب للغات القديمة وحل الرموز من أيام سليمان بن داوود.

أما العوامل التي ساعدت على نمو وتطور التأريخ عند المسلمين فهي عديدة منها:

١ ـ الأحداث التي وردت في القرآن الكريم وحض أو حث الرسول محمد ﷺ على العلم والتعلم والتدوين وينسب إليه قوله: «لا تدع التاريخ فإنه يدل على تحقيق الأخبار وقربها وبعدها» كما أن الرسول نفسه كان مطلعاً ومفسراً لبعض الأحداث التاريخية التي وردت في القرآن الكريم.

ولقد كان التاريخ يملأ تفكير الرسول لدرجة كبيرة وقد ساعد ذلك في تقدم نمو التاريخ الإسلامي فيما بعد على حدّ قول «روزنثال» فضلاً عن أن أحاديثه الشريفة شجعت المسلمين على تسجيلها. وأقدم من كتب في السيرة «عروة بن الزبير بن العوام» المتوفى عام ٩٣هـ و «أبان بن عثمان بن عفان» المتوفى ١٠٥هـ ووهب بن منبه المتوفى ١١٠هـ.

٢ ـ رأى المسلمون أهمية ظهور الإسلام والتحولات السياسية الاجتماعية

التي أوجدها في المجتمع العربي ومدى تأثيراته على الدول المجاورة مثال الدولة الفارسية والرومانية والحميرية ولذا رأوا أهمية تدوين الأحداث الهامة التي أحدثها الإسلام ضد الأوضاع القديمة السائدة.

٣ ـ إن المعارك الكبرى التي خاضها المسلمون والتفصيلات والملابسات التي أحاطت بها كانت من جملة العوامل التي شجعت على كتابة ونمو التاريخ العربي والإسلامي. وكانت معارك بدر وأحد ومكة واليرموك والقادسية والجمل وصفين وسواها من المعارك عاملاً هاماً من عوامل اتجاه العرب والمسلمين نحو التدوين.

٤ ـ حاجة المسلمين إلى معرفة الأنظمة السياسية والاقتصادية والمالية والاجتماعية السابقة على أنظمتهم فتحولوا إلى المصادر القديمة وإلى التدوين للتمييز بين الأنظمة السابقة والأنظمة الإسلامية وللاستفادة من تلك الأنظمة التي يمكن أن يتوافق بعضها أو لا يتوافق مع الدين الجديد.

٥ ـ إن وضع التقويم الهجري في عهد الخليفة عمر بن الخطاب أدخل عاملاً مساعداً على فكرة التأريخ عند المسلمين وارتبطت منذ ذلك الوقت أحداث التاريخ الإسلامي الأول بالتقويم الهجري كأن يقال إن حدثاً ما وقع في عام كذا من الهجرة أو قبل الهجرة، فأصبح التقويم الهجري فاصلاً تاريخياً بين مرحلتين على غرار التقويم الميلادي.

٦ ـ تشجيع الخلفاء والحكام في العهود الأموية والعباسية والفاطمية وسواها على التدوين التأريخي، وكثيراً ما طلب الحكام أنفسهم من المؤرخين أن يؤرخوا تاريخ خليفة أو حاكم أو عصر أو مرحلة من المراحل.

والحقيقة أن هناك عوامل عديدة أدت إلى تطور ونمو علم التاريخ العربي والإسلامي غير أنه لا يمكن في هذا المجال حصرها جميعها، فإن أهل السيرة والأخبار قد رسموا في أواخر القرن الثاني الهجري الأبواب الأساسية للتاريخ

عند المسلمين والعرب وهي لا تعدو أموراً أربعة:

١ ـ أخبار الماضين.

٢ ـ أحوال العرب قبل الإسلام.

٣ ـ السيرة.

٤ ـ أخبار الدولة الإسلامية.

ولا بدّ أن نشير في هذا المجال بأن المفكرين المسلمين والعرب اهتموا بعلم هام من علوم الفهرسة والتوثيق مرتبط إلى حدّ كبير بالدراسات التاريخية ويكفي أن نعطي مثالاً لهذا النوع ابن أبي أصيبعة الذي فهرس للأطباء وكتبهم تحت عنوان «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» وابن النديم الذي ألّف كتاباً أسماه الفهرست ضمنه فهارس بأسماء كتب التاريخ وكتب الأخبار والسير وكتب عن الرسول وسيرته، وعن أخباء الخلفاء الراشدين والخلفاء عموماً وكتب عن تاريخ وأخبار بني أمية، وعن العباسيين وعن فتوح البلدان وكتب عن البلدان والمسالك والأسواق والجغرافية، وعن الإدارة والمالية والسياسة وآداب السلطان كما تضمن الفهرست كتب التاريخ عن حياة الوزراء والكتاب والولاة والقضاة والشرطة وكتب عن العرب والعجم والروم... وللطوسي فهرست آخر يماثل فهرست ابن النديم. والجدير بالذكر أنه عندما نتحدث عن المؤرخين العرب والمسلمين وعن علم التاريخ العربي والإسلامي فإن ذلك لا يعني بأن المؤرخ العربي والإسلامي كان مؤرخاً فحسب بل كان أحياناً مؤرخاً وأديباً وعالماً وجغرافياً وكثيرة هي الكتب الأدبية التي تضمنت معلومات تاريخية والعكس صحيح، وكثيرة هي الكتب التاريخية التي تضمنت معلومات جغرافية والعكس صحيح.

ومن أوائل القرن الثالث إلى أوائل القرن الرابع يلحظ الدارس زيادة جوهرية في المادة التاريخية وفي دقتها وتحري مصادرها. فقد استقرت دواوين

الدولة العباسية لا سيما دواوين الإنشاء والجند والخراج والبريد. واستطاع المشتغلون بالتاريخ الاستفادة من هذه الدواوين في صناعتهم، كما يؤخذ مما اشتملت عليه تواريخ القرن الثالث، من مواثيق وعهود رسمية ومراسلات سياسية وإحصاءات للمواليد والوفيات وفترات ولاية كبار رجال الدولة من خلفاء ووزراء وقادة وعمال وقضاة وولاة ووصف للحروب الداخلية ووقائع الغزوات وسوى ذلك مما يدخل في نطاق التاريخ.

والحقيقة فإن كثرة المادة التاريخية وتوفرها شجعت المؤرخين على الغوص في فترات تاريخية متباعدة ومتعددة، ثم أخذ التاريخ بالنماء كعلم من أجلّ العلوم عند المسلمين وأعظمها شأناً، وأخذ المؤرخون مكانتهم بين علماء الدولة الإسلامية كرجال لهم مكانتهم بل وخطرهم في الحياة العامة السياسية والأدبية والاجتماعية. وتضاءل مدلول لفظ «الإخباري» الذي قال فيه السمعاني (المتوفى عام ٥٦٢هـ): «ويقال لمن يروي الحكايات والقصص والنوادر الإخباري». وقد برز من بين مؤرخي القرن الثالث ابن قتيبة (المتوفى عام ٢٧٠هـ) صاحب كتاب «المعارف»، والبلاذري (المتوفي عام ٢٧٩هـ) صاحب كتاب «فتوح البلدان وأنساب الأشراف» واليعقوبي (المتوفى عام ٢٨٤هـ) صاحب «التاريخ» والدينوري (المتوفى عام ٢٩٠هـ) صاحب «الأخبار الطوال» وابن جرير الطبري (المتوفى ٣١٠هـ) صاحب «تاريخ الأمم والملوك».

وبلغ من أهمية تقدير المسلمين للتأريخ أن ألّف بعض مفكريهم كتباً خاصة عن التاريخ وأهدافه ومراميه وفوائده. كما تصدى بعضهم للدفاع عنه، ومن بين هؤلاء السخاوي الذي ألّف كتاباً خاصاً تحت عنوان «الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ» ومما قاله مدافعاً عن غايات وتوجهات التاريخ: «وأما الذامون له فمنهم من خصّص، ومنهم من عمّم، فالمخصصون اقتصروا على من ملأ منهم كتبه بما يرغب عن ذكره مما أدرجناه في التحريم، ومنهم من يدعي المعرفة والرزانة، ويظن بنفسه التبحر في العلم والأمانة يعمم فيحقر التواريخ ويزدريها ويعرض عنها ويلغيها لظنه أن غاية فائدتها إنما هو القصص والأخبار

ونهاية معرفتها الأحاديث والأسمار. ومنهم من نسب بعضهم إلى القصور حيث لم يتعرض للجرح وهذه مع كونه أعظم فوائده ولا على أخبار الأئمة والزهاد والعلماء الذين بذكرهم تنزل الرحمة، ولا على شرح مذاهب الناس مع عموم الحاجة إليه بل اقتصر على الحروب والفتوحات ونحوها، مع أن من أنصف يعلم أنه ليس من العلم فتح البلد الفلاني في سنة كذا ولا أن عدد الجيش كان كذا...»[١].

ومن الأهمية بمكان القول بأنه نتيجة لأهمية علم التاريخ عند العرب، فقد قام عدد من المستشرقين بدراسة هذا العلم لكشف الجوانب الخفية في مناهج الفكر التاريخي العربي والإسلامي، ومن بين هؤلاء[٢]:

١ ـ فردناند وستنفيلد (F. Wuestenfeld) الذي أصدر بحثاً هاماً في مؤرخي العرب عام ١٨٨٢ جمع فيه حوالي ٥٩٠ اسماً من أسمائهم وضمنه مصنفاتهم ومؤلفاتهم في القرون العشرة الأولى بعد الهجرة.

٢ ـ مرجُليوث (D. Margoliouth)، وقد نشر عدداً من الدراسات والمحاضرات التي كان قد ألقاها في جامعة كلكوتا بالهند عام ١٩٢٩ عن مؤرخي العرب في القرون الستة الأولى للهجرة.

٣ ـ بروكلمان (C. Brockelmann) وقد أصدر معجماً لجميع مصنفات العرب في العصور الإسلامية، وتضمن مجلدين نشرهما في برلين بين ١٨٩٨ ـ ١٩٠٢، ثم أضاف إليهما ثلاثة مجلدات نشرها بين ١٩٣٧ ـ ١٩٤٢.

٤ ـ فرانز روزنتال (Franz Rosenthal) وأصدر مصنفين هامين الأول تحت عنوان علم التاريخ عند المسلمين (A History of Muslim

---

(١) السخاوي، المصدر السابق، ص ٥٠.
(٢) أنظر: د. عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ص ٦ ـ ٧.

(Historiography وقد تولى تعريبه الدكتور صالح أحمد العلي من جامعة بغداد عام ١٩٦٣، والثاني بعنوان (The Technique and Approach of Muslim) وقد تولى تعريبه الدكتور أنيس فريحة من الجامعة الأميركية في بيروت عام ١٩٦٠ ووضع له عنواناً هو «مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي».

وبالإضافة إلى هؤلاء هناك بعض المستشرقين الذين بحثوا أيضاً في مناهج ومصادر الفكر التاريخي العربي ومنهم هاملتون جب (H. Gibb) وبارتولد (w. Barthold) وكلود كاهن (Claude Cahen) وجان سوفاجيه (Jean Sauvaget) وليفي بروفنسال (Levi - Provençal) الذي تخصص في تاريخ المغرب والأندلس.

ولا بدّ من الإشارة إلى أن المؤرخين والمفكرين العرب المحدثين اهتموا بدورهم بالكتابة عن مناهج الفكر التاريخي العربي ومصادره، فصدرت دراسات هامة لبعض المفكرين منهم:

١ ـ أحمد أمين الذي أصدر كتابه ضحى الإسلام وظهر الإسلام في عام ١٩٣٨.

٢ ـ حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، القاهرة ١٩٤٣.

٣ ـ عبد الحميد العبادي الذي ترجم كتاب هرنشو «علم التاريخ» وأضاف إليه فصلاً من وضعه عام ١٩٣٧.

٤ ـ عبد العزيز الدوري: نشأة علم التاريخ عند المسلمين بيروت ١٩٦٠.

٥ ـ د. سيدة كاشف: مصادر التاريخ الإسلامي، القاهرة ١٩٦٠.

٦ ـ د. عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ١٩٨١.

٧ ـ د. شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون جزءان بيروت.

٨ ـ عبد الله العروي: العرب والفكر التاريخي.

٩ ـ د. عفت الشرقاوي: في فلسفة الحضارة الإسلامية.

١٠ ـ د. أسد رستم: مصطلح التاريخ.

١١ ـ قسطنطين زريق: نحن والتاريخ.

١٢ ـ د. محمود زايد: دراسة التاريخ.

١٣ ـ د. عزيز العظمة: الكتابة التاريخية، والمعرفة التاريخية (مقدمة في أصول صناعة التأريخ العربي). وسوى ذلك من مؤلفات أخرى[١].

ونظراً لتعدد وكثرة المؤرخين المسلمين والعرب وكثرة نتاجهم التاريخي والأدبي فإنه يتعذر علينا أن ندرسهم جميعاً دراسة وافية، لأنهم يقدرون بعشرات المئات في مختلف المراحل، ولذا فإننا سنختار نماذج من المؤرخين المسلمين والعرب لنعطي فكرة عن مناهج ومذاهب الفكر التاريخي الإسلامي والعربي، وذلك في آخر الكتاب.

(١) للمزيد من التفصيلات أنظر ثبت مصادر الدراسة.

الفصل الثالث

العُلوم المسَاعِدَة للتّاريخ

ما هو التاريخ؟ هل التاريخ علم؟

يقول «جوزف هورس» (Joseph Hours) في (valeur de L'Histoire) (قيمة التاريخ): إن بين التاريخ والعلوم فارقاً أساسياً يُباعد بينهما حتى المعارضة، فالعلم يبحث في الحوادث الملحوظة، عن المشابهات التي تظهر، ويكشف عن العناصر المشتركة في الوقائع حيث يتعرفها في حقيقتها، فيبحث بعد ذلك عن أسباب تكرار هذه الملامح تكراراً متشابهاً في وسط ظروف مختلفة جداً. فيصوغ لهذا الناتج احتمالات تثبت حقيقتها في ما بعد بالاستدلال العقلي أو بالاختبار. وهكذا ينتهي العلم إلى إثباتات تقرر ميزة عامة أو قوانين وتجتهد في تنسيقها في نظام.

يضيف هورس قائلاً: أما التاريخ فعلى العكس لأنه لا يرتبط بالوقائع التي يضع لها حدوداً، إلاَّ بحكم ما هو موحد بينها. وهذا ما كشف عنه كورنو بقوة لا مثيل لها، ذاهباً إلى حدِّ أنه لم يترك للتاريخ كحقل خاص به إلاَّ فضلة «كل ما يرفض بطبيعته أن يخضع للعقل، وكل ما ينزل منزلة ما لا حلّ له في حدود العلاقات الضرورية لوضع نظام». ثم ختم هورس قائلاً: «بلا ريب، إن التاريخ يبحث عن الأسباب التي كانت وراء تتابعها ويجتهد في جعلها مترابطة متسلسلة، يعني يبحث للوصول إلى تفسير يرضى عنه العقل، ولكن صفة العلم تبقى غير متوفرة على حقيقتها». حدود العلاقات الضرورية لوضع

نظام». ثم ختم هورس قائلاً: «بلا ريب، إن التاريخ يبحث عن الأسباب التي كانت وراء تتابعها ويجتهد في جعلها مترابطة متسلسلة، يعني يبحث للوصول إلى تفسير يرضى عنه العقل، ولكن صفة العلم تبقى غير متوفرة على حقيقتها».

أما ج. هرنشو (G. Hearnshaw) فيجيب عن سؤال: هل التاريخ علم مستشهداً بأقوال عدد من العلماء والفلاسفة والأدباء، فقد أشار د.ج.ب. بيوري (J.B. Bury) (١٨٦١ ـ ١٩٢٧). وهو من أشهر مؤرخي إنجلترا في الربع الأول من القرن العشرين ـ «من أن التاريخ علم لا أكثر ولا أقل». بينما أشار هرنشو إلى أن الفلاسفة الطبيعيين انبروا من ناحية ليثبتوا أن التاريخ دون العلم بكثير، في حين انبرى رجال الأدب ليثبتوا بأن التاريخ هو فوق العلم بكثير. ويذهب رجال الأدب في آرائهم إلى أن التاريخ سواء كان علماً أم غير علم، فهو لا ريب فن من الفنون.

ويرى «هرنشو» بأن التاريخ ـ بما للطبيعة البشرية من خصائص ثابتة، وبما للإنسان من تأثير دائم على البيئة الجغرافية ـ يقوم على أصول تضارع قيمتها على أقل تقدير، ذرات الكيماوي الغامضة والكترونات الفيزيقي الرواغة. «إن التاريخ يبحث في الفعل وردّ الفعل الصادرين عن إنسان غير متغيّر أصلاً، وعن بيئة غير متغيرة أصلاً، ذلك هو التاريخ». ويضيف بأن التاريخ علم ولكنه ليس علماً كالفلك الذي هو علم معاينة مباشرة، ولا كالكيمياء علم تجربة واختبار، ولكنه هو علم نقد وتحقيق. ومراحل بحثه الأساسية ثلاث:

١ ـ مرحلة التجميع: وهي مرحلة تجميع الوثائق وهذه المرحلة تتطلب مؤرخاً قادراً يملك ملكة فنية عالية، ودراية علمية فائقة بفقه اللغة، وقراءة النقوش والخطوط والرسائل الدبلوماسية.

٢ ـ مرحلة النقد: وهي مرحلة يفحص فيها المؤرخ عبارات الوثائق الخطية،

والأدلة التاريخية ليتثبت من صحتها وقابليتها للتصديق، وصحة أصلها ودقة روايتها.

٣ - مرحلة التأويل: وهي من أصعب المراحل لا سيما عند كتابة تاريخ غامض أو كتابة التاريخ الذي يكثر فيه الجهل وسرعة التصديق وافتراء الكذب، التي يوصف بها من كتبوا عن العصور الوسطى مثلاً، فالتأويل في هذا المجال يحتاج إلى عناية ودقة وتؤدة.

ويرى «إدوارد كار» بأن التاريخ يتكون من مجموعة كاملة من الحقائق المؤكدة التي تكون متوافرة للمؤرخ من خلال الوثائق والنقوش وما إلى ذلك، ويقوم المؤرخ بجمعها ثم ينظمها ويقدمها بالأسلوب الذي يروق له. ونقل قول العالم «أكتون» (Acton) الذي قال: «إن واترلو التي نؤرخها يجب أن ترضي الفرنسيين والإنجليز، والألمان والهولنديين بالطريقة نفسها...» وأضاف «كار» أنه في المقام الأول احصل على حقائقك بصورة صحيحة ومن ثم اقحم نفسك في خطر رمال التفسير والتأويل المتحركة، تلك هي الحكمة المطلقة للمدرسة التجريبية والفطرية. إنها تذّكر بقول مأثور للصحافي الليبرالي سي.بي.سكوت (c.p scott): «الحقائق مقدسة أما الرأي فهو حر» (FACTS ARE SACRES, OPINION IS FREE). ورأى «كار» بأنه مهما يكن فإن حقائق التاريخ لا تصل إلينا مطلقاً بصورة بحتة لأنها لا توجد ولا يمكن أن توجد. إنها دائماً تنعكس من خلال ذهن المدوّن. ومن المهم «إذا ما تناولنا عملاً تاريخياً فينبغي أن لا يكون اهتمامنا الأول منصبّاً على الحقائق التي يتضمنها وإنما على المؤرخ الذي كتبها». ذلك أن المؤرخ ابن عصره وابن بيئته وفي بعض الأحيان هو ابن لطائفته. كما هي الحال في بعض البلدان والمناطق، وابن لحزبه كما هي الحال في بعض البلدان الأخرى، وهو مقيد بهذه الظروف بحكم اتجاهاته وانفعالاته وميوله.

ومن هنا يمكن القول بأن الحقائق التاريخية والوثائق الأصلية قد تختلط

مع الاتجاهات الخاصة للمؤرخ، كما أن بعض المؤرخين قد يستخدمون وثائق بين أيديهم تخدم اتجاهاتهم الفكرية، ويغضّون الطرف عن وثائق يملكونها لأنها تدين التيار الذي ينتمون إليه. علماً أن الحكومات والدول تعمد بدورها إلى تشويه التاريخ حين تفرج وزارات الخارجية في بعض البلدان الأوروبية مثلاً عن بعض وثائقها ومراسلاتها السرية، وتمتنع عن الإفراج عن بعضها الآخر. بالإضافة إلى ذلك فإن الوثائق المسموح بالاطّلاع عليها قد تشطب منها بعض العبارات أو الأسطر، وهذا كله يسهم إسهاماً أساسياً في تزوير الحقائق وتشويهها. فالمؤرّخ وإن اعتمد على جميع الوثائق التي وضعت بين يديه، غير أن هذه الوثائق هي بطبيعتها منتقاة ومختارة بأسلوب رسمي من قبل الحكومات والدول (على سبيل المثال وثائق وزارة الخارجية البريطانية .F.O، ووثائق وزارة الخارجية الفرنسية Quai d'orsay بينما تعتبر مثلاً وثائق وسجلات المحاكم الشرعية أكثر صدقاً من الوثائق السياسية المنتقاة[١].

وحول علاقة التاريخ بالعلم يرى «إدوارد كار» بأن المؤرخين أنفسهم هم الذين يتحاملون على التاريخ بإدخالهم له في إطار «الآداب الإنسانية». ورأى أن لا تعارض بين التاريخ والعلم ومما قاله: «إن اعتراضي الرئيسي على رفض تسمية التاريخ علماً هو أن ذلك يبرّر الانشقاق بين ما يسمى «ثقافتين» ويحافظ عليه. وهذا الانشقاق هو أحد مخلّفات ذلك التحامل القديم المستند إلى البنية الطبقية للمجتمع الإنجليزي الذي صار من مخلّفات الماضي. وأنا لست مقتنعاً بأن الهوّة التي تفصل المؤرخ عن الجيولوجي أعمق أو أكثر تعذراً من الهوّة التي تفصل الجيولوجي عن الفيزيائي. لكن الطريقة لرأب الانشقاق ليست ـ في رأيي ـ تعليم العلم الابتدائي للمؤرخين أو التاريخ الابتدائي للعلماء. إن ذلك طريق مسدود قادنا إليه التفكير المشوّش. إن العلماء أنفسهم لا يتصرفون على

(١) للمزيد من التفصيلات أنظر كتابنا: أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني ـ سجلات المحكمة الشرعية في بيروت ـ.

هذا النحو، فلم يسبق لي أن سمعت أحداً ينصح المهندسين بحضور دروس ابتدائية في علم النبات. إن العلاج الذي اقترحه هو تحسين مستوى تاريخنا، أي جعله ـ إذا تجرأت على هذا القول ـ أكثر علمية، والتشدّد في ما نطلبه من الذين يتولّون هذا العمل. . . إن التاريخ موضوع أكثر صعوبة بكثرة من الكلاسيكيات وأنه يعادل في جديته أيّ علم آخر».

ويمكن القول بأن التاريخ بما يتميز من صفات مرنة، باستطاعته أن يحوي كل العلوم، إذ بإمكان المؤرخ ضمن اختصاصه أن يكون مؤرخاً للشعوب والدول والأحداث وفي الوقت نفسه يمكن أن يكون مؤرخاً للعلوم والهندسة والطب والفلك والرياضيات، ذلك أنه كان ـ وما يزال ـ يوجد تاريخ للهندسة وتاريخ للطب وتاريخ للفلك والكيمياء والفيزياء وللرياضيات. . . وبمعنى آخر فإن التاريخ باستطاعته أن يستوعب مختلف العلوم والآداب وهو الوحيد القادر على احتوائها في قالبه التاريخي المميز. فالملاحظ أن هناك تاريخاً للعلوم كالهندسة والطب مثلاً، ولكن ليس في المقابل هندسة تاريخية أو طب تاريخي إنما هناك تاريخ للطب. . .

ويرى «لويس جوتشلك» (Louis Gottschalk) في كتابه «كيف نفهم التاريخ؟» (UNDER STANDING HISTORY) «من المؤكد أن التاريخ علمي في منهجه، فإن ملايين الحقائق التاريخية يمكن أن تقرر بحيث تقنع غير المختصّين والخبراء على حدٍّ سواء. . . فالمنهج التاريخي علمي في حدود، أي إن نتائجه تخضع للتحقيق والاتفاق بين الخبراء وعدم الاتفاق بينهم عن فهم وإدراك، وتدوين التاريخ أقرب إلى الفن أو الفلسفة أو الجدل أو الدعاية أو الدفاع الخاص. فقد يدعو المؤرخ أحياناً، عن وعي منه، إلى الأخلاق، ويقوم بهذه العملية أحياناً عن غير قصد، وهو في هذه الحالة الثانية صاحب فلسفة. . . فالكاتب الذي يظن أنه ليست لديه فلسفة للتاريخ أو الذي يعتقد أنه في معزل عن كل تأثير يخدع نفسه بنفسه، اللهمّ إلاَّ إذا كان يتمتع بصفات لم يحرزها البشر، وهو عند ذاك ادعى إلى خداع الآخرين مما لو كان يتعمد

الكذب. والمؤرخون عندما يتطرقون إلى الدفاع عن الموضوعية العلمية للتاريخ، فإنهم في الغالب يعنون قدرة المؤرخ على إثبات حقائق مفردة أو إثبات تسلسل الحوادث. فإن لم يصرّوا على أن تفسيراتهم الخاصة هي التفسيرات الوحيدة الممكنة الصحيحة، فليس في مقدورهم أن يزعموا بأنهم يتجاوزون المعقول كثيراً في تقييمهم واختيارهم وتوكيدهم وترتيبهم لتلك الحقائق أو التسلسلات. ولما كانت هناك عوامل كثيرة متغيرة تدخل في الأحكام التاريخية فليس المدهش هو اختلاف المؤرخين وإنما هو اتفاقهم كلما اتفقوا».

العلاقة القائمة بين التاريخ والعلوم المساعدة:

في هذا المجال يمكن أن نطرح موضوع العلاقات القائمة بين التاريخ والدراسات والعلوم الإنسانية والاجتماعية. فالتاريخ يتصف في أحد جوانبه بصفات العلوم الاجتماعية، وعلى هذا فإن المؤرخ كعالم اجتماعي أو كعالم إنساني لا يحتاج بالضرورة أن يكون ذا شخصيتين منفصلتين، إذ إنه من اليسير الجمع بينهما في شخص واحد. ولا شك في أن الإيجابيات التي تعود على كلٍّ من الدراسات الإنسانية والعلوم الاجتماعية تزداد أهمية إذا لم يحدث في شخصية المؤرّخ انفصام. فالاختلاف بين العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية يمكن أن يظهر بسهولة، فإن كلاً منهما يعالج موضوع الإنسان من حيث هو كائن اجتماعي يتميز بالذكاء والدراية، ولكن العالم الاجتماعي عادة يميل إلى التنبؤ ويلتفت للحاضر والمستقبل، في حين أن العالم الإنساني لا يهتم بالحاضر والمستقبل فحسب، بل يهتم بالماضي أيضاً ويحرص على توجيه عنايته إلى هذا الماضي وسبر أغواره. ومهما يكن من أمر فلا بدّ من الإشارة والتأكيد على العلاقة الوثيقة القائمة بين العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية.

أما فيما يختصّ بالعلوم المساعدة للتاريخ، فالعلوم الاجتماعية أحدها،

وهناك العلوم الجغرافية والاقتصادية والسياسية، والعلوم العسكرية أيضاً، بالإضافة إلى العلوم البحتة والآداب وفقه اللغة (philology)، وعلم خصائص الشعوب «الأتنولوجيا» (Ethnology) وعلم الإنسان «الأنتروبولوجيا» (Antropology) وكتب علوم الكرونولوجي (Chronology) (التأريخ حسب التسلسل التاريخي) وسوى ذلك من علوم يمكن أن تقدم مادة مساعدة للتاريخ بما فيه الشعر والمعلّقات التي قد تصوّر لنا بعض وجوه الحياة السياسية والعسكرية والدينية والصراعات القبلية. . .

ومن الأهمية بمكان القول إن «علم الآثار» «الأركولوجيا» (Archaeology) و«علم النقوش» (Epigraphy) تعتبر من العلوم المكمِّلة أو المساعدة للتاريخ، ذلك لأن الأثريين والمنقبين يقدّمون عادة للمؤرّخ معلومات ميدانية مستقاة من معاينتهم للأماكن الأثرية ودراسة ظواهرها العمرانية المتعددة. كما أن علماء النميات أو المنمنمات يقدمون للمؤرخ معلومات عن النقود التي يكتشفونها ويفكّون رموز كتاباتها، وكذلك الأختام. ولا ينسى في هذا المجال أهمية علماء الأنساب الذين قدموا قواميس للأعلام وجداول للأنساب. كما لا بدّ من الإشارة إلى أهمية المفهرسين الذين وضعوا مؤلفات عدّة ومتنوعة حددوا بموجبها أسماء المؤلفين ومؤلفاتهم، وكذلك المعاجم اللغوية، وعلماء الجغرافية الذين قاموا بتأليف مصنفات جغرافية عن البلدان. والعلوم الإحصائية سواء المتعلقة بأعداد السكان أو بالأوضاع الاقتصادية أو بالأوضاع الاجتماعية، يمكن تكريسها في خدمة التأريخ لا سيما عند الكتابة لبلد ما عن حالة سكانية أو اقتصادية. ومن العلوم المساعدة للتاريخ علم «حساب التواريخ»، وهو العلم الذي يسهّل للمؤرّخ مسألة هامة، وهي مسألة قياس ومقارنة الزمن وضبطه. فعالم حساب التواريخ يشرح التقاويم والتواريخ العديدة التي كانت مستعملة ـ أو ما تزال ـ ويجعل بمقدورنا أن نحوّل التواريخ من تقويم إلى آخر. وهذا أمر على غاية كبرى من الأهمية بالنسبة للمؤرخين فقد تواجه الكثيرين منهم بعض التواريخ الهجرية أو العبرية أو القبطية،

ويحرصون على معرفة ما تعادله في التاريخ الميلادي مثلاً. فكتب ومصنفات التقاويم تحلّ هذه المشكلة وتعرّف المؤرخ إلى أن هذا التاريخ الهجري يعادله ذاك التاريخ الميلادي وهكذا، ومصنفات التقاويم الأجنبية والعربية موجودة في المكتبات العامة ويمكن الاستعانة بها لدى الدارسين والباحثين والطلبة. وفي الفترات الأخيرة أمكن ترتيب هذه التقاويم اعتماداً على الكمبيوتر. ومن المعروف مثلاً أن الدولة العثمانية اتبعت في بعض فتراتها التاريخية التواريخ الهجرية والشمسية والميلادية وكذلك كان لها سنة مالية تختلف عن السنة الميلادية المعروفة وكان على الدارس أن يقارن بين هذه التواريخ المختلفة.

هذه العلوم جميعها تعتبر من العلوم الهامة والمساعدة والضرورية في كتابة التاريخ وبالرغم من أن «كولنجوود» (Collingwood) يعتبر أن التاريخ علم مستقلّ غير أن التاريخ منفصل عن بقية العلوم يعتبر علماً مبتوراً ومنقوصاً.

ومن هنا ضرورة التأكيد على عملية «التكامل العلمي» الموجودة فعلاً بصورة أو بأخرى بين مختلف العلوم، بل إن المؤرّخ البريطاني «ادوارد فريمن» (E.A. Freemen) يقول بأن المؤرّخ يجب أن يعرف كل شيء: الفلسفة، القانون، المالية، الأجناس، الجغرافيا، علم الإنسان، العلوم الطبيعية... ويضيف متسائلاً: «أوليس المؤرخ معرضاً لأن يصادف في دراسته للماضي، مسائل في الفلسفة والقانون والمالية...؟ وبقدر ما تتعدد الفروع الخاصة في المعارف التي يكون حجة فيها، يكون أكثر استعداداً لعمله الذي اتخذه مهنة له»[1].

ومن هنا لا بدّ من الإشارة إلى ما للعلوم الإحصائية من أهمية بالغة كعلوم مساعدة في التاريخ، لا سيما وأن الدول المتقدمة استطاعت أن تستخدم هذه العلوم ليس في مجال الإحصاء البحت فحسب، وإنما في مجال الإحصاءات المرتبطة مباشرة بالدراسات التاريخية. ويمكن أن نلخص هذه العلوم المساعدة

---

(١) أنظر: لانجلو أوسينوبوس: النقد التاريخي (المدخل إلى الدراسات التاريخية) ص ٣٠.

للتاريخ على النحو التالي[1]:

١ ـ **مصطلح الحديث**، يظن البعض أن لا علاقة مباشرة أو غير مباشرة بين مصطلح الحديث وبين التأريخ، علماً أن العلاقة بين العلمين علاقة مباشرة وهامة لارتباطهما ولارتباط قواعدهما معاً. وقد أكد الدكتور أسد رستم من أن مناهج البحث التاريخي الحديث والمعاصر عند علماء الغرب، ليست غريبة عن علم مصطلح الحديث، بل تمت إليه بصلة قوية. «فالتاريخ دراية أولاً ثم رواية، كما أن الحديث دراية ورواية»[2].

اعتبر د. أسد رستم منذ عام ١٩٣٩ أن مصطلح الحديث النبوي هو القاعدة الأولى والأساسية التي بنى عليها كتابه «مصطلح التاريخ» وقد اقتبس الإسم أيضاً. ورأى أن يسمي كتابه «مصطلح التاريخ» وليس «منهج التاريخ» اقتداء بما فعله العلماء المسلمين من قبل في إطار «مصطلح الحديث». وأشار إلى أن مخطوط رسالة القاضي عياش في علم المصطلح ـ التي كتبها ابن أخيه عام ٥٩٥هـ ـ هي أنفس ما صنف في موضوعها، وقد سما بها القاضي عياض إلى أعلى درجات العلم والتدقيق في عصره. وأضاف د. رستم قائلاً: «والواقع أنه ليس بإمكان أكابر رجال التاريخ اليوم أن يكتبوا أحسن منها في بعض نواحيها، وذلك على الرغم من مرور سبعة قرون عليها. فإن ما جاء فيها من مظاهر الدقة في التفكير والاستنتاج تحت عنوان «تحري الرواية والمجيء باللفظ» يضاهي ما ورد في الموضوع نفسه في كتب الفرنجة في أوروبة وأميركة» «والواقع أن المتودولوجية الغربية التي تظهر اليوم [أي عام ١٩٣٩]

---

(١) أنظر على التوالي: د. حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ص ٢٥ ـ ٨٠، لانجلو أوسينوبوس، بول ماس، أمانويل كنت: النقد التاريخي، ص ٢٧ ـ ٤٠، هيوغ اتكن: دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية، ص ٢٥ ـ ٩٠. د. أسد رستم: مصطلح التاريخ، ص ٦ ـ ١١.

(٢) د. أسد رستم: مصطلح التاريخ، ص (ز) من المقدمة.

لأول مرة بثوب عربي ليست غريبة عن علم مصطلح الحديث، بل تمت إليه بصلة قوية. فالتأريخ دراية أولاً ثم رواية، كما أن الحديث دراية ورواية. وبعض القواعد التي وضعها الأئمة منذ قرون عديدة للتوصل إلى الحقيقة في الحديث تتفق في جوهرها وبعض الأنظمة التي أقرها علماء أوروبة فيما بعد في بناء علم المتودولوجية. . . »[١].

من هذا المنطلق يمكن ربط علم مصطلح الحديث وقواعده بعلم التأريخ وقواعده. إضافة إلى أن المضامين الواردة في الأحاديث النبوية، يمكن أن نستثمرها في كتابة التاريخ تبعاً للموضوعات التي يتناولها الباحث. فالأحاديث الشريفة لا يمكن توظيفها في الموضوعات الشرعية والفقهية فحسب، وإنما في مختلف الموضوعات التاريخية لا سيما الإسلامية منها.

بالإضافة إلى ذلك، فإنه بالإمكان تسخير أساليب وقواعد مصطلح الحديث في دراسة وكتابة التأريخ[٢]. فمصطلح الحديث يتضمن موضوعات عديدة منها: وسائل اكتساب العلم، الأخلاق والآداب في اكتساب العلم، طرق الأخذ والتحمل، طرق الأداء، أسلوب جمع الحديث والمعلومات، المكاتبة، نقد السند، الجرح والتعديل، حجب الثقة العلمية عن البعض، العوامل التي لا تقبل بها رواية الراوي، التصحيف والتحريف عند المحدثين واللغويين (وبالتالي عند المؤرخين)، نقد المتن وأساليبه، تتبع التزوير،

---

(١) د. أسد رستم: مصطلح التاريخ، ص و ـ ز، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. الطبعة الأولى ١٩٣٩، الطبعة الثالثة ١٩٥٥.

(٢) للمزيد من التفصيلات الوافية حول أساليب وقواعد مصطلح الحديث والشروط المستتبعة لهذا الموضوع.
أنظر المراجع الحديثة التالية: د. صبحي الصالح. علوم الحديث ومصطلحه، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٦٦، د. محمد عجاج الخطيب: أصول الحديث، دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٥، د. شرف الدين علي الراجحي: مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي عند العرب، دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٨٣.

الأحاديث الموضوعة وكيفية كشفها وسواها من موضوعات علمية أساسية ينبغي على الباحث عدم إهمالها لأنها أدوات علمية هامة تساعد المؤرخ على فهم ودراسة مختلف الأساليب العلمية للوصول إلى كتابة تاريخية صادقة وأمينة، زاخرة بالفهم العلمي والموضوعي. فعلم مصطلح الحديث يمكن أن نصنفه في أنه الأبجدية الأولى لعلم التأريخ.

ومن الأهمية بمكان القول، أن العلاقة القائمة بين مصطلح الحديث وعلم التأريخ، تظهر عندما اهتم المحدثون بنقد السند بخطوات أهمها: البحث عن مصدر الخبر. من الذي نقله؟ من أين سمع الراوي الخبر، وكيف نقل إليه؟ ولذلك اهتم المحدثون بالراوي إهتماماً كبيراً وظهر عندهم «تاريخ الرواة» و «علم الجرح والتعديل» وكلاهما يهتمان بتاريخ وعلم الرجال الذين هم أساس السند، واهتموا بالتحقيق من نسبة الخبر إلى قائله.

ولتأكيد الربط بين نقد السند ـ وهو من علوم مصطلح الحديث ـ وبين التأريخ، فقد روي عن إسماعيل بن عياش قال: «كنت بالعراق فأتاني أهل الحديث. فقالوا ههنا رجل يحدث عن خالد بن معدان. فقال: سنة ثلاث عشرة ومائة. فقلت: أنت تزعم أنك سمعت من خالد بن معدان بعد موته بسبع سنين. وقال إسماعيل: مات خالد سنة ست ومائة».

وروى أيضاً عن الحاكم أبي عبد الله قال: «لما قدم أبو جعفر محمد بن حاتم الكشي، وحدّث عن عبد الله بن حميد سألته عن مولده، فذكر أنه ولد سنة ستين ومائتين. فقلت لأصحابنا: سمع هذا الشيخ من عبد الله بن حميد بعد موته بثلاث عشرة سنة!»[1].

من هنا ندرك بأن دراسة ومعرفة تواريخ الأشخاص والأحداث ومقارنتها

---

(١) العراقي: التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، ص ٤٣٢ ـ ٤٣٣.

بتواريخ أخرى، تمكننا من معرفة الحقيقة من الكذب ومعرفة الحقيقة من التزوير. ولذلك كان سفيان الثوري يقول: «لما استعمل الرواة الكذب، استعملنا لهم التاريخ».

وروي عن حفظ بن غيّاث أنه قال: «إذا اتهمتم الشيخ فحاسبوه بالسنين، بمعنى احسبوا سنّه وسن من كتب عنه» وكان يزيد بن أبي حبيب المصري المتوفى ١٢٨ هـ أول من غرس دراسة الحديث في مصر، فدقق في روايته ونبه تلاميذه إلى تمحيص السند ومعرفة رواته[١]. وفي هذا الإطار يمكن أن نربط بين التأريخ وعلم الجرح والتعديل «وهو العلم الذي يبحث في أحوال الرواة من حيث قبول رواياتهم أو ردها، وهو يعتبر من أجلّ علوم الحديث وأهمها». ولعلم الجرح والتعديل رواد وأئمة منهم: يحيى بن معين (المتوفى عام ٢٢٣هـ) إمام الجرح والتعديل في عصره، والإمام أحمد بن حنبل (المتوفى عام ٢٤١هـ) والإمام البخاري (المتوفى عام ٢٥٦هـ) وابن أبي حاتم الرازي (المتوفى عام ٣٧٧هـ)[٢].

والحقيقة فقد اهتم المسلمون ورأوا ضرورة توأمة الحديث والصدق، وتوأمة التأريخ والصدق، حتى أن الرسول محمد ﷺ قال: «**في اللسان الدية**» ذلك أن من يكذب أو يقتطع من الرواية أو يزور فيها فإن عليه دية. وقد أجمع على ذلك أهل العلم، من أهل المدينة، وأهل الكوفة، وأهل الحديث، وأهل الرأي[٣] وقال أكثر أهل العلم، يكون على الراوي والمتحدث من الدية بمقدار ما ذهب من كلامه. وعليه دية أكبر إذا ذهب الكلام كله. وأفتى بذلك الأئمة: مجاهد، ومالك، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وأصحاب الرأي[٤].

---

(١) د. شرف الدين علي الراجحي: مصطلح الحديث، ص ١٠٥.
(٢) د. شرف الدين علي الراجحي: المرجع نفسه، ص ١١٣.
(٣) الإمام الحافظ النيسابوري: الأشراف على مذاهب أهل العلم، جـ ٢، ص ١٦٣.
(٤) الإمام الحافظ النيسابوري، المصدر نفسه، ص ١٦٣ ـ ١٦٤.

والحقيقة فقد حصن القرآن الكريم والنبي محمد ﷺ، كما حصّن أئمة الإسلام وعلماء الحديث والأصول على وجوب التثبت من الحقيقة وفي قبول الأنباء والروايات والأحاديث[1]. وقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى في ضرورة التثبت من الأنباء في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾﴾[2] ويقول عز وجلّ في سورة الطلاق ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴿٢﴾﴾[3] وللنبي ﷺ أحاديث عديدة منها «**من حدّث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**».

كما أن الإمام الغزالي قسّم الخبر إلى ما يجب تصديقه، وإلى ما يجب تكذيبه، وإلى ما يجب التوقف عنه[4].

ويروى أن أول مشروع لجمع الحديث الشريف، إنما كان على يد حافظ الحديث محمد بن مسلم بن عبدالله بن شهاب الزهري (المتوفى عام ١٢٤ هـ)، وقد كان صادقاً وأهلاً لذلك، فقد كان يحفظ ألفين ومئتي حديث. وكان عمرو ابن دينار ينكر فضله أول الأمر، فلما استوثق منه قال: «والله ما رأيت مثل هذا الفتى القرشي قط». وكان عمر بن عبد العزيز يقول: «عليكم بابن شهاب الزهري فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه». ولقد صدق عمر بن عبدالعزيز، فإن أكثر من إمام جليل قد روى عن ابن شهاب الزهري مثل الإمام مالك والإمام سفيان الثوري[5]. وبذلك تكون صفة الصدق، والتحقق من صفات الراوي، عاملاً أساسياً من عوامل التدوين والتحقيق.

---

(١) د. حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ص ١٣٨.
(٢) سورة الحجرات، الآية ٦.
(٣) سورة الطلاق، الآية ٢.
(٤) أنظر: الإمام محمد ابو حامد الغزالي: المستصفى من علم الأصول، جـ١، ص ١٤٠ ـ ١٤٤.
(٥) أنظر: د. مصطفى الشكعة: مناهج التأليف عند العلماء العرب (قسم الأدب) ص٤٠.

٢ ـ اللغة العربية واللغات السامية:[١] من واجب المؤرخ اتقان اللغة العربية ـ وإن أمكن اللغات السامية الأخرى ـ فما هي اللغة العربية مقارنة مع اللغات السامية، وما هي أهمية اتقانها؟ يتكلم العرب اللغة العربية، واللغة العربية هي إحدى اللغات السامية، تمييزاً لها عن اللغات الحامية واللغات الآرية[٢].

وإذا كانت هذه اللغات السامية من أصل واحد ـ على ما يظن ـ كان كثير من الكلمات مشتركاً بين هذه اللغات، مع اختلاف قليل أحياناً، كالذي بين العبرية والعربية، فبعض الكلمات بالشين في اللغة العبرية وهي بالسين في اللغة العربية، والألف في العربية واو في العبرية، فسلام في العربية هي شلوم في العبرية، وكذلك الثاء في العربية هي شين في العبرية كثور وشور، وما كان في العربي بالضاد ففي العبري بالصاد كأرض وأرص وهكذا.

وقد كان لتقارب الأجناس أثر في اقتباس لغة من أخرى، فقد تأثر اليمنيون باللغة الحبشية لقربهم منها وكثرة اتصالهم بها.

ولِلّغات السامية مِيزات تتميز بها عن غيرها من اللغات: من ذلك اقتصارها في الكتابة على الحروف دون حركاتها، فلا يرسمون حروفاً دالة على الفتحة أو الكسرة أو الضمة كما هو الشأن في اللغات الآرية.

---

(١) أنظر: أحمد الإسكندري، أحمد أمين، علي الجارم، عبد العزيز البشري، أحمد ضيف: المفصل في تاريخ الأدب العربي (في العصور القديمة والوسيطة والحديثة) ص ١٩ ـ ٢١، تقديم وضبط وتعليق: د. حسان حلاق، دار احياء العلوم ـ بيروت ١٩٩٤.

(٢) قارن مع مفهوم العلماء للغة واللغة المحلية والمحكية والمكتوبة والمنطوقة في: لانسون ومابيه في كتاب: منهج البحث في الأدب واللغة، ص ١٢٣ ـ ١٣٦ تعريب: د. محمد مندور، دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٨٢.

ومن ذلك ـ أيضاً ـ زيادة عدد حروفها عن اللغات الآرية، وكذلك كثرة اشتقاق صيغ متعددة من المادة الواحدة، كما أن هناك شبهاً بين اللغات السامية في الأساليب وتراكيب الجمل، والمفردات الدالة على أعضاء الجسم والضمائر.

واللسان العربي نوعان: لغة عربية جنوبية في اليمن، ولغة عربية شمالية في الحجاز. فلغة الجنوب تشمل لغة سبأ ولغة حمير، وقد يتساهلون في التعبير فيسمونها اللغة الحميرية، وهي لغة أقدم من لغة الشمال، وقد عثر في اليمن على نقوش مكتوبة بهذه اللغة[١]، ولها حروف تخالف الحروف العربية المعروفة كما أن لها صيغاً في التنوين، وجمع المذكر السالم، وجمع التكسير وأداة التعريف وغيرها تخالف لغة الحجاز، وكذلك في حروف الكلمات فهمزة أفعل في بعض الكلمات الحميرية هاء. وقد توصل العلماء المحدثون إلى معرفة اللغة الحميرية والسبئية بما عثروا عليه من كتابات وأمكنهم أن يستنتجوا من ذلك قواعد للغتين.

أما لغة الشمال أو لغة الحجاز فهي لغة العدنانيين، وهي أحدث من لغة الجنوب، وما رُوِي إلينا من شعر جاهلي فهو بهذه اللغة العدنانية، لأن الشعراء الذين قالوا هذا الشعر إما من ربيعة أو مضر؛ وهما فرعان عدنانيان، أو من قبائل يمنية رحلت إلى الشمال كطيٍّء وكِنّدة وتَنوخ.

وتُعَد اللغة العربية العدنانية ـ كما يقول علماء اللغات السامية ـ أقرب اللغات إلى الأصل الذي تفرعت منه اللغات السامية، لأن هؤلاء العرب لم يمتزجوا كثيراً بغيرهم من الامم، ولم تخضعهم أمم أخرى لحكمهم كما كان الشأن في كثير من الأمم السابقة الأخرى كالعبرانيين والبابليين والأشوريين،

---

(١) للمزيد من التفصيلات راجع كتاب: د. لطفي عبد الوهاب يحيى: العرب في العصور القديمة. دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٧٨.

فحفظتهم الصحراء من غزو الأعداء وحكم الأمم الأجنبية، كما حفظت لغتهم من أن تتأثر تأثراً كبيراً بغيرهم.

وكذلك تُعد اللغة العربية أرقى اللغات السامية لكثرة مرونتها وسعة اشتقاقها وغنى معجمها، فقد وضعوا لكل ما وقع عليه حسهم كلمة بل كلمات[١]، وفطنوا لكل تغير طرأ فوضعوا له إسماً يدل عليه. وقد رقاها القرآن الكريم بما أدخل فيها من معان وألفاظ، ثم بسطت نفوذها على كل البلاد التي فتحها المسلمون في آسيا وأفريقية وأوروبا فأثرت في هذه البلاد وتأثرت بها.

لهذا كله، فإن إجادة اللغة العربية: لغة وفقهاً وأدباً شعراً ونثراً وبياناً من الأهمية بمكان، بحيث يمكن اعتبارها المقدمة الاساسية للمؤرخ وللأديب معاً، فهي الوعاء الأساسي لكل العلوم عند العرب، لذا لا بد للمحقق والباحث من إجادة اللغة العربية إجادة واضحة[٢].

ومن المعضلات التي قد تواجه الباحث والمحقق، بعض العبارات والألفاظ التي سادت في وقت من الأوقات ولم تعد متداولة، فمعرفتها قديماً وما يقابلها حديثاً مسألة هامة في تفسير النص مثال ذلك:

- شهر الله أي محرم.
- الخير والمظفر أي صفر.
- ربيع الأول الشريف أي ربيع الأول = ربيع شهور.

---

(١) تميز المسلمون الأوائل بوضع قواميس ومعاجم للغة العربية، منها على سبيل المثال لا الحصر: لسان العرب لابن منظور، والقاموس المحيط للفيروزأبادي، وسواهما. أنظر في هذا الإطار دراسة د. حلمي خليل: دراسات في اللغة والمعاجم، دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٩٨.

(٢) أنظر: أ. عبد اللطيف أحمد الشويرف: التدريبات اللغوية (جزءان) منشورات كلية الدعوة الإسلامية ـ بيروت ١٩٩٧ ـ ١٩٩٨.

- ربيع الثاني الشريف أي ربيع الثاني = ربيع زمان.
- جمادى خمسة أي جمادى الأولى (لأنها تمثل الشهر الخامس من السنة الهجرية).
- جمادى ستة أي جمادى الآخرة (لأنها تمثل الشهر السادس من السنة الهجرية).
- الفرد أي رجب.
- المعظم الشريف أي شعبان وهكذا...

٣ ـ اللغة وفقه اللغة «الفيلولوجيا» (Philology) إن من واجب المؤرّخ أن يعرف اللغة كلغة يستطيع بواسطتها ترجمة النصوص وتحليلها و... ثم إن معرفة فقه اللغة مسألة على غاية من الأهمية، بمعنى إدراك المؤرّخ للمعاني والتعابير اللغوية التي كتبت بها النصوص والوثائق لا سيما إذا كانت في تاريخ العصور القديمة والوسيطة والقرون الانتقالية الحديثة إلى القرن التاسع عشر، فإلى القرن العشرين، ذلك أن الكثير من التعابير التي كانت متداولة في السابق هي غيرها اليوم.

٤ ـ فقه اللغة في المفهوم العربي:

لا بد من الإشارة إلى أن علماء الغرب وبعض علماء العرب، ما يزالون يختلفون حول التمييز بين «علم اللغة» (Linguistic Sciences) و «فقه اللغة» (Philology). فالبعض يعتبرهما علماً واحداً، والبعض يفرق بينهما، ولا شك بأنهما علمين منقطعين في الوقت الراهن. وقد أشار د. زكي مبارك في كتابه «النثر الفني في القرن الرابع» نقلاً عن المستشرق «السنيور جريدي» الذي أوضح عام ١٩٢٦ أن كلمة (Philology) تصعب ترجمتها إلى العربية، وأن لها في اللغات الغربية معنى خاصاً لا يتفق عليه أصحاب العلم والأدب. فمنهم من يرى أن هذا العلم مجرد درس قواعد الصرف والنحو ونقد نصوص الآثار

الأدبية. ومنهم من يرى أنه ليس درس اللغة فقط، ولكنه بحث عن الحياة العقلية من جميع وجوهها. وإذا صح ذلك فمن الممكن أن يدخل في دائرة «الفيلولوجي» علم اللغة وفنونها المختلفة، كتاريخ اللغة ومقابلة اللغات والنحو والصرف والعروض وعلوم البلاغة وعلم الأدب في معناه الأوسع[1].

والحقيقة التي لا بد من الإشارة إليها، وهي أن الدراسات العلمية الحديثة، وأدوات البحث ومناهجه أكدت على أن «علم اللغة» و «فقه اللغة» هما علمين منفصلين. وأن نشأة علم اللغة عند العرب، إنما كان مرده لفهم «النص القرآني» باعتباره أساس الأحكام الشرعية التي تنظم الحياة وهناك اختلاف واضح بين علم يهتم في «فهم» النص، وعلم يهتم في «حفظ » النص من اللحن. هذا اللحن الذي انتشر نتيجة دخول شعوب غير عربية في الإسلام.

والدارس لهذا الموضوع، يدرك أن ما من كتاب في التفسير أو الفقه أو الأصول إلاَّ وفي مقدمته توضيح وإرشادات إلى ما ينبغي على دارس العلوم أن يمتلك من أدوات البحث والدرس، وأولها علوم «العربية». كما أن ما من كتاب من كتب اللغة إلاَّ وفيه تنبيه على الصلة بين درس اللغة والقرآن الكريم. وهذا ما أشار إليه الثعالبي في «فقه اللغة» والسيوطي في «المزهر» جـ ٢، وابن خلدون في المقدمة وسواهم.

ومن الملاحظ أن العلاّمة ابن خلدون، أضاف على مصطلح «اللغة» كلمة «العلم» فسماه «علم اللغة». ومن خلال شرحه له يتضح أنه يشمل علم المعاجم على اختلاف أنواعها، سواء أكانت متصلة بجمع الألفاظ اللغوية عامة أم بجمع الألفاظ المندرجة تحت موضوع واحد، أم كانت متصلة بالمترادف

---

(١) أنظر: د. عبد الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية، ص ٢٨ وما يليها من صفحات، د. زكي مبارك: النقد الفني في القرن الرابع، جـ٢، ص ٣٧.

والدخيل والمشترك. غير أن الدارس للنصوص التي أوردها ابن خلدون يتبين له، بأنه أراد من «علم اللغة» أيضاً «فقه اللغة» كما أشار إلى مصطلح «فقه اللغة» ومما قاله:

«هذا العلم هو بيان الموضوعات اللغوية، وذلك أنه لما فسدت ملكة اللسان العربي في الحركات المسماة عند أهل النحو بالأعراب، واستنبطت القوانين لحفظها... ثم استمر ذلك الفساد بملابسة العجم ومخالطتهم... فاحتيج إلى حفظ الموضوعات اللغوية بالكتاب والتدوين... ثم لما كانت العرب تضع الشيء على العموم، ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظاً أخرى خاصة بها فوق ذلك عندنا بين الوضع والاستعمال، واحتاج إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ... واختص بالتأليف في هذا المنحى الثعالبي وأفرده في كتاب له سماه فقه اللغة...»[١].

ومن الأهمية بمكان القول، إلى أن المسلمين استخدموا مصطلح «فقه اللغة» منذ فترة مبكرة من تاريخهم، ففي القرن الرابع الهجري، ألف أبو الحسين أحمد بن فارس (المتوفى عام ٣٩٥هـ) كتابه «الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها». كما استخدم مصطلح «فقه اللغة» أبو منصور عبد الله بن محمد بن إسماعيل الثعالبي (المتوفى عام ٤٢٩هـ) في كتابه «فقه اللغة وسر العربية» ثم كتاب «الخصائص» لأبي الفتح عثمان بن جني (المتوفى عام ٣٩٢هـ) علماً أن أبا بكر جلال الدين السيوطي (المتوفى عام ٩١١هـ) ألف في الموضوع ذاته في كتاب تحت عنوان «المزهر في علوم اللغة وأنواعها».

وقد أشار الثعالبي في كتابه، وكل من تصدى للدرس اللغوي للعربية، إلى الغاية من تأليف كتابه، وهي خدمة «النص القرآني» توصلاً إلى «فهم» أحكامه، وبذلك يقول: «أما بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على

---

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠.

محمد وآله، فإن من أحب الله أحب رسوله. المصطفى ﷺ، ومن أحب الرسول أحب العرب، ومن أحب العرب أحب اللغة العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم، ومن أحب العربية عنى بها وثابر عليها وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام وشرح صدره للإيمان وآتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمداً ﷺ خير الرسل، والإسلام خير الملل، والعرب خير الأمم، والعربية خير اللغات والألسنة، والإقبال على تفهمها من الديانة إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين وسبب إصلاح المعاش والمعاد...»[١].

واستناداً إلى ذلك، فإن معرفة فقه مصطلحات اللغة العربية، وفي مقدمتها القرآن الكريم تسهل على الباحث تفسير النص القرآني وسواه، وعلى سبيل المثال فقد ورد في القرآن الكريم مصطلح «الكافرون» و«الكفار» في كثير من السور والآيات القرآنية، ولا يخفى على أحد معنى هذا المصطلح ومعنى «الكافر» من أنه الشخص غير المؤمن بالله والذي لا يعترف بوجوده. غير أنه ورد في سورة الحديد مصطلح «الكفار» بمعنى آخر وهو «الزراع» في قوله تعالى ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[٢]

فالكفار في هذه الآية تعنى «الزراع» أو «المزارعون» ومنها «كَفْر» بمعنى «المنطقة الزراعية»، مثال ذلك: كفربرعم، كفرقاسم، كفرحيم، كفر الزيات، كفريا يعني المناطق الزراعية، فمن الأهمية بمكان القول، إنّ غير المطلع على قواعد فقه اللغة، وعلى كتب التفسير، قد يخطىء في تفسير النص القرآني أو اللغوي أو الأدبي أو التاريخي، مما يعرضه للنقد والتجريح، ومما يعرض النص لتفسير خاطيء.

---

(١) الثعالبي: فقه اللغة، ص ٢.

(٢) سورة الحديد، الآية ٢٠.

وبالرغم من أن الثعالبي أكد على أهمية اللغة العربية، وأنها خير اللغات والألسنة، غير أنه في الوقت ذاته رأى أهمية إدراج معجم خاص مقارن في كتابه، جمع فيه عدداً من الألفاظ يقارن فيها بين العربية والفارسية والرومية. بالإضافة إلى ذلك فإن ما ذكره الثعالبي حول ضرورة الاهتمام باللغة العربية باعتبارها أداة العلم والفقه والمعاش، فإن ذلك لا يتناقض مع توجيه الرسول محمد ﷺ المسلمين نحو تعلم اللغات الأجنبية السائدة، فهو القائل «من تعلم لغة قوم أَمِن شرهم» وقد تكون الشرور عسكرية أو سياسية أو علمية أو اجتماعية أو اقتصادية.

٥ ـ فقه اللغة واللهجات العربية وارتباطها بالنصوص:

من يطلع على بعض نصوص «كتاب الخصائص» لأبي الفتح عثمان بن جني، يدرك أهمية دراسة «فقه اللغة» و «علم اللغة» و «دراسة اللهجات». وعلى سبيل المثال فإن الجاهل باللهجات العربية السبع وبفقهها، أو كما يسميها العرب القدامى «اللغات السبع»، فإنه لا يستطيع فهم النصوص ولا تحليلها بالرغم من أنها لهجات أو لغات عربية. فمعرفة هذه اللهجات وإتقان معانيها والدراية بها لها الأولوية لمعرفة وفهم النصوص. وقد قال الرسول محمد ﷺ «نزل القرآن بسبع لغات كلها كافٍ شافٍ».

ومن الأمثلة الدالة على التباين في اللهجات ولفظها وكتابتها وتباينها ما أشار إليه ابن جني: «الأتراك لا تقول: مررت بَكَ ولا المال لِكَ. قياساً على قول قُضاعة: المال له ومررت بَه. ولا تقول: اكرْمتُكِشْ ولا اكرْمتُكسْ قياساً على لغة من قال: مررت بكش وعجبت منكسْ» وأضاف ابن جني قائلاً: «حدثنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب قال: ارتفعت قريش من الفصاحة عن عنعنة تميم وكشكشة ربيعة وكسكسة هوازن وتضجع قيس، وعجرفية ضبّة، وتلتلة بهراء. فأما عنعنة تميم فإن تميماً تقول في موضع «أن» «عن»... وأما تلتلة بهراء فإنهم يقولون: تعلمون وتفعلون

وتضعون، بكسر أوائل الحروف. وأما كشكشة ربيعة فإنما يريد قولها مع كاف ضمير المؤنث: إِنَّكِشْ، ورأيتكِشْ، واعطَيْتُكِشْ، تفعل هذا في الوقف فإذا وصلت أسقطت الشين. وأما كسكسة هوازن فقولهم أيضاً: اعطيتكِسْ، ومِنكِسْ، وعنكِسْ. وهذا في الوقف دون الوصل».

وللدلالة على ذلك النص التالي:

لـيـسَ مـن أَمـبِّـر أمـصـيـام فـي أمـسـفـر

وهذا النص يعني:

لـيـسَ مـن الـبـرِ الـصـيـامُ فـي الـسـفـر

والملاحظ أن «أم» الواردة في «أمبر» و «أمصيام» و «أمسفر» أتت في بعض اللهجات العربية بدلاً من «أل» التعريف.

إن المحقق والباحث الذي يجهل فقه لهجات العرب، وأصولها وأشكالها وألفاظها، لا يمكن أن يتقن «فن التحقيق» دون مآخذ علمية عديدة عليه. لذا فإذا واجهت المحقق والباحث مثل تلك النصوص، فينبغي أن يتصدى لها، شرط اتقانه لتلك اللهجات، وإلاً تميز تحقيقه بالقصور والفشل والأخطاء، مع أهمية الإشارة إلى أن المخطوطات المغاربية في العهد العثماني (تونس، الجزائر، ليبيا، المغرب)، كتبت بلهجات مغاربية محلية، لا يستطيع المشارقة غير المختصين تفسيرها، لأنها طغت عليها العربية المغاربية المحلية، لذلك فمن الأهمية مكان للباحث في تاريخ تلك المناطق إتقان لهجاتها ومصطلحاتها المحلية لتوظيف وثائقها ومخطوطاتها في البحوث العلمية.

أما فيما يختص «بالالتباسات اللغوية» فقد تواجه الباحث معضلة «الفروق في اللغة»، وقد يفسر بعض الكلمات والعبارات والمصطلحات تفسيرات خاطئة نتيجة لتشابه ألفاظها أو معانيها، لذا لا بد من معرفة هذه الفروق التي درسها وفسرها بدقة العالم أبو هلال العسكري فهو يُفرق ويميز بين الحقيقة والحق، والحقيقة والمعنى، وبين الكلمة والعبارة، والاستقامة والصواب،

والعتاب واللوم، والهمز واللمز (همزات الشياطين) (يلمزك في الصدقات) يطعن عليك، ويفرق بين الشرح والتفصيل، والتفصيل والتقسيم، والسلام والتحية وسوى ذلك[١].

ولوحظ أن الكثير من النصوص العربية القديمة كتبت كما تنطق بلهجات عربية تبعاً لكل لهجة ولكل قبيلة، وللدلالة على ذلك النص التالي:

ومن خلال دراسة هذه النماذج من اللهجات العربية يدرك الباحث، مدى صعوبة تحقيق النصوص أو المخطوطات العربية القديمة المدونة ببعض هذه اللهجات. لذا لا بد من فهم هذه اللهجات وإدراك معانيها، لأن ذلك شرط من شروط منهج البحث ومن شروط التحقيق والتحليل؛ ويمكن إدراج ذلك في إطار «فقه اللغة»، علماً أن بعض العلماء العرب يؤكدون على أن المصادر الأولية في «فقه اللغة» العربية، لا يصح إدراجها تحت مفهوم أو مصطلح «فقه اللغة» (Philology) كما يفهمه ويفسره علماء الغرب[٢].

٦ ـ فقه اللغة والمفردات الأعجمية:

اعتبر حلّ رموز اللغات القديمة من العلوم المساعدة للمؤرّخ على التأريخ للحقب التاريخية المجهولة. فمنذ أن توصل العالم الفرنسي «جان فرنسوا شامبليون» (J.F. Champollion) عام ١٨٢٢ إلى فك رموز الكتابة الهيروغليفية، فإن الغموض الذي كان يكتنف تاريخ مصر القديم بدأ ينقشع وينحسر، ذلك لأن المؤرخ تمكّن من الاطّلاع على النصوص والنقوش (Inscriptiones) والكتابات على أوراق البردي (Papyri)، مما سهّل الإسهام في كتابة تاريخ مصر القديم. ومنذ أن تمكن العالم البريطاني «السير هنري

---

(١) للمزيد من التفاصيل أنظر: أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة، دار الآفاق الجديدة ـ بيروت ١٩٠٨.
(٢) أنظر مثلاً: د. عبده الراجحي: فقه اللغة، ص ٥٥.

رولنسن» (S.H. Rawlinson) بين أعوام ١٨٤٧ ـ ١٨٥٠ من حلّ رموز الكتابة المسمارية لبلاد ما بين النهرين بدأت الدراسات التاريخية والأثرية تظهر تباعاً عن تلك المنطقة وتعمل على إماطة اللثام عن عالم مجهول للتاريخ القديم. ومن يودّ التخصّص في حقبة تاريخية معينة عليه اتقان وإلمام باللغات التي كانت سائدة وما تزال. ذلك أنه من اللافت للنظر أن الكثير من المؤرخين ممّن يدرسون ويعملون على التاريخ اليوناني مثلاً، لا يتقنون ولا يلمّون باليونانية أو اللاتينية، والكثير من المتخصصين في الدراسات القديمة لا يتقنون الفينيقية أو المسمارية أو الهيروغليفية، وهذا قُصُور واضح من قبل الجامعات الأجنبية والعربية على السواء. وكم من الدارسين يخيّل إليهم ـ دون أن يدرسوا اللغة الفرنسية واللغة اللاتينية المستعملتين في العصور الوسطى ـ أنهم يعرفونهما لأنهم يفهمون اللغة الفرنسية الحديثة أو اللغة اللاتينية الكلاسيكية، ويستبيحون لأنفسهم تحليل وتفسير الوثائق والنصوص التي لا يدركون حقيقة معناها، مما يسيء إلى النص وروحيته. وما ينطبق على هذه اللغات ينطبق أيضاً على اللغة التركية التي كانت تستخدم الحروف العربية، فاللغة التركية ـ اللاتينية (بالحرف اللاتيني) هي غيرها بالحروف العربية من حيث قواعدها وتعابيرها، وإن كانت تلتقي معها في الكثير من التعابير. فمن يتقن التركية المعاصرة ليس بالضرورة قادراً على فهم حقيقة التركية القديمة. علماً أن أحداً لا يستطيع أن ينكر ما للغة التركية (بالحروف العربية) من أهمية في فهم وكتابة تاريخنا الحديث نظراً لوجود العثمانيين في البلدان العربية ما يقارب الأربعمائة سنة (١٥١٦ ـ ١٩١٨).

وما يقال عن تلك اللغات يقال أيضاً عن المصطلحات القديمة التي لا يمكن لغير المتخصصين من قراءتها وتفسيرها. ولهذا حرص بعض البّحاثة في التاريخ الوسيط والحديث والمعاصر على إصدار قواميس مساعدة، لا تقوم بمهمة الترجمة، بقدر ما تقوم بمهمة تفسير الألفاظ والتعابير التي كانت شائعة في عصر ما. ومنها على سبيل المثال قواميس تاريخية لدوزي (Dozy) وللأب رفائيل نخلة اليسوعي: غرائب اللهجة اللبنانية ـ السورية، كما صدر في

السنوات الأخيرة كتاب للدكتور أحمد السعيد سليمان يفسر فيه التعابير الغريبة الواردة في تاريخ الجبرتي، واسم هذا الكتاب ـ القاموس: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل. وقد تجابه المؤرخ بعض العبارات المختصرة وهو الأسلوب الذي اتبعه الأوائل. وقد واجهت شخصياً وجود مثل هذه الاختصارات أو الإدغامات أو التقطيعات أثناء بحثي في سجلات المحكمة الشرعية في بيروت، غير أن الدراسة والعمل المستمر يمكن أن يذللا هذه العقدة. وقد ورد عند ابن سينا في «كتاب الشفاء» مثل هذه الاختصارات، ومن يجهل معنى الاختصارات لا يستطيع فهم البحوث المعتمدة عليها، ومنها على سبيل المثال: مح = محال، مع = معلول، لامحه = لا محالة، لا ينح = لا يخلو، كك = كذلك، المقص = المقصود، ظ = ظاهر، يق = يقول، ح = حينئذ[١]، ومنها أيضاً: ش = شوال، ص = صفر، ر١ = ربيع الأول، ج ١ = جمادى الأولى، ا.هـ. = انتهى...

وأخيراً يمكن الإشارة إلى أن «فقه اللغة» المعاصر يمكن أن يهتم ويدرس الأمور التالية:[٢]

١ ـ يدرس «فقه اللغة» اللغة باعتبارها وسيلة وغاية، وهذه الغاية هي دراسة الثقافة، بما تشتمل عليه من ديانة وعادات وتقاليد وآداب.

٢ ـ إن من مهام «فقه اللغة» الوصول إلى إعادة تشكيل اللغات القديمة الأصيلة، مثل محاولة الوصول إلى الأصول الأولى للغة الأم التي تتفرع عنها اللغات الهندية ـ الأوروبية أو اللغات القديمة الأخرى.

٣ ـ يركز «فقه اللغة» على المقارنات اللغوية، ودراسة اللهجات.

---

(١) أنظر: د. فرانتز روزنثال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ص ٩٩ ـ ١٠٠.

(٢) أنظر: د. عبده الراجحي، المرجع السابق، ص ٥٤ ـ ٥٥.

٤ ـ دراسة اللغات القديمة ومقارنتها باللغات المعاصرة ذاتها. فاللغة الفرنسية في العصور الوسطى تختلف في كثير من أغراضها عن اللغة الفرنسية المعاصرة. واللغة التركية المكتوبة بالحرف العربي تتباين مع اللغة التركية المكتوبة بالحرف اللاتيني، واللغة العربية واللهجات العربية مختلفة إلى حد كبير عن اللهجات المعاصرة بسبب الانفتاح الإقليمي والعالمي.

٥ ـ دراسة القواميس اللغوية باللغة الواحدة، فهناك الكثير من القواميس العربية لتفسير وترجمة الكلمات والعبارات العربية لمن لا يفقه «فقه اللغة العربية» ومعانيها. منها قواميس ابن منظور «لسان العرب» وقاموس الفيروزبادي والمحيط للبستاني وسواها من قواميس حديثة.

٦ ـ وبكلمة أخيرة، فإن معرفة الباحث للغة وحدها غير كاف للوصول إلى المعرفة والحقيقة، فلا بد له من معرفة «فقه اللغة»، وإلاَّ وقع في مطبات علمية وأخطاء منهجية.

٧ ـ **علم قراءة الأعداد والحروف**: فكما أن علم قراءة الخطوط يعتبر من العلوم المساعدة للغة والأدب والتاريخ، فإن علم قراءة الأعداد والحروف من العلوم التي لا تقل أهمية عن ذاك العلم وبقية العلوم الأخرى. ومن المعلوم أن المسلمين والعرب اعتمدوا في الرياضيات على الحروف والأعداد كما اعتمدوا في مراسلاتهم السرية عبر الحمام الزاجل «خط الغبار» الدقيق. واعتمدوا على الأحرف والأعداد لدلالات عسكرية أو سياسية أو أمنية، فضلاً عن وضعهم حروفاً مكان الأعداد عند لوحات المساجد والزوايا والعمائر للدلالة على تاريخ الإنشاء. وعلى المحقق أن يكون ملماً بهذه الحروف وما يقابلها من أعداد أثناء مواجهته مثل هذه القضية العلمية في أي تحقيق أو قراءة أو بحث علمي، وإلا لوقع في أخطاء علمية ومنهجية عديدة وفيما يلي جدول بالحروف الرمزية وما يعادلها من أعداد:

آحاد	أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط
	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
عشرات	ي	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص
	١٠	٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠
مئات	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ
	١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠	٩٠٠
ألوف	غ	بغ	جغ	دغ	هغ	وغ	زغ	حغ	طغ
	١٠٠٠	٢٠٠٠	٣٠٠٠	٤٠٠٠	٥٠٠٠	٦٠٠٠	٧٠٠٠	٨٠٠٠	٩٠٠٠
عشرات الألوف	يغ	كغ	لغ	مغ	نغ	سغ	عغ	فغ	صغ
	١٠٠٠٠	٢٠٠٠٠	٣٠٠٠٠	٤٠٠٠٠	٥٠٠٠٠	٦٠٠٠٠	٧٠٠٠٠	٨٠٠٠٠	٩٠٠٠٠
مئات الألوف	قغ	رغ	شغ	تغ	ثغ	خغ	ذغ	ضغ	ظغ
	١٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠	٣٠٠٠٠٠	٤٠٠٠٠٠	٥٠٠٠٠٠	٦٠٠٠٠٠	٧٠٠٠٠٠	٨٠٠٠٠٠	٩٠٠٠٠٠

٨ ـ **علم قراءة الخطوط (Paleography)**: وهو من العلوم الأساسية لدراسة أوجه كثيرة من التاريخ، منذ أقدم العصور حتى الأزمنة المتأخرة. ذلك لأنه توجد أنواع متعددة من الخطوط الشرقية والغربية هي بمثابة الطلاسم لكل من يجهل قراءتها. وهذه المعضلة واجهت الكثير من طلبة التاريخ الذين كانوا يعملون على الأرشيف الفرنسي أو البريطاني أو الإيطالي في الفترة الممتدة بين القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر. كما واجهت الطلبة الذين كانوا يعملون على الأرشيف التركي سواء في تركيا أو في البلدان العربية[١]. فهناك اللغة التركية المكتوبة بخط القيرمة.

(١) لقد واجهتني مشكلة تفسير بعض أنواع الخطوط العربية عندما كنت أعمل على سجلات المحكمة الشرعية في بيروت في فترة القرن التاسع عشر. وبالرغم من أن =

وهناك الخطوط العربية المتعددة منها: الطومار، النسخي، الرقعة، الثلث، الكوفي، الفارسي، المغربي، والغبار. هذا عدا الخطوط - الطلاسم العائدة للعهود اليونانية والرومانية والفرعونية. . .

ويلاحظ أنه في العهد الأموي في الأندلس، ظهر خط خاص هو المعروف «**بالخط الأندلسي**»، ويظهر فيه بعض مؤثرات الحروف الأفرنجية، كما انتشر هذا الخط في المغرب العربي وبعض بلدان أفريقية الإسلامية، وقد عرف باسم «الخط المغربي» كما أشار العلامة ابن خلدون في مقدمته. والأهمية الكامنة في هذا الموضوع، أنه ظهرت العديد من المخطوطات الأندلسية والمغربية بهذين الخطين، ومن يجهل طريقة كتابة وقراءة الخط الأندلسي والخط المغربي، فإنه يتعذر عليه الاستفادة من المخطوطات التي كتبت بهما، كما يتعذرعليه تحقيق هذه المخطوطات.

بالإضافة إلى أن الترتيب الهجائي للحروف الأندلسية والمغربية يخالف طريقة المشارقة، ومن هنا اختلف ترتيب بعض معاجمهم وكتب علمائهم عن ترتيب معاجم علماء المشارقة، ويظهر ذلك لمن نظر في «معجم ما استعجم» للبكري (من نشر وستنفلد) و«مشارق الأنوار» للقاضي عياض، وفيما يلي ترتيب حروفهم(١):

أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، ط، ظ، ك، ل، م، ن، ص، ض، ع، غ، ف، ق، س، ش، هـ، و، لا، ي.

وبذلك يلاحظ أن حروف: س، ش، ص، ض، وسواها تغيرت أماكنها، على غير المألوف في المشرق العربي.

= أكثرها مكتوباً باللغة العربية، غير أن بعضها كتب بخط يحتاج إلى دراية خاصة. وبواسطة المِران والعمل المستمر استطعت التغلّب على هذه المشكلة.

(١) عبد السلام هارون: تحقيق النصوص ونشرها، ص ٢٩، دار النهضة العربية، بيروت ٢٠٠١.

وكذلك، فإن الأرقام تحتاج إلى خبرة خاصة، وفيما يلي صورة الأرقام التي ترد في بعض المخطوطات القديمة التي ينبغي على الباحث والمحقق معرفتها:

وهي (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦). وأحياناً تكتب الاثنان والأربعة والخمسة هكذا.

٩ ـ الكمبيوتر وعلم التوثيق (Documentation): وهو غير علم الوثائق، ولكن يرتبط به بصورة أو بأخرى. وعلم التوثيق هو العلم الذي يهتم بالعمل التوثيقي نفسه وحفظ المعلومات التاريخية وغير التاريخية. وهو علم تجميع واختزان وتنظيم المواد والوثائق المدوّنة لتصبح في متناول الباحث. وهو يعرف أيضاً بفن استخدام المعلومات المتخصصة، بواسطة تقديمها ونسخها واسترجاعها في الوقت المناسب، وذلك بهدف استخدامها في كشف الحقائق ودعم حق من الحقوق أو الاستدلال والبرهان على رأي أو حالة من الحالات.

والحقيقة فإن التوثيق حالة أو علم قديم يعود إلى نشوء الكتابة. ففي بلاد ما بين النهرين عثر على نصوص وسجلات محفوظة على ألواح من الطين، وفي العهد الأشوري تميزت مكتبة «أشور بانيبال» بتنظيم متقدم. وقد عثر في معبد مدينة «نفر» السومرية على خزانة ضمت آلافاً من الألواح الطينية تضمنت نصوصاً علمية وأدبية ودينية. كما عثر في مدينة «أورك» (الوركاء) على مجموعة من القوائم ـ القواميس اللغوية. كما شهدت مصر وبلاد اليونان والرومان وبلاد المسلمين حركة هامة من حركات التوثيق والفهرسة[١].

لقد أدرك العالم القديم أهمية التوثيق، فالأولى بعالمنا المعاصر إدراك هذه الأهمية. فمن الأهمية بمكان القول إن المؤرّخ لا يمكنه في وقتنا الحاضر

---

(١) للمزيد من التفاصيل أنظر كتابيّ: ملامح من تاريخ الحضارات، ومقدمة في تاريخ العلوم والتكنولوجيا.

الغوص في عشرات الآلاف من الوثائق والمخطوطات والمصادر والكتب والدوريات، دون أن تكون هذه المستندات محفوظة موثقة لها أرقام ورموز معينة في العقل الألكتروني «الكمبيوتر» (Computer). أو محفوظة بواسطة أقراص «ديسك» أو «فلوبي» أو أقراص الليزر الحديثة وعند حاجة الباحث لأيّ مصدر أو مستند يُلقم الكمبيوتر الرقم الخاص بالمصدر، وفي خلال دقائق تستحضر المادة المطلوبة، في حين أن الطريقة التقليدية في البحث عن المصادر واستحضارها قد تحتاج إلى ساعات وأيام. فهناك مكتبات في العالم تضم اليوم الملايين من الكتب والمصادر مثل مكتبة الكونجرس الأميركي ومكتبة موسكو والمكتبة الوطنية في باريس ومركز الوثائق في لندن[1]. فكيف يمكن للباحث العودة إلى

---

(١) لقد مررت بتجربة علمية حديثة عندما كنت أعدّ درجة دكتوراه دولة في التاريخ. فقد توجهت من بيروت إلى لندن بناء على نصيحة أستاذي الأستاذ الدكتور عمر عبد العزيز عمر (رئيس قسم التاريخ في جامعة الإسكندرية وقتذاك وعميد كلية الآداب في جامعة الإسكندرية ونائب رئيس جامعة الإسكندرية لفرع شؤون فرع دمنهور سابقاً)، وقمت بزيارات عدة وطويلة لمركز الوثائق العامة (Public Record Office) (P.R.O) الموجود في ريتشموند (Richmond - Kew Garden) حيث توجد وثائق وزارة الخارجية البريطانية ومراسلات السفراء والقناصل البريطانيين المنتشرين في لبنان والعالم العربي والعالم. وهذه الوثائق يسمح للباحث بالاطّلاع عليها بعد مرور ثلاثين عاماً من تاريخها. والأسلوب المتبع في «مركز الوثائق العامة» (P.R.O) أسلوب تقني حديث يعتمد أساساً على الكمبيوتر. ومراحل الحصول على الوثائق تمر أولاً بقنوات أولية لا بدّ منها:

١ ـ يمنح الباحث ـ بعد التأكد من أنه طالب أو أستاذ أو باحث ـ بطاقة شخصية باسمه ولها رقم خاص.

٢ ـ يعطى دفتر تعليمات عن المركز وأسلوب البحث والعمل المتبع.

٣ ـ يمنع استعمال أقلام الحبر بتاتاً لئلا يسيء إلى الوثائق، ويسمح له باستخدام أقلام الرصاص.

٤ ـ يمنع من إدخال الكتب أو الملفات أو المستوعبات الورقية.

٥ ـ يعطى الباحث آلة «بليبر» (Bleeper) توضع على سترته، وهي آلة اتصال كالتي يحملها الطبيب في المستشفيات. وهذه الآلة تحمل بدورها رقماً معيناً تدوّن ملاحظة =

مصادره التي يتوخّاها بالطريقة التقليدية المعروفة في بلادنا؟

= أمام الموظف المختص بأن هذا الرقم هو للباحث فلان ورقم بطاقته كذا.

٦ ـ يجلس الباحث على إحدى مكتبات مركز الوثائق، ويكون لهذه المكتبة عادة رقم معين.

٧ ـ في بدء البحث عن الوثائق هناك دليل وفهرست (INDEX) يضم أسماء الدول حسب الأحرف الأبجدية ولكل دولة رقم معين، فعلى سبيل المثال: (Turkey 44) (Lebanon 88) (syria 89) وهكذا... ويوجد في هذا الفهرس أرقام الملفات التي تضم الوثائق.

٨ ـ بعد الانتهاء من أخذ أرقام الملفات (Files) يتجه الباحث إليها باحثاً، حيث تضم بدورها عناوين الموضوعات (TiTle) ولهذه الموضوعات أرقام خاصة.

٩ ـ بعد أخذ أرقام عناوين الموضوعات يتجه الباحث للكمبيوتر لطلبها فيتم الضرب على أزرار الكمبيوتر وفقاً للتالي: رقم بطاقة الباحث، رقم البليبر، رقم المنطقة التي يعمل عليها ورقم البلد ورقم الوثيقة.

١٠ ـ في ثوانٍ يجيب الكمبيوتر فيما إذا كانت الوثائق موجودة أم هي بحوزة باحث آخر. فإذا كانت موجودة يخبرك الكمبيوتر، وفي خلال دقائق ـ وأينما كنت في المكتبة أو الكافيتريا... ـ يضيء نور البليبر ويعطيك صوتاً مستدعياً مشيراً إلى أن باستطاعتك استلام الملفات والوثائق من على الكونتوار والتي تصله من المكان المخصص إلى المكتبة عبر مصعد آلي متحرك. علماً أنه لا يسمح عادة للباحث بطلب أكثر من ثلاثة ملفات دفعة واحدة.

١١ ـ يتناول الباحث هذه الملفات ويقوم بدراستها وينقل منها ما يشاء على بطاقات خاصة، ثم يدوّن ملاحظاته، وأخيراً يتجه إلى مكتب التصوير (photo - copy) ليصوّر ما يشاء ـ بثمن معين ـ بعد أن يملأ قسيمة باسمه ورقم الملف وعدد الوثائق المطلوب تصويرها. وفي خلال فترة وجيزة تكون الأوراق جاهزة حيث تعطى للباحث مرقمة بأرقام ملفاتها وأرقامها. ثم يضعها الموظف المختص في ملف خاص يأخذه معه الباحث عند انتهاء عمله في المركز في آخر النهار أو في اليوم التالي إذا شاء.

هذا موجز عمّا هو متّبع في «مركز الوثائق العامة» في لندن حيث يقدم خدمات تقنية للمؤرخين ولسواهم اعتماداً على علم التوثيق وأدواته. بينما فرنسا لم تتبع إلى الآن في مكتبتها الوطنية أو مركز وزارة الخارجية الفرنسية مثل هذا الأسلوب الحديث، إنما ما يزال الأسلوب التقليدي هو المتّبع، غير أنه يجري منذ فترة، تحويل العمل فيه إلى أساليب تقنية حديثة.

والحقيقة فإن علم التوثيق أصبح اليوم من العلوم الأساسية المساعدة في كتابة التاريخ. وقد أدخلت التقنية الحديثة في علم التوثيق، ومن أهم هذه التقنيات لحفظ المعلومات ثم إعطائها للمؤرخين ولسواهم عند الطلب هي: «الميكروفيلم (Microfilm) وهناك أنواع وأشكال عديدة منه، والحاسب الألكتروني (Computer). ويستتبع ذلك وجود أجهزة لقراءة الوثائق والمخطوطات (Reader) أو (Lecteur) ولهذه الأجهزة بدورها أنواع عديدة ولكلٍّ منها ميزة معينة. كما أن أجهزة الفيديو (Video) وأجهزة السلايس (Slice) تعتبر من الأجهزة المساعدة والموصلة للمعلومات التاريخية والأثرية ولسواها من المعلومات، فضلاً عن الجهاز الجديد المعروف باسم (D. V. D.) المعتمد على أقراص الليزر.

وتبعاً لذلك فقد قسّم المختصّون الأرشيف[1] إلى أصناف عديدة منها: الأرشيف التاريخي، الأرشيف الجغرافي بما فيه أرشيف الخرائط والأطالس، أرشيف رئاسات الجمهورية أو أرشيف الديوان الملكي أو الديوان الأميري أو الامبراطوري، أرشيف رئاسة الوزراء، أرشيف المجالس النيابية ويمكن أن تندرج تحت الأرشيف السياسي، الأرشيف العسكري، الأرشيف الاقتصادي والاجتماعي، الأرشيف القضائي، الأرشيف الإداري، الأرشيف السري، أرشيف الآداب والفنون، أرشيف المؤسسات والهيئات الدينية، أرشيف الأختام والشعارات والنقود[2].

---

(١) إن كلمة الأرشيف يونانية المصدر من «أرخيون» (Archion) وفي اللاتينية «أركيفوم» (Archivum) وفي الإنجليزية والفرنسية (Archives) وفي الألمانية (Archiv) وفي الإيطالية (Archivo) وفي الهولندية (Archief) حتى أنه في اللغة العربية يتم تعريبها أحياناً بالقول: أرشيف وأرشفة. ولعل أصل كلمة «أرخيون» عربي مشتق من أرخ وورخ.

(٢) أنظر: د. محمد قبيسي: علم التوثيق والتقنية الحديثة، ص ٣١، ٦٤ ـ ٦٨. ٧٤. ٨٩. أنظر أيضاً: تقنية أو (أصول التوثيق) Jacques Chaumier; Les Techniques Documentaires.

هذا ويرتبط بعلم التوثيق علم تنظيم المكتبات الذي يعتبر بدوره من العلوم المساعدة في الكتابة التاريخية وفي سواها من العلوم والفنون. غير أن الأمر اللافت للنظر أن التطور التكنولوجي وصل إلى حد استخدام الكمبيوتر في التوصل إلى تفاصيل وجوه المومياءات. فقد قام فريق من العلماء اليابانيين في الفترة الممتدة بين ١٩٨٣ ـ ١٩٨٤ بإجراء دراسات على عدد من المومياءات من حيث التشريح والبيولوجيا والعظام بالإضافة إلى التصنيف العرقي والجنسي. ومن ثم قام هذا الفريق بتغذية الكمبيوتر بكل المعلومات المتوفرة، وبعد أن هضمها الكمبيوتر وحلّلها إلى جزئياتها فقد تم التوصل إلى تفاصيل وجه صاحبة المومياء وهو وجه سيدة مصرية قديمة عاشت قبل حوالي خمسة آلاف سنة، حيث رسمها الكمبيوتر على الشاشة فظهرت بتفاصيلها الأصلية[١]. ومن يراقب الحقائب التي تمر عبر أجهزة التصوير (الكمبيوتر) في مطارات العالم، يدرك أهمية هذه الأجهزة ومشتقاتها في كشف الحقائق والحقائب وما في داخلها من أجهزة أو معدات أو حاجيات مهما صغرت. لذا يمكن تسخير تلك الأجهزة في الأمور العلمية وليس في الأمور الأمنية فحسب. وعلى هذا فإن التكنولوجيا المعاصرة لم يعد لها حدود أو نشاط محدد، بل توسّع نشاطها بحيث بات يشمل التاريخ والآثار...

١٠ ـ علم (D.N.A) والطب الجنائي:

بالإضافة إلى ذلك، فقد استطاع علماء مؤسسة سيتوس ـ وهي شركة لهندسة الجينات في إيمرفيل في كاليفورنيا ـ بابتكار وسيلة جديدة في تكنولوجيا البحث الجنائي تستخدم الفحص الالكتروني لجزئيات متناهية الصغر من الجلد أو السوائل.

---

(١) حافظ القباني: مومياءات مصر تدخل العقل الآلي الياباني، مجلة التضامن (لندن) أول أيلول (سبتمبر) ١٩٨٤ العدد ٧٣، ص ٤٧ ـ ٤٩.

ويستطيع علماء سيتوس تحديد «دي. ان. أي» (D. N. A)[١] لشعرة واحدة أو بضع خلايا ولو كانت قديمة ومتآكلة[٢]. وقد يظن البعض أن هذا الابتكار لا علاقة له بالبحث التاريخي، بل على العكس، فإن هذا الابتكار يماثل في بعض نتائجه الكربون المشع (C 14) و (C 18) الذي بواسطته يمكن تحديد عمر العظام الحديثة أو القديمة للإنسان في أي عصر. ففي مجال الحفريات والآثار وفي مجال التاريخ القديم يمكن الاستفادة من هذه الأساليب العلمية. كما باستطاعة علماء سيتوس بواسطة ابتكارهم الحديث، تحديد بعض الأجزاء أو المواد في جسم الإنسان، بما فيه الشعر القديم. وهذا بحد ذاته يعتبر كشفاً علمياً في مجال الدراسات الأثرية والقديمة. علماً أنه سبق لعلماء الآثار منذ الثلاثينات أن استخدموا طريقة «البوتاسيوم ارجون» التي بواسطتها يمكن تحديد عمر البقايا حتى مليوني سنة مضت[٣]. وقد استطاع العلماء أخيراً «تجديد التاريخ» بدراستهم لبعض شعر نابليون بونابرت، وقد ثبت لهم من خلال الطب الجنائي وتحديد (.D. N. A) من معرفة سر تاريخي جديد، وهو أن نابليون بونابرت قد دس له السم في مأكله، الأمر الذي أدى إلى وفاته ١٨٢١، الأمر الذي يستوجب إعادة كتابة تاريخ وفاة نابليون بونابرت.

١١ ـ الفاكس:

أما فيما يختص بالفاكس (Fax) فهو جهاز مرتبط مباشرة بالهاتف، ولكن

---

(١) (D. N. A) هو اصطلاح والرمز العلمي للتركيب الذري للسائل الخلوي. وهو من أحدث أسلحة مكافحة الجريمة التي تشمل تطبيق البصمات الكترونياً وفحص جينات «المكونات الوراثية» للمشتبه فيهم ورسم ملامح الوجه بالكمبيوتر. وهندسة الجينات من أنجح سبل الكشف عن المجرمين، وذلك بفحص التركيب الذري للسائل الخلوي (D. N. A). كما يمكن بواسطته معرفة هوية الجثث المجهولة، وتحديد النسب أو القرابة لشخص ما، كما حدث بالنسبة لأحفاد الرئيس الأميركي جفرسون (١٧٤٣ ـ ١٨٢٦) وذلك في عام ١٩٩٨.

(٢) السفير، ٢٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٩٠، العدد ٥٦٩١.

(٣) هاري إلمر بارنز: تاريخ الكتابة التاريخية، جـ ٢، ص ٢١٩.

هو أقرب إلى آلة نسخ الصور والوثائق (Photo - Copy) التي تنسخ أية وثيقة وتصورها مباشرة وأنت أمامها.

غير أن أهمية الفاكس أن باستطاعة الباحث والمؤرخ، بعد مراسلته لمراكز التوثيق والمكتبات في العالم وبعد طلبه مجموعة من وثائق أو مخطوطات معينة من تلك المراكز، فإن مراكز التوثيق يمكن بواسطة جهازها (الفاكس) أن ترسل نسخة مصورة من وثيقة ما أو مخطوط ما إلى ذلك الباحث الذي يملك عادةً ـ أو المركز الذي يعمل فيه ـ الجهاز نفسه.

كيف يتم ذلك؟

توضع الوثيقة في جهاز الفاكس الذي يختزن أوراق بيضاء نظيفة، ويتم الاتصال الهاتفي مع جهاز الفاكس في البلد الآخر، وعندما يتم التأكد بحصول الاتصال، يضغط على زر الفاكس في مركز التوثيق الذي يصور الوثيقة، ففي اللحظة ذاتها تصور الوثيقة على الجهاز المماثل في البلد الآخر الذي يختزن أيضاً أوراق بيضاء نظيفة. وهكذا يستطيع الباحث توظيف (الفاكس) ليس في الأمور التجارية والمالية والعقود فحسب، وإنما يمكن توظيفه في البحث العلمي.

١٢ ـ علم الوثائق أو علم الدبلومات أو علم الشهادات الكتابية (Diplomatics)[١]: وهو من العلوم الأساسية لدراسة التاريخ. والوثائق هي كل الأصول التي تحتوي على معلومات تاريخية. فينبغي على دارس التاريخ أن يتعلم الأسلوب والمصطلحات الخاصة بوثائق العصر الذي يعنيه، ولا بدّ له من أن يعرف نوع الحبر المستعمل في الكتابة وتركيبه، والأقلام التي كتبت فيها، وأنواع الورق المستعمل وخصائصه. وهناك وسائل علمية لفحص الخط

(١) للمزيد من التفصيلات أنظر: سالم عبود الألوسي: علم تحقيق الوثائق (الدبلوماتيك) حيث يعالج المؤلف في (٥٠) صفحة مختلف جوانب هذا العلم.

والحبر والورق، بواسطة بعض العدسات المكبِّرة والمجهر. وبواسطة التحليل الكيميائي يمكن معرفة عمر الورق. وأحياناً يمكن الاستعانة ببعض أنواع الأشعة الحمراء والبنفسجية لإظهار الخطوط غير الواضحة أو المطموسة أو المغيّرة عمداً. كما يتصل بدراسة الوثائق دراسة الأختام التي تمهر بها، ومن بين هذه الأختام: أختام الشمع، أختام المعادن (الرصاص، الذهب، النحاس) ومنها المستدير، والمثلث، والبيضاوي...

١٣ ـ علم الرنوك أو الرنكيات (Heraldry): وهو من العلوم المساعدة التي ينبغي عدم إغفال أهميتها والرنوك هي عبارة عن العلامات المميزة والشعارات التي تظهر على الأختام والدروع والأعلام وعلى الملابس. ولا يدخل في هذا الإطار الكؤوس والسيوف وشعارات النسر والهلال والصليب والأسد... وقد استخدمت الرنوك في أوروبا في العصور الوسطى، كما استخدمها السلاجقة والأيوبيون والمماليك والعثمانيون. والواقع فإن معرفة الباحث والدارس لهذه الرنوك تجعله قادراً على إثبات صحة ما يقع تحت يده من الدروع أو الأسلحة. وفي الوثائق مثلاً قد يمحى الإمضاء أو التاريخ، وفي هذه الحال تساعد العلامة الواضحة على الختم ـ إن وُجدت ـ في التعرّف على بعض الأمور وسدّ بعض الثغرات.

١٤ ـ علم النميات أو النوميات (Numismatics) وهو علم النقود والمسكوكات (nummi = coins) وهو من العلوم الهامة في مجال التاريخ[1].

---

(١) قام بعض المؤرخين المسلمين والعرب بتأليف كتب خاصة في النقود والموازين والمكاييل ومن بين هؤلاء: المقريزي صاحب كتابي: «شذور العقود في ذكر النقود» وكتاب «الأكيال والأوزان الشرعية» كما ألّف منصور الكاملي كتاب تحت عنوان «كشف الأسرار العلمية بدار الضرب المصرية». ولمحمد باقر الحسيني مجموعة من الكتب عن النقود منها كتاب: «تطور النقود العربية والإسلامية» وكتاب «العملة الإسلامية في العهد الأتابكي». ولعبد الرحمن فهمي بعض الكتب منها: «صنج السكة =

فالنقود بما تحمله من شعارات وصور الملوك والأباطرة والشعارات أو الكتابات الدينية، وسنوات سكّها وضربها، والمعدن الذي صنعت منه (فضة ذهب، نحاس) تقدم للمؤرخين مادة تاريخية قيّمة من الممكن أن تسدّ نقصاً في بعض المعلومات التاريخية. وهذا ينطبق على العملات اليونانية والرومانية والفارسية والعربية والفرعونية..، كما ينطبق بالتأكيد على العملات المعاصرة التي كثيراً ما نرى عليها شعارات البلد ورموزه، وصور الملوك والأمراء والرؤساء مع سنّي الضرب والتداول. وكثير من الدول ما تزال تصدر عملات (وكذا طوابع بريدية) تخليداً لذكرى معينة أو لشخصية سياسية أو ثقافية أو علمية... ويمكن أن نضيف إلى علم النقود، علم الصنج وهو خاص بدراسة تاريخ المكاييل والأوزان وسك النقود.

١٥ ـ علم البيبلوغرافيا والموسوعات المتخصصة (Bibliography).

أصبح علم البيبلوغرافيا من العلوم الهامة، وهو يندرج في إطار العمل التوثيقي (Documentary). ويعتبر من العلوم المساعدة في كتابة التاريخ، فالكتب البيبلوغرافية تجمع بين ثناياها أسماء الأشخاص والكتب والدوريات والمقالات الصادرة هنا وهناك في مجال التاريخ أو الأدب أو السياسة أو العلوم.. وهذه البيبلوغرافيا تخفّف عن الباحث المؤرّخ الكثير من المعاناة. وبالرغم من هذه المساعدة تبقى عملية البحث والتنقيب وزيارة المكتبات مسألة ضرورية للبحث عن مصادر قد تكون أغفلتها البيبلوغرافيا في موضوع تاريخي محدد، ثم تهدف الزيارة لاختيار المصادر التي أوردتها البيبلوغرافيا ذاتها.

= في فجر الإسلام» وكتاب «النقود العربية ماضيها وحاضرها». أما ناصر النقشبندي فله كتب في «الدرهم الإسلامي» وكتاب في «الدينار الإسلامي». هذا وقد صدر لي كتاب عن النقود والدواوين تحت عنوان «تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي». عن دار الكتاب اللبناني ـ دار الكتاب المصري، بيروت ـ القاهرة ١٩٧٨. وطبعة منقحة وجديدة عن دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٨٨.

ولا بدّ من الإشارة بأن الأوائل أدركوا أهمية العمل البيبلوغرافي، فقد أصدر اليونان والرومان بعض الموسوعات القانونية والتنظيمية، كما أدرك المسلمون أهمية هذا العمل، فأصدروا خلال تاريخهم الكثير من الكتب البيبلوغرافية المفهرسة ولعلّ أهمها: الفهرست لابن النديم، و«عيون الأنباء في طبقات الأطباء» لابن أبي أصيبعة، و«طبقات الأطباء والحكماء» لابن جلجل، و«كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة، و«الروض المعطار في خبر الأقطار» للحميري (موسوعة جغرافية ـ تاريخية)...

كما صدر في التاريخ الحديث والمعاصر بعض الكتب البيبلوغرافية الخاصة بالقرآن الكريم والأحاديث الشريفة، منها: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، نسقه: محمد فؤاد عبد الباقي وتفسير وبيان (مفردات القرآن مع فهارس كاملة للمواضيع والألفاظ) من إعداد د. محمد حسن الحمصي وبيبلوغرافيا المدن أو الأعلام ومنها على سبيل المثال: معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها للدكتور أنيس فريحة، الموسوعة اللبنانية لطوني مفرج، ولخير الدين الزركلي «الأعلام» (١٣ جزءاً) ولعمر رضا كحالة «معجم المؤلفين» ومعجم خاص عن النساء وهما في أجزاء عديدة. وهناك كتاب خاص عن علماء طرابلس الشام لعبد الله حبيب نوفل واسمه «تراجم علماء طرابلس وأدبائها» وكتاب آخر خاص عن علماء بيروت، لكامل الداعوق وهو تحت عنوان «علماؤنا في بيروت»، بالإضافة إلى كتاب الشيخ عبد الرزاق البيطار «حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر» (٣ أجزاء) وللشيخ محمد جميل الشطي «أعيان دمشق في القرن الثالث عشر ونصف القرن الرابع عشر».
كما أصدرت الجامعة اليسوعية في بيروت عام ١٩٧٨ كتاباً بيبلوغرافياً عن الأب لويس شيخو تحت عنوان «الأب لويس شيخو ما كتبه وما كتب عنه» كما صدر كتاب على النمط نفسه عن «أمين الريحاني» وأين نجده وما كتبه وما كتب عنه. وفي أوائل القرن العشرين أصدر إليان سركيس في مصر كتاباً بيبلوغرافياً هاماً تحت عنوان «معجم المطبوعات العربية والمعربة». وأصدر

يوسف أسعد داغر دراسات بيبلوغرافية عن الجامعة اللبنانية هما: «الأصول العربية للدراسات اللبنانية» و «قاموس الصحافة اللبنانية». كما أصدرت الجامعة الأردنية بيبلوغرافيا عن «سجلات المحاكم الشرعية والأوقاف الإسلامية في بلاد الشام» حددت بموجبها أماكنها وأرقامها وتواريخها(١). وكتاب «أعيان الشيعة» للسيد محسن الأمين، كما أصدر كوركيس عواد عدداً من الكتب البيبلوغرافية منها كتاب «أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم» وهو من الكتب الهامة لأنه تضمن أسماء المخطوطات العربية منذ صدر الإسلام حتى عام ٥٠٠هـ ـ ١١٠٦م. وبيبلوغرافيات عديدة مما لا يتسع المجال لذكرها.

والحقيقة فإن علماء أوروبا اهتموا جداً بفهرسة المخطوطات العربية. وكان أول فهرس صدر في أوروبة هو فهرس مخطوطات فلورنسة في إيطاليا وضعه الراهب اللبناني أسطفان عواد السمعاني عام ١٧٤٢. ثم توالت فهرسة المخطوطات عام ١٧٥٦، ١٧٦٠، ١٧٧٨ ثم توالت في القرن التاسع عشر والقرن العشرين(٢).

هذا وقد حرص مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية في استانبول التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي على إصدار عدد من الدراسات والكتب البيبلوغرافية لمساعدة الباحثين وتمكينهم من الوصول إلى المخطوطات والوثائق الخاصة بالتاريخ العثماني. ومن بين هذه الدراسات على سبيل المثال: الأرشيف العثماني وهو فهرس شامل لوثائق الدولة العثمانية المحفوظة بدار الوثائق التابعة لرئاسة الوزراء في استانبول(٣). كما أصدر مركز

---

(١) تنسجم هذه البيبلوغرافية مع كتابي «أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني» (سجلات المحكمة الشرعية في بيروت).

(٢) أنظر: د. صلاح الدين المنجد: قواعد فهرسة المخطوطات العربية، ص ٤١ ـ ٤٤.

(٣) أعد هذا الفهرس نجاتي أقطاش وعصمت بينارق، وقام بتعريبه صالح سعداوي صالح، وأشرف عليه وقدم له مدير مركز الأبحاث الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي. وقد صدر الفهرس بالتعاون بين مركز الأبحاث ومركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية ـ عمان ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

الأبحاث التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي، فهرس مخطوطات مكتبة كوبرلي في ثلاثة مجلدات[(١)]. وحرص المركز نفسه أيضاً على إصدار الفهرس الموحد للصحف والمجلات المطبوعة بالحروف العربية في مكتبات استانبول ١٨٢٨ ـ ١٩٢٨[(٢)]. وسواها من دراسات ومعاجم بيبلوغرافية منها: معجم مصطلحات الفن الإسلامي الذي أعده أحمد محمد عيسى.

ومن الأهمية بمكان القول أن هناك بيبلوغرافيا متخصصة بالأطروحات والرسائل الجامعية (دبلوم، ماجستير، دكتوراه). وأهميتها أنها تعطي طالب الدراسات العليا والمعاهد العلمية والأساتذة المشرفين على الرسائل الجامعية فكرة واضحة عما تم مناقشته من أطروحات وموضوعات متعددة في مختلف الميادين العلمية. وعلى سبيل المثال فقد صدرت فهارس عن الأطروحات التي نوقشت في البلدان العربية والأجنبية. وبين أيدينا «الدليل البيبلوغرافي للرسائل الجامعية في مصر ١٩٢٢ ـ ١٩٧٤»[(٣)] وهو المجلد الأول الذي ظهر حتى الآن في إطار الدراسات الإنسانية. ويضم الرسائل التي نوقشت في (٣٢) جامعة مصرية تضم عدداً كبيراً من الكليات والمعاهد. كما أصدرت مؤسسة المحفوظات الوطنية في بيروت فهرساً بيبلوغرافياً بأسماء الأطروحات والرسائل الجامعية التي نوقشت في جامعات لبنان المتعددة في الفترة الممتدة بين ١٩٠٦ ـ ١٩٨٠. وصدر هذا الفهرس تحت عنوان «أندكس ليبانيكوس» جـ ٢ (Index Libanicus) II[(٤)]. وكانت أول رسالة جامعية (ماجستير) نوقشت في لبنان هي

---

(١) أعد هذا الفهرس الدكتور رمضان ششن وجواد أيزكي وجميل اقتكار، وقدم له الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي ـ استانبول ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٢) أعد هذا الفهرس حسن دومان وقدم له الدكتور أوغلي ـ استانبول ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

(٣) صدر هذا الدليل البيبلوغرافي عام ١٩٧٦ عن مركز الأهرام للتنظيم والميكروفيلم.

(٤) أعد هذا الفهرس الدكتور موريس صليبا، وصدر عن مؤسسة المحفوظات الوطنية ـ بيروت ١٩٨٢. في حين اهتم الجزء الأول من هذا الفهرس بجمع ما نشر عن لبنان باللغات الأوروبية في مختلف المواضيع، وذلك خلال الفترة بين ١٥١٥ ـ ١٩٧٩.

التي نوقشت في الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٠٦. بينما أول رسالة دكتوراه نوقشت في الجامعة اليسوعية كانت عام ١٩٣٨. في حين أن أول رسالة كفاءة في التاريخ في الجامعة اللبنانية نوقشت عام ١٩٥٧. أما أول رسالة ماجستير في قسم التاريخ ـ كلية الآداب جامعة بيروت العربية فقد نوقشت عام ١٩٧٧[١].

هذا ولا بد من الإشارة بأن غالبية الجامعات والكليات والمعاهد في لبنان والعالم العربي والعالم أصدروا بيبلوغرافيات أو أدلة تضمنت عناوين الأطروحات التي نوقشت، وعلى طلاب الدراسات العليا العودة لهذه الأدلة أو البيبلوغرافيات للاطلاع على الموضوعات التي نوقشت حتى لا يقعوا في الخطأ ـ كما وقع سواهم ـ ويسجلون الأطروحات ذاتها في كليات أخرى. لأن الهدف من الدراسات العليا تقديم بحوث مبتكرة وجديدة، وليس تكرار القديم.

والجدير بالذكر أنه لا يمكن في هذا المجال إغفال أهمية الكتب البيبلوغرافية التي تعرّفنا إلى أماكن وجود المخطوطات وأسمائها. فهناك بيبلوغرافيا خاصة عن مخطوطات ووثائق المكتبة الظاهرية في دمشق، وعن مخطوطات ووثائق أرشيف قصر عابدين والقلعة ومعهد المخطوطات في القاهرة، وهكذا فيما يختصّ بمراكز المخطوطات والوثائق في بغداد وتونس واستانبول ولندن وباريس وموسكو وواشنطن... والاطّلاع على البيبلوغرافيات تخفّف كثيراً من معاناة المؤرّخ والباحث، إذ باستطاعته إذا احتاج إلى مخطوط أو وثيقة معينة أن يراسل المعهد أو المركز، فيتم تصويرها له إذا لم يكن لديه نيّة أو قدرة على السفر إلى الخارج.

---

(١) كانت أول رسالة ماجستير من قسم التاريخ ـ جامعة بيروت العربية من إعدادي وكان موضوعها «موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ ـ ١٩٠٩» تحت إشراف أ. د. عمر عبد العزيز عمر، ونالت تقدير «ممتاز».

إن أحداً لا يستطيع نكران ما للبيبلوغرافيا من أهمية على صعيد مختلف العلوم وبينها التاريخ، كعلم مساعد ومتداخل معه. وهنا أوّد أن أُعطي مثالاً واحداً لا أكثر عن أهمية البيبلوغرافيا، وأتساءل: هل يستطيع أي باحث أو طالب دراسات عليا مثلاً أن يكتب دراسة علمية عن الأب لويس شيخو معززة بالمصادر والأسانيد تأخذ حيّزاً هاماً في الكتابة العلمية، دون العودة والاعتماد على كتاب «الأب لويس شيخو ما كتبه وما كتب عنه»؟ حيث يجد الباحث كل ما يريده عن موضوع بحثه، وحيث يعتبر هذا الكتاب الدليل الذي يساعد ويدّل الباحث إلى أين يذهب وكيف يبحث، وفي أيّ كتاب وفي أية صحيفة.

١٦ ـ **الجغرافيا**: إن الارتباط وثيق بين التاريخ والجغرافيا. وقد أدرك العلماء القدامى وبينهم علماء المسلمين هذا الارتباط، فسخروا العلوم الجغرافية في كتابة التاريخ. فللظواهر الجغرافية المختلفة أثر كبير في التاريخ، وعلى سبيل المثال لا الحصر فإن يوليوس قيصر مزج في مذكراته التاريخية التاريخ بالجغرافيا، واستعان بالخرائط الجغرافية وهو ما يعرف اليوم بعلم الخرائط (Cartography) وبواسطتها استطاع أن يحدد مواقع البلدان والمناطق والأنهار والجبال والقبائل. كما وصف الواقع الجغرافي للبلدان التي غزاها ومنها بريطانيا وإيرلنده وسواها. وقد تعرفت أوروبا الحديثة إلى الكثير من جغرافيتها من خلال ما كتبه يوليوس قيصر. بالإضافة إلى ذلك فقد مزج العلماء والرحالة العرب بين الجغرافيا والتاريخ ومن بين هؤلاء: ابن الجيعان صاحب كتاب «التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية» وابن الفقيه صاحب كتاب «البلدان»، وابن بطوطة صاحب كتاب «تحفة النظار في غرائب الأمصار» وابن حوقل صاحب كتاب «صورة الأرض» وابن خرداذبة صاحب «كتاب المسالك والممالك» والإدريسي صاحب كتاب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» والمقدسي صاحب كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» ومنهم ابن جبير صاحب كتاب «تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار» وسواهم الكثير. وقد بات من المتبع في الكثير من الدراسات التاريخية أن تمهد ليس بمقدمة تاريخية

فحسب، ولكن بمقدمة جغرافية، تعرّف القارىء جغرافية البلد موضوع البحث. فالجغرافية تسلط الأضواء وتفسر الكثير من المفاهيم التاريخية. وعلى سبيل المثال فإن الباحث في تاريخ بيروت في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، لا بدّ له من أن يعود إلى خريطة بيروت التقليدية التي نشرتها الدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني. وهي إلى الآن من أفضل الخرائط التراثية التي تحدد مناطق وأحياء وأسواق وجوامع وكنائس بيروت القديمة.

ومن المعلوم أن هناك فرعاً خاصاً في العلوم الجغرافية يعرف باسم «الجغرافيا التاريخية» وهي التي تهتم بدراسة التطور التاريخي وحركات السكان المختلفة. كما توجد فروع جغرافية أخرى منها على سبيل المثال: جغرافية السكان، الجغرافيا الاجتماعية، الجغرافيا الاقتصادية، الجغرافيا السياسية، جغرافية السلالات، الجغرافيا الفلكية والرياضية، جغرافية التخلّف أو العالم الثالث، جغرافية الأحياء، جغرافية التربة، جغرافية البحار والمحيطات، الجغرافية المائية بالإضافة إلى الجغرافية المناخية، والجيومورفولوجيا (Geomorphology) أي علم التضاريس. بالإضافة إلى ذلك فإن علم (Toponymy) يمكن أن نستثمره في الكتابة التاريخية. فهو علم يهتم بالدراسات اللغوية أو التاريخية لأصل أسماء المواقع الجغرافية. فالمؤرخ لا بد له من أن يطلع على المؤلفات الجغرافية التي تبحث في أسماء المدن والبلدان والقرى والمواقع، لا سيما عند بحثه لتاريخ مدينة ما والبحث في اسمها وأسباب هذه التسمية. وتلك المؤلفات هي كثيرة لمختلف المدن والبلدان وفي مختلف اللغات.

١٧ ـ الاقتصاد: إن العوامل الاقتصادية من العوامل الفاعلة في رسم سياسات البلدان وفي التحكم بمصائرها. ويقوم الاقتصاد بدور بارز في مجرى تاريخ هذه البلدان. فما من ثورة أو حدث أو حرب سجلها التاريخ إلاّ وكان لها أسباب اقتصادية. ذلك أن واقع الاقتصاد: الزراعة، الصناعة، والتجارة، من العوامل المحرِّكة للتاريخ، وهي عوامل أساسية في قيام الصراعات بين

القوى الشعبية الكادحة وبين القوى المستغِلة لها. والثورات الماثلة في التاريخ القديم والوسيط والحديث، كانت مطالبها وبالأحرى برامجها الأولى، تحسين المستوى الاقتصادي للفرد وللجماعة، والعمل على تنمية البلد، ومن ثم إقرار الحريات السياسية والاجتماعية والدينية. فدراسة اقتصاد بلد ما مهم جداً في كتابة تاريخه.

١٨ ـ **الآداب والفنون والعمارة**: إن هذه العلوم الإنسانية والفنية والهندسية تعتبر مرآة للحياة الثقافية والفنية والعلمية، وهي تصوّر واقع الحال الذي يظهر شعراً أو نثراً ملحمة أو قصة، تعطينا صورة للمجتمع وعاداته وتقاليده ومفاهيمه. فكم من الشعر والقصص أمكن الاستفادة منها في التأريخ الاجتماعي لشعب ما أو لمنطقة ما. وكم من الرسوم والتصاوير والنحت وأنماط العمارة أمكن الاستفادة منها في التأريخ الفني والهندسي لعصور متعددة. ذلك أن أنماط المآذن والكنائس والصوامع كانت تعبّر عن واقع معين ومحدد. وإلاَّ فلماذا بنى الطولونيون مساجد مختلفة في أنماطها عن المماليك؟ ولماذا مساجد مصر مختلفة في أنماطها عن مساجد بلاد الشام أو المغرب أو الأندلس؟. إن لذلك أسباباً تتعلق بالبيئة والمعتقدات والمؤثرات والتمازج الحضاري، وكل ذلك يفيدنا في إطار التأريخ. وكما أن العمارة تفيد وتساعد التأريخ، فإن المستندات التاريخية تفيد فن العمارة وتاريخ هذا الفن. وعلى سبيل المثال فقد استطعت شخصياً من خلال دراستي لسجلات المحكمة الشرعية في بيروت في القرن التاسع عشر من استخلاص النظام المعماري وهندسة المنازل والدور والعمارة بشكل عام في بيروت العثمانية. وهذا النظام المعماري توصلت إليه من خلال دراسة عمليات البيع والشراء للمنازل والدُور التي كان الحاكم الشرعي يدوِّنها بكافة تفصيلاتها مع عدد السلالم والغرف والأقبية[١]...

(١) أنظر مقالنا: العمارة في العهد العثماني من خلال سجلات المحكمة الشرعية في بيروت. في المجلة العلمية ـ كلية الهندسة المعمارية، جامعة بيروت العربية ـ العدد الأول ١٩٨٥، ص ٨٥ ـ ٨٩.

إن رسماً للوحة ما أو لصورة ما، قد نستفيد منه في استنتاج بعض المعلومات التاريخية والتوصل إلى معلومات جديدة. فاللوحات التي تعود إلى عهد نابليون بونابرت أو إلى عهد محمد علي باشا أو إلى عهد الملكة أليزابيت أو إلى أيّ عهد من العهود إنما تمدّنا بمعلومات تاريخية ـ اجتماعية وسياسية كالتعرّف إلى أنماط الألبسة والأحذية وأنواع السفن وأشكالها وأنواع الأسلحة والأطعمة وأدوات عديدة مستخدمة في تلك الفترة، لا سيما في اللوحات والرسوم التي تصوّر أسواق باريس والقاهرة ودمشق وبغداد وبيروت وسواها. كما أن للموسيقى دوراً تاريخياً وعاملاً مساعداً من عوامل التأريخ لا يمكن نكرانه، ويكفي أن نعطي في هذا المجال مثالاً تاريخياً حيّاً هو الموسيقي والمغنّي العراقي «زرياب» الذي أوجد مدرسة موسيقية في الأندلس. وكانت موسيقاه تعبّر عن واقع اجتماعي معين وذلك من خلال الموسيقى والموشحات معاً. ثم إن دراسة الصور الفوتوغرافية المأخوذة في القرن التاسع عشر ـ لا سيما من قبل الرحّالة الأجانب ـ يمكن تسخيرها تاريخياً في الاستفادة من المعالم المتنوعة التي ظهرت فيها مثل الأشخاص والأماكن. وفي الكشف عن مواطن خفية (ألبسة، أحذية، مجوهرات، حفلات زفاف، معالم اندثرت للقرى والمدن). ونظراً لأهمية الصور الفوتوغرافية القديمة، فقد أُقيمت بعض المعارض المتخصصة في أوروبة وبيروت. وقد أظهرت هذه الصور العائدة للقرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الكثير من الأنماط التراثية، التي يمكن تسخيرها في خدمة التاريخ الاجتماعي. ولعلّ الدارس لصور بيروت القديمة يتأكد من صحة هذا التفسير، وهذه العلاقة بين الصور والتأريخ[1].

١٩ ـ الدراسة والمعاينة الميدانية والسفر: إن دراسة الوثائق والمصادر مسألة هامة في عملية التدوين والتأريخ. ولكن يجب أن لا نغفل موضوع

(١) في أثناء كتاباتي التاريخية التراثية عن بيروت ولبنان، استفدت كثيراً من صور بيروت القديمة العائدة للقرن التاسع عشر.

العمل الميداني لا سيما إذا كان البحث يتطلب ذلك، فيكون السفر والترحال ضرورياً. فالكتابة مثلاً عن تاريخ قصر من القصور أو مسجد من المساجد أو كنيسة من الكنائس، لا يتطلب قراءة المراجع فحسب والاعتماد عليها، بل يتطلب زيارة ميدانية لرؤية هذا الصرح أو ذاك عن قرب وعن كثب، حيث بالإمكان قراءة النصوص المنقوشة على أبوابه وجدرانه. وعوضاً من أن ينقل الباحث نصاً مبتوراً أو منقوصاً، فإذا به مباشرة أمام النصوص والنقوش. أضِف إلى ذلك فإن السفر بحد ذاته يوسّع المدارك ويفتح الآفاق العلمية. وكثير هم العلماء والمؤرخون الذين اكتسبوا علومهم من خلال الأسفار والرحلات. وهناك مجموعة كبرى من الرحّالة الأجانب والعرب والمسلمين أنجزوا مؤلفاتهم التاريخية والجغرافية بعد رحلات قاموا بها في الشرق والغرب على السواء ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: روبنسون، جون كارن، عبد الغني النابلسي، عبد الرحمن سامي بك، محمد رفيق ومحمد بهجة الأثري، الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي، بالإضافة إلى الورثيلاني، ابن بطوطة، ابن حوقل، ابن جبير، الإدريسي، المقدسي...

ومن الأهمية بمكان القول إن الطالب - الباحث (لا سيما طلاب الدراسات العليا) لا بدّ من أن يقوم برحلات علمية - تبعاً لبحثه - إلى مراكز التوثيق في العالم ومنها على سبيل المثال: مركز وثائق وزارة الخارجية البريطانية (F.O.)، مركز وثائق وزارة الخارجية الفرنسية (Quai d'orsay) والمكتبة الوطنية في باريس، ومراكز وثائق أرشيف روما وفلورنسا والبندقية وفيينا وبرلين وواشنطن، واستانبول... بالإضافة إلى مراكز التوثيق في العالم العربي ومنها: وثائق المتحف الوطني في بيروت، وثائق المكتبة الظاهرية في دمشق، مكتبة الأسد، وثائق دار المحفوظات المصرية بالقلعة، ووثائق ومخطوطات الجامعة الأميركية في بيروت، وسواها.

ولقد أشار العلاّمة ابن خلدون إلى أهمية الرحلة في طلب العلم. ولقاء الأساتذة (المشيخة) لأن في ذلك مزيد كمال في التعلم. وبرر ابن خلدون

ذلك بقوله: «والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة: علماً وتعليماً وإلقاء وتارة: محاكاة وتلقيناً بالمباشرة، إلاَّ أن حصول المَلَكَات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً. فعلى قَدَرِ كثرة الشيوخ [الأساتذة] يكون حصول المَلَكات ورسوخها والاصلاحات أيضاً في تعليم العلوم مُخَلّطَةٌ على المتعلم، حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ولا يدفع عنه ذلك إلاَّ مباشَرتُهُ لاختلاف الطرق فيها من المعلمين».

ثم أكد ابن خلدون مجدداً على أن التعلم على عدد من الأساتذة يكسب الطالب أساليب وطرقاً متنوعة وعلوماً عديدة ومما قاله: «فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يُفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيُجَرِد العلم عنها، ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق تُوصِل وتُنهضُ قواه إلى الرسوخ والاستحكام في المكان وتصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية مَلَكَتِهِ بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم وهذا لمن تيسَّر الله عليه طرق العلم والهداية. فالرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ»[١]. وقد أفاض علماء الإسلام غير ابن خلدون بأهمية الرحلة في طلب العلم، وتلقي العلم على المشايخ[٢]، بل والاتصال بالمكتبات الكبرى في العالم، والإطلاع على مصنفاتها ومحتوياتها، والاستفادة منها.

---

(١) ابن خلدون، المقدمة، ص ٥٤١.

(٢) من هؤلاء: أبو الفتح بن جني (المتوفى ٣٩٢هـ) في: الخصائص، ابن جماعة: تذكرة السامع والمتكلم، ابن خلاد الرامهرمزي: المحدث الفاصل، ابن عبد البر: جامع بيان العلم وفضله، الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، الذهبي: تذكرة الحافظ، ابن حجر: هدى الساري، الخليل بن أحمد؛ إنباء الرواة على إنباء النحاة، جلال الدين السيوطي: بغية الوعاة، الأزهري: تهذيب اللغة.

٢٠ ـ **علم الأجناس والإنسان (Anthropolohy) وعلم وصف الشعوب (Ethnography)** تعتبر الأنتربولوجيا والأثنوغرافيا من العلوم الاجتماعية المساعدة في مجال التأريخ، بل إن «هيوغ أتكن» يرى بأن هذا العلم هو أشدّ العلوم الاجتماعية ملاءمة للمؤرخين[١]. ذلك لأن علماء الأجناس والمؤرخين يواجهون مشكلات كثيرة مشتركة، وتظهر بينهم في بحثها في بعض الأحيان اختلافات متشابهة في الرأي. ومهما يكن من أمر فإن ما يتوصل إليه علم الأجناس (الإنسان) ممكن جداً أن يخدم المؤرخ لاستكمال أبحاثه. وقد اهتم بعض القدامى بالربط بين التأريخ والأنتروبولوجيا ـ بقصد أو بغير قصد ـ فقد حرص يوليوس قيصر أثناء كتابته لمذكراته أن يمدّنا بمعلومات خاصة عن أجناس البشر التي رآها خلال تنقلاته في فترة الحروب التي خاضها. وقد تضمنت تلك المذكرات معلومات عن سلالات الغال والجرمان والبريطانيين ومعلومات عن ثقافاتهم وأوضاعهم. وهو بذلك يكون قد مزج بين التاريخ والأنتروبولوجيا والأثنوغرافيا وأدى خدمة تاريخية واجتماعية. وهذا ما فعله ابن خلدون عندما تفرّد بتاريخ وذكر الجالية الأندلسية وأخبارها وأوضاعها أثناء نزوحها إلى المغرب في القرن السابع الهجري ـ الثالث عشر الميلادي[٢].

إن علم الإنسان يعالج المسائل التاريخية عند تتبعه مجرى التطور البشري، وانتشار البشرية على سطح الأرض، ونشوء الثقافات الإنسانية، ثم يرى البعض بأن مناهج علم الآثار وعلم الإنسان الفيزيائي (علم التطور الحياتي البيولوجي) هي في أساسها مناهج التاريخ مع تعديلات تتطلبها المعطيات.

---

(١) هيوغ أتكن: دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية، ص ٢٦. للمزيد من التفصيلات حول الأنثروبولوجيا أنظر: د. علي محمود إسلام الفار: الأنثروبولوجيا الاجتماعية ـ الدراسات الحقلية في المجتمعات البدائية والقروية والحضرية ـ دار المعارف ـ مصر ١٩٨٤.

(٢) للمزيد من التفصيلات عن تاريخ الأنتروبولوجيا أنظر Haddon, A; A History of - Anthropotogy, 20 - 25.

فعلى سبيل المثال فإن مرحلة علم الإنسان الفيزيائي التي تدور حول تطور البشر والحيوانات العليا هي في جوهرها بحث تاريخي، بل يمكن الاستفادة من هذه البحوث في مجالات التأريخ والتدوين بشكل أساسي. ولا يمكن أن ننسى في هذا المجال ما لعلم الآثار القديمة «الأركولوجيا» (Archaelogy) من أهمية في التأريخ من حيث اهتمامه بدراسة المراحل التأريخية الطويلة التي قضاها الإنسان في اكتشاف القراءة والكتابة معتمداً على الآثار القديمة أي على الأركولوجيا.

٢١ ـ علم السكان أو علم خصائص الشعوب «الأتنولوجيا» (Ethnology)

وهذا العلم من العلوم المساعدة والمتصلة بالتاريخ وبالعلوم الاجتماعية بشكل عام. ويتناول هذا العلم عادة أحجام الشعوب وتكويناتها وتوزيعها الجغرافي، والمواليد والوفيات والهجرات. . . ويعتمد هذا العلم بصورة أساسية على المصادر الرسمية والإحصاءات الدقيقة الصادرة عن الحكومات والمؤسسات والهيئات الرسمية المحلية والدولية. وقد ازدادت في الفترات الأخيرة إمكانيات استفادة التاريخ من الأتنولوجيا، نظراً لأهميتها وإلقائها الضوء على خلفيات تاريخية اجتماعية هامة. ومنذ القدم حرصت بعض الدول والممالك على الاهتمام بهذا العلم، وقد ظهرت مؤلفات تاريخية في العهد الأول للدولة الإسلامية اهتمت بإحصاء عدد المسلمين وأولادهم وقبائلهم وجنودهم[(١)]. كما أن من مميزات منهج البحث التاريخي عند هيرودوت، هو في وصفه لشعوب الأمم المتعددة، ووصفه لعاداتهم وتقاليدهم. وبذلك يمكن القول إن هيرودوت كان صاحب «منهج خصائص الشعوب» (Ethnology). ويعتبر كتابه أول كتاب يتحدث عن شعوب أقاليم الشرق الأدنى القديم. ولما تحدث عن البرابرة مثلاً أورد أنواع مأكولاتهم وعادات

---

(١) للمزيد من التفصيلات أنظر كتابنا: تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، ص ٨٦ ـ ٩٠.

زواجهم ولغاتهم وأديانهم[١]. وللرحالة المؤرخين المسلمين أثر كبير في وضع علوم الأنتروبولوجيا والأثنوغرافيا والأثنولوجيا، نظراً لتسجيلهم عادات وتقاليد وثقافات وشعائر وأطعمة وطبقات ونوادر وغرائب وأخلاق الشعوب والمناطق التي زاروها، ومن هؤلاء: ابن جبير، ابن بطوطة، المقدسي، الإدريسي، الاصطخري وسواهم الكثير[٢].

٢٢ ـ علم النفس الاجتماعي: وهو من العلوم المساعدة أو المتداخلة في التاريخ، ذلك لأن الاعتبارات النفسية تدخل تضميناً وتصريحاً في جميع تفسيرات الفعل الإنساني (Action) وردود الفعل (Reaction). ولقد وضع علماء النفس الكثير من النظريات النفسية الاجتماعية، وعلى المؤرخ الباحث الاطّلاع على تلك النظريات. وبالرغم من أن هناك اتفاقاً بأن المؤرخ لن يستعمل كل هذه النظريات في أبحاثه، ولكن إذا لم يكن لمعرفته بها من غرض، فعلى الأقل عليه تجنب استخدام تلك النظريات استخداماً خاطئاً. ومَن يطّلع على نظريات بافلوف وواطسن وفرويد أفضل ممّن لا يطّلع عليها، والاطّلاع على نظرية ما لا يعني بالضرورة اعتناقها.

٢٣ ـ العلوم السياسية والدراسات الحقوقية: وهي من العلوم المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتاريخ، وقد حرصت بعض كليات الآداب والعلوم الإنسانية في الكثير من الجامعات، على ربط التاريخ بالعلوم السياسية، وبات لزاماً على طالب التاريخ دراسة بعض المواد في العلوم السياسية. وكما أن العلوم السياسية مساعدة للتاريخ في إمداده بالتفسيرات والوقائع السياسية، فإن التاريخ

---

(١) أنظر محاضراتنا: مذاهب الفكر التاريخي، ص ٩. (الجامعة اللبنانية).

(٢) للمزيد من التفصيلات عن أثر المقدسي والإدريسي والبيروني وابن جبير وابن بطوطة وابن خلدون في الدراسات الأنتروبولوجية والأثنوغرافية وإيكولوجية (علاقة الإنسان بالبيئة Ecology) أنظر: د. زكي محمد إسماعيل: الأنتروبولوجيا والفكر الإسلامي، ص ٣١ ـ ٥٤.

بدوره مفيد للعلوم السياسية في إمداده بالمعلومات وأسباب ونتائج الوقائع التاريخية. ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن منهج البحث التاريخي المعاصر، لم يعد يعتبر أن الأحداث السياسية، فحسب هي الأساس في التركيب التاريخي. ذلك لأن المنهج التاريخي الحديث لا يعتبر أن التاريخ هو مجرد حروب وثورات ومعارك عسكرية، بل أصبح هذا المنهج يلتزم سَبْر غور أسباب هذه الأحداث من المنطلقات الاقتصادية والاجتماعية. ولا يعني ذلك أيضاً بأن التأريخ الحديث أهمل إهمالاً تاماً الأحداث العسكرية والسياسية، فتلك جزء لا يتجزأ من التاريخ. ولعل واقع التاريخ العسكري أصبح أكثر أهمية في ميدان الكليات الحربية والعسكرية.

ومن المعروف أن من ضمن ما يهتم به علم السياسة دراسة المؤسسات السياسية والهيئات الحكومية والنظريات والمعتقدات الأيديولوجية في مختلف البلدان الديمقراطية والشيوعية وأساليب الحكم. كما أن العلاقات الدولية ناحية من النواحي التي يعنى بها علم السياسة. فكل هذه الاهتمامات لعالم السياسة تمتزج مع اهتمامات المؤرّخ. ولا يفصل بين التاريخ الدبلوماسي والعلاقات الدولية ـ إذا أمكن فصلهما تماماً ـ إلاَّ الفترة الزمنية التي يتناولها الباحث. غير أن المؤرخ قد يفيد في هذا الميدان من دراسة أنماط التحليل والمنهجية عند عالم السياسة.

أما الدراسات الحقوقية فلها أيضاً ارتباط وثيق بالتاريخ، ولا يمكن مطلقاً إغفال أهميتها، فالحقوقي يدرس عادة القوانين اليونانية والرومانية القديمة، أو الدساتير والتشريعات الإنجليزية والفرنسية والأميركية. فهو يستفيد منها من النواحي القانونية وفي تطور القوانين والدساتير، في حين أن المؤرخ يوظف هذه التشريعات لدراسة التطور التاريخي وربطها بالأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي فرضت وضع هذه التشريعات أو تعديلها أو تطويرها أو إلغائها. ويكفي أن نسوق مثالاً حيّاً عن أهمية الدراسات والمجموعات القانونية كعلوم مساعدة في كتابة التاريخ. فمصادر التاريخ

الروماني مثلاً لا تكمن في الكتابات التاريخية أو في الآثار والنقوش والنقود وأوراق البردي فحسب، وإنما تكمن هذه المصادر أيضاً في القوانين والتشريعات الرومانية التي تبين أن لها أهمية بالغة في كتابة التاريخ، ومن بين هذه المجموعات القانونية الرومانية: القانون الروماني، المراسيم والدساتير الإمبراطورية، منشورات الحكام، قوانين التعيين، محاضر مجلس (السناتو) الشيوخ، قرارات السناتو، الفتاوى والتفسيرات القانونية، أحكام وقرارات القناصل والقضاة، المجموعات القانونية، الموسوعات القانونية، التشريعات[1]. . .

إن الدارس لهذه المجموعات القانونية يدرك مدى أهميتها للمؤرّخ، ذلك أنه لا يمكن مطلقاً فهم التاريخ الروماني وتطور أوضاعه السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية، دون الاعتماد على هذه المجموعات والتشريعات القانونية. فهي عنصر أساسي في كتابة تاريخ الرومان. . .

ونعطي مثالاً من تاريخنا العربي المعاصر. فمن المعروف أن الدستور اللبناني صدر في أيار (مايو) من عام ١٩٢٦. واستمر يعمل بهذا الدستور الذي وضعه الانتداب الفرنسي لغاية عام ١٩٤٣، حينما بادرت حكومة الاستقلال إلى إجراء بعض التعديلات الدستورية. واستمرت مواد الدستور قائمة فيما بعد، ولم يعدل فيها أي شيء يذكر باستثناء المادة الخاصة بانتخاب رئيس للجمهورية التي عدلت عام ١٩٧٦ بحيث أجيز للمجلس النيابي انتخاب رئيس للجمهورية قبل ستة شهور على تسلمه الرئاسة ولمرة واحدة استثنائية. واستمر هذا الواقع اللبناني يعاني من الدستور اللبناني وتشابك الصلاحيات بين الرئاسات الثلاث (رئاسة الجمهورية ورئاسة المجلس النيابي ورئاسة مجلس

(١) للمزيد من التفصيلات الوافية أنظر: د. عبد اللطيف أحمد علي: مصادر التاريخ الروماني، ص ٦٩ ـ ١٠٣.

الوزراء) مع مشكلات دستورية عديدة إلى أن تم الاتفاق بين النواب اللبنانيين في تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٩ على وثيقة الطائف التي أقرت وأصبحت دستوراً جديداً للبنانيين في إطار الوفاق والعدل والمساواة، ثم عُدل الدستور في عهد الرئيس إلياس الهراوي بهدف التمديد له حتى عام ١٩٩٨.

إن المؤرخ لتاريخ لبنان الحديث والمعاصر، لا يمكن مطلقاً إغفال دراسة القوانين اللبنانية وتطورها، ودراسة الدستور اللبناني منذ نشأته مع التعديلات التي أدخلت عليه، بما فيه دراسة مواد الدستور. لأن هذا الدستور مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي والطائفي للبنان، ومن هنا أهمية ربط دراسة التشريعات والقوانين والدساتير بدراسة التاريخ.

٢٤ ـ **علم الإجتماع**: إن علم الإجتماع بشكل عام يعتبر من العلوم المساعدة للتاريخ. وقد جرى البحث التاريخي على بذل اهتمام وفير بالتغيّر الاجتماعي ودراسة المجتمع. وبهذا فإنه يشمل ميدان علم الاجتماع، غير أن قصور المواد التاريخية التي يرجع إليها بعض المؤرخين وجريهم وراء مظاهر التغيّر الاجتماعي، مثل التغيير السياسي والحربي والديني، قد حوّلا اهتمام المؤرخين ـ أو بعضهم ـ عن الإطارات الاجتماعية العامة للمجتمعات الماضية. كما لا بد من الاعتراف بأن بعض المؤرخين الآخرين قد وفّقوا تماماً في توظيف مختلف العلوم المساعدة في كتاباتهم التاريخية، وأيقنوا ضرورة استخدام هذه العلوم في الوقت الذي رأوا فيه أهمية استخدامها لا سيما علم الاجتماع.

٢٥ ـ **الإعلام والاتصالات الحديثة**: إن أحداً لا يستطيع نكران ما للأعلام والاتصالات الحديثة من دور في عملية التأريخ. ولم تعد وسائل الإعلام قاصرة على إخبار المواطنين الأخبار أو البرامج التقليدية. بل بات الإعلام المعاصر (أقمار اصطناعية، تلفزيون، راديو، سينما، فيديو، صحافة. . .) وسيلة هامة واستراتيجية تهتم بمختلف جوانب الحياة السياسية

والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والرياضية والعلمية. وبواسطة الإعلام أصبح باستطاعتنا أن نجمع معلومات بسرعة تصنف في إطار التاريخ السياسي أو التاريخ الاقتصادي أو التاريخ الاجتماعي أو التاريخ العلمي وهكذا في كل ناحية أو زاوية من زوايا العلم والحياة.

واهتمت دول العالم بإنتاج برامج تاريخية إذاعية ـ أو تلفزيونية ومسلسلات حول الشخصيات أو الأحداث التاريخية البارزة في العالم، وهي برامج موثقة توثيقاً علمياً يمكن الاستفادة منها في مجال التاريخ. وكانت الجمعية التاريخية الأميركية من رواد إعداد البرامج الإذاعية التاريخية منذ ما قبل عام ١٩٣٥.

والصحافة المعاصرة تقدم عرضاً شاملاً للتاريخ المحلي أو العربي أو الدولي من خلال متابعتها يومياً للأحداث، وهي تعرض الأحداث للقاريء بعد أربع وعشرين ساعة على حصولها، في حين أن الأخبار تصل إلى مكاتبها مباشرة بعد حدوثها لاتصال تلكس هذه المكاتب بأجهزة تلكس وكالات الأنباء العالمية.

بينما نرى أن الأخبار الواردة في الإذاعة أكثر سرعة، ويمكن تأريخ الحدث بعد ساعة أو أقل على حدوثه. في حين أنه باستطاعتنا بواسطة الأقمار الاصطناعية معرفة ما يدور في العالم في حينه وفي وقت حدوثه. وقد باشرت محطات تلفزيون العالم والعالم العربي ولبنان، بالارتباط مباشرة مع تلك الأقمار لرؤية الحدث في حينه. علماً أنه جرى ابتداء من عام ١٩٩٠ تركيب «محطات التقاط» خاصة لبعض المواطنين في بيروت والمناطق اللبنانية، لالتقاط الأخبار والبرامج العالمية مباشرة. والأحداث العالمية اليومية أكثر من أن تحصى في هذا المجال[١]. وللدلالة على ذلك ما حدث إبان حرب الخليج

---

(١) لأول مرة في تاريخ لبنان وتاريخ المحطات التلفزيونية العاملة في لبنان، إرتبطت هذه المحطات مباشرة بمحطات الأقمار الإصطناعية العالمية، وذلك عند بدء حرب الخليج في فجر ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٩١، حيث كانت تبث مباشرة لساعات =

الثانية عام ١٩٩٠، وحرب الخليج الثالثة (العراق) عام ٢٠٠٣، وأحداث أيلول (سبتمبر) عام ٢٠٠١، وأحداث أفغانستان وحادثة اعتقال الرئيس المخلوع صداع حسين في ١٤ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٣، حيث استطاع المواطن في لبنان والعالم العربي والعالم الإطلاع على هذه الأحداث في حينه.

ويمكن أن نعتبر أن الأفلام الوثائقية المحفوظة في دور الوثائق المتعددة مثل أفلام الحرب العالمية الأولى، وأفلام مؤتمر فرساي ١٩١٩، وأفلام اجتياح هتلر لدول أوروبا، وأفلام الحرب العالمية الثانية، وأفلام عديدة لأحداث هامة في العالم بما فيه أفلام حرب حزيران (يونيه) ١٩٦٧ بين العرب والكيان الصهيوني، وحرب تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣، وأفلام الأحداث اللبنانية ١٩٧٥ ـ ١٩٩٠ وسواها، ليست هي في حقيقتها سوى أفلام وثائقية يمكن بواسطتها حفظ الوقائع التاريخية، بل والعمل مستقبلاً أو حالياً على التأريخ والتدوين لها. بل أكثر من ذلك، فإن المسح الجوي بواسطة الطائرات والأقمار الصناعية يجري قبل البدء في عمليات التنقيب الهامة عن الآثار. والواقع فإن كثيراً من مواقع الآثار الهامة تكتشف في أثناء الاستطلاع الجوي. كما أنه بالإمكان أخذ صور جوية للآثار التي يتم الكشف عنها بالحفر، وهذا يساعد بدوره على رسم صورة أكثر اكتمالاً ودقة للإنجازات في ميدان الدراسات القديمة والآثار[1].

٢٦ ـ الأنترنت Internet في عام ١٩٩٦ اعتبرت مجلة «الاكونوميست» (Economist) أن ثورة «الأنترنت» فاقت في أهميتها اكتشاف التلفون والتلفزيون. أما فيما يختص باشتقاق الاسم فهو مشتق من المصطلح

= طويلة ليلاً نهاراً، تتابع الأحداث لحظة بلحظة ودقيقة بدقيقة. وبذلك أمكن متابعة تطور الأحداث الخليجية في حينه.

(١) هاري إلمر بارنز: تاريخ الكتابة التاريخية، جـ ٢، ص ٢١٦ ـ ٢١٩.
أنظر أيضاً ـ عن أهمية الإعلام: الدكتور محمد منير سعد الدين: الإعلام (قراءة في الإعلام المعاصر والإعلام الإسلامي) دار بيروت المحروسة ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

التكنولوجي (Internet Transmission Control Protocol) (TCP - IP) أي (بروتوكول التحكم في النقل ـ بروتوكول انترنت) الذي يطلق على إحدى طرق التخاطب وتبادل المعلومات بواسطة الكمبيوتر. ويشكل «الأنترنت» أحد أشكال نظم المعلومات والاتصالات القابلة للتغيير والتعديل والحداثة في كل لحظة، نظراً لتوافر المعلومات في كل ثانية في كل أرجاء العالم. وهذه المعلومات والاتصالات يدخل في تركيبها ملايين الكمبيوترات بما فيها من معلومات وأجهزة تحكم وارسال واستقبال تعمل معاً. ونتيجة للأقمار الصناعية وللأنترنيت، فلم تعد الرقابة الحكومية مجدية، ولم تعد الحدود الجغرافية أو السياسية أو القومية تنفع، بل اخترقت تلك الأنظمة الحدود دون استئذان، وجعلت من العالم «قرية عالمية» (Global village).

وتعود البدايات الأولى لاستخدام الأنترنت إلى أوائل السبعينات، عندما اعتمدت هذا الأسلوب وزارة الدفاع الأميركية بواسطة شبكة اتصالات معتمدة على الكمبيوتر تسمى (Arp Anet) تم استحداثها لمساندة بحث عسكري حول كيفية إنشاء شبكات لا يمكن شلها بالانقطاعات التي قد تحصل في أجزاء منها أثناء الحروب، بل تقاوم مثل هذه الانقطاعات، وتبقى تعمل بشكل سليم.

والحقيقة فقد تطورت في بداية الثمانينات الشبكة المحلية المعتمدة على تقنية أنترنيت التي سهلت ربط أجهزة الكمبيوتر ببعضها البعض داخل مواقع العمل المحلية. وكانت معظم تلك الأجهزة مجهزة بإمكان التخاطب أيضاً بواسطة بروتوكول أنترنيت، مما ولّد الرغبة لدى المؤسسات بوصل شبكاتها المحلية بشبكة (Arp Anet) لأنها تغني عن الطريقة المتبعة في ربط الشبكات المحلية عبر أجهزة كبيرة مكلفة توضع في كل من تلك المؤسسات[١].

---

(١) للمزيد من التفاصيل راجع صحيفة «النهار» (بيروت) ١٩ نيسان (ابريل) ١٩٩٧.
راجع أيضاً: Your guide to the internet (Cyberia) 1996. أنظر أيضاً: نشرة جمعية المكتبات اللبنانية، المجلد الرابع العدد الثاني، شتاء ١٩٩٧ مقال بغدانة حجار: المكتبات الجامعية، المكتبيون والأنترنت.

وفي أواخر الثمانينات قامت مؤسسة العلوم القومية (NSF) (National Sciences Foundation) بتوسيع شبكتها بأحداث خمسة مراكز اقليمية لأجهزة الكمبيوتر العملاقة في الولايات المتحدة الأميركية من أجل إتاحة موارد أسرع لأجهزة الكمبيوتر في العالم للبحوث الأكاديمية. وفي البدء كانت الشبكة مخصصة لتبادل المعلومات بين مراكز الأبحاث العلمية الأكاديمية في الولايات المتحدة الأميركية، غير أن الشركات التجارية الكبرى أدركت فيما بعد مدى أهمية الأنترنيت، وبدأت بتقديم خدماتها على الشبكة الدولية مما أسهم في توسيع انتشارها إلى أن وصلت إلى حجمها الراهن.

ومن الأهمية بمكان القول، أن شبكة الأنترنيت هي شبكة عالمية واسعة لا يملكها طرف واحد، وتتصل بها عشرات الآلاف من الشبكات الأخرى، وهي تؤمن تطلعات الإنسان المعاصر والباحثين والعلماء بدءاً بالبريد الالكتروني (E. Mail) إلى تجمعات الأخبار، ثم (W.W.W) أي (The World Wide Web).

هذا، ويستثمر ملايين من المستخدمين الأنترنت بغية الاتصال بالبريد الالكتروني (E. Mail) غير أن خدمة البريد الالكتروني ليست هي سوى جزء صغير جداً إذا ما قيست بقدرات الانترنت التي يمكن أن يقدمها للمشتركين، ذلك أنه باستطاعة المشترك الاتصال بآلاف المؤسسات العلمية، وآلاف المكتبات ، والهيئات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والمراكز التجارية والاعلامية و. . . كما يمكن المشترك الاتصال ببنوك المعلومات المتخصصة، وأن ينسخ الملفات التي يحتاجها أو أن يصورها بواسطة (Printer)، ويتم تزويد المستخدم أو المشترك بمصادر الانترنت (معلومات وخدمات) خلال جهاز كمبيوتر مضيف (Host Computer) وهو ما نطلق عليه اسم «مخدم» (Server). والمخدم هو النظام المعلوماتي الذي يحتوي على معلومات مثل البريد الالكتروني، قواعد البيانات، ملفات، نصوص، وفي المقابل فإن المشترك يحقق الوصول إلى هذه المصادر والمعلومات عبر برامج الزبون ـ المشترك

الذي يستخدم (TCP/IP) مثلاً لتسلم المعلومات المطلوبة على النحو الملائم، ونظراً لأهمية نظام الانترنت فإن عدد المشتركين بلغ عام ١٩٩٣ نحواً من مليون مشترك. ثم بات عشرات الملايين، ومن المتوقع أن يبلغ عدد المشتركين عام (٢٠٠٤) عدة ملايين من المشتركين من كافة أنحاء العالم. ويقدر معدل النمو وزيادة المشتركين بين ١٠ ـ ٢٠٪ شهرياً.

وبعد كيف يمكن للمؤرخ وللباحث في ميدان التاريخ الاستفادة من نظام الانترنت؟

لا بد في البدء من أن يمتلك الباحث أو الجامعة كمبيوتر مرتبط به هاتف، على أن يوضع آلة (Modem) في الكمبيوتر أو في خارجه، ومن خلالها يتم الاتصال بالمكتبات المحلية أو الاقليمية أو الدولية للحصول على المعلومات والوثائق التاريخية دون عناء السفر. ولا بد أيضاً من الاشتراك في احدى شركات الأنترنت حيث ينال المشترك رقماً سرياً للجهاز، وعند فتح شبكة الأنترنت من خلال الكمبيوتر، يتم طلب رقم المكتبة، أو الصحيفة، أو المؤسسة، حيث يتم تأمين المطلوب. كما بإمكان المشترك أن يطلب عناوين وأسماء المكتبات في العالم، فيطلب مبتغاه من خلال هذا المحتوى (INDEX)، وتطلب الأحرف (W.W.W) ثم رقم المكتبة (مكتبة الكونغرس مثلاً)؛ ويتم طلب البحث أو الدراسة أو الموضوع في مجال الدراسات التاريخية، أو سواه من الموضوعات المطلوبة.

بالإضافة إلى ذلك، فإن باستطاعة الباحث بواسطة الانترنت الحصول على ما يلي:

١ ـ إمكان ارسال فاكس عبر الانترنت.

٢ ـ التخاطب مباشرة مع مشتركين آخرين مع إمكانية استماع الصوت ورؤية الصورة.

٣ ـ التسوق وعقد الصفقات، واختيار الكتب أو السلع من المحلات، والدفع عبر بطاقة الاعتماد.

٤ ـ الاطلاع على ملايين الملفات التاريخية والعلمية.

٥ ـ تبادل الرسائل مع ملايين وعشرات الملايين من المشتركين في دول العالم.

٦ ـ الاطلاع على معلومات خاصة عن منظمات، أفراد، مؤسسات، حكومات، مئات الآلاف من الموضوعات.

٧ ـ رؤية المناقشات والمساجلات والندوات.

٨ ـ قراءة الصحف، المجلات، ورؤية التلفزيون.

٩ ـ طلب ملفات أو صور خاصة.

١٠ ـ قراءة أو تصوير أي موضوع والاحتفاظ به في جهاز الكمبيوتر.

١١ ـ بالامكان استئجار صفحة (Page) من احدى شركات الأنترنت، ووضع معلومات خاصة عن المشترك، أو عن مؤسسته، أو عن مؤلفاته، أو منتجاته، أو نشاطاته.

هذا، وإذا صودف وجود ازدحام على خطوط الانترنت، فبإمكان المشترك الانتظار بعض الشيء، أو الاتصال ثانية في الموعد المناسب (في الليل مثلاً). وفي حال الاتصال والعمل على شبكة الأنترنت فإنه يتعذر على أحد الاتصال برقم هاتفك باعتباره مشغولاً في هذه الفترة، غير أنه أمكن أخيراً تجاوز هذه المعضلة بواسطة التقنيات الحديثة والاشتراك مع خطوط خاصة لدى الدولة أو شركات في الدولة.

والحقيقة فإن من أهم طموحات الباحثين والمؤرخين وطلاب الدراسات العليا، الوصول إلى الوثائق والتقارير السرية الدبلوماسية والقنصلية المودعة في

وزارات الخارجية البريطانية والفرنسية والالمانية والإيطالية والنمساوية والروسية والأميركية وسواها، وذلك بواسطة الأنترنت، وقد اعتمدت بعض الدول هذا النظام مما يسمح بنشره والاطلاع عليه، على غرار الولايات المتحدة الأميركية، مما يوفر على الباحثين ليس عناء السفر، وتوفير المال فحسب، وإنما الاطلاع على أكثر من وجهة نظر، مما يعمق الدراسات التاريخية ويفعّل البحوث العلمية، ويزيد موضوعية هذه الدراسات، ويرفع من مستواها. وقد استطعت مؤخراً من الحصول على عدة وثائق أميركية وبريطانية غير منشورة بواسطة نظام الأنترنت.

الفصل الرابع

قواعد وأساليب ومناهج
تحقيق المخطوطات العربية

١ ـ تعريف المخطوط:

المخطوط أو المخطوطة لغة هي كل الوثائق أو الكتب القديمة التي كتبت وخُطت بخط اليد بواسطة المؤلف أو الناسخ، حيث لم يكن في العصور الغابرة قد اكتشفت المطابع. ومن هنا أهمية المخطوطة لوجود نسخة وحيدة عند مؤلفها التي قد يهديها إلى الخليفة أو السلطان في الممالك الإسلامية، أو للملك أو للأمبراطور في الممالك الأوروبية. وقد جرت العادة أن يأمر الحاكم مجموعة من النساخ بنسخ عدد من هذا المخطوط خاصة إذا أعجبه موضوعها ومضمونها، وذلك لضمان حفظها، أو لإهداء نسخة منها إلى الملوك أو الأباطرة أو السلاطين في الممالك الأخرى.

من هنا نعلم مدى صعوبة الحصول على أكثر من نسخة من المخطوطات القديمة التي ما يزال العالم يعاني حتى الآن، إما من فقدان جميع نسخها، أو وجود نسخة فريدة واحدة فقط في مكتبة ما في العالم. والأمر الملاحظ أيضاً أن المدقق أو المحقق يرى أحياناً بعض الفوارق ما بين النسخة الأصلية ونسخة أخرى نسخت عنها، أو ما بين مخطوط منسوخ ومخطوط منسوخ آخر. ومرد ذلك إلى أخطاء أو قصور في النقل أثناء النسخ أو نتيجة لإيضاحات مقصودة من

الناسخ على نسخته حيث يضع معلومات إضافية في الحواشي أو الهوامش.

وقد بدأت المخطوطات تعرف في العالم منذ أن اكتشف الإنسان الحرف، وتعلم القراءة والكتابة فكتب في الشؤون الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وسائر الأمور، إما على جلود الحيوانات أو على ألواح طينية أو على أوراق البردي، إلى أن تم اكتشاف الورق فبدأ الكتبة والنساخ باستخدامه، وهذا ما حدث في مناطق عديدة من العالم، في الصين واليابان وفي أوروبا وفي العالم الإسلامي، غير أن أهم الشعوب التي تميزت بكثرة كتاباتها المخطوطة هم العرب الذين تعرفوا إلى حضارات الشعوب القديمة، كما كانت لهم إسهامات عديدة في الميدان الحضاري. هذا وقد وجدنا مخطوطات للعلماء المسلمين والعرب في ميادين الطب والصيدلة والعمارة والرياضيات والهندسة والتقويم والفلك والفيزياء والكيمياء والموسيقى، وفي التاريخ والجغرافيا، وفي السيرة النبوية، وفي أنظمة الحكم وفي نشوء المدن والإدارة وسواها من مخطوطات عديدة الموضوعات.

والحقيقة فإن العرب لم يتركوا علماً من العلوم إلاّ وكتبوا مخطوطات في موضوعاته بحيث باتت الحضارة العربية والإسلامية من أغنى الحضارات في العالم في مجال التراث العلمي والأدبي والثقافي، فقد بلغت عدد المخطوطات العربية الملايين بالرغم من أن مئات الآلاف منها قد أحرق أو أغرق أو اندثر لأسباب تتعلق بظروف الحروب والفتن الداخلية وموجات الغزوات الخارجية على غرار ما حدث أثناء الغزو المغولي البربري للأمصار العربية والإسلامية.

ويكفي أن نعطي نموذجاً واحداً متمثلاً بحرق المغول لمكتبة بغداد الزاخرة في العهد العباسي، وإلقاء مئات الآلاف من المخطوطات في الشوارع والأنهار وقد قيل: إن نهر دجلة قد تحول لونه إلى لون الحبر، بسبب كثرة المخطوطات التي ألقاها المغول فيه.

ومن الأهمية بمكان القول إن المخطوطات العربية والإسلامية بما تميزت

به من مستوى علمي راق دعا الدول الاستعمارية في التاريخ الحديث والمعاصر إلى نهب هذه المخطوطات ونقلها إلى مكتبات أجنبية، وما تزال هذه المكتبات حتى اليوم تزخر بعدد وفير من المخطوطات العربية سواء في فرنسا أو إنجلترا أو إيطاليا أو البرتغال أو إسبانيا أو روسيا، وأيضاً الولايات المتحدة الأميركية والدولة العثمانية. وقد أَسهم المستشرقون الذي زاروا المناطق العربية لا سيما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في نقل هذا التراث الإسلامي إلى مكتبات الغرب، ولا بدّ من الإشارة إلى أن بعض المستشرقين كان لهم دور علمي بارز في مجال حفظ هذه المخطوطات وحفظ التراث الإسلامي، ومن ثم نشر بعض هذه المخطوطات وتحقيقها.

ولا يعني هذا أن العالم العربي يفتقر الآن إلى المخطوطات، بل إن المكتبات العربية ومراكز المخطوطات ما تزال تضم بين ثناياها العديد من المخطوطات، وقد أنشأت بعض الدول العربية مراكز خاصة لحفظ هذه النوادر من المخطوطات يأتي في مقدمتها: مركز المخطوطات العربية في القاهرة التابع لجامعة الدول العربية، كما يوجد مركز آخر في الكويت يهتم بحفظ وتصوير المخطوطات. أضف إلى ذلك أنه توجد في المكتبات والمراكز العلمية العربية مخطوطات عديدة لا سيما في القاهرة ودمشق وبيروت والقدس وعَمّان والدار البيضاء والكويت وتونس وبغداد، والرباط، وسواها من العواصم والمدن والجامعات العربية. ومن أهم الدول الإسلامية التي تحتفظ بعشرات الألوف من المخطوطات إيران وتركيا ومصر.

٢ ـ فهارس المخطوطات:

ونظراً لكثرة المخطوطات العربية في العالم العربي فقد اهتم الدارسون وأمناء المكتبات بإصدار فهارس عديدة متخصصة في المخطوطات حيث تضمنت هذه الفهارس أسماء المخطوطات وأسماء مؤلفيها وأماكن حفظها في المكتبات العامة، وفي مراكز التوثيق والمخطوطات، وبلغت بعض هذه

الفهارس من الأهمية أن صدر بعضها مصنفاً حسب كل علم، منها؛ فهرسة المخطوطات الطبية، أو فهرسة المخطوطات التاريخية أو الجغرافية أو الأدبية وغيرها من الفهارس المتخصصة في مختلف العلوم. علماً أن بعض الفهارس الخاصة بمكتبة ما أو مركز ما، ضمت أسماء المخطوطات التي تبحث في مختلف العلوم، ومن بين الفهارس المهتمة بالمخطوطات العربية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر الفهارس التالية:

١ ـ الدليل البيبلوغرافي للقيم الثقافية العربية ـ نشر بالتعاون بين منظمة اليونسكو ومركز تبادل القيم الثقافية في القاهرة عام ١٩٦٥م.

٢ ـ إسماعيل باشا بن محمد الباباني البغدادي: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، المكتبة الإسلامية والجعفري تبريزي طهران ١٣٧٨هـ. (أنظر أيضاً طبعة بغداد).

٣ ـ حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. (مجلدان)، مكتبة المثني بغداد (لا تاريخ).

٤ ـ طاش كبرى زاده: مفتاح السعادة ومصباح السيادة (٣ أجزاء)، مراجعة وتحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور، دار الكتب الحديثة القاهرة ١٩٦٨.

٥ ـ فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية (٩ أجزاء) مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة (١٩٢٦ ـ ١٩٥٩م).

٦ ـ فهرس مكتبة صاحب السمو المغفور له الأمير إبراهيم حلمي ـ مكتبة الجامعة المصرية مطبعة بول باربيه ١٩٣٦.

٧ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (علم التاريخ وملحقاته) وضع: يوسف العش، مطبوعات المجمع العلمي العربي في دمشق ١٣٦٦هـ. ١٩٤٧.

٨ ـ فهرس الخزانة التيمورية (٤ أجزاء) دار الكتب المصرية ١٩٤٨ ـ ١٩٥٠.

٩ ـ فهرس المخطوطات العربية (المحفوظة في الخزانة العامة برباط الفتح في المغرب الأقصى) جمع: ي. س. علوش، عبد الله الرجرجي، المكتبة الشرقية والأميركية ـ باريس ـ ١٩٥٤.

١٠ ـ فهرس المخطوطات المصورة، جامعة الدول العربية، وضع فؤاد سيد، معهد المخطوطات العربية ١٩٥٤ ـ ١٩٧٠.

١١ ـ فهرس المخطوطات العربية (٣ أجزاء) وضع فؤاد سيد، مطبعة دار الكتب القاهرة ١٩٦١ ـ ١٩٦٣.

١٢ ـ فهرس المخطوطات العربية، وضع د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد ـ بيروت ١٩٦٩.

١٣ ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (دمشق). جمع: محمد ناصر الدين الألباني ومجمع اللغة العربية، دمشق ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م. (وهناك عدة فهارس أخرى من مخطوطات المكتبة الظاهرية).

١٤ ـ فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد، وضع عبد الله الجبوري ـ مطبعة الإرشاد بغداد ١٩٧٤.

١٥ ـ فهرس أقدم المخطوطات العربية في مكتبات العالم، وضع كوركيس عواد، وزارة الثقافة والاعلام بغداد ١٩٨٢.

١٦ ـ فهرس الخزانة العلمية الصبيحية (بسلا) وضع: د. محمد حجي، منشورات معهد المخطوطات العربية، الكويت ١٤٠٦هـ. ١٩٨٥م.

١٧ ـ فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت، وضع: د. يوسف خوري، بيروت ١٩٨٥ (مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الأوسط ـ الجامعة الأميركية في بيروت).

١٨ ـ معجم المطبوعات العربية (منذ ظهور الطباعة إلى ١٣٣٩هـ). وضع: يوسف الياس سركيس، مطبعة سركيس ـ مصر ١٣٤٦هـ. ١٩٢٣.

١٩ ـ مجموعات مخطوطة في مكتبات إسطنبول جمع: د. طه محسن، معهد المخطوطات العربية، الكويت ١٤٠٦هـ. ١٩٨٥م.

٢٠ ـ نوادر المخطوطات: (٨ أجزاء) وضع عبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٣٧٠هـ. ١٩٥١م.

٢١ ـ نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا، وضع: د. رمضان شِيشِن دار الكتاب الجديد ـ بيروت ١٩٧٥.

٢٢ ـ فهرس المخطوطات: مخطوطات مكتبة المعهد العالي للدراسات الإسلامية، جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت ١٩٩٢.

٢٣ ـ فهرس وكتاب المخطوطات العربية في الاتحاد السوفياتي (دار التقدم ـ موسكو ـ صدر بالعربية ١٩٦٣ بالروسية ١٩٤٨).

٢٤ ـ فهرس مخطوطات المكتبة العامة في دار الفتوى في الجمهورية اللبنانية، إعداد: خديجة الجابي ـ بيروت ١٩٩٩.

وهناك العديد من الفهارس الأخرى، ومن المخطوطات التي وردت على سبيل المثال في كتاب ابن النديم: الفهرست، وفي كتاب: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، لابن أبي أصيبعة، وفي كتاب الفهرست للطوسي، كما ورد ذكر الآلاف من المخطوطات في كتب الطبقات والأعلام والتاريخ والمدن والجغرافية والمسالك والممالك، وفي مختلف المصادر العربية القديمة.

ومن الأهمية بمكان القول، إن هناك العديد من المخطوطات العربية ما تزال مودعة في مختلف المناطق العربية والأجنبية في ثنايا المكتبات الخاصة التي تتناقلها الأيدي، وتتوارثها من جيل إلى جيل، وهي تبحث في مختلف العلوم كما سبق أن أشرنا. لذا لا يمكن تصنيف هذه المخطوطات، لأنها تقع

ضمن المكتبات الخاصة لبعض الباحثين، أو العلماء، أو تقع ضمن مجموعة هواة جمع المخطوطات. غير أنه تمّ في سنوات سابقة، وفي بعض الدول العربية أو الأجنبية وبرعاية رسمية تصنيف المكتبات الخاصة المميزة، على غرار التصنيف الذي جرى للمكتبة التيمورية، ولمكتبة صاحب السمو الأمير إبراهيم حلمي عام ١٩٣٦ في القاهرة. وفي السنوات الأخيرة عكفت الجامعة الأردنية على الاهتمام بنشر فهارس متعددة ومتنوعة عن المخطوطات الموجودة في فلسطين وفي الأردن. كما أصدرت الجامعة الأردنية بيبلوغرافيا وفهارس عن سجلات المحاكم الشرعية وسجلات الأوقاف الإسلامية في بلاد الشام.

والحقيقة فإن علماء أوروبا اهتموا جداً بفهرسة المخطوطات العربية، وكان أول فهرس صدر في أوروبا هو فهرس «مخطوطات فلورنسا» في إيطاليا، وضعه الراهب اللبناني اسطفان عواد السمعاني عام ١٧٤٨. ثم توالت فهرسة المخطوطات العربية في أعوام ١٧٥٦، ١٧٦٠، ١٧٧٨، وتوالى إصدار مثل هذه الفهارس في القرن التاسع عشر والقرن العشرين.

هذا وقد حرص «مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية» في إسطنبول التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي على إصدار عدد من الدراسات، والكتب البيبلوغرافية لمساعدة الباحثين، وتمكينهم من الوصول إلى المخطوطات والوثائق الخاصة بالتاريخ العثماني.

ومن بين هذه الدراسات على سبيل المثال: دراسة أطلق عليها اسم «الأرشيف العثماني» وهو فهرس شامل لوثائق الدولة العثمانية المحفوظ بدار الوثائق التابعة لرئاسة مجلس الوزراء في إسطنبول. وقد أعد هذا الفهرس الباحثين: نجاتي أقطاش وعصمت بينارق، وقام بتعريبه صالح سعداوي صالح، وأشرف على إصداره مدير مركز الأبحاث د. أكمل الدين إحسان أوغلي.

كما أصدر مركز الأبحاث التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي «فهرس

مخطوطات مكتبة كوبيريللي» في ثلاثة مجلدات. وقد أعد هذا الفهرس الدكتور رمضان شيشن وزملاء له في إسطنبول عام ١٤٠٦هـ. ١٩٨٦م. وحرص المركز نفسه على إصدار «الفهرس الموحد للصحف والمجلات المطبوعة بالحروف العربية في مكتبات إسطنبول ١٨٢٨ ـ ١٩٢٨». وقد أعد هذا الفهرس حسن دومان وقدم له الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلي، وصدر في إسطنبول عام ١٤٠٦هـ. ١٩٨٦م.

والجدير بالذكر أنه لا يمكن إغفال أهمية الكتب الببيلوغرافية التي تعرفنا إلى أماكن وجود المخطوطات وأسمائها. فهناك كما سبق أن ذكرنا ببيلوغرافيا خاصة عن المخطوطات ووثائق المكتبة الظاهرية في دمشق، وعن مخطوطات ووثائق أرشيف قصر عابدين والقلعة في القاهرة، وفهرس معهد المخطوطات في القاهرة، وفهرس المخطوطات العربية في الهند، وفهارس عديدة لا حصر لها.

كما يصدر «معهد المخطوطات العربية في الكويت» نشرة دورية تحت عنوان «أخبار التراث العربي» التي تتضمن معلومات عن المخطوطات التي صورها المعهد ووضعها بتصرف الباحثين. وكان المعهد ذاته قد أصدر في عام ١٩٨٦ «فهرس مخطوطات الأدب» المصورة والمحفوظة في المعهد في الكويت. وقد أعد هذا الفهرس الأستاذ عصام الشنطي، وراجعه مدير المعهد الدكتور خالد عبد الكريم جمعة. وتوجد أيضاً فهارس للمخطوطات صادرة عن مراكز المخطوطات في بغداد وتونس واسطنبول وطهران والقاهرة ولندن وباريس وموسكو وواشنطن. والحقيقة فإن الاطلاع على هذه الفهارس تخفف كثيراً من معاناة الباحث في إطار البحث والتنقيب، إذ باستطاعته إذا احتاج إلى مخطوطة أن يراسل المعهد أو المركز فيتم تصويرها له، وإرسالها بالبريد إذا لم يكن لدى الباحث نية أو قدرة على السفر إلى الخارج.

ومن الأهمية بمكان القول إن بعض الدول عمدت إلى تنظيم مؤتمرات

خاصة لعلم المخطوطات الإسلامية، كما عمدت بعض المراكز إلى الدعوة لعقد مثل هذه المؤتمرات، ومنها على سبيل المثال: المؤتمر الذي عقد في لندن بتنظيم من مؤسسة «الفرقان للتراث الإسلامي».

ففي عام ١٩٩٣ عقد المؤتمر السنوي الثاني، وشارك فيه عدد من الباحثين العرب والأجانب قدموا خلاله بحوثاً مهمة حول الأمور المرتبطة بالمخطوطات الإسلامية. وقد جمعت هذه البحوث والدراسات وصدرت في كتاب عام ١٩٩٥ تحت عنوان «علم المخطوط الإسلامي» وتضمن هذا الكتاب دراسات اهتمت بموضوع «البرديات العربية» وموضوع آخر حول «استخدام الرق في المخطوطات الإسلامية». بالإضافة إلى استخدام الأحبار (حبر القلم) في المخطوطات. كما قدم في المؤتمر بحث مهم حول «الجانب الفيزيائي من المخطوطات». وهناك دراسة حول ظاهرة المخطوطات مجهولة المؤلف، ودراسة أخرى تحت عنوان «مظاهر الإجازة في المخطوطات العربية». كما قدمت في المؤتمر دراسة حول «التغييرات في ثقافة المخطوط عند الشهود العدول في المغرب».

وفي هذا الإطار ونظراً لأهمية المخطوطات ينبغي الإشارة إلى أن أقدم مؤسسة اهتمت بالتراث الإسلامي والمخطوطات الإسلامية كانت (دار بريل) في لايدن في هولنده، وذلك منذ عام ١٦٨٣، وهي إحدى أقدم دور النشر في العالم، ومعظم إصداراتها له صلة بالعلوم الإنسانية والدراسات التاريخية والدينية. وهذه الدار معروفة بمطبوعاتها عن الإسلام وحضارات وشعوب الشرق. وقد أصدرت في الفترة الأخيرة في كتب مطبوعة بعض المخطوطات متنوعة التخصصات منها:

١ ـ عالم ابن طفيل، دراسات متنوعة عن «حي بن يقظان» من إعداد: لورانس كونراد.

٢ ـ مخطوط عن سيبويه، تأليف وإعداد: جنفيان هندبرت.

٣ ـ الديانة اليهودية والتوراة، بقلم كتاب مسلمين من ابن ربن إلى ابن حزم، إعداد: كميلة أدانغ.

٤ ـ ألف ليلة وليلة من إعداد: محسن مهدي.

٥ ـ جذور الفكر الاقتصادي والإسلامي، تأليف: محمد ياسين أسير.

٦ ـ الموسوعة الإسلامية المصغرة حول الدين والشريعة، من إعداد: جب وبرعاية الأكاديمية الملكية الهولندية.

٧ ـ ابن الجزار عن الأمراض التناسلية، إعداد: غريت بوس، وهو في الأصل كتاب «زاد المسافر».

٨ ـ خفايا وأسرار، دراسات في تاريخ الديانات في البحر المتوسط والشرق الأدنى، إعداد: هانز كيبرغ.

٩ ـ تاريخ المماليك في عهد الناصر محمد بن قلاوون، إعداد: أماليا أيقينوا.

١٠ ـ أشعار وحكايات من وسط الجزيرة العربية، إعداد: مارسيل كوبيشوك.

١١ ـ مراكز التعليم في أوروبا، إعداد: دايان ديفيز وماكدونالد.

١٢ ـ طبوغرافية الذاكرة في وادي الرافدين، إعداد: جيردين يونكر.

١٣ ـ مكتشفات البحر الميت، وهي مجلة جديدة تصدر عن (دار بريل) للنشر، وتعني بمكتشفات البحر الميت فقط.

١٤ ـ مجلة العالم الإسلامي، وهي تعني بتاريخ وثقافة الشعوب الإسلامية منذ نهاية القرن الثامن عشر حتى التاريخ المعاصر، وهي تصدر باللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية وتوزع على نطاق واسع.

إن أهمية المخطوطات في دراسة التاريخ العربي والإسلامي خاصة، والتاريخ العام عامة، لا يمكن التنكر لها لما تضيفه من إضافات جديدة،

ومعلومات قيّمة تبحث في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والعسكري لعصر من العصور. ومن المخطوطات العامة التي تمّ نشرها وتحقيقها بين القرنين التاسع عشر والعشرين العديد من المخطوطات التي أسهمت إسهاماً فاعلاً في نشر التراث العربي والإسلامي، وفي إعطاء معلومات قيّمة تنشر للمرة الأولى، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: مقدمة ابن خلدون وموسوعته ديوان المبتدأ والخبر، وموسوعة الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ومخطوط ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، ومخطوط البلاذري: فتوح البلدان، البيهقي: تاريخ البيهقي، ومخطوط كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ، كتاب رحلة ابن جبير، رحلة ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار، والمقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ومخطوط ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)، ومخطوط الماوردي: الأحكام السلطانية، وهناك المئات من المخطوطات التي تتعلق بتاريخ العلوم عند العرب، وبالفقه والعقيدة، والتاريخ والجغرافيا، والطب والهندسة والفلك، تمّ نشرها تباعاً سواء بواسطة المستشرقين أو المحققين العرب، الأمر الذي أعطى صورة واضحة عن الحضارة الإسلامية وعن تاريخ العرب والمسلمين في مراحل متعددة من التاريخ الإسلامي الأول، أو التاريخ الوسيط، أو التاريخ الحديث الذي نشرت حوله مخطوطات عديدة تتعلق بفترة التاريخ الحديث منها على سبيل المثال: كتاب الشيخ عبد الغني النابلسي: الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى مصر والشام والحجاز، وكتاب أبي المحاسن: الرحلة الطرابلسية، ومخطوط تاريخ بيروت لصالح بن يحيى، وكتاب محمد عبد الجواد القاياتي: نفحة البشام في رحلة الشام، وكتاب الأمير محمد علي: الرحلة الشامية، وكتاب عبد الرحمن سامي بك: القول الحق في بيروت ودمشق. بالإضافة إلى المخطوطات المتعلقة بتاريخ الأمير فخر الدين المعني الكبير، وبتاريخ الأمير حيدر الشهابي، والأمير بشير الشهابي الكبير، وبتاريخ القائمقاميتين، وتاريخ متصرفية جبل لبنان، بالإضافة إلى مخطوطات

عربية هامة تتعلق بعهد محمد علي باشا، وبالقائد أحمد عرابي، والسلطان عبد الحميد الثاني، وسعد زغلول، وطلعت حرب، وأنور السادات، والحاج أمين الحسيني، والشريف حسين، والملك عبد الله، أو الملك حسين بن طلال، وسواهم الكثير. وهناك العديد من المخطوطات المتعلقة بالتاريخ الحديث كان لها أبعد أثر في كشف غوامض عديدة من التاريخ وأسراره ما تزال غير منشورة.

ومن الأهمية بمكان القول، إن المخطوطات لا تكمن أهميتها في نشرها فحسب، وإنما في تحقيقها وتبويبها وفهرستها وتنظيمها تنظيماً علمياً، أو بمعنى آخر تهذيبها، لأن هذا الأسلوب العلمي هو الذي يؤدي إلى الغرض الحقيقي من نشر التراث. ولا بد من الإشارة إلى أن لتحقيق المخطوطات قواعد وأساليب لا بد من أن يتصف المحقق بصفات علمية تساعده في تبيان الغرض العلمي في نشر التراث المتمثل بالمخطوطات.

وهكذا يلاحظ من خلال دراستنا لمراكز الوثائق والمخطوطات، ومن خلال دراستنا لما تضمه من مستندات تاريخية ووثائق ومخطوطات، أنه لا يمكن الاستغناء عن هذه الأصول التاريخة، سواء للباحثين أم لطلاب الدراسات العليا (دبلوم ـ ماجستير ـ دكتوراه) لأنها تعتبر عاملاً أساسياً في إغناء البحوث العلمية، ولأنها تسلط الأضواء على جوانب عديدة من تاريخ لبنان أو العالم العربي أو العالم، وبواسطتها يمكن إماطة اللثام عن أسرار وخفايا لا يمكن بدونها التوصل إليها. فضلاً عن ذلك، فإن البحث أو الرسالة أو الأطروحة التي تعتمد على وثائق ومخطوطات غير منشورة تعطي الدراسة طابعاً جدياً وعلمياً وغير تقليدي، وهذا ما تحرص عليه الجامعات في دول العالم، وما يحرص عليه طلاب العلم، والأساتذة المشرفين على رسائل وأطروحات الدراسات العليا. وبمعنى آخر فإن المخطوطات غير المنشورة، تتكامل في أهميتها مع الوثائق والمستندات غير المنشورة، بحيث تعطي الدراسات التاريخية بعداً علمياً مبتكراً.

٣ ـ تحقيق المخطوطات والوثائق المخطوطة:

الوثيقة ـ أهميتها، تزويرها، التحقق من صحتها:

لقد ذكر بأن التاريخ هو علم الوثائق يستقرئها المؤرخ ويحللها للتوصل إلى وقائع تشتمل عليها. فالوقائع كائنة في «الوثائق» (Documents) وهي تفرض ذاتها بذاتها قبل كل تفسير، ومتى ضاعت الوثائق ضاع التاريخ. فالمعالجة التاريخية لا تقوم على التحليل فحسب، بل تجري بوجود الوثائق والمسجلات (Records) والمستندات اللازمة. ولهذا فقد قال المؤرخ الفرنسي «سينوبوس» (Seignobos) «لا تاريخ بغير وثائق»، في حين يرى البعض بأنه يجب عدم تقديس الوثيقة لأنه إذا ما تفحصنا بدقة الوثائق نرى أن ما من وثيقة بوسعها أن تخبرنا أكثر مما أراد لها محررها. ويقول المؤرخ «إدوار كار» في كتابه «ما هو التاريخ؟» إن الوثائق والحقائق هي أدوات أساسية بالنسبة للمؤرخ ولكن «تجنب أن تجعلها معبوداً» فهي لا تشكل التاريخ بحد ذاتها، إلاّ أنها تعطي في ذاتها جواباً غير جاهز عن السؤال المتعب: ما هو التاريخ؟ ونحن نسأل بدورنا ما هي الوثيقة؟

إن كلمة «وثيقة» (document) مشتقة من الأصل اللاتيني (doceré) بمعنى «يعلم». وقد استخدمها اليونانيون منذ القدم في معان كثيرة، وقد عمد البعض في أوروبا لا سيما في العصور الوسطى إلى تزوير بعض الوثائق الكنسية ووثائق الأديرة، لتحقيق مآربهم السياسية. وأهمها عملية التزوير المعروفة باسم «هبة قسطنطين» (Donation of Constantine) وقد وقعت في القرن الثامن الميلادي بواسطة أحد رجال الكنيسة المؤيدين لقسطنطين، وقد خولت الوثيقة المزورة للامبراطور السلطة السياسية على جميع قطاعات إيطاليا خلافاً للواقع. بالإضافة إلى ذلك، فقد ظهرت في بعض البلدان الأوروبية قديماً وحديثاً بعض المذكرات المزورة التي زعم أنها لهذا القائد أو الملك أو لذاك، وبينها رسائل مزورة للملكة ماري أنطوانيت، والمراسلات المزورة بين «إبراهام لنكولن»

(Lincolin) و «آن روتلدج» (Ann Rutledge) التي انطلت على مجلة إطلانتيك الشهرية (Atlantic Monthly) في العام ١٩٢٨. ولعل ظُهور مذكرات مزورة عام ١٩٨٣ للزعيم الألماني «أدولف هتلر» (A-Hitler) ونشرها في الصحف الألمانية والأوروبية، ومن ثم إصدار الحكم على ناشرها المزور بالسجن ثلاث سنوات، هو أكبر دليل على استمرار عمليات التزوير التاريخية.

ولا بدّ من أن نشير أيضاً، أنه خلال الحرب اللبنانية ١٩٧٥ ـ ١٩٩٠، ظهرت العديد من الوثائق من بعض الأطراف ووزعت بين المواطنين، حامت الشكوك حول صحتها، وقيل إنها طبعت حديثاً ونشرت لتأكيد وجهة نظر الأطراف المتصارعة في حالة سياسية معينة. هذا وقد عالج العلاّمة محمد جميل بيهم وحقق في بعض الوثائق المزورة العائدة لعهد الأمير فخر الدين الثاني مفنداً أسباب ومظاهر التزوير في تلك الوثائق[١]. وفي هذا الإطار يمكن أيضاً اعتبار الكتب المنسوبة إلى يوليوس قيصر وإلى نابليون الأول أو سواهما من وسائل التزوير التاريخي.

أ ـ الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا تزوران وثائق لتبرير احتلال العراق:

منذ اجتياح العراق للكويت صيف عام ١٩٩٠، والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والدول الأوروبية بشكل عام، تود الاقتصاص من العراق، لهذا فقد فرضت عليه الأمم المتحدة قراراً بالعزل السياسي والاقتصادي والاجتماعي وأن البترول العراقي سيكون تصديره فقط مقابل الغذاء.

ثم توالت الإدعاءات الأمريكية على لسان الرئيس الأميركي بوش الابن،

(١) للمزيد من التفصيلات انظر: محمد جميل بيهم: عروبة لبنان ـ تطورها في القديم والحديث ـ ص ١٠٣ ـ ١١٩.

وعلى لسان رئيس الوزراء البريطاني طوني بلير بأن العراق يملك أسلحة الدمار الشامل، وتم توظيف دول العالم بما فيه أوساط الأمم المتحدة لاشاعة وتعميم هذه المزاعم، لتكون مبرراً للهجوم على العراق واحتلاله، على غرار ما حدث فعلاً بين ٢٩ آذار (مارس) ٩ نيسان (ابريل) عام ٢٠٠٣ حيث سقطت بغداد ونظام صدام حسين، ومن تلك الفترة، حتى اليوم، لم يتبين بأن في العراق «أسلحة دمار شامل».

وما يهمنا في هذا الإطار، أن نتحدث عن كيفية توظيف الدول واستثمارها وتزويرها للوثائق لأهداف سياسية وعسكرية على غرار ما حدث في العراق، فقد أكد العديد من اعضاء الكونغرس الأميركي ومجلس الشيوخ الأمريكي، ووزراء ونواب في الولايات المتحدة وبريطانيا بأن وثائق تم تزويرها ونشرها، بأن العراق يملك اليورانيوم وأسلحة دمار شامل. وقد واصل الديمقراطيون هجومهم على الرئيس جورج بوش بالنسبة للمعلومات الخاطئة حول أسلحة العراق والتي نشرت قبل الحرب على هذا البلد، مطالبين بأن يتحمل قليلاً من المسؤولية ومعربين عن شكهم بصدقيته.

وأعلن نائب رئيس لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ الأميركي، الديمقراطي جاي روكفلر في حديث لمحطة «فوكس التليفزيونية»، «سيّان عندي كيف يفعل ذلك. ربما عبر مستشارة الأمن القومي كوندوليزا رايس، أو عبر شخص آخر، دون أن يتحدث مع ذلك عن «اقالة» أي من المسؤولين».

وأضاف رداً على التأكيد الذي أسقطته فيما بعد السي آي آيه ولكن بوش أورده في خطابه ومفاده أن العراق قد يكون حاول شراء اليورانيوم من أفريقيا «الأميركيون يطالبون بقول الحقيقة (. . .) وينبغي حقاً قول الحقيقة لهم».

واعتبر السناتور بوب غراهام، المرشح إلى الانتخابات الرئاسية في العام ٢٠٠٤، من جهته أن الرئيس كان يعلم، قبل الادلاء بخطابه أن المعلومات حول محاولة بغداد شراء اليورانيوم من أفريقيا كانت خاطئة. وكان كارل ليفين

«السناتور الديمقراطي المكلف القاء الكلمة الإذاعية الأسبوعية عن الديمقراطيين، أعلن من أفريقيا لم يكن خطأ ارتكب سهواً (. . .) أنها مخادعة.

وأكدت صحيفة الواشنطن بوست أن الرئيس بوش استخدم اضافة إلى المعلومة الخاطئة حول اليورانيوم، معلومات أخرى لم توافق عليها السي آي آيه مرتين في مداخلتين، وحتى أن أحد الجمهوريين في لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ عبر عن سخطه إزاء هذا الأمر. وقال السناتور تشاك هيجل لشبكة سي ان ان التليفزيونية، سيكون عليهم أن يقدموا توضيحاً، أنها مسألة خطيرة، إنه مثل آخر على حالة التقلب في الإدارة.

من جهته أعلن النائب الديمقراطي هنري واكسمان أن التقرير الكاذب وصل إلى الولايات المتحدة في نهاية ٢٠٠١.

وفي مقابلة نشرتها صحيفة «لاريبوبليكا» الايطالية، قال لقد قارنت بين روايات مختلف المحاورين ويمكن أن أقول أن الوثائق التي نشرت لاريبوبليكا صوراً عنها وصلت إلى الولايات المتحدة في نهاية عام ٢٠٠١.

وذكرت صحيفة واشنطن بوست، نقلاً عن مسؤولين في الإدارة الأمريكية أن البيت الأبيض لم يسع إلى الحصول على موافقة وكالة الاستخبارات المركزية قبل تأكيده أن صدام حسين يمكن أن يشن هجوما بيولوجيا أو كيميائياً في غضون ٤٥ دقيقة.

وأشار استطلاع للرأي تنشره مجلة تايم وشبكة سي أن أن اليوم إلى أن نصف الأميركيين (٥١٪) يبدون شكوكاً وتحفظات حيال قدرة بوش على إدارة البلاد، وهي نسبة مرتفعة (+ ١٠ نقاط)[١].

---

(١) أنظر: اللواء ٢١ تموز (يوليه) ٢٠٠٣.

ب ـ يوميات هتلر المزيفة ما زالت مسلية[١]:

ما زالت يوميات الزعيم النازي أدولف هتلر المزيفة مسلية رغم مرور 20 عاماً على إعلان مجلة شتيرن الألمانية للعالم المشدوه أنها حصلت على وثائق تستوجب إعادة كتابة التاريخ من جديد.

واحياء لذكرى واحدة من أكبر مؤامرات التزييف في التاريخ نشرت لأول مرة مقتطفات من هذه اليوميات التي كتبها في ٦٠ مجلداً المزور كونراد كوجاو الذي ضلل شتيرن وأقنعها بشرائها مقابل خمسة ملايين دولار.

وقع العديد من الخبراء في فخ الاحتيال وعلى رأسهم المؤرخ هيو تريفور روبر حتى أثبتت الاختبارات أن اليوميات مزيفة وذلك بعد اسبوعين من إعلان شتيرن في نيسان من عام ١٩٨٣ في عنوان رئيسي في صدر صفحتها الأولى «اكتشاف يوميات هتلر».

تضمنت المقتطفات التي نشرت على مدى اليومين الماضيين في صحيفة بيلد فقرات عن علاقة هتلر بصديقته ايفا براون التي لم تكن تتفهم حجم العمل الشاق الملقى على أكتاف هتلر.

كتب كوجاو وهو رسام وتاجر أسلحة قديمة قلد خط هتلر في مذكراته المزيفة «كان على أن أتحدث بشكل جدي مع ايفا. إنها تعتقد أن الرجل الذي يقود ألمانيا يمكن أن يكون لديه ما شاء من وقت للأمور الشخصية».

وسمحت شتيرن لصحيفة بيلد بالاطلاع على يوميات هتلر المزيفة التي لم يخرج معظمها أبداً من مخازنها في هامبورغ ولم تسنح لها الفرصة على الاطلاق لنشرها.

---

(١) اللواء ٢٦ نيسان (إبريل) ٢٠٠٣ العدد ١٠٧٧٢.

وتقول فقرات أخرى من اليوميات المزيفة مؤرخة بشهر حزيران (يونيه) عام ١٩٣٥ «أصبح لدى ايفا الآن كلبان لذا لن تشعر بالملل».

اعتقدت شتيرن أنها حققت أكبر سبق صحفي في التاريخ حين حصل الصحافي جيرد هايدمان على اليوميات من كوجاو الذي زعم أنه خبأها في ألمانيا الشرقية الشيوعية وأنه يستطيع تهريب بعضها إلى الغرب.

وكتب بيتر كوخ رئيس تحرير شتيرن في ذلك الوقت بكل فخر «حجم الوثائق التي عثر عليها يبرر... إعادة كتابة تاريخ الرايخ الثالث ولو بشكل جزئي».

استغل كوجاو معلوماته الشخصية وكتب التاريخ وانطباعاته عما يمكن أن تكون عليه الأمور بالنسبة لهتلر وجاءت النتيجة مجموعة من التأملات الشخصية المبتذلة.

وجاء في احدى اليوميات المؤرخة في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣٨ على لسان هتلر «الآن بعد أن انقضى عام، هل استطعت أن أحقق أهدافي من أجل الرايخ... نعم فيما عدا القليل من التفاصيل الدقيقة».

إن هذه النماذج من الوثائق والمخطوطات المزورة ما زالت قليلة إذا ما قيست بالتزوير الحاصل عبر التاريخ.

٤ ـ الصفات الواجبة في المحقق:

هذا وعلى المحقق أيضاً لا سيما المحقق الحديث ـ طالب الدراسات العليا مثلاً ـ أن يطلع قبل البدء بعمله وتحقيقه على المؤلفات التي تدله وتعلمه كيفية تحقيق المخطوطات والأساليب والقواعد العلمية المتبعة في هذا المجال. ثم على المحقق العامل حديثاً في هذا المجال أن يطلع على المخطوطات التي سبق أن حققها سواه من العلماء والأساتذة، والطلاب

أيضاً، حتى يستفيد عملياً وتطبيقياً من أساليبهم في تحقيق المخطوطات. كما أنه من الأهمية الاطلاع على أخبار التراث العربي وبيبلوغرافيات المخطوطات العربية الصادرة عن المراكز العربية والإسلامية. كما لا بد من الاطلاع على النشرة الخاصة التي يصدرها معهد المخطوطات العربية التابع لجامعة الدول العربية. فتلك البيبلوغرافيات والنشرات تفيد الباحث في الاطلاع على الرسائل الجامعية والمخطوطات المنشورة أو التي ما تزال غير منشورة. ونتيجة لاطلاعه فإنه يتجنب مثلاً مخطوط سبق أن حقق ونشر. وكم من طالب دراسات عليا سجل موضوعاً لنيل درجة الماجستير أو الدكتوراه يتعلق بتحقيق مخطوط ما، ثم تبين له أو لأستاذه المشرف بعد سنوات من الجهد والتعب، بأن هذا المخطوط مسجل لطالب في جامعة أخرى، أو أنه سبق أن نال أحد طلاب الدراسات العليا درجة علمية، لتحقيقه هذا المخطوط. فالاطلاع والاطلاع المستمر يجنب الطالب الوقوع في مزالق علمية وأكاديمية. وهذه القضية العلمية لا تنطبق على موضوع المخطوطات فحسب، وإنما على كل الرسائل العلمية، التي ينبغي على الطالب الاطلاع على الدليل العلمي لكل جامعة لمعرفة الرسائل والأطروحات الجامعية التي سبق أن نوقشت في هذه الجامعة أو تلك.

من جهة ثانية، فإن عملية تحقيق المخطوطات تحتاج إلى أمور علمية عديدة بعضها يتعلق بالمحقق ذاته وبعضها يتعلق بالمخطوط وأسلوب التحقيق. ومن الصفات التي يجب أن تتوفر في المحقق[1].

١ ـ الالتزام والرغبة والاقتناع بتحقيق المخطوط الذي ينوي القيام بتحقيقه، لأن عدم الرغبة وعدم الاقتناع، لن يؤديا إلى تحقيق دقيق بل إلى تحقيق

(١) انظر: أسد مولوي: منهج تحقيق المخطوطات ص ١١ وما يليها. مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، ربيع الأول ١٤٠٨ هـ، مهر ـ قم.

هامشي. ثم إن الالتزام الحضاري بالتراث، هو من العوامل الهامة في التحقيق. لأن هدف التحقيق لا يكمن فقط في نشر المخطوطات أو لنيل درجة علمية (ماجستير أو دكتوراه) على عمل التحقيق، وإنما أيضاً لإحياء هذا التراث ونشره والاستفادة من علومه ودرجاته. واختيار الصالح منه لنشره.

٢ ـ دقة الملاحظة وامتلاك علوم أخرى وسعة المعارف، فمن الصفات الواجبة في المحقق هي أن يكون دقيق الملاحظة، دقيق المعرفة، يمتلك علوماً أخرى في غير موضوع المخطوط، كي يساعده ذلك على التحقيق. ثم إن سعة معارفه وعلومه تسهل له مهمته، لأن تحقيق المخطوطات يحتاج إلى علوم عديدة تؤدي إلى تحقيق متكامل، ولا بد من أن يمتلك «ملكه النقد».

٣ ـ الاطلاع على أعمال المحققين السابقين للاستفادة من تجاربهم، وأساليبهم العلمية في عملية التحقيق. كما لا بد للمحقق ـ لا سيما المبتديء ـ من العودة إلى الكتب المهتمة بقواعد وأساليب التحقيق للاعتماد على منهجيتها في التحقيق. ولا مانع مطلقاً، بل من واجب المحقق أن يستعين ـ إذا اضطر ـ بذوي الخبرة والاختصاص، فيسأل عن بعض الأمور الغامضة، أو التي تحتاج إلى توضيح أو تفسير لم يستطع المحقق أن يصل إليها.

٤ ـ الصبر والأمانة، وهما صفتان لازمتان للمحقق على غرار بقية الصفات. فمن المعروف أن التحقيق يحتاج إلى جهد علمي متواصل، وإلى وقت طويل وإلى بحث وتنقيب وجمع للمعلومات. فالصبر العلمي من صفات العلماء. وإذا لم تتوفر هذه الصفة فإن المحقق لا يستطيع أن يتابع مشواره العلمي. أما الأمانة فهي صفة دينية وعلمية للمحقق، فإن القوانين السماوية والقوانين الوضعية تحث الباحث والمدقق على

الأمانة، لأن فقدان الأمانة العلمية تؤدي إلى التزوير والسرقة العلمية وإلى الغش العلمي.

٥ ـ اقتناع المحقق بضرورة الاطلاع على مصادر متنوعة وعلوم ومعارف في موضوع التحقيق وفي غيرها من الموضوعات المساعدة على التحقيق. فتحقيق وثيقة أو مخطوطة عثمانية لا تحتاج إلى كتب تاريخية فحسب، وإنما قد تحتاج إلى كتب جغرافية واقتصادية وأنتروبولوجية وقانونية وقواميس لغوية لتفسير ما غمض من كلمات وألفاظ تركية، وهكذا بالنسبة لبقية الموضوعات وبقية المخطوطات.

٦ ـ ضرورة عودة المحقق إلى الفهارس ـ وهي كثيرة ـ وهي فهارس للمخطوطات وللكتب الموجودة في المكتبات العامة. وقد يجد المحقق نسخة أخرى من المخطوط الذي يقوم بتحقيقه، الأمر الذي يدفعه إلى طلب نسخة من المخطوط الثاني بداعي المقارنة العلمية. والمقارنة في مجال التحقيق قضية هامة وأساسية. وضرورة العودة إلى الكتب والمصادر العربية المتخصصة في علوم متنوعة تفيد الباحث والمحقق. وهناك مجلات علمية لا بد من العودة إليها مثل مجلة «الفهرست» البيروتية ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية) ومجلة المجمع العلمي العراقي، ومجلة التراث العربي السورية، ومجلة معهد المخطوطات العربية ومجلات عربية وإسلامية عديدة متخصصة منها مجلة «تراثنا» بالإضافة إلى مجلات أجنبية. وفي هذا المجال فإن المحقق الذي يود أن يوسع مداركه في موضوعه أو في موضوعات أخرى، فإن جمع كتيبات عناوين الكتب الصادرة عن دور النشر في العواصم العربية والإسلامية والأجنبية، يعتبر من أهم العوامل للاطلاع على كل ما هو جديد. ويمكن جمع هذه الكتيبات من خلال معارض الكتب أو من خلال مراسلة دور النشر مباشرة والطلب إليها الحصول على نشرة بعناوين منشوراتها.

٥ ـ قواعد وأساليب ومناهج تحقيق المخطوطات(١):

على المؤرخ المحقق اتباع أساليب للتحقق من صحة الوثائق والمخطوطات والمعلومات التاريخية ومن بين هذه الأساليب:

١ ـ نقد الأصول(٢) نقداً علمياً بهدف الوصول إلى الحقيقة. فالنقد الإيجابي عامل أساسي من عوامل التحقيق، ومن صفات المحقق، والسبيل العلمي للوصول إلى الحقيقة.

وتتم عملية النقد عادة بواسطة النقد الخارجي والنقد الداخلي. فالنقد الخارجي يتضمن الاهتمام بمعرفة المخطوط ومؤلفه وتاريخ تأليفه ومكانه. ثم ما هي الموضوعات التي تناولها المخطوط، وما علاقته بنسخة أخرى للمخطوط نفسه؟ إن الإجابات عن هذه التساؤلات والتحقق منها تقودنا إلى وضعية الوثيقة فيما إذا كانت صحيحة أو مزورة. أما النقد الداخلي فيتضمن بحثاً في مضمون نص الوثيقة لمعرفة منهجية كاتبها واتجاهه الاجتماعي أو الأدبي، والبحث فيما إذا كان الكاتب معاصراً للحدث ومشاركاً فيه أم مراقباً ومدوناً فحسب؟ ثم دراسة منهجيته من خلال الأساليب والأدوات التي استخدمها في كتابة المخطوط أو الوثيقة أو المصدر بشكل عام.

ونقد الأصول يهتم أيضاً بدراسة التزييف والانتحال، وفيما إذا كان الأصل بخط المؤلف أم لا. وقد قسم د. حسن عثمان النقد الباطني إلى قسمين:

---

(١) أنظر: د. فرانتز روزنثال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، د. صلاح الدين المنجد: قواعد وأساليب تحقيق المخطوطات، سالم الألوسي: علم تحقيق الوثائق، أنظر أيضاً: عبد السلام هارون: تحقيق النصوص ونشرها، ص ٤٣ وما يليها.

(٢) د. حسان حلاق: مناهج الفكر والبحث التاريخي، ص ١٤ .

النقد الباطني الإيجابي ويهدف إلى التحقق من معنى الألفاظ ومن قصد المؤلف بما كتبه، والعناية التامة بقراءة النص التاريخي ومحتوياته، وعدم تسخير النص لآراء واتجاهات المحقق. أما النقد الباطني السلبي، فعلى المحقق أن يعي حقيقة وهي أن المؤرخين يخطئون ويصيبون كسواهم. ومن الخطأ الاعتقاد بأن كل المعلومات الواردة في جميع الأصول صحيحة. فبعضها غير صحيح. ومن هنا أهمية النقد الباطني السلبي من حيث هو عملية ضرورية لتصفية الحقائق واستبعاد الزائف منها، ووضع الشك للوصول إلى الحقيقة التاريخية. ويجب التمييز بين تزوير وكذب المؤرخ وبين خطأ ارتكبه أو معلومة خدع بها[١].

ومن الأهمية بمكان القول في معرض الحديث عن النقد. فالنقد التاريخي سواء للوثائق أو للمخطوطات أو للمقالات أو للدراسات التاريخية يجب أن يكون نقداً تاريخياً علمياً إيجابياً، يهدف إلى تصحيح الأخطاء الواردة في الدراسات التاريخية خدمة للعلم وللعلم وحده. ذلك أن النقد البناء يؤدي إلى تصحيح المسار في مجال التاريخ والتدوين، وهذا النقد يفيد عادة صاحب الدراسة لتصحيح أخطائه، ويفيد القراء والمهتمين بالعلوم.

وهناك نوع آخر من النقد، وهو النقد السلبي الهادف إلى التشهير بمفكر ما لأهداف خاصة وشخصية، وليس هدف هذا النقد ـ التشهير سوى المس بالمفكر بسبب اتجاهاته الأدبية أو الفكرية وبسبب دوره الفكري الذي يقوم به في المجتمع، فتكون فئة حاقدة عليه ليس لها أي دور في الميدان الفكري، فتبدأ بالكتابة ضده بأسلوب النقد السلبي وأحياناً بأسلوب التشهير المقيت.

(١) أنظر: د. حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ١١٧ ـ ١٤٥. أنظر أيضاً: د. أسد رستم: مصطلح الحديث، ص ١٢ ـ ٣١.

٢ ـ التدقيق في تاريخ كتابة الوثيقة، وهل هذا التاريخ يتلاءم مع اللغة التي كتبت فيها والمفردات التي استخدمت بين سطورها؟ وكان لافتتاحية المراسلات وخواتمها في بعض الفترات التاريخية عادات وألفاظ خاصة معروفة في الكتابات الرسمية. ثم فإن الألقاب التي كانت تطلق على الملوك والسلاطين والأمراء والقضاة ذات مغزى تاريخي هام تفيدنا عما نتوخاه في هذا المجال، كما أن دراسة أسماء المدن والقرى والبلدان لها فوائد تاريخية هامة في مجال التحقيق لا سيما إذا تغيرت أسماؤها أو حتى إذا لم تتغير، فضلاً عن الأسلوب اللغوي المعتمد.

٣ ـ التأكد من كاتب الوثيقة أو المخطوط فيما إذا كان بالفعل قد عاش في فترة كتابة الوثيقة أو المخطوط. وباستطاعة المحقق معرفة المؤلف وزمن حياته من خلال بعض عبارات كان يستخدمها النّساخ كقولهم عن مؤلف المخطوط «رحمه الله» أو «غفر الله له» أو على العكس كأن يستخدم عبارة «أمد الله عمره وأمده بالقوة» فإن في هذه العبارات إشارات واضحة إلى أن الناسخ كان ينسخ في زمن كان المؤلف فيه قد مات أو ما يزال حياً(١).

وباستطاعة المحقق أن يتعرف إلى تاريخ المؤلف من خلال الكتب الخاصة عن الأعلام والشخصيات، ومن خلال تاريخ كتابة المخطوط أو تاريخ نسخها.

ولا بد للمحقق من التأكد من تاريخ النسخة، فكثير من الناسخين ينقل التاريخ كما ورد عند المؤلف، غير مراع للفرق الزمني بينه وبين المؤلف، أو بينه وبين الناسخ الأول، مما يوقع المحقق في أخطاء تاريخية وعلمية(٢).

---

(١) د. فرانتز روزنثال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ص ٥٨.
(٢) عبد السلام هارون: تحقيق النصوص ونشرها ص ٣٩.

٤ ـ التأكد وفحص نوع الورق ونوع الحبر المستخدم ولونه والخط الذي خطت فيه الوثيقة، فأنواع الورق والحبر والخطوط دلائل حسية هامة على الفترة التي كتبت فيها الوثيقة، وهل هذا المخطوط أو الوثيقة أصيلة، أم صورة عنها. وهل هي على حالها، أم سبق أن رممت[١]. وعلى سبيل المثال فالوثائق والتقارير البريطانية والعثمانية في القرنين السابع عشر والثامن عشر لها مميزات خاصة من حيث نوع الورق ونوع الخط والأسلوب الأدبي أو التاريخي التي كتبت فيها.

٥ ـ دراسة الأختام والتواقيع في حال وجودها على الوثيقة أو المستندات، ومقارنتها مع أختام وتواقيع أخرى عرفت في الفترة التاريخية ذاتها. فالأختام (Seals) لها دارسون متخصصون يعرفون باسم دارسي الأختام (Sigillographers) على غرار علم قراءة الخطوط (Paleography). ويعتبر العالم «مابلون» (Mabillon) أول واضع لأصول علم الكتابة الأثرية وحل المستندات القديمة، وشروحات حول مميزات الأصالة أو التزوير في مثل هذه الكتابات.

٦ ـ مقارنة الوثيقة أو المخطوط المنسوخ بمخطوط آخر للمؤرخ نفسه قد يوجد في أماكن أخرى بخطه نفسه (Autograph Manuscript) أو بخط سواه، فكثير من المخطوطات القديمة توجد نسخ لها في إستانبول والقاهرة ولندن ولايدن وباريس وقد يوجد لمخطوط واحد نسختان أو

(١) بلغ الاهتمام بالوثائق والمخطوطات أن خصصت الجامعات في العالم مجالاً في كلياتها لنيل درجة دكتوراه في ترميم وصيانة المخطوطات، كما خصصت دول العالم المتقدم وبعض الدول العربية مراكز تكنولوجية خاصة تهتم بصيانة وترميم المقتنيات الثقافية (مخطوطات، وثائق، مطبوعات، تسجيلات). للمزيد من التفصيلات الوافية حول ترميم المخطوطات أنظر: د. حسام الدين عبد الحميد محمود: تكنولوجيا صيانة وترميم المقتنيات الثقافية. الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٩.

أكثر، وهذا يحتاج إلى جهد لإنجاز موضوع المقارنة. أما العمل الأكثر جهداً فإنه يكون في حال عدم وجود نسخ أخرى من المخطوط موضوع التحقيق والتمحيص. وكم من رسائل الدكتوراه القائمة على تحقيق مخطوط ما ردت أمام لجنة المناقشة، لأن المتقدم للمناقشة لم يكمل عمله ولم يعتمد على نسخ أخرى للمخطوط وجدت فعلاً في العواصم العربية أو الأجنبية[1].

وعلى سبيل المثال فقد اكتشف الأستاذ جبرائيل جبور في الثلاثينات عند تحقيقه لكتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه، الكثير من الزيادات المزورة التي دسّت على كتاب ابن عبد ربه. وأمر اكتشاف هذا الدس لم يكن صعباً، بل احتاج إلى قليل من التحقيق. فالمطلع على «العقد» يرى أنه قد ترجم فيه في كتاب اليتيمة الثانية، لأربعة خلفاء من بني العباس: هم الراضي والمتقي والمستكفي، وكلهم توفوا بعد وفاة ابن عبد ربه، أي بعد سنة ٣٢٨هـ. ويرى المطلع في ترجمة المطيع أنه قد خلع نفسه سنة ٣٦٣هـ، أي بعد موت ابن عبد ربه بحوالي (٣٥) سنة. ومن هنا تتضح الإضافات التي دست على المؤلف وعلى كتابه. ونظراً للإضافات غير الملائمة تاريخياً أو علمياً، فمن المرجح أن أكثر الأخبار التي وردت في العقد عن خلفاء بني العباس، ممن عقب المأمون، دُست على ابن عبد ربه، بعد موته.

كما أن ابن سينا وضع ثلاثة كتب، أحدها على طريقة ابن العميد، والثاني على طريقة الصاحب، والثالث على طريقة الصابي، وأمر بتجليدها، لتجوز بذلك عل أبي منصور الجبّان. وبالرغم من أن ابن سينا قصد المزاح ـ وليس التزوير ـ غير أن هذه الحادثة تؤكد إمكانية حدوث التزوير[2] على غرار

(١) حول مناهج العلماء المسلمين في تحقيق المخطوطات أنظر: د. فرانتز روزنثال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، ص ٦٢ ـ ٦٦، ٧٢ ـ ٨١.
(٢) عبد السلام هارون: تحقيق النصوص ونشرها، ص ٤٧.

تزوير كتاب «تنبيه الملوك » المنسوب تزويراً وخطأ إلى الجاحظ[١] وكتاب منشور حديثاً في بيروت تحت عنوان «عائلات بيروت السبع» المنشور باسم مزور ومستعار، والمعلومات التي تضمنته مختلقة ومزورة بمعلوماتها ووثائقها ومستنداتها، بل وصور رجالاتها.

وعلى المؤرخ المحقق أن يعمد إلى المقارنة لتقييم أصالة الوثيقة أو المخطوط مثل التحليل الكيمائي والطبيعي للمادة التي كتبت عليها. ويمكن للمحقق مثلاً أن يحدد تاريخ الوثيقة بمعرفة مكان وزمان صناعة الورق. وينطبق هذا التحليل الكيمائي على الحبر المستخدم ـ كما أسلفنا ـ فضلاً عن طريقة الإخراج وشكل الحروف والطباعة وحجمها. وقد بدأ البحاثة في التاريخ المعاصر بالاعتماد على المختبرات الكيمائية وعلى العدسات المكبرة والميكروسكوب والكاميرا، وطريقة الأشعة فوق البنفسجية والتصوير بالفلورسنت[٢]، وغير ذلك من الوسائل الحديثة التي تحدد أصالة أو زيف الوثائق. فبالإضافة إلى هذه الوسائل في التحقيق من صحة الوثائق والمخطوطات ـ وهو ما يعرف بتحقيق المخطوطات ـ هناك وسائل أخرى عملية ينبغي على المؤرخ الالتزام بها.

وقد بلغ من أهمية المخطوطات من الناحية العلمية والتراثية أن بيعت بعضها بمئات الآلاف من الدولارات أو الجنيهات الاسترلينية. كما برزت جماعات تعمل بين أوروبا وأميركا وألمانيا وعواصم العالم الإسلامي مثل استانبول والقاهرة، ودمشق وبيروت وبغداد والمغرب وتونس، عملها الأول تأمين المخطوطات بأساليب متعددة لنقلها إلى الخارج والاتجار بها وبيعها لهواة جمع التراث الإسلامي والعربي.

---

(١) عبد السلام هارون، المرجع نفسه، ص ٤١.
(٢) يستخدم نظام أجهزة الفلورسنت في البنوك لاكتشاف العملات المزورة.

وهناك مسؤولية هامة ملقاة على عاتق المؤرخ، ذلك أن بعض المؤرخين المحدثين أو القدامى اسهموا في كتابة التاريخ تبعاً لأهوائهم وميولهم، وهذا باعتقادي أسلوب من أساليب التزوير. فالمعروف أن غاية التأريخ هي إدراك الماضي كما كان، لا كما نحب أن يكون أو كما نريده أن يكون. فبعض المؤرخين في العصور القديمة والوسيطة والحديثة والمعاصرة آمنوا بعقيدة من العقائد السياسية والحزبية في إطار الصراعات القائمة في بيئاتهم وبلدانهم. ولما بدأوا بالتأريخ والكتابة كتبوا وفقاً لمعتقداتهم السياسية والحزبية. والمؤرخ المعاصر المنحاز إذا نظر إلى الماضي اختط له خطته وحصره في مجرى عقيدته وميوله. وبمعنى آخر فإنه يسخر الماضي واختلاق أخباره بما يخدم اتجاهاته وتياراته. إن المؤرخ ـ كأي إنسان آخر ـ لا يستطيع التخلي عن معتقداته، بل إن عدم التخلي عنها هي من صلب حياته وكرامته ووجوده، ولكن هناك فرقاً بين التمسك بهذه المعتقدات وبين تزوير الحقائق والأحداث التاريخية. ومن يطلع مقارناً بأمانة علمية بين مذكرات الشيخ بشارة الخوري (رئيس جمهورية لبناني أسبق) ومذكرات سامي الصلح (رئيس وزراء لبناني أسبق) ومذكرات الرئيس كميل شمعون (رئيس جمهورية لبناني أسبق) ومذكرات الرئيس شارل حلو ومذكرات الرئيس أمين الجميّل ومذكرات خالد العظم (رئيس وزراء سوري أسبق) وسواها من المذكرات التي اهتمت بتاريخ لبنان المعاصر لا سيما في الفترة ١٩٤٣ ـ ١٩٩٠، يدرك تماماً مدى التضارب الواضح والتناقض الظاهر في التأريخ لبعض الوقائع والأحداث السياسية. وهذا يؤكد بأن الميول الخاصة تقوم بدور بارز عند كتابة المذكرات والتطورات التاريخية.

وتعتبر الوثائق المخطوطة (أو المطبوعة في التاريخ المعاصر) والكتب المخطوطة (المخطوطات) من الأدوات العلمية الهامة في كتابة التاريخ، لا سيما المخطوطات التي تمدنا بالمعلومات الجديدة، التي لم يسبق نشرها في مخطوط آخر أو في كتاب. ونظراً للأهمية التي تحتلها المخطوطات في كتابة التاريخ وإحياء التراث، فقد ارتأت مناهج البحث التاريخي والأدبي والعلمي أن

لا يعمد إلى نشر المخطوط ـ كما هو ـ دون تقديم وتعريف به وبمؤلفه ودون دراسة، وبالتالي دون تحقيق ما غمض فيه. فأهمية نشر المخطوط هي في ضبطه وتحقيقه حتى تتم الاستفادة منه كما يجب. وعلى هذا فقد وضعت قواعد ومناهج لضبط وتحقيق المخطوطات[١] ومنها ما سبق ذكره حول منهج التحقق من الوثائق. ويمكن الإضافة إليها ما يلي:

١ ـ الخطوة الأولى في عملية التحقيق هي استنساخ المخطوط أو تفريغه على صفحات خاصة. وعلى المحقق أن يقسم الصفحات إلى قسمين: القسم الأعلى لاستنساخ المخطوط، بينما يخصص القسم الثاني للهوامش والتعليقات. غير أن هذه الهوامش تكتب بعد الانتهاء نهائياً من عملية الاستنساخ. وتكتب عادةً على بطاقات خاصة، ثم تفرغ في أماكنها وهوامشها وصفحاتها الخاصة بها.

٢ ـ التعريف بمؤلف المخطوط: ولادته ووفاته، عائلته أساتذته وشيوخه، ومؤلفاته الأخرى والتعريف بها، العصر الذي كان يحياه، المناصب التي تولاها، دوره في الحياة الثقافية والاجتماعية. ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

٣ ـ من قواعد التحقيق تقطيع النص وتوزيع فقراته. فبعد تفريغ النص

---

(١) اهتم الأوائل بهذا الموضوع، وقد ألف الشيخ عبد الباسط بن موسى بن محمد العلموي (المتوفى في دمشق سنة ٩٨١هـ/ ١٥٧٣م) كتاباً تحت عنوان «المعيد في أدب المفيد والمستفيد» عالج فيه قضية أسلوب الرواية المدونة للعلم وأساليبها وطرائقها وشروطها. وقد سبقه إلى ذلك البدر الغزي (المتوفى في دمشق سنة ٩٨٥هـ/ ١٥٧٧م) صاحب كتاب «الدر النضيد». كما اهتم المستشرق الألماني د. فرانتز روزنثال بتاريخ المناهج الإسلامية في تحقيق المخطوطات والكتابة التاريخية، وألّف كتاباً تحت عنوان «مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي» أنظر الصفحات ٢٢ ـ ٤٩، ٤٩ ـ ١١٢. واهتم بهذا الموضوع الدكتور صلاح الدين المنجد في كتابه: قواعد وأساليب تحقيق المخطوطات، دار الكتب ـ بيروت ١٩٦٧.

وقراءته قراءة دقيقة، يوزع النص إلى فقرات والفقرات إلى جمل. ويضع المحقق ما يحتاجه النص من علامات الترقيم الحديثة المعروفة تبعاً للحاجة والموقع مثل[1]:

- النقطة (.) توضع بعد انتهاء الكلام.
- الفاصلة (،) توضع لتقسيم الجُمل، وبعد كل سجعة من الكلام المسجوع. وتوضع بعد لفظ المنادى مثل: يا أحمد، وتوضع بين الجملتين المرتبطتين في المعنى والإعراب مثل: خير الكلام ما قل ودل، ولم يطل فيمل.
- الفاصلة المنقوطة (؛) وتوضع بين الجملتين المرتبطتين في المعنى دون الإعراب مثل: إذا رأيتم الخير فخذوا به؛ وإن رأيتم الشر فدعوه.
- النقطتان (:) وتوضع عادةً بعد فعل القول مثل قال: أقول: يقول: وبعد لفظ مثال ذلك:
- علامة الاستفهام (؟) توضع عقب جملة الاستفهام.
- علامة التعجب (!) وتوضع عقب جملة التعجب أو الانفعال.
- الشَرطة (ـ) توضع في أول السطر في جمل الحوار، وبعد ذكر الأعداد والأرقام مثل: أولاً ـ ثانياً ـ ثالثاً ـ رابعاً.
- الشرطتان (ـ . . . ـ) توضع لفصل جملة أو كلمة معترضة.
- كلمة (كذا) وتوضع عند عدم توصل المحقق إلى تفسير كلمة أو تعجبه حيال وضعها في المخطوط فيقول (كذا) أي هكذا وردت في النص.
- الشولتان المزدوجتان « » توضع عند نقل عبارات اقتبست من نص ما كما هي حرفياً.

---

(١) أنظر: د. أحمد شلبي: كيف تكتب بحثاً أو رسالة، ص ١٩٣ ـ ١٩٦.

ـ القوسان ( ) ويوضع بينهما عبارات تفسيرية أو إضافية أو ألقاب مثل: محمد (ﷺ) عمر (رضي الله عنه) أو لحصر الأحاديث النبوية الشريفة.

ـ القوسان المركنان [ ] توضع عند اضطرار المحقق إلى وضع كلمة أو عبارة لتفسير أو لإكمال النقص في النص. وهي تعني اصطلاحاً أنها من وضع المحقق.

ـ القوسان المزهرتان ﴿ ﴾ تستعملان لحصر الآيات القرآنية الكريمة.

ـ النقاط الثلاث الأفقية (. . .) وهي علامات الحذف توضع مكان المحذوف من كلام اقتبسه الكاتب ولا يريد إكمال كل النص. علماً أن الحذف غير واجب وغير علمي عند تحقيق المخطوطات. ولكن تعتمد تلك الطريقة عند الاقتباس من كتاب أو مصدر عادي.

ـ (*) توضع في المتن ومثلها في الهامش كمساعدة لأرقام الهوامش وتمييزاً عنها.

ـ الخط المائل (/) يوضع في متن الكتاب قبل أول كلمة من كل صفحة من المخطوط، ويوضع الرقم يمين الصفحة المطبوعة.

٤ ـ التعريف بالمخطوط: اسمه. هل هو بعنوان أم بدون عنوان، أهميته، مصدر المخطوط (مركز توثيق، متحف، مكتبة، شخص معين، مكتبة خاصة. . .) اللغة التي كتب بها المخطوط، نوع الخط الذي كتب فيه ولون الحبر المستخدم وصنفه، نوع الورق المدوّن عليه وسماكته، رقم صفحاته، وهل هو مرقم أم بدون ترقيم؟ قياس الصفحات طولاً × وعرضاً. وعدد الأسطر في كل صفحة.

٥ ـ العوامل التي دفعت المؤرخ لتحقيق المخطوط ونشره كتاباً يصبح في متناول الدارسين والباحثين.

٦ ـ التعريف بمنهجية مؤلف المخطوط، والأساليب العلمية التي استخدمها

في كتابة المخطوط، ووضع ملخص للمخطوط في مقدمة الكتاب، مع الإشارة إلى محتوياته.

٧ ـ الإشارة فيما إذا كان المخطوط يحقق وينشر للمرة الأولى، أم هو إعادة تحقيق ونشر؟ فإذا سبق تحقيقه ونشره، كان لا بدّ من الإشارة إلى اسم المحقق واسم الناشر وتاريخ ومكان النشر. كما لا بدّ من الإشارة إلى أية معلومات سبق نشرها عن المخطوط سواء عبر مقال أو في كتاب، ثم لا بد من ذكر الأسباب العلمية التي دعت المحقق لإعادة نشره ثانية.

٨ ـ نقد المخطوط وضبط معلوماته، والإشارة إلى كافة التوضيحات اللازمة في الهوامش وليس في المتن. وإذا اضطر المحقق إلى وضع لفظ أو عبارة في المتن فيضعها بين قوسين مركنين [ ] وهي تعني أن اللفظ من وضع المحقق.

٩ ـ اتباع أسلوب المقارنة بين المعلومات الواردة في المخطوط، وبين مصادر أخرى يستخدمها المحقق لإيضاح حدث أو فكرة ما، وللتأكيد على المعلومة أو معارضتها. ومن الواجب اعتماد المحقق على أكثر من مصدر في تحقيق المعلومات، وذلك لكشف صحتها أو دسها، صدقها أو كذبها. كما لا بدّ من الاعتماد على نسخ أخرى للمخطوط في حال وجودها في أماكن أخرى، وذلك للتثبت من المعلومات بواسطة المقارنة، وهل يوجد في المخطوط زيادات أو نقصان؟ فالمقارنة تحدد ذلك.

١٠ ـ تفسير ما غمض من ألفاظ وعبارات ومصطلحات سواء المدونة بلغة المخطوط أو بلغة أخرى، ذلك لأن بعض المخطوطات العربية مثلاً، جاء فيها استخدامات للتعابير والألفاظ المملوكية والعثمانية، كما استخدمت الألفاظ والتعابير الفرنسية والإنجليزية بالنسبة لمخطوطات القرنين التاسع عشر وأوائل العشرين. فلا بدّ من شرح وتفسير وترجمة

هذه الألفاظ ووضعها في الهوامش.

١١ ـ إذا تضمن المخطوط آيات قرآنية وأحاديث شريفة وأقوال للفقهاء وما شابه ذلك، فلا بد من أن يعمد المحقق إلى أسلوب «التخريج». أي ردها إلى مصادرها وأسانيدها. فالآيات القرآنية الكريمة تحتاج إلى توثيق في الهامش من حيث اسم السورة ورقم الآية. كما أن الأحاديث الشريفة يجب أن يشار إلى مكان ورودها وفيما إذا كانت أحاديث مؤكدة أم ضعيفة، وهكذا بالنسبة إلى بقية الأحاديث والأقوال التي تحتاج إلى التخريج والإسناد.

١٢ ـ ضرورة تنبه المحقق إلى «**التصحيف والتحريف**» الوارد في المخطوط، لأنه يغير المعنى تماماً، وهو ما اتفق عليه بأنه تغيير لمعنى الكلمة أو الجملة أو النص بسبب تغيير مواقع النقط على الحروف (التصحيف) وتغيير أشكال الحروف (التحريف)[١]. ويبرز ذلك مثلاً في أحرف: الباء والتاء، والثاء، والجيم والحاء والخاء، والدال والذال، والراء، والزاء، والسين والشين، والصاد والضاد، والطاء والظاء.

وقد درس «التصحيف والتحريف» الكثير من علماء المسلمين من بينهم: الحسن بن عبد الله بن سعد العسكري (٢٩٣ ـ ٣٨٢) وابن دريد، والحافظ علي بن عمر الدارقطني (ت ٣٨٥) والسيوطي (٨٤٩ ـ ٩١١) في المزهر، وابن حجر في شرح نخبة الفكر، والذهني في سير النبلاء، وعلي بن حمزة البصري (ت ٣٧٥).

والحقيقة فإن تاريخ التصحيف والتحريف قديم جداً، وقد وقع فيه الكثير من العلماء من أئمة اللغة والحديث، لهذا قال الإمام أحمد بن حنبل: «ومن

(١) أنظر: عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، ص ٦٤ وما يليها.

يعرى من الخطأ والتصحيف». ومن نماذج التصحيف والتحريف عند العرب أن حمزة الزيات كان يتلو القرآن الكريم من المصحف، فقرأ «ألم، ذلك الكتاب لا زيت فيه» فقال أبوه: «دع المصحف وتلقن من أفواه الرجال». ومن نماذج تغير المعنى ما ورد من تغيير في الكلمات التالية:

١ ـ النمر = النحر.

٢ ـ النمر = التمر.

٣ ـ سر = شر.

٤ ـ سكر = شكر.

٥ ـ سحر = شجر.

٦ ـ خلق = حلق.

٧ ـ دانية = ذاتية.

٨ ـ عزلتك = غازلتك.

٩ ـ طرف = طرق.

١٠ ـ بان = بات.

١١ ـ سهم = شهم.

١٢ ـ فسق = فستق.

١٣ ـ ضيم = صنم.

والأمر الملاحظ، أن الكثير من المستشرقين لاسيما من لا يتمتع منهم بلغة عربية جيدة، قد وقعوا في «التصحيف والتحريف» لهذا ينبغي التنبه إلى أعمالهم وأعمال سواهم في موضوع تحقيق ونشر المخطوطات والتراث الإسلامي.

١٣ ـ التعريف بالأشخاص (Biography) والأماكن[١] والأحداث، نظراً لأهمية إلقاء الضوء على الأشخاص (الأعلام)، وذلك لاستكمال المادة التاريخية عن الفترة التي دوّن فيها المخطوط، ويمكن الاستعانة هنا بكتب التراجم والجغرافيا.

١٤ ـ وضع عناوين للمخطوط، إذا كان بدون عناوين، وعندما توضع العناوين وتوضع عادة بين قوسين [ ] للدلالة على أنها من وضع المحقق.

١٥ ـ إبداء الملاحظات فيما إذا كان يوجد في المخطوط حواش على جانبي صفحاته، أو هوامش في أسفل صفحاته. ويجب هنا التمييز بين ما هو موجود أصلاً وبين ما وضعه المحقق، بالإشارة إلى ذلك صراحة.

١٦ ـ الإشارة إلى الأخطاء اللغوية والتاريخية والجغرافية، وكافة الأخطاء الواردة وتصحيحها ووضعها في الهوامش، وهنا تبرز أهمية العلوم المساعدة في كتابة التاريخ وتحقيق المخطوطات والوثائق المخطوطة.

---

(١) في مجال الإشارة إلى أهمية التعريف بالأشخاص والأماكن، فقد ظهرت نواقص عديدة في مجال تحقيق كتاب صالح بن يحي «تاريخ بيروت» الذي أعيد نشره وتحقيقه عام ١٩٦٩ بواسطة كبار الأساتذة والمستشرقين: فرنسيس هورس اليسوعي، كمال سليمان الصليبي، أنطوان كوتان، بيار روكالف، أنطوان مدور، يوسف وهبه. ويكفي أن نذكر مثلاً واحداً من هذه النواقص، فقد أشار صالح بن يحيى في متن الكتاب إلى «. . . فنزلت الفرنج من الشواني إلى البر في مكان يسمى الصنبطية غربي البلد. . .»(ص ٣٢). ولما اطلعت على الهوامش تبيّن بأن المحققين ذكروا بأنهم لم يتمكنوا من تحديد موقع الصنبطية، علماً أن ما من أحد من البيروتيين والباحثين في تاريخ بيروت إلاّ ويعرف هذا المكان، فالصنبطية هي مقبرة إسلامية قديمة تقع خارج سور بيروت القديم، وتقع قبالة البحر في بيروت قرب مقهى الحاج داوود الشهير. ثم إن اسمها الحقيقي ليس «الصنبطية» وإنما الصنطية أو السنطية ويقال لها أيضاً الصمطية. وما تزال أرض هذه المقبرة قائمة إلى الآن، وإن توقف الدفن فيها بسبب الأحداث الأمنية في بيروت منذ عام ١٩٧٥، وقد تحولت إلى حديقة تاريخية لموتى المسلمين.

١٧ ـ نشر المخطوط كاملاً دون نقصان أو زيادة، والزيادات عادةً توضع بين قوسين مركنين، وأكثرها يوضع في الهوامش.

١٨ ـ إن ذكر المصادر واجب في الهوامش. فعند اقتباس معلومات توضيحية أو للمقارنة أو للأعلام أو للأماكن... يتبع بعدها فوراً ذكر المصدر الذي أخذت منه المعلومات التاريخية والجغرافية والأدبية والعلمية سواء أكانت مصادر من نوع الوثائق أو الكتب أو الموسوعات أو القواميس...

١٩ ـ وضع خرائط توضيحية في آخر الدراسة، وهي خرائط للبلدان والمناطق التي جرت فيها الأحداث، أو التي كان المخطوط موضوعها، أو خريطة للمناطق التي كانت مجال حل وترحال المؤلف.

٢٠ ـ الحرص على نشر صور من الصفحات الأولى للمخطوط والصفحات الأخيرة تعطي القارىء والدارس فكرة عن المخطوط الأصلي في لغته وحروفه وشكله وأسلوبه.

٢١ ـ بعد انتهاء تحقيق المخطوط، على الباحث أن يضع خاتمة هي بمثابة استنتاجات أو نتائج البحث، لأنه لا يجوز بتر الدراسة أو عدم الاستفادة منها. فوضع النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال دراسته للمخطوط لها أهمية علمية كبرى في مجال التحقيق؛ وهي تعتبر خلاصة البحث أو نتيجته، والأبحاث دائماً بنتائجها وما أمكن التوصل إليه من خلالها.

٢٢ ـ وضع فهارس للمخطوط، لأن أكثر المخطوطات بدون فهارس، لذا يحرص المحقق على وضع فهارس في آخر الدراسة وهي تضم عادة فهارس للموضوعات المتناولة في المخطوط، وفهارس للأعلام والأماكن والملامح العامة والقبائل والمصطلحات... وفهارس أخرى يحتاج إليها الدارس، بالإضافة إلى الحرص على ذكر ثبت بمصادر البحث التي ساعدت على تحقيق المخطوط.

بعد الانتهاء من تحقيق المخطوط وفهرسته، والانتهاء من كافة الأمور المتعلقة بتحقيقه، على المحقق أن يعمد إلى مراجعة أخيرة للنص والمتن والهوامش. لأن عملية الاستنساخ الأولى قد يصيبها بعض الأخطاء أو عدم الانتباه، لذلك فإن المراجعة مفيدة في هذا المجال بحيث يمكن سد الخلل أو النقص أو الخطأ الذي وقع في مراحله الأولى.

معرفة الأيام والشهور ومصطلحاتها العربية القديمة وأهميتها في تحقيق النصوص والوثائق[1]

١- في معرفة الأيام:

الأحد: هو أول الأيام وفي «شرح المهذب» ما يقتضي أنه أول الأسبوع.

وروى ابن عساكر في تاريخه بسنده إلى ابن عباس قال: أول ما خلق الله الأحد فسماه الأحد. وكانت العرب يسمونه الأول وقال متأخرو أصحابنا: الصواب أن أول الأسبوع السبت، وهو الذي في الشرح والروضة والمنهاج لحديث مسلم خلق الله التربة يوم السبت، والجبال يوم الأحد، والشجر يوم الاثنين، والمكروه يوم الثلاثاء، والنور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة.

وقال ابن إسحاق قول أهل التوراة: ابتدأ الله الخلق يوم الأحد، ويقول أهل الإنجيل يوم الاثنين، ونقول ونحن المسلمون فيما انتهى إلينا عن رسول الله ﷺ يوم السبت.

وروى ابن جرير عن السدي عن شيوخه: ابتدأ الله الخلق يوم الأحد، واختاره ومال إليه طائفة، قال ابن كثير وهو أشبه بلفظ الأحد ولهذا أكمل

(١) السيوطي، الشماريخ في علم التاريخ، نشر وتقديم د. إبراهيم السامرائي.

الخلق يوم الجمعة فاتخذه المسلمون عيدهم، وهو اليوم الذي ضل عنه أهل الكتاب. قال: وأما حديث مسلم السابق ففيه غرابة شديدة لأن الأرض خلقت في أربعة أيام ثم السموات في يومين وقد قال البخاري: قال بعضهم عن أبي هريرة عن كعب الأحبار وهو أصح.

فائدة: يكره صوم يوم الأحد على انفراده، صرح به ابن يونس في «مختصر التنبيه». يجمع على آحاد بالمد وآحاد بالكسر.

الاثنين: قال في «شرح المهذب» سُمي به لأنه ثاني الأيام ويجمع على أثانين، وكانت العرب تسميه أهون وسئل ﷺ عن صوم يوم الاثنين فقال: «فيه ولدت وفيه أنزل عليّ». ورواه مسلم.

وروى الطبراني عن عاصم بن عدي قال: قدم النبي ﷺ المدينة يوم الاثنين. وروى ابن أبي الدنيا مثله عن فضالة بن عبيد.

الثلاثاء: بالمدّ يجمع على ثلاثاوات واثالث، وكانت العرب تسميه «جُباراً»[١].

الأربعاء: ممدود مثلّث الباء وجمعه أربعاوات وأرابيع، وكان اسمه عند العرب دُباراً، واشتهر على ألسنة الناس أنّه المراد في قوله تعالى: ﴿يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ﴾ [القمر: ١٩] وتشأموا لذلك. وهو خطأ فاحش لأن الله تعالى قال في: ﴿أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ﴾ [فصلت: ٦١] وهي ثمانية فيلزم أن تكون الأيام كلّها نحسات وإنما المراد نحس عليهم.

الخميس: جمعه أخمسة وأخامس كانوا يسمّونه مؤنساً[٢].

(١) جاء في «الأيام والليالي والشهور» للفراء ص ٤: ويقال مضت الثلاثاء بما فيها، ومضى الثلاثاء بما فيه، يؤنث ويذكر.

(٢) وزاد الفراء: وكذلك الأخاميس والخُمُس. كما تقول: قميص وقُمُص وأقمصة. أنظر الأيام والليالي والشهور ص ٥.

الجمعة: يجمع على جمعات[1] وفي ميمها الضمّ والسكون. وكانت تُدْعَى «العروبة» وفي الصحيح خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، وفيه خُلق آدم وأدخل الجنة، وفيه أخرج منها. وفي رواية وفيه مات وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه. وفي حديث عند الطبراني «أفضل الأيام الجمعة وأفضل الليالي ليلة القدر وأفضل الشهور رمضان» وفي حديث رواه البَيْهَقيّ في «شُعب الإيمان» أنه كان يقول: «ليلة الجمعة ليلة غرّاء ويوم أزهر».

فائدة: يكره أفراده بالصوم لأحاديث في ذلك في «الصحيحين» وغيرهما وأما حديث البزاز ما أفطر ﷺ قط يوم الجمعة فضعيف.

السبت: يجمع على أسبت وسبوت[2] وكان يدعى «سِياراً» ويكره أفراده بالصوم.

فائدة: فإن ضمّ إلى الجمعة أو الأحد فلا، وقد يُلغَز بذلك فيقال مكروهان إذا اجتمعا زالت الكراهة. وقضية اليهود في السبت مشهورة.

فائدة: روى أبو يَعْلى في مسنده عن ابن عباس قال: يوم الأحد يوم غرس وبناء، ويوم الاثنين يوم سفر، ويوم الثلاثاء يوم دم، ويوم الأربعاء يوم أخذ وعطاء، ويوم الخميس يوم دخول على السلطان، ويوم الجمعة يوم تزويج. ورأيت خط الحافظ شرف الدين الدمياطي أبياتاً ذكر أنها تُعزى إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهي هذه [وافر]:

لنعم اليوم يوم السبت حقًّا ... لصيد إن أردت بلا امتراء
وفي الأحد البناء لأنّ فيه ... تبدّ الله في خلق السماء
وفي الاثنين إن سافرت فيه ... فترجع بالنجاح وبالثراء

---

(١) وكذلك جُمَع.
(٢) وكذلك أسبتة.

وإن يُرد الحَجامة في الثلاثا ففي ساعاته هرق الدماء
وإن شرب امرؤ يوماً دواءً فنعم اليوم يوم الأربعاء
وفي يوم الخميس قضاء حاج فإنّ الله يأذن بالقضاء
وفي الجمعات تزويج وعرس ولذّات الرجال مع النساء

قلت وفي نسبتها إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه نظر.

٢ - في معرفة الشهور:

المحرم: يجمع على محرمات ومحارم ومحاريم. ومن العرب من يسميه مؤتمراً والجامع مآمر ومآمير، وفي الصحيح «أفضل الصوم بعد رمضان شهر الله المحرّم».

صفر: جمعه أصفار قال ابن الأعرابي: والناس كلهم يصرفونه إلا أبا عبيدة فخرق الإجماع بمنع صرفه فقال للعملية والتأنيث بمعنى الساعة قال ثعلب سلح وهو لا يدري لأن الأزمنة كلها ساعات. ومن العرب من يسميه ناجِراً وكانوا يتشاءمون به، ولهذا ورد في الحديث ردًّا عليهم «لا عُدوى ولا طيره ولا صفر»[1].

ربيع: الأول قال الفرّاء: يقال الأول ردًّا على الأشهر والأولى رداً على ربيع وفيه وُلد ﷺ وهاجر ومات ومنهم من يسميه «خِوانا»[2] والجمع أخونة

---

(١) زاد الفراء ص ٩. وإنما سمي (صفراً) لأن العرب كانوا يغزون فيه الصَفَرية فيمتازون الطعام.

(٢) وقد رفض ابن فارس هذه التسمية أي «خوّان» بتضعيف الواو فيقال: في «معجم مقاييس اللغة ٢/ ٢٣١: فأما الذي يقال إنهم كانوا يسمون في العربية الأولى الربيع الأول خواناً فلا معنى له ولا وجه للشغل به». وفي الآثار الباقية ص ٦١: وأما خوّان على مثال فعال من الخيانة وكذلك صُوان من الصيانة. وفي معجمات اللغة: إن الخوّان الأسد.

ويسمى الآخر وَبْصان والجمع وبصانات[1].

جمادى: جمعه جماديات قال الفرّاء كل الشهور مذكرة إلا جمادَيين تقول جمادى الأولى والآخرة ومنهم من يسمى الأولى «حَنيناً» والجمع حنائن وأحنَّة وحُنُن. والآخرة (ورنة) الجمع ورنات.

مسألة: أحلَّ السلم إلى ربيع أو جمادى فقيل لا يصلح للإبهام والأصح الصحّة ويحمل على الأول.

رجب: جمعه أرجاب ورجاب ورجبات ويقال له الأصم، إذ لم يكن يسمع فيه قعقعة السلاح لتظيمهم له ولأصب ومُصِل الأسنة وورد في فضل صومه أحاديث لم يثبت منها شيء بل هي ما بين منكر وموضوع.

شعبان: جمعه شعابين وشعبانات ومنهم من يسميه وَعِلا الجمع أوعال ووعلان لم يكن النبي ﷺ يصوم شهراً كاملاً بعد رمضان سواه، ويحرّم الصوم إذا انتصف إن لم يصله بما قبله.

رمضان: مشتق من الرمضاء وهي شدة الحر وجمعه رمضانات وأرمضة ورماض قال النحاة وشهر رمضان أفصح من ترك الشهر. قلت روى ابن أبي حاتم بسند ضعيف عن أبي هريرة قال: لا تقولوا رمضان فإنه من أسماء الله ولكن قولوا شهر رمضان ومن العرب من يسميه ناتقاً والجمع نواتق.

شوال: جمعه شواويل وشواول وشوالات وكان يسمى (عادلاً) والجمع عوادل. عقد النبي ﷺ على عائشة وتزوج بها فيه، وكانت عائشة تستحب النكاح فيه. وهو أول أشهر الحج.

ذو القعدة وذو الحجة: في أول كل منهما الفتح والكسر وفتح الأول

---

(١) في الآثار الباقية ص ٦١: صُوان، وهو في «صبح الأعشى» ٢/ ٣٦٨ ـ ٣٧٠ وبُصان، وبصّان ووَبْصان وهو من الوبيض أي البريق.

وكسر الثاني في أفصح من العكس جمعها ذوات القعدة وذوات الحجة وكان يسمى الأول هُواعاً والجمع أهوعة وهواعات والثاني بُركاً والجمع بُركات.

فائدة: أخرج ابن عساكر من طريق الأصمعي قال: كان أبو عمر بن العلاء يقول إنما سمي المحرم، لأن القتال محرم فيه، وصفر لأن العرب كانت تنزل فيه بلاداً يقال لها صفر وشهرا، بيع كانوا يربعون فيهما وجماديان كان يجمد فيهما الماء.

ورجب كانوا يرجبون فيه النخل، وشعبان تشعبت فيه القبائل، ورمضان رمضت فيه الفصال من الحر، وشوال شالت الإبل بأذنابها للضراب، وذو القعدة قعدوا فيه عن القتال، وذو الحجة كانوا يحجون فيه وإنما سُقْنا هذه الفوائد هنا لأنها مهمة ولا يليق بالكاتب والمؤرخْ جهلها، وبالله التوفيق.

آخر الكتاب والحمد لله الملك الوهاب...» أ. هـ.

وبذلك يمكن القول، إنّ على المحقق أن يعلم المصطلحات العربية القديمة للأيام والشهور، حتى يستطيع تفسيرها وشرحها، لهذا فإننا نعيد ترجمتها كما وردت عند السيوطي على النحو التالي:

١ - الأحد = الأول.

٢ - الإثنين = أهون.

٣ - الثلاثاء = جُباراً

٤ - الأربعاء = دُباراً، المراد.

٥ - الخميس = مؤنساً.

٦ - الجمعة = العروبة.

٧ - السبت = سِياراً.

٣ - الشهور وما يقابلها عند العرب القدامى:

١ - المحرم = المؤتمر (ويقال له أيضاً شهر الله).

٢ - صفر = ناجر (ويقال له أيضاً شهر الخير والمظفر).

٣ - ربيع الأول = خِوان (ويقال له ربيع شهور).

٤ - ربيع الآخر = وَبصان (ويقال له ربيع زمان).

٥ - جمادى الأولى = حنين (ويقال له جمادى خمسة).

٦ - جمادى الآخره = ورنة (ويقال له جمادى ستة).

٧ - رجب = الأصم (ويقال له الفرد).

٨ - شعبان - وَعل (ويقال له المعظم الشريف).

٩ - رمضان = ناتق.

١٠ - شوال = عادل.

١١ - ذو القعدة = هواع.

١٢ - ذو الحجة = بُرك.

الفصل الخامس

منهج وقواعد كتابة البحوث والرسائل الجامعية[1] (كيف تكتب بحثاً أو رسالة أو أطروحة)

منهج وقواعد كتابة البحوث والرسائل الجامعية(كيف تكتب بحثاً أو رسالة أو أطروحة)

الباحث والبحث:

البحث «عبارة عن تقرير واف، يقدمه باحث عن عمل تعهده وأتمه، على أن يشمل التقرير كل مراحل الدراسة منذ كانت فكرة حتى صارت نتائج مدونة، مرتبة مؤيدة بالحجج والأسانيد».

أنواع البحث:

١ ـ بحوث قصيرة على شكل مقالة أو ورقة بحث (Term - Paper بالإنكليزية)، و (Article, Propos بالفرنسية)، وهي لا تأتي باكتشاف جديد، بل تفتح آفاقاً جديدة للبحث والاكتشاف.

---

(١) أنظر: د. حسان حلاق، د. محمد منير سعد الدين: كيف تكتب بحثاً او رسالة أو أطروحة، بيروت ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م.

٢ - الرسالة (Thesis بالإنكليزية) و (Mémoire بالفرنسية) وتهدف إلى تقويم منهج الطالب الباحث أكثر من هدف الاكتشاف، وهي على مستوى الماجستير ويشار إليها (Master Thesis). علماً أن الكثير من الجامعات والمشرفين والطلاب يرتقون برسائل الماجستير إلى مستوى أطروحة الدكتوراه.

٣ - الأطروحة (Dessertation بالإنكليزية) و (Thèse بالفرنسية) يقدمها الطالب لنيل شهادة الدكتوراه في اختصاص معين، وهي عبارة عن بحوث علمية مبتكرة، وتدل على أصالة في الاستيعاب. ووسيلتها، لا سيما في قسم التاريخ، حصول الطالب على وثائق ومخطوطات تنشر للمرة الأولى، لإعطاء الأطروحة طابعاً علمياً مميزاً، لأن المعلومات الواردة في المصادر والمراجع غير كافية لنيل درجة الدكتوراه.

الباحث والبحث وشروطه:

لا بد للباحث والبحث العلمي الناجح من توافر مواصفات وشروط منها:

١ - رغبة الباحث العلمية، انطلاقاً من حبه للحقيقة وكشفها.

٢ - صبر الباحث على المشقات التي تصادفه سواء كانت في التفتيش عن الوثائق أو عن المصادر والمراجع، أو التقميش، أو ملاحظات الأستاذ المشرف وتوجيهاته حول التعديلات اللازمة، أو حول طلبه للحصول على معلومات ووثائق جديدة.

٣ - الذكاء ودقة الملاحظة وسعة معرفة الباحث وثقافته وذلك من خلال معرفته للعلوم واللغات المساعدة في تفهم كل ما يتعلق ببحثه، وأيضاً من خلال قدرته على التحليل والنقد وتقنية البحث.

٤ - الأمانة العلمية ضرورة أساسية وهي سمة من سمات الباحث الجاد،

فالتزوير والتصحيف والتحريف العلمي ليسا من مميزات الباحث الجاد.

٥ ـ حسن اختيار الباحث لعنوان البحث من خلال تحديده بدقة، وإيجازه بوضوح، وتحديد الفترة الزمنية، وتحديد المنطقة.

٦ ـ هدف البحث، لأن الهدف الواضح الواقعي يساعد في توجيه نشاط الباحث، ويدفع إلى الإنجاز، والنجاح، وهو أيضاً معيار لتقويم العمل. فالالتزام بالبحث وحبه له يدفع الباحث إلى تذليل الكثير من المصاعب للوصول إلى الحقيقة والغاية المنشودة.

٧ ـ تمتع الباحث بالمهارات البحثية، من تخطيط وإعداد، وصياغة ومتابعة.

٨ ـ قراءة الباحث الواسعة العميقة التي تساعده على الإحاطة بكل ما كتب عن موضوعه.

٩ ـ الباحث صادق، مستقيم، متواضع أمين، ويظهر كل هذا من خلال اعترافه بفضل الآخرين وذلك بالإشارة إلى احترامه الأفكار المقتبسة، والمنقولة بدقة، بعيداً عن البتر والتحيز والهوى، ومع احترامه لآراء الآخرين.

١٠ ـ تمتع الباحث بالقدرة التنظيمية حيث تساعده على تبويب أقسام بحثه، وأبوابه، وفصوله، وفقره، تبويباً محكماً، مترابطاً بتسلسل منطقي.

١١ ـ خلو البحث من الأخطاء النحوية والإملائية، ومراعاة علامات الترقيم، والفقرات والهوامش، وانسجام الأسلوب، وتنظيم الجداول والملاحق، والأشكال، والصور. ولا مانع مطلقاً من اطلاع متخصص باللغة لتنقية البحث من الأخطاء اللغوية.

١٢ ـ الابتعاد عن أساليب التهكم والسخرية، والإعجاب بالنفس والكبر كقوله: (الباحث لا يوافق، يرى، يعتقد)، واستبدالها بقول الباحث (يبدو أنه، يظهر مما سبق، يتضح من ذلك)، وكذلك الابتعاد عن

استخدام ضمير المتكلم (أنا، نحن، أرى، رأيي).

١٣ ـ عدم استخدام الألقاب (دكتور، أستاذ، عميد) وغيرها من الألقاب، إلاَّ في حالة إذا كان للقب أو الوظيفة صلة بالفكرة التي يتحدث عنها الباحث، علماً أن بعض الباحثين يفضلون استخدام اللقب العلمي للدلالة على مستوى الكتاب المقتبس منه.

١٤ ـ ضرورة ظهور موهبة الباحث وشخصيته من خلال البحث، فهو قارىء مقارن، فطن، متأنق في الأداء، جريء في الحق.

اختيار موضوع البحث:

اختيار موضوع البحث مهمة شاقة على الباحث، ولذلك يترتب عليه أن يبذل جهداً في اختياره ووضع معايير له من خلال ما يلي:

١ ـ على الطالب أن يتجنب منذ البداية الطلب إلى أستاذه أن يختار له موضوعاً للدراسة والبحث، لأن ذلك يعطي الأستاذ انطباعاً سيئاً عن الطالب بأنه لا يملك رؤية حول الموضوعات التي يريد العمل عليها. لذا على الطالب ـ بعد البحث والتنقيب ـ أن يعرض على أستاذه المشرف خمسة عناوين موضوعات على الأقل، لأخذ مشورته ونصائحه، لاختيار أحد الموضوعات المناسبة والتي تعتبر جديدة.

٢ ـ قراءات عامة حول الموضوع لمدة ثلاثة شهور قبل تسجيل أطروحة الدكتوراه، وقبل تسجيل رسالة الماجستير، ولمدة أسابيع قليلة قبل تسجيل الأبحاث.

٣ ـ الرجوع إلى البيبلوغرافيات الخاصة بالأبحاث، والرسائل المنجزة في الجامعات، وما تنشره الدوريات، ودليل رسائل الجامعات، فيستنير

بالمواضيع التي عالجها الباحثون السابقون.

٤ ـ جدة وحداثة في الموضوع وابتعاد عن الموضوعات التقليدية.

٥ ـ أهمية الموضوع والحاجة إليه سواء كان ذلك للباحث نفسه، أم لعمله، أو للكلية التي ينتسب إليها، أو لبعض المؤسسات، أو للمجتمع عامة.

٦ ـ حصر الموضوع وتحديده.

٧ ـ وفرة في المادة وفي مصادر البحث ومراجعه.

٨ ـ قدرة الباحث على معالجة الموضوع.

٩ ـ استحقاق موضوع البحث لبذل الجهد والتعب من أجله.

١٠ ـ توفر الوقت الكافي، وتوفر الإمكانات المالية وتوفر المنح والمساعدات لإنجاز الدراسة.

١١ ـ عدم تغطية الباحثين السابقين للموضوع بكفاية، فيعمل الباحث على إعادة تقييمه، أو تفسيره من جديد أو إضافات له وإلاَّ لا حاجة للتكرار.

١٢ ـ قيمة البحث العلمية، ومدى إجلائه للحقيقة.

١٣ ـ الحاجة إلى السفر لجمع المعلومات، إذا كانت المعلومات غير متوفرة في المصادر أو الوثائق الموجودة في بلد الطالب، أو غير متوفرة على الأنترنت.

تعديل موضوع البحث وتغييره:

يجوز للباحث تغيير موضوع بحثه بموافقة الأستاذ المشرف ومجلس الكلية ـ علماً أن على الطالب أن يتجنب سلفاً الوقوع في مثل هذا الخطأ

باعتماد النصائح السابقة ـ ويتم ذلك في الحالات التالية:

١ ـ النقص الكبير في مصادر ومراجع البحث الأساسية.

٢ ـ عدم قدرة الطالب على متابعة بحثه. والواجب على الباحث أن يسارع إلى تغيير موضوعه، ولا يأسف على الوقت الذي فات، لأنه كان سيضيعه فيما لا طائل تحته، علماً أنه لم يُضع وقته هدراً بل استفاد من كل ما قرأ.

٣ ـ صدور دراسة تلغي دراسة الطالب لأنها تعالج الموضوع نفسه، أو كشف موضوع سابق مطروق من باحث آخر. مع العلم أن الطالب باستطاعته الاستمرار في موضوعه إذا تبين له أنه قادر على العثور على وثائق ومخطوطات ومعلومات لم يسبق نشرها. مما يعطي البحث ميزة علمية غير موجودة مثلاً في الدراسة الصادرة عن أحد الباحثين. بالإضافة إلى أن بعض الدراسات المنشورة منذ عشر سنوات أو أكثر لا تلغي إمكانية استمرار الطالب في رسالته، لأن الوثائق والمصادر والمراجع الجديدة الصادرة حول هذا الموضوع قد ألغت الكثير مما سبق وروده في الدراسات القديمة.

الباحث والأستاذ المشرف

انطلاقاً من اهتمام الجامعات والكليات بطلاب الدراسات العليا ورعايتهم، وتحقيقاً للأهداف التي تنشدها الدراسات العليا، وبخاصة تخريج مجموعة من الباحثين العلميين، تختار الكليات أساتذة مشرفين من بين المتخصصين في الموضوع الذي يبحثه الطالب.

ويبدو أن دور المشرف يظهر مبكراً عندما يقوم الطالب باختيار موضوع بحثه ووضع مخططه الذي تتم الموافقة المبدئية عليه من قبل المشرف قبل تحويله إلى مجلس الكلية أو لجنة الدراسات العليا في القسم. وتتضمن خطة

البحث أو الهيكلية المبدئية له ما يلي:

المخطط أو الهيكل المبدئي للبحث

١ ـ طلب موجه من الطالب إلى المشرف للموافقه على الإشراف وعلى خطة البحث ٢ ـ عنوان البحث. ٣ ـ تحديد مشكلة البحث وفرضياته ٤ ـ أسباب اختيار البحث. ٥ ـ أهداف البحث. ٦ ـ أهمية البحث. ٧ ـ مجال وحدود الدراسة. ٨ ـ خطوات البحث (الأبواب، الفصول، وعناوينها المبدئية). ٩ ـ قائمة المصادر والمراجع الأولية حسب الأحرف الهجائية.

١ ـ إن اختيار الطالب لموضوع البحث، هو في الحقيقة مسؤوليته وحده والأستاذ المشرف يوجهه ويرشده نحو المصادر والمراجع وأسلوب العمل.

٢ ـ في حال تم الاتفاق على الموضوع ومخططه، يرفع المخطط إلى مجلس الكلية أو مجلس القسم بعد أن يطبع منه أو يصور عدة نسخ توزع على أعضاء المجلس، الذي يقر أو يعدل أو يرفض المخطط، علماً بأنه لكل كلية نظامها الخاص في هذا المجال.

٣ ـ في حال الموافقة على المخطط، يتفق الطالب الباحث مع أستاذه المشرف على تنظيم مقابلات دورية تكون في الكلية عادة وتطول مدة المقابلات أو تقصر حسب الأمور المعروضة والنقاش الذي يدور حولها. وعلى الطالب الباحث أن يأخذ بعين الاعتبار إمكانية إلغاء

المقابلة مع الأستاذ المشرف، أو تأجيلها لأسباب طارئة يتعرض لها المشرف، وهنا على الطالب أن يسأل الأستاذ عن موعد جديد.

٤ ـ على الطالب الباحث أن يذهب إلى أستاذه المشرف وهو يحمل إليه أموراً تستحق الدراسة، وأن يسجل ما يمليه عليه أستاذه من ملاحظات في كراس خاص، والمطلوب من الباحث أن يعطي أستاذه الانطباع الجيد عنه منذ المقابلة الأولى، مع تحذيرك أيها الطالب عدم جعل أستاذك المشرف مستشارك في كل أمر صغير فإن ذلك يضعفك في نظره، لذلك إذهب إليه بعمل متكامل فيه جهد واضح، لتكون صورتك في ذهنه مشرقة وضاءة، ولا شك أن جودة ما تقدمه، وتقبلك النصائح والتوجيهات من خلال قناعاتك توطد صلتك بأستاذك وتزيد من احترامه وتقديره لك ولأعمالك.

٥ ـ على الطالب الباحث أن يتحلى بالصبر، والأناة، والتنظيم، والتعمق بالبحث لأنه قد يصبح أكثر إلماماً من أستاذه بالموضوع الذي يبحثه، ولكنه يبقى دونه بالخبرة، والمنهجية العلمية، والنضج في المعرفة والثقافة، مما يتطلب من الباحث حسن الإصغاء والانتباه لتوجيهاته، والتواضع وعدم المعاندة.

٦ ـ على الطالب الباحث أن يقدم بحثه للأستاذ المشرف باباً باباً أو فصلاً فصلاً، كنموذج لعمله، لتسير الفصول والأبواب التالية وفق المنهجية التي يرسمها الأستاذ المشرف. غير أنه في نهاية المطاف تقدم الأطروحة أو الرسالة دفعة واحدة حتى يتبين للمشرف طبيعة ومنهج العمل كاملاً.

وفي الختام ننصحك أيها الطالب الباحث أن تظل على صلة بأستاذك المشرف وأن تنسق علاقاتك به، لتستفيد من خبراته وتوجيهاته، وتدرك إلى أي مدى وصلت من خلال متابعته لك خطوة خطوة، فهذا العمل يريحك ويريح أستاذك الذي يصبح على علم بدقائق أمور بحثك،

وخاصة إذا نفذت تعليماته أولاً بأول.

الباحث والمكتبة

تعتبر المصادر والمراجع من أدوات البحث التي لا يستغني عنها الباحث في الحصول على المعلومات، والبيانات، ولا شك أن مثل هذه المصادر والمراجع يجدها في المكتبات والتي عليه أن يرتادها ليكون عارفاً معرفة كافية بالمصادر والمراجع والمهارات المكتبية التي تمكنه من الإفادة منها، ونذكر بعض المهارات المكتبية:

- استخدام أجهزة الكمبيوتر: وهي وسيلة حديثة متوفرة في المكتبات، وبواسطتها يتم الحصول على عناوين الكتب والدراسات المطلوبة، والحصول على مؤلفيها، كما يمكن الحصول على عناوين مضامينها.

- استخدام الفهارس المتخصصة: تساعد الفهارس الباحث في معرفة المخطوطات والوثائق والمصادر والمراجع في المكتبة، حيث أن كل كتاب يسجل في كتالوج البطاقات ثلاث مرات على الأقل[1]:

١ ـ في فهرس المؤلفين ويعتمد هذا الفهرس على الترتيب الهجائي لأسماء المؤلفين المعروفة أكثر من غيرها، مثال ذلك: ابن خلدون. فالباحث يعود إلى البطاقات المكتبية المدون عليها حرف (الألف) (أ)، لأن ابن خلدون هي شهرته المعروف بها، وليس معروفاً باسمه الكامل: أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن. ويوضع على البطاقة الحرف الأول من اسم المؤلف والحرف الأول من اسم الكتاب ورقمه في المكتبة، ودار النشر التي تولت طباعته، ومكان وتاريخ صدوره. وإذا كانت المطبوعة الحكومية فيكون الرجوع إلى اسم الدولة

---

(١) استطاعت المكتبات الحديثة المعتمد، على برامج الكمبيوتر، اختصار جميع هذه المراحل من العمل في المكتبة.

ثم الوزارة الناشرة للكتاب.

نموذج لبطاقة المؤلف (بالعربية)

٣٠١ أ.م.
ابن خلدون (أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن..).
المقدمة
بيروت ـ دار القلم ـ ١٩٨١.

نموذج لبطاقة المؤلف (بالإنكليزية)

658. 15 Henderson. Scott.
HST.
An Introduction To Financial Accounting
Theory, By Scott Henderson, and Garham Peirson
Australia, Longman Cheshire.
VI; 154p.
1 - Financial Accounting
II - Peirson, Graham.
III - Tittle.

٢ ـ في فهرس الموضوعات: يساعد هذا الفهرس الباحث على التوصل إلى جميع المراجع الموجودة في المكتبة والتي تبحث في موضوع معين. وللموضوعات مفاتيح عديدة وليس كما يظن البعض بأن للموضوع مفتاح واحد. وعلى سبيل المثال فإن الطالب الذي يعمل على تاريخ لبنان، فمن واجبه أن لا يطلع فقط على بطاقات المكتبة التي تبدأ بحرف اللام (ل) فحسب، بل عليه الإطلاع على مفاتيح عديدة، منها: حرف التاء فبواسطتها نطلع على كتب تحت عنوان: تاريخ لبنان. والإطلاع على حرف الجيم (ج) أي جغرافية لبنان، والإطلاع على حرف الواو (و) أي وثائق لبنان، والإطلاع

على حرف الميم (م) أي الميثاق الوطني اللبناني. وحرف الميم قد تعني مذكرات هذا الزعيم أو ذاك حول لبنان وتاريخه. ويمكن الإطلاع على بطاقات حرف الطاء (ط) أي الطائفية في لبنان. وهناك مفاتيح لا عد ولا حصر لها حول موضوع واحد.

نموذج لبطاقة الموضوع (بالعربية)

١١٥٩٥٦,٢٠١ د.ح.
دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣ ـ ١٩٤٣.
حسان حلاق.
بيروت ـ دار النهضة العربية ١٩٨٥.

نموذج لبطاقة الموضوع (بالإنكليزية)

658. 15 Financial Accounting
HST.
Henderson, Scott.
An Introduction To Financial Accounting
Theory, By Scott Henderson And Cheshire, 1977.
VI, 154p.
I - Financial Accounting
II - Peirson, Graham Jtouth.
III - Tittle.

٣ ـ في فهرس العناوين: ترتب البطاقات ترتيباً هجائياً وذلك بالنسبة لعناوين المراجع.

يراعى في كل ما سبق حذف الـ التعريف من الإسم.

نموذج لبطاقة العنوان (بالعربية)

٩٥٦,٠٨ ح.م.
دراسات عثمانية وصهيونية.
حسان حلاق.
موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ ـ ١٩٠٩.
بيروت ـ الدار الجامعية ـ ١٩٨٦.

أولاً: من خلال استعراض فهارس الموضوعات والمؤلفين والعناوين نلاحظ أن المعلومات التي تسجل في كل بطاقة تتضمن: رقم الكتاب، الحرف الأول من اسم المؤلف والحرف الأول من اسم الكتاب، المؤلف، عنوان الكتاب، مكان النشر، سنة النشر، عدد الصفحات وحجم الكتاب، السلسلة التي ينتمي إليها الكتاب، معلومات بيبلوغرافية، عنوان الموضوع.

ثانياً: القراءة من الكتاب سواء كانت في المكتبة العامة أو الخاصة أو غيرها تتطلب منك أيها الباحث:

١ ـ أن لا تقرأ الكتاب من الغلاف إلى الغلاف، بل تتعرف على الإطار العام للكتاب، وتتصفح مقدمة وخطة البحث وفهرسة المحتويات وقائمة المراجع وإن لم تكن هذه موجودة استعرض الكتاب بسرعة، أما ما هو وثيق الصلة بموضوعك فاقرأه بتؤدة وعمق.

٢ ـ أن لا تقرأ وأنت مجهد جسمانياً سواء قراءة الكتب أو القراءة على الميكروفيلم.

٣ ـ أن تبتعد عن الاستطراد في قراءة أجزاء من الكتاب لا تتصل بموضوعك.

٤ ـ أن تستفيد من الأوقات خاصة الصباحية التي تكون فيها أكثر استعداداً لفهم ما تقرأ من الكتاب.

٥ ـ أن تركز تفكيرك أثناء القراءة، ولتكن قراءتك ناقدة لا سطحية.

٦ ـ أن تنظم جدولاً لعملك في المكتبة.

٧ ـ أن تتعرف على أقسام المكتبة التي تلبي طلبك.

٨ ـ أن تتعرف على جدول مواعيد العمل في المكتبة، وتتجنب فترات الضغط الشديد فيها، لذا فإن عليك أن تعمل في أقل الفترات ضجيجاً وضغط عمل وتنافس على المراجع والخدمات والميكروفيلم.

٩ ـ أن تقضي فترة طويلة في المكتبة تكفي لإنجاز عمل معين، وننصحك بالموازنة بين الوقت وكمية العمل.

١٠ ـ أن تبدأ عملك بالكتب التي حجزتها من المكتبات أولاً، وتشتغل فيها في الوقت الذي يقل الطلب عليها، ثم تنتقل بعد ذلك إلى المادة الأكثر توفراً.

١١ ـ إذا عثرت على وثائق أو مخطوطة أو كتاب تبدو فائدته لبحثك، إنسخ أو صوّر كل المعلومات اللازمة للحصول عليه.

١٢ ـ في حال تقدمك بطلب استعارة من مكتبة أخرى عن طريق المكتبة التي تتردد عليها، احجز جهاز قراءة المخطوطات أو الكتب المصورة، وتأكد من توفر وقت كاف للإفادة منه عندما يكون جاهزاً.

١٣ ـ هناك في المكتبات بعض الكتب التي تساعدك في الوصول إلى عناوين تتعلق ببحثك، فاستخدمها أو اسأل عنها.

١٤ ـ عندما تبحث عن مصدر أو مرجع لموضوع معين، اكتب وتذكر عناوين مرادفة، أو تصنيفات أوسع، قد تظهر تحتها العناصر المطلوبة.

١٥ ـ أن تتعرف إلى المكتبة وتعليماتها (موقع، إمكانات، خدمات، تعليمات. . . إلخ).

١٦ ـ أن تقيم صلات ودية مع المسؤولين عن المكتبات التي تتردد عليها،

فأغلب هؤلاء لهم خبرة كبيرة بالمراجع والمخطوطات القيمة التي تتصل بالموضوع الذي تبحثه.

١٧ ـ ننصحك من خلال خبراتنا وتعاملنا مع المكتبات الكبيرة العامة أن تسترشد بـ:

أ ـ **دليل الأسماء**: الذي يحوي أسماء وعناوين الأشخاص والدوريات والناشرين والمؤسسات والهيئات، وذلك يفيدك حينما تريد الحصول على معلومات أو مقابلات أو منح أو أجهزة للبحث، أنك ستجد من خلال هذا الدليل ما يلبي طلباتك ويساعد في حل مشكلاتك.

ب ـ **مصادر التراجم والأعلام**: تستطيع من خلالها الحصول على معلومات محددة عن أشخاص بالتعرف على تاريخ ميلادهم، درجاتهم العلمية، مؤلفاتهم، نشاطاتهم، اتجاهاتهم المهنية، ماضيهم، مكانتهم، انتماءاتهم وتحيزاتهم.

جـ ـ **الفهارس**: وتتضمن عادة فهرسة للموضوعات المنشورة في المجلات العلمية، وأسماء المؤلفين وعنوان الموضوع، ومكان النشر ورقم الصفحات في المجلة أو الدورية مما يسهل كثيراً على الباحث الحصول على المعلومات اللازمة لموضوعه.

١٨ ـ اجمع تدريجياً معلومات عن الهيئات التي تقوم بأبحاث علمية في ميدان بحثك.

١٩ ـ دوّن خلال سنوات عملك في البحث العلمي قائمة بالمكتبات والمتاحف والأفراد الذين تتوافر لديهم مجموعات خاصة تتعلق بميدان عملك.

٢٠ ـ احفظ سجلاً لأسماء الدوريات والمنظمات والهيئات الحكومية التي تخدم مجالات عملك، والإجراءات اللازمة للحصول على المعلومات منها.

٢١ ـ لاحظ أن الأسماء الرسمية لبعض الدوريات والمنظمات والهيئات الحكومية قد تتغير، لذلك احفظ السجل للأسماء السابقة وتواريخها لتيسر لك البحث عنها.

٢٢ ـ من المهم أن يطلع الباحث على الرسائل والأطروحات الجامعية سواء التي لها علاقة بموضوعه أو ليس لها علاقة مباشرة، بحيث يمكن الاستفادة منها من حيث الشكل والمضمون والإخراج.

الباحث والتقميش:

يقصد بالتقميش جمع المعلومات العلمية، وجمع مواد البحث من الوثائق والمخطوطات والمصادر أو المراجع. ومواد ومصادر البحث على نوعين:

أ ـ **مصادر أولية**: وهي المصادر المعاصرة، لموضوع الدراسة، أو القريبة منها، وهي المتخصصة في موضوع الدراسة. مثال ذلك: إذا كان موضوع الأطروحة مثلاً عن «بيروت في العهد العثماني». فإن القوانين العثمانية وسجلات المحكمة الشرعية في بيروت، وكتب الرحالة الذين زاروا بيروت ووصفوها في تلك الفترة، هي مصادر أولية.

ب ـ **المصادر الثانوية أو المراجع**: وهي المراجع التي عمد مؤلفوها إلى تأليف كتب وكتابة مقالات عن «بيروت في العهد العثماني» كتبت في التاريخ المعاصر أو منذ سنوات قليلة. وقد تكون رسائل وأطروحات علمية. وليس الذي كتبها أو ألف فيها ممن عاصر العهد العثماني في بيروت. علماً أن كونها كمراجع لا يعني أنها غير هامة. بل إن بعض المراجع في بعض الأحيان تكون أهم من المصادر، كونها مراجع وثائقية علمية كشفت عن معلومات قيّمة وهامة لم يتمكن المعاصرون للعهد العثماني من كشفها، كما أن المراجع تفسر عادةً الأحداث الواردة في المصادر.

تدوين المعلومات:

بعد أن يختار الطالب الباحث موضوع بحثه يلجأ إلى المصادر والمراجع ليجمع منها المعلومات اللازمة، ومن هذه المصادر والمراجع.

١ ـ الكتب وهي عبارة عن مصادر أو مراجع ذات قيمة للبحث، وكلما زاد استخدام الباحث للمصادر الأصلية وكثرت الحقائق المستفادة منها كلما عظمت قيمة البحث.

٢ ـ المخطوطات.

٣ ـ الوثائق.

٤ ـ اليوميات.

٥ ـ المذكرات الشخصية.

٦ ـ الخطابات الخاصة ذات الأهمية العامة.

٧ ـ الدراسة الشخصية للأمكنة واللوحات التاريخية.

٨ ـ الآثار.

٩ ـ النقوش والمسكوكات.

١٠ ـ الموسوعات وبقية العلوم المساعدة.

تعتبر الموسوعات مراجع مفيدة للإسترشاد بها، فقد تراجع فيها حقيقة من الحقائق، أو تحصل منها على نظرة شاملة موجزة عن موضوع من الموضوعات. وعادة ما تحوي الموسوعات معلومات جامعة وقوائم مراجع منتقاة أعدت بواسطة متخصصين ممتازين. ولكي يستفيد الباحث من الموسوعات أكبر استفادة ممكنة، فإن عليه أن يراجع تواريخ النشر، ويتفحص الملاحق السنوية التي تأتي بمادة مستحدثه ويستعرض

الفهارس، ومن أشهر هذه الموسوعات:

ـ دائرة المعارف (الموسوعة الإسلامية): **The Encyclopedia of Islam**.

ـ موسوعة الدين والأخلاق: **The Encyclopedia of Religion and Ethic**.

ـ الموسوعة الإسلامية: **Encyclopedia De l'Islam**.

ـ الموسوعة البريطانية: **Encyclopedia Britannica**.

ـ الموسوعة الأمريكية: **Encyclopedia Americana**.

ـ موسوعة البحوث التربوية: **Encyclopedia Of Educational Research**.

ـ موسوعة العلوم الإجتماعية: **Encyclopedia Of The Social Sciences**.

ـ موسوعة تاريخ العالم: **Encyclopedia Of World History**.

ـ الموسوعة السياسية. **Encyclopedia of politics**

ـ الموسوعة الكاثوليكية: **Catholic Encyclopedia**.

ـ الموسوعة اليهودية: **Jewish Encyclopedia**.

ـ دائرة المعارف الإسلامية (الترجمة العربية) إبراهيم خورشيد وآخرون.

ـ دائرة المعارف (بطرس البستاني).

ـ الموسوعة العربية الميسرة إشراف شفيق غربال.

ـ دائرة معارف القرن العشرين (محمد فريد وجدي).

١١ ـ المعاجم.

تزودنا المعاجم الجيدة بمعلومات تتعلق بالهجاء والنطق والاشتقاق والمقاطع والاستخدام السليم للكلمات. ومن أشهر المعاجم:

ـ قاموس أكسفورد باللغة الإنجليزية **Oxford English Dictionary**.

- قاموس ويبستر الدولي الجديد للغة الإنجليزية Webster's New International Dictionary Of The English Language.
- قاموس التربية إعداد كارتر جود Dictionary Of Education (Carter V. Good).
- قاموس علم الاجتماع إعداد جون سادروزري Dictionary Of Social Sciences (John T. Sadrozry).
- القاموس الشامل لمصطلحات علم النفس والتحليل النفسي Comprehensive Dictionary Of Psychological.
- قاموس المصطلحات الإحصائية إعداد كاندل ورفيقه Dictionary Statistical Term (Maurice G. Kandell).
- قواميس مصطلحات اللغة التركية وما يقابلها باللغة العربية.
- تهذيب اللغة (محمد بن أحمد الأزهري).
- تاج العروس (محمد بن المرتضى الزبيدي).
- الصحاح (إسماعيل بن حماد الجوهري).
- القاموس المحيط (محمد بن يعقوب الفيروزابادي)
- لسان العرب (محمد بن مكرم بن منظور).
- أساس البلاغة (محمود بن عمر الزمخشري).
- محيط المحيط (بطرس البستاني).
- المعجم الوسيط لمعجم اللغة العربية.
- المنجد في اللغة والأدب والعلوم.
- المرجع للشيخ عبد الله العلايلي.

- معجم علم النفس (إنكليزي - فرنسي - عربي) فاخر عاقل.
- قاموس علم النفس (إنكليزي - عربي - مصور) حامد عبد السلام زهران.
- قاموس التربية (إنكليزي - عربي) محمد علي الخولي.
- قاموس عربي - إنجليزي - فرنسي للدكتور روحي البعلبكي.

فالمعاجم كثيرة وعلى أنواع منها اللغوية ومنها للتراجم ومنها للموضوعات الخاصة ومنها ما يجمع بين هذا وذاك.

١٢ - التقاويم والكتب السنوية وهي تحوي أحدث المعلومات والبيانات والإحصائيات في ميدان تخصصها.

وكذلك هناك الحوليات، ومنها حوليات الثقافة العربية التي أصدرها المربي الأستاذ ساطع الحصري وهي مفيدة في جوانب التربية والتعليم المختلفة.

١٣ - الدوريات والمجلات.

١٤ - رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه.

١٥ - المحاضرات والأحاديث الإذاعية.

١٦ - المقابلات.

من الأهمية بمكان القول أنه من واجب الطالب أن لا يحجم تحركه العلمي في إطار موضوعه فحسب، بل عليه أن يطل على العلوم الأخرى التي ترتبط بموضوعه بشكل مباشر أو غير مباشر، لأن العلوم كلها مترابطة ومساعدة، فالدراسات الإسلامية والدراسات الإنسانية تحتاج إلى علوم وعناصر عديدة يستند إليها الباحث في دراسته. فإذا كان موضوع الطالب عن الوزارة أو الخلافة أو الإمامة في الإسلام مثلاً، فمن واجب الباحث أن لا يعتمد فقط على كتب التاريخ، بل عليه أن يطل على مصادر التشريع من قرآن كريم

والأحاديث الشريفة بالإضافة إلى الفقه وكتب السياسة والاجتماع والفلسفة. . . إلى ما هنالك من علوم ومصادر مساعدة.

أما نظام تدوين المعلومات، هناك عادةً نظامان لتدوين المعلومات وهما[1]:

١ ـ النظام الأول ـ نظام البطاقات:

يقوم الباحث بالأعمال التالية:

١ ـ تخصيص بطاقة لكل مصدر أو مرجع، وهي متوافرة في الأسواق، وعلى أشكال مختلفة، ويوضع عليها، اسم المؤلف في أعلى البطاقة، عنوان الكتاب، اسم المحقق أو المترجم. مكان النشر، دار النشر، تاريخ النشر، عدد الأجزاء والمجلدات عدد الصفحات. مكان وجود الكتاب ورقمه (إن كان في مكتبة عامة، أو خاصة أو معهد. . . إلخ).

ويمكن أن تضع ملخصاً لمحتوى الكتاب واتجاهات الباحث.

٢ ـ تخصيص بطاقة خاصة للمعلومات المقتبسة يكتب عليها:

- النص حرفياً بين شولتين «»، ويكتب كاملاً على أن يكتب بأسلوب الباحث في مرحلة التفريغ، وربما استعان ببعض النص.
- المصدر أو المرجع على الشكل التالي: اسم المؤلف بلا لقب، اسم المصدر أو المرجع، مكان النشر، دار النشر، الطبعة، السنة، رقم الصفحة.
- المعلومة أو الفكرة وسط البطاقة.

---

(١) يعتمد بعض الباحثين وطلاب الدراسات العليا على أجهزة الكمبيوتر لتدوين المعلومات المستقاة من المصادر والمراجع.

٣ ـ ضرورة وضع عنوان صغير في أعلى البطاقة، يتضمن المحتوى المقتبس من الكتاب.

نموذج بطاقة (فيش):

بطاقة رقم (١). حسان حلاق: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية ـ بيروت ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م. ـ الوزارة ـ ص ١٨ «يرى ابن خلدون ص ١٩

٤ ـ ضرورة استخدام البطاقات ذات الحجم الواحد واللون الواحد، ويمكن استخدام بطاقات ذات ألوان مختلفة كفواصل بين الأبواب والفصول.

٥ ـ الكتابة على وجه واحد من البطاقة، وإذا لم يكف ذلك، فعلى ثانية، وثالثة، على أن ترقم البطاقات ويذكر عنوان الكتاب ومؤلفه على كل منها.

٦ ـ في حال تعدد مصادر المعلومة، اجعل لها عدة بطاقات وتضعها متتالية مع تكرار العنوان.

٧ ـ ترتيب البطاقات حسب العناوين، والأبواب والفصول سواء بعد الانتهاء من جمع المعلومات، أو أولاً بأول.

٨ ـ تخصيص بطاقات تحت عنوان «متفرقات» أو عناوين فرعية.

٩ ـ يكتب على البطاقات بالحبر وبخط واضح، أما العناوين فيفضل أن تكتب بلون أحمر أو لون آخر.

١٠ ـ توضع البطاقات في درج أو صندوق معدني أو خشبي، أو كرتونة،

عرضه زائد قليلاً عن عرض البطاقة، وارتفاعه أقل بكثير من ارتفاعها، وطوله حسب الحاجة.

١١ ـ إن ترقيم البطاقات ضروري لضبط ما جمع من كتاب واحد. فإذا اقتبس من كتاب واحد عشرون بطاقة وجب ترقيمها، على أن يوضع على أول بطاقة رقم ١/ ٢٠ وعلى آخر بطاقة رقم ٢٠/ ٢٠، بحيث إذا ضاعت واحدة من البطاقات تمكن الباحث فوراً من معرفة ضياع بطاقة أو أكثر.

٢ ـ النظام الثاني ـ نظام الملف أو الدوسيه:

يقسم الباحث أوراق الملف أو الكلاسير (Classeur) وفق خطته (مقدمة، باب، فصل، متفرقات، مصادر، مراجع) ويفصل بينها بأوراق ملونة، وبورقة سميكة ذات لسان بارز لعناوين الفصول.

ويستخدم الباحث أوراق على وجه واحد، ولا يكتب عليها إلاَّ معلومة واحدة وإذا كثرت الأوراق في الملف، فإنه يستعمل ملفاً آخر، ويعدل في توزيع مواد الملف الأول.

الباحث وتفريغ المعلومات، وكتابة البحث

بعد أن يفرغ الباحث من التقميش، ومراجعة جميع المصادر والمراجع المتعلقة بالبحث، وجمع المادة اللازمة لذلك، يتبين للباحث أنه من الممكن تعديل أو تغيير أو حذف بعض الفصول والأبواب، فإذا فعل ذلك عليه استشارة أستاذه المشرف لأخذ ملاحظاته، وهنا عليه ذكر كل العناوين الرئيسية والثانوية، ويتدارك ما هو ناقص أو زائد، ويعيد ترتيب بطاقاته وفق العناوين الجديدة.

وهنا على الباحث السير في الخطوات التالية:

١ ـ احصل على الإذن من الأستاذ المشرف لتفريغ وكتابة المعلومات.

٢ ـ اكتب البحث على أوراق بيضاء مسطرة وعلى وجه واحد، ثم أطبع ما كتبت.

٣ ـ اترك حواشي أي مسافات فارغة على يمين ويسار الورقة حتى يتمكن الأستاذ المشرف من وضع ملاحظاته.

٤ ـ انقل المعلومات مما جمعته من البطاقات، ورتبها في مكانها المناسب، وضمن أبوابها وفصولها المنظمة المرتبة زمنياً وموضوعياً.

٥ ـ انقل الاقتباسات المهمة حرفياً وعندها يوضع المقتبس بين شولتين (الأهلَّة) « ». أو اعمد إلى صياغتها بأسلوبك تبعاً للمطلوب، وإذا حذفت بعض فقراتها فضع مكان الحذف نقط (. . .)، وفي كل حالات الاقتباس رقِّم المقتبس بوضع رقم مرتفع قليلاً عن السطر على آخر كلمة منه وبين قوسين ( )، ومع كتابة رقم يماثله في الهامش وبين مزدوجتين أيضاً ( )، ويكتب في الهامش، اسم المؤلف، عنوان المصدر رقم الصفحة. وفي حال زيادة حرف، أو كلمة، أو عبارة، أو شرح، أو اتمام نقص، ضع القوسان المركنان [ ].

٦ ـ ابدأ الدراسة بمقدمة حول الموضوع وأهميته وسبب اختيارك له. والعقبات التي واجهتك أثناء إعداد الموضوع. ثم لخص الفصول التي عالجت من خلالها الموضوع. وبعدها مباشرة قم بتحليل لأهم الوثائق والمصادر والمخطوطات التي اعتمدت عليها لإنجاز الدراسة؛ لأن ذلك يظهر للقارىء مدى أهمية المصادر التي اعتمدت عليها.

٧ ـ إذا وجدت خطأ لغوياً أو غيره تقتبسه حرفياً، وتكتب كلمة «كذا» بعد الخطأ مباشرة، وتشير إلى الصواب في الحاشية.

٨ ـ لا يجوز اقتباس نص قديم مثبت في مرجع حديث، بل ينبغي الرجوع إلى الأصل، فإن لم يستطع الباحث بسبب فقدان الأصل أو لسبب آخر،

فليشر إلى المرجع أو إلى المصدر الذي نقل عنه المؤلف المقتبس من كتابه، وذلك اعترافاً بفضل المرجع، ودفعاً للمسؤولية عن الباحث.

٩ - لا تكتب مرجعاً أو مصدراً لم تطلع عليه، وإذا اضطررت إلى وضع ذلك المصدر أو المرجع عليك أن تضع من أي كتاب اقتبسته. والأهم أن تعود إليه ذاته، وليس إلى المرجع الذي أخذ عنه.

١٠ - الجأ إلى التحليل، والنقد، والتعليل، والتعليق، والشرح، وأنت تنقل المعلومات وتكتبها.

١١ - لا تكثر من الاقتباسات فإنها تضعف البحث، وتخفي شخصية الباحث.

١٢ - لا تكتب جملاً غامضة غير مفهومة، ولتكن هذه الجمل دقيقة ومضبوطة بعيداً عن الأسلوب الأدبي الإنشائي المسهب.

١٣ - لا تبالغ في تعميم النتائج التي انتهت إليها الدراسة.

١٤ - ابتعد عن التكرار.

١٥ - لاحظ حسن الانسجام فيما اقتبس بين ما قبله وما بعده.

١٦ - لا تبتر النص لتأخذ منه ما يتلاءم مع أغراضك.

١٧ - ابتعد عن إيراد النقاط التي لم تتضح علمياً. وإن ذكرتها فأشر إلى أن هذا غاية ما توصلت إليه، وأنك ترجو دراستها لاحقاً.

١٨ - عليك مراعاة أصول التفريع في كتاباتك.

١٩ - اكتب البحث فصلاً فصلاً وقدمه كنموذج لأستاذك. ثم قدم الأطروحة كاملة فهذا ادعى للاحترام والتقدير.

٢٠ ـ استغنِ عما تراه غير مناسب في الأطروحة، فلا تحشو ما هو غير ضروري، ولكن عليك الاحتفاظ بما جمعته، فربما تستفيد منه في دراسات أخرى.

٢١ ـ اربط فقرات نقاط البحث والفصول ربطاً منسجماً ومنطقياً.

٢٢ ـ اطبع فصول الرسالة أو الأطروحة بواسطة جهاز الكمبيوتر، وحاذر أن تقدم لأستاذك فصلاً أو رسالة بخط اليد.

٢٣ ـ على الباحث أن يشكّل الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وأسماء الأعلام، والأسماء والعبارات، وكل ما يلتبس فهمه على القارىء.

٢٤ ـ ضرورة كتابة الأسماء الأجنبية باللغتين العربية والأجنبية.

الهوامش:

١ ـ محتويات الهوامش:

أ ـ اسم المؤلف واسم المصدر ورقم الصفحة. وإذا كان اسم المصدر يتألف من عدة أجزاء أو عدة مجلدات يذكر رقم الجزء أو رقم المجلد. ويكتب في الهامش الإسم الأول للمؤلف ثم اسم عائلته أو بالعكس تبعاً لرأي وأسلوب المشرف.

ب ـ شروح: لغوية ـ تعريف بالأعلام وبالأماكن.

جـ ـ السور القرآنية ورقم الآيات.

د ـ توضيحات هامة لا بد من ذكرها في الهوامش.

٢ ـ لا تحشد الأعداد الكبيرة من المصادر والمراجع وذلك لإظهار سعة اطلاعك فليست هذه غاية البحث، إن المصادر تبرز أهميتها من خلال ما استفدته منها، وحللته ونقدته لأفكارها. ولكن احرص على أن تكون الهوامش

موجودة في كل صفحة، حتى لا تسئل من أين أتيت بهذه المعلومات.

٣ ـ تحقق من صحة ما نقل من مرجع حديث عن مصدر قديم.

٤ ـ كيفية كتابة الهوامش.

هناك أنظمة متعددة لكتابة الهوامش وهي:

أ ـ في هامش الصفحة.

ب ـ في نهاية الفصل.

جـ ـ في نهاية البحث.

ويفضل أن تكون في هامش الصفحة مباشرة.

أما الترقيم في الهوامش فله أنظمة متعددة وهي:

أ ـ ترقيم في هامش الصفحة، ولكل صفحة على حدة. أي على النحو التالي:

(١)

(٢)

(٣)

ب ـ ترقيم متسلسل (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، . . . إلخ)، وتوضع الأرقام في آخر البحث.

جـ ـ ترقيم متسلسل ضمن الفصل الواحد، وجعل الهوامش في نهاية الفصل.

د ـ جعل الأرقام متسلسلة ضمن الفصل الواحد، على أن تثبت في كل صفحة هوامشها.

وإذا كتبت المصادر في هامش الصفحة، يفصل بينها وبين المتن بخط عريض. وعند ذكر المصادر والمراجع في الهوامش:

١ ـ يذكر اسم المؤلف كاملاً، وعنوان الكتاب والمقال أو الرسالة أو الأطروحة، ثم الجزء أو المجلد، فرقم الصفحة المقتبس منها، اسم المحقق أو المترجم إن وجد، أما مكان النشر، اسم الناشر، واسم المطبعة ورقم الطبعة، تاريخ النشر، فهذا يطبق في النظام الأنجلوسكسوني ويذكر لمرة واحدة. أما في النظام الفرنسي فلا يثبتها الباحث على هذا الشكل لأنها ترد في فهرس المصادر والمراجع.

٢ ـ إذا ورد المصدر أو المرجع للمرة الثانية في الصفحة ذاتها دون ذكر مصادر أو مراجع بينه، يستخدم الباحث عبارة «المصدر نفسه» أو «المرجع نفسه». وهنا نؤكد على تجنب استعمال خطأ شائع هو «نفس المصدر» و «نفس المرجع». ويكتب بالأجنبية عبارة Ibid.

٣ ـ إذا ورد المصدر أو المرجع في الصفحة التالية أو في صفحات تالية، فعلى الباحث أن يستخدم عبارة «المصدر السابق» أو «المرجع السابق» وبالأجنبية Op. cit مع التأكيد على ذكر اسم المؤلف في كل صفحة.

٤ ـ إذا كان للمؤلف نفسه أكثر من كتاب استخدمه الباحث في بحثه فلا بد من ذكر المعلومات كاملة عن الكتاب المقتبس عنه، دون أن يستخدم عبارة «المصدر السابق» أو «المرجع السابق» لأن الباحث لو استخدم مثل هذه العبارة، لوقع إشكال عند القارىء، لمعرفة أي كتاب هو المقصود من عبارة «المصدر السابق أو المرجع السابق».

٥ ـ إذا كان للكتاب أكثر من مؤلف، أو مترجم أو محقق، فيذكر اسم المؤلف الأول أو المترجم، مضافاً إليه كلمة (آخرون، أو غيره، أو رفاقه. . .).

٦ ـ إذا كانت المعلومة المقتبسة قد وردت في أكثر من مصدر أو مرجع، فإننا نرتب المصادر والمراجع حسب أقدميتها وأهميتها. ونستخدم عبارة: «أنظر المصادر التالية».

٧ ـ إذا كانت المصادر لمؤلف واحد وتتالت في الهامش الواحد، فيفصل فيها بمسافة بيضاء تحت اسم المؤلف ويذكر اسم الكتاب. . . إلخ.

٨ ـ إذا كان النص المنقول في الهامش كبيراً، ولا يتسع له هامش الصفحة، نضع علامة المساواة = في آخر السطر الأخير من الهامش، ونكرره في أول السطر الأول من ذيل الصفحة التالية، ثم نكمل النص.

٩ ـ إذا تجاوز المقتبس الستة أسطر إلى الصفحة، فلا توضع له الشولات وإنما يوضع بشكل مميز، فيترك فراغاً أوسع بين الاقتباس وبين آخر سطر قبله. وأول سطر بعده ويكون الفراغ بين سطوره أضيق.

١٠ ـ حذار من أن تكون أحجام الفصول متباينة تبايناً فاضحاً، كأن يكون حجم فصل (٦٠) صفحة مثلاً، وحجم فصل آخر (٣٠) صفحة. فالتوازن والتقارب بين الفصول قضية منهجية هامة في كتابة الرسائل والأطروحات.

خلاصة ونتائج البحث:

من المألوف أن يضع الباحث في آخر بحثه أو في آخر كل فصل خاتمة تعرف «بنتائج البحث» لأن كل بحث أو رسالة، أو أطروحة ينبغي أن تحتوي على: مقدمة، وفصول للبحث، ونتائج للبحث، فضلاً عن المصادر والمراجع.

إن النتائج من مهمات الباحث الأساسية، التي تظهر على شكل نتائج علمية ومعلومات وثائقية وإحصاءات وصفية لنتاج الدراسة، أو ذكر لطرائق تاريخية استعملت في تقويم المعلومات والنتائج الحاصلة. وإذا وضعت النتائج فإنها توفر الكثير من الوقت. وهي ضرورية لمعرفة خلاصة البحث، وفيما إذا توصل الباحث لنتائج جديدة، أو كرر معلومات قديمة.

إن النتائج تعطي فكرة واضحة عن العمل وعما توصل إليه الباحث من

حقائق ومعلومات جدية، وبعض الموضوعات تستدعي إلى جانب ذكر النتائج ذكر مقترحات وتوصيات في موضوع البحث.

ولا بد من الإشارة إلى ضرورة وضع هذه الخلاصة، لأن في الخلاصة أفكاراً وتذكيراً بأمور أساسية هامة سبق أن وردت في الأطروحة، وهي خلاصة وافية لنتائج البحث، يذكر فيها الباحث أهم المفاصل التي عالجها، وأهم النتائج التي توصل إليها، والجديد الذي قدمه للمكتبة العلمية.

واستناداً إلى المنهج العلمي ينبغي على الباحث أن يرقّم النتائج وأن يتجنب تداخلها ببعضها البعض، ويتبع الأسلوب التالي:

نتائج البحث:

١ ـ

٢ ـ

٣ ـ

٤ ـ

هذا وتستدعي بعض الأبحاث لا سيما التاريخية والإجتماعية والإقتصادية وسواها، أن يضع الباحث جداول وصوراً ووثائق ورسوماً وخرائط وملاحق، ويضعها مجتمعة تحت عنوان «الملاحق والوثائق» بعد أن يضع لكل منها رقماً خاصاً وعنواناً يتضمن محتوى الوثيقة أو الملحق، كما يضع في أسفل صفحة الوثيقة المصدر المقتبس عنه ويجعل لها في نهاية الدراسة فهرساً هو «فهرس الملاحق والوثائق».

وتستدعي الأبحاث وضع بعض الفهارس الأخرى في نهاية البحث منها: فهرس الآيات القرآنية، فهرس الأحاديث الشريفة، فهرس الأعلام، فهرس الأماكن، فهرس المصطلحات، فهرس القبائل، فهرس الأشعار، . . . ثم

تنتهي الدراسة بفهرس شامل للمصادر والمراجع، وفهرس للمحتويات.

إرشادات عامة:

١ ـ إذا أراد الباحث إجراء مقابلات شخصية لبعض المتصلين بموضوع البحث، يجب أن يتوخى الطالب التحري والتدقيق في علم ومسلك وأخلاق من يود مقابلته ويسند إليه معلوماته، لأنه لا ثقة في المعلومات الواردة في الأطروحة من شخص لا ثقة فيه. ثم على الطالب بعد إجراء المقابلة وضع اسم الشخص، مكانته، مهنته، عمره، تاريخ المقابلة ومكانها. ولا بد من أن يأذن الشخص الذي أجريت معه المقابلة بنشر المعلومات التي حصل عليها الطالب، على أن يضع الطالب ـ الباحث عبارة (أُذن بالإشارة إليه).

٢ ـ على الباحث أن يرد المعلومات باستمرار إلى مصادرها ومراجعها.

٣ ـ على الباحث أن يمتلك دفتراً خاصاً بموضوع الأطروحة يدون عليه أية أفكار مناسبة أو هامة قد تراوده أو تأتي على خاطره لها علاقة بموضوع الدراسة. فمن واجبه أن لا يستهين بهذه الأفكار التي قد يستفيد منها في بعض الفصول والأبواب.

٤ ـ على الطالب ـ الباحث إغناء الأطروحة ولو بعد طباعتها، فقد يتبين للطالب بعض النقص في هذا الفصل أو ذاك، لذا من واجبه إغناء هذه الفصول بمصادر ومراجع جديدة لاستكمال النقص الحاصل، على أن يتلافى الطالب هذه الثغرات قبل عرض الرسالة على الأستاذ المشرف اختصاراً واستثماراً للوقت.

٥ ـ عدم الجزم بقضايا علمية جزماً نهائياً إلاَّ بعد التأكد النهائي منها. علماً أن نشر معلومات جديدة حول موضوع الدراسة لم تصل إليها يد الباحث، قد تؤثر على مستوى الدراسة، لا سيما عند اكتشاف دراسات

جديدة أو مخطوطات غير منشورة التي قد تغير من الآراء الواردة أو تعدلها لذا على الباحث أن يقول مثلاً: «إن ما توصلت إليه حول هذا الموضوع هو ما اتفق عليه العلماء، وأرجح أن يكون ذلك هو الاتفاق العام...» ولا يقول «إني أجزم وأؤكد بأن هذا الأمر نهائي ولا جدال فيه...».

٦ ـ على الباحث أن يتجنب في دراسته استخدام العبارات العامية أو ألفاظ التهكم والسخرية أو الألفاظ النابية التي لا تتوافق مع الأخلاق. كما على الباحث أن يتجنب عبارات الكبرياء أو الافتخار سواء في بحثه أو حتى أثناء مناقشته للأطروحة. فيتجنب عبارات: أنا، نحن، نرى، لا أوافق، توصلنا، بل يستعمل في بحثه عبارات بديلة منها: يبدو، يظهر مما سبق الإشارة إليه، يتضح من ذلك، يرجح، يبرز الموضوع...

٧ ـ حذار من الاستطراد والتكرار، لأن هذا الأسلوب يضعف الموضوع ويؤدي إلى الملل والضعف ويثقل على الباحث والقارىء،

٨ ـ ضع الأسماء الأجنبية باللغتين العربية والأجنبية، لا سيما أسماء الأشخاص والمصطلحات التقنية (Technical Terms).

بعض علامات الترقيم(*)

ـ الفاصلة المنقوطة؛

ـ علامة الاستفهام؟

ـ علامة التعجب!

(*) للمزيد من التفصيلات يمكن العودة إلى فصل العلوم المساعدة وفصل تحقيق المخطوطات.

ـ الشرطة ـ

ـ الشرطتان ـ ـ

ـ الشولتان المزدوجتان«»

ـ القوسان ()

ـ القوسان المركنان []

ـ نقاط حذف الكلمات . . .

ـ إلخ (إلى آخره) . . .

بعض الإختصارات الإضافية المستخدمة

م = ميلادية .

ق.هـ = قبل الهجرة .

هـ = هجرية .

م = مجلد .

جـ = جزء .

ط = طبعة .

ص = صفحة .

ر = رمضان .

ش = شوال .

را = ربيع الأول .

ج١ = جمادى الأولى .

ج٢ = جمادى الثانية.

أ.هـ = انتهى.

لا.ت = لا تاريخ أو د.ت.

لا. ط = لا طبعة.

وقد تواجه الطالب بعض الاختصارات التي كان يستخدمها علماء المسلمين، لذا لا بد من التعرف عليها، حتى يتبين له هدفها ومحتواها ومضمونها ويعمل على تفسيرها منها مثلاً:

مح = محال.

مع = معلول.

لامحة = لا محالة.

كل = كذلك.

مقص = مقصود.

ظ = ظاهر.

سق = يقول.

ح = حينئذٍ.

وللمزيد من التفصيلات راجع ابن سينا في «كتاب الشفاء».

تذكير الأعداد وتأنيثها:

١، ٢ ـ تطابق المعدود تذكيراً وتأنيثاً.

٣ ـ ١٠ مفردة ـ تخالف المعدود. (ثلاثة رجال، . ثلاث نساء).

١٠ مركبة ـ تطابق المعدود.

مثال: (١٥ رجل) خمسة عشر رجلاً.

(١٥ فتاة) خمس عشرة فتاة.

(١٢ معلم) إثنا عشر معلماً.

(١٢ معلمة) إثنتا عشرة معلمة.

أحد (للمذكر).

إحدى (للمؤنث).

١٠٠٠، ١٠.٠٠٠ ـ وألفاظ العقود (٢٠، ٣٠، ٤٠، ٥٠، . . .) كلها تلتزم حالة واحدة. (عشرون عاماً، ثلاثون عاماً. . .).

أحرف الأبجدية العربية والأجنبية:

أ ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن هـ و ي

A B C D E F G H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z

فهرس المصادر والمراجع

تختم الرسالة أو الأطروحة بذكر مصادرها ومراجعها، وعليك أيها الباحث أن تراعي فيها ما يلي:

١ ـ رتب المصادر والمراجع وفق ما يلي:

المصادر: وتقسم إلى وثائق ومخطوطات، وتوضع الوثائق والمخطوطات غير المنشورة في مقدمة المصادر. ويليها الوثائق المنشورة، ثم الكتب المطبوعة، والمراجع (وهي الكتب المطبوعة الحديثة) الرسائل الجامعية، الموسوعات، المعاجم، المقالات، الدوريات (مجلات، جرائد)، محاضرات، أحاديث إذاعية، مقابلات، مراسلات.

٢ ـ ميّز بين «المصادر» و«المراجع» عند وضع القائمة الخاصة بها حيث تفصل كل على حدة.

٣ ـ رتبها حسب أسماء المؤلفين، وحسب الحروف الهجائية ـ أو حسب عائلة المؤلف.

٤ ـ افصل الكتب العربية عن الكتب الأجنبية، ودون الكتب الأجنبية بلغتها إذا لم تكن مترجمة، ويفضل أن تضع أولاً اسم العائلة، ثم الاسم الأول للمؤلف ومنهم من يضع الاسم الأول ثم اسم العائلة.

٥ ـ لاحظ الاسم المشهور للمؤلف مثال ذلك: (ابن بطوطة) بدلاً من

(محمد بن عبد الله المكنى بأبي عبد الله) و(البلاذري) بدلاً من (أحمد ابن يحيى بن جابر) وهكذا . . .

٦ ـ إذا لم يكن للكتاب المصدر مؤلف، ندون كلمة (مجهول المؤلف). ويدرج تحت حرف الميم، بعده عنوان الكتاب.

٧ ـ دون المعلومات عن الكتاب كاملة.

٨ ـ لا يعتبر في الترتيب الهجائي لاسم المؤلف (الـ التعريف)، مثال ذلك: الخطيب، الهواري، ففي الحالة الأولى نأخذ بعين الاعتبار حرف (الخاء) وفي الحالة الثانية نأخذ بعين الاعتبار حرف (الهاء).

٩ ـ يؤخذ في عين الاعتبار الترتيب الهجائي في أسماء المؤلفين الذين تبتديء أسماؤهم بـ (ابن) و(أبو) خاصة إذا اشتهروا بها. مثال ذلك: ابن أبي أصيبعة، ابن الأثير، ابن بطوطة، ابن تيمية، ابن جبير، ابن خلدون، أبو شامة . . .

١٠ ـ ضع أمام المؤلفين العرب والمسلمين القدامى تاريخ ولادتهم ووفاتهم (الهجري والميلادي) إذا توفر لك ذلك.

١١ ـ ثبت أسماء المصادر والمراجع المتصلة بموضوع بحثك والتي اقتبست منها، ولا تذكر أي مرجع لم تطلع عليه.

طباعة البحث:

ـ بعد طباعتك للبحث، وعرضه على الأستاذ المشرف فصلاً فصلاً وعملك بتوجيهاته، عد إليه ثانية، وبحثك مصاغاً صياغة نهائية، وخذ موافقته على الطباعة النهائية.

ـ اطبع من جديد الصفحات التي كثر فيها التغيير.

ـ انتظر قرار الكلية بالموافقة على الطباعة، لأن الأستاذ المشرف سيرفع تقريراً

خطياً أو شفوياً إلى رئيس القسم المختص، أو إلى مجلس الكلية محيطاً إياه علماً بانتهاء البحث وجهوزيته للطباعة النهائية، وهنا يمكن أن يكلف المجلس أو القسم قارئاً ثانياً أو أكثر لقراءة البحث.

وهنا أيضاً إذا أعطيت توجيهات جديدة فاعمل على تنفيذها بعد مراجعة أستاذك المشرف، وبعدها تعمد إلى الطباعة بعد قراءة الرسالة من متخصص باللغة العربية حتى تخلو من الأخطاء اللغوية لأن بقاءها يسيء إلى مستوى الرسالة، واحرص على أن تكون لغتك العربية سليمة وجيدة.

- أنصحك بأن تحتفظ بأكثر من نسخة مخطوطة للبحث وعلى الأقل بنسختين، خوفاً من الضياع، تسلم إحداها للأستاذ المشرف، والثانية تحتفظ بها. وبعد أن ينتهي الأستاذ المشرف من قراءة الأطروحة ووضع ملاحظاته، وبعد أن يقوم الباحث بالتعديلات اللازمة، يحولها للطباعة على الكمبيوتر.

الطباعة على الكمبيوتر:

- جهز البحث بصورته النهائية، وقدمه للضارب على الكمبيوتر واطلب إليه مراعاة ما يلي:

١ ـ ترك مسافة ٤ سم على الجانب الأيمن للورقة، و٣ سم على الجانب الأيسر، وفي أسفل الصفحة ٢ سم أو ٣ سم.

٢ ـ ترك مسافة قليلة في بداية كل فقرة.

٣ ـ ترقم الصفحات على بعد ١/ ٢٢ سم من أعلى الصفحة.

٤ ـ بالنسبة لصفحة الباب أو الفصل ليس من الضروري ترقيمها.

٥ ـ بالنسبة لصفحة الباب أو الفصل يترك ٥ سم على الأقل من أعلى الصفحة قبل كتابة عنوان الباب أو الفصل: ويكتب عنوان الفصل في

قمة الصفحة لجهة منتصفها.

٦ ـ يحسن أن يسبق كل باب من الأبواب أو فصل من الفصول (إذا لم يكن هناك أبواب) بورقة يكتب عليها ما يلي (الباب الأول أو الباب الثاني)، مع ذكر للعناوين الرئيسية للباب.

٧ ـ في كل عنوان وسط أو جانبي سطر فراغ قبله وبعده.

٨ ـ تأكد من أن الضارب على الكمبيوتر لن يقوم بتجزئة الكلمات الأجنبية على سطرين إلا بعد الرجوع إلى معجم إنكليزي لمعرفة كيفية التجزئة، إلا إذا كان عالماً بقواعد التجزئة، تأكد من ذلك من خلال المراجعة بعد الطباعة.

٩ ـ استخدم الورق ذو الحجم ٢٢ × ٢٨ سم (A4).

١٠ ـ ينبغي أن لا يقل عدد السطور في الصفحة الواحدة عن (٢١ ـ ٢٣ سطراً). وقد تصل أحياناً إلى أقل من ذلك تبعاً لتنظيم الصفحات.

١١ ـ ينبغي أن لا يقل عدد الكلمات الكتابية في السطر الواحد عن (١٢ كلمة).

١٢ ـ ينبغي أن لا تحشر الأسطر ببعضها، وينبغي أيضاً أن لا تتباعد كثيراً، لأنه في كلتا الحالتين يسيء ويشوه البحث.

١٣ ـ اكتب الفهارس اللازمة والحقها بالبحث.

١٤ ـ فيما يلي نموذجان أحدهما صفحة العنوان، والآخر لفهرس المحتويات.

صفحة العنوان بالنسبة للبحث والرسالة أو الأطروحة:

هي الصفحة الأولى من البحث أو الرسالة أو الأطروحة، والتي ينبغي أن يسبقها ورقة خالية من الكتابة قبل التجليد وتشمل هذه الصفحة المعلومات الآتية:

اسم الكلية والجامعة ومكانها، وعنوان البحث أو الرسالة أو الأطروحة، واسم مقدمها، وعبارة التقديم (بحث أو رسالة أو أطروحة مقدمة لنيل شهادة.. في...) واسم الأستاذ المشرف، والتاريخ (الهجري أو الميلادي) ويفضل أن تكون جميع هذه المعلومات قد ضربت بواسطة الكمبيوتر بحروف منسجمة من حيث الحجم

نموذج لصفحة عنوان رسالة:

جامعة كلية موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ ـ ١٩٠٩ رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر إعداد: إشراف الأستاذ الدكتور العام

نموذج لفهرس المحتويات أو الفهرس العام:

يعتبر فهرس المحتويات أو الفهرس العام من الأمور الأساسية في كل بحث، وهو يتضمن أبواب الرسالة أو الأطروحة، وفصولها، وفقراتها مع ذكر صفحاتها.

يوضع هذا الفهرس في نهاية الرسالة أو الأطروحة حسب النظام الفرنسي، وفي أولها حسب النظام الأنجلوسكسوني.

يحسن بالباحث أن يعتمد التفاصيل في العناوين الواردة في البحث، أو في الفقرات، وترتب على الشكل التالي:

تمهيد
مقدمة
الباب الأول
الفصل الأول
١ ـ
٢ ـ
٣ ـ
الباب الثاني
الفصل الأول
الفصل الثاني
الباب الثالث
الفصل الأول
الفصل الثاني
الخاتمة
الفهرس

١٤ ـ ادخل في حسابك عدد النسخ التي ستطبعها الخاصة بالمناقشين والكلية، والتي يختلف عددها باختلاف الجامعات بل الكليات، وعادةً لا تقل عن عشر نسخ.

تجليد الرسالة أو الأطروحة:

على الطالب أن يجلد النسخ التي سيرفعها للكلية قبل تقديمها، وكذلك نسخته، وأن يكون التجليد متماسكاً محكماً فنياً بلون أسود، يراعى فيه عدم تعدي نصف الهامش الذي ترك واسعاً لهذا الغرض.

وعلى الطالب أن ينبه المجلد إلى:

١ ـ الجداول أو الرسوم والخرائط والوثائق ذات الحجم الكبير التي تحتاج إلى طي أو تصغير، خوفاً من أن يتعرض لها مقص المجلد. ويفضل في هذا المجال تصغير هذه الجداول أو الرسوم أو الخرائط أو الوثائق على آلة التصوير، إذا كان هذا التصغير لا يسيء إلى هذه الملاحق.

٢ ـ كتابة عنوان الرسالة واسم الطالب، والأستاذ المشرف، والكلية، والتاريخ الميلادي (والهجري إذا لزم الأمر) واسم المدينة التي تقع فيها الكلية على الغلاف وعلى كعب الغلاف.

المناقشة:

أ ـ لجنة المناقشة:

ـ يكلف مجلس الكلية لجنة من الأساتذة لمناقشة الباحث، ويختلف عدد أعضائها حسب الشهادة التي يتقدم الباحث إليها وحسب الجامعة ويكون من بينهم الأستاذ المشرف.

ـ على الطالب أن يحرص على تقديم نسخة من رسالته شخصياً للأستاذ المشرف وإدارة الكلية، فذلك ادعى للاحترام والتقدير، وذلك قبل شهر على الأقل من موعد المناقشة.

ـ ينبغي على الطالب أيضاً مؤازرة إدارة الكلية بالاتصال بأعضاء اللجنة الفاحصة قبل عدة أيام من المناقشة، للتذكير بموعد المناقشة، لا سيما وأن بعض أعضاء اللجنة قد يكون منشغلاً في جامعات أخرى، أو قد يكون خارج المدينة التي تم فيها تحديد موعد المناقشة.

ب ـ جلسة المناقشة:

ـ حضور المناقشة مسموح للجميع عادة.

ـ تبدأ الجلسة بكلمة يلقيها الأستاذ المشرف رئيس اللجنة يقدم فيها الباحث، ويطلب إلى الباحث أن يقدم ملخصاً لرسالته يتضمن تقرير المشكلة، والنتائج الجديدة التي توصل إليها، والآفاق التي يفتحها البحث، وتعريض ببعض المصادر التي أسهمت في إغناء مادة البحث، وببعض من قدم له أعمالاً ذات قيمة.

ويشترط في هذا الملخص: الإيجاز، الوضوح، الرصانة، حسن الإلقاء، سلامة اللغة، البعد عن الغرور والكبرياء والاعتداد بالنفس، تهيؤ الباحث للدفاع عن نقاط مثار خلاف، الإجابة عنها إن واجهه بذلك أعضاء اللجنة، مع الحرص في النهاية على تقديم الشكر والتقدير للأستاذ المشرف ولأعضاء لجنة المناقشة، ولكل من قدم عوناً أو مساعدة.

ـ تتراوح كلمة الطالب بين (١٥ ـ ٢٥ دقيقة) ويفضل أن لا تزيد عن ٢٠ دقيقة.

ـ تتناول لجنة المناقشة النواحي التالية، وهي التي توجهها للطالب بعد انتهاء كلمته حيث يناقشه كل عضو من أعضاء اللجنة:

١ ـ الناحية الشكلية:

يتناول المناقشون في هذا الميدان: الأخطاء النحوية والإملائية، وتسلسل الأفكار وعدم مراعاة علامات الوقف، وترتيب الفقرات، وعدد صفحات الفصول...

٢ ـ الناحية المنهجية:

يتناول المناقشون في هذا الميدان: تنظيم المادة، ترتيب الهوامش والفهارس، والاقتباسات، وخطة البحث، واختيار العناوين، والترابط المنطقي بين الأبواب والفصول وحسن العرض.

٣ ـ الناحية العلمية:

يتناول المناقشون في هذا الميدان: العمق في البحث، دقة النقل، والتحليل والمقارنة، والابتكارات، والمعلومات العلمية.

ج ـ المواصفات التي على الطالب التحلي بها أثناء المناقشة:

- الرزانة، عدم الرد لمجرد الرد، الإجابة بوضوح ودقة إذا اقتضى الأمر، الإعتراف بالخطأ، عدم العناد والتحدي في الباطل لأن ذلك ينعكس على نتيجة الطالب.

- اطلب من الأساتذة المناقشين أن يعطوك ما كتبوه من ملاحظات وتوجيهات للعمل بمقتضاها في حال نشر البحث. علماً أن من واجبك أن تدون جميع ملاحظاتهم على أوراق خاصة أثناء المناقشة.

د ـ إعطاء النتيجة:

بعد انتهاء المناقشة التي تدوم بين ساعتين وأربع ساعات، يجتمع أعضاء لجنة المناقشة في مكان منفرد لإعطاء النتيجة، ويُعطى الطالب النتيجة في مرحلة الدبلوم أو في مرحلتي الماجستير والدكتوراه التقديرات التالية: مقبول حسن، جيد، جيد جداً، ممتاز. ولا بد من الإشارة إلى أن التقاليد الأكاديمية تقضي على الطالب والحضور بالوقوف أثناء إعطاء اللجنة النتيجة العلنية للطالب. علماً أن أعضاء اللجنة يكونون وقوفاً أيضاً.

ملاحظة: إذا نال الطالب تقديراً متفوقاً، ونال بحثه إعجاب اللجنة الفاحصة، وتبين أن اللجنة أجمعت على أهميته، يستطيع الطالب أن ينشر بحثه بعد إجراء التصويبات اللازمة والملاحظات التي أبديت أثناء المناقشة.

الفصل السادس

الأرشيف العثماني

تعريف الأرشيف

أولاً: تعريف الأرشيف(١):

ربط معظم المشتغلين بالتوثيق كلمة المحفوظات بكلمة أرشيف الأجنبية مما أدى إلى تعدد الآراء والتفسيرات في معنى هذه الكلمة. والواقع فإن كلمة أرشيف المستعملة في اللغتين الفرنسية والإنكليزية مشتقة من الكلمة اللاتينية (Archiviam) وكلمة أركيان (Archeian) اليونانية غير أن كلمة (Archiviam) اللاتينية تعني الورقة أو المستند. أما الكلمة اليونانية فتعني لغوياً المكتب أو الموجودات المستندية، ثم تطور معناها في العصور الوسطى والحديثة بحيث أصبح معناها الوثائق الناتجة عن أعمال المؤسسات الحكومية المنظمة، وفي المفهوم المعاصر باتت كلمة أرشيف تعني السجلات والمحفوظات والمستندات والمخطوطات، وأماكن الحفظ ودور الوثائق التاريخية ومستندات الدولة والمؤسسات الحكومية. وبالرغم من هذا المعنى، غير أننا نرى أن

(١) للمزيد من التفاصيل عن الأرشيف والوثائق التاريخية المتنوعة أنظر:
Historia Les Trésors des Archives, No. 678, Juin 2003. (Paris).
(عدد خاص عن الأرشيف والوثائق في العالم).

بعض الدول العربية تستخدم كلمة الأرشيف في حين أن دولاً عربية أخرى تستخدم عبارات مرادفة للأرشيف مثل المكتب العام، أو إدارة التحريرات، أو إدارة المحفوظات، أو إدارة الأوراق والمستندات، أو الأرشيف التاريخي أو سواها من المصطلحات.

ولا بد من الإشارة إلى أن كلمة أرشيف أو محفوظات لا تعني الوثائق فحسب، وإنما قد تعني المستندات الإدارية، والأوراق البريدية أو مستندات التصنيف والفهرسة أو الملفات المتنوعة. أما فيما يختص بالتعريفات والآراء لتحديد المفهوم المتكامل للمحفوظات وللأرشيف فيمكن العودة إلى بعض الآراء حول هذا الموضوع:

إن شارل سانميران مدير الوثائق الوطنية وأستاذ معهد الوثائق في باريس سابقاً يرى أنّ المحفوظات هي كل الوثائق المكتوبة الناتجة عن نشاط اجتماعي أو فردي شرط أن تكون قد نظمت وصنفت ليسهل الرجوع إليها عند الحاجة إلى البحث[1]. ونصت إحدى اللوائح التنظيمية للمحفوظات في الولايات المتحدة الأميركية على أنَّ شعار وحدة الحفظ «أن يكون فيها مكان لكل شيء في مكانه» ويرى الأستاذ سيد حسب الله خبير المحفوظات والأستاذ في معهد الإدارة العامة في الرياض سابقاً، أنّ كلمة محفوظات تطلق على مجموعة أوراق أو مجموعة من المواد الأخرى كالخرائط والأفلام أو الشرائط المسجلة التي تحوي معلومات يلزم الرجوع إليها مستقبلاً للاستفادة بما تحويه من معلومات. وهذه المعلومات يجب أنّ ترتب تبعاً لأهميتها وفقاً لتنظيم واضح بحيث يمكن الرجوع إليها عند الحاجة بسهولة وبسرعة.

ومن الأهمية بمكان القول أن التكنولوجيا المعاصرة قد تجاوزت في

(١) للمزيد من التفاصيل أنظر: نسيب عبد الصمد: المحفوظات اللبنانية في ستين عاماً ١٩٢٠ ـ ١٩٨٠، ص ١٤، ٢٣، ٨٦، ٨٧، بيروت ١٩٨٠.

قدراتها هذه المفاهيم والمعاني والأساليب، فقد بات الكمبيوتر قادراً على اختزال عمليات الحفظ بطريقة أدق وأفضل ويسهل الرجوع إلى أية معلومة أو وثيقة من خلال حفظها في الكمبيوتر، وما يعرف باسم (Scanner) إذ بالإمكان اختزال وتوفير مكان الأرشيف حيث يستغنى عن تجميع الملفات والوثائق بعد أن تختزن المعلومات أو تصور عبر أجهزة الكمبيوتر ومرفقاته أو على الأقل بواسطة الميكروفيلم أو الميكروفيش أو الأنترنت أو (.C.D) وما يرتبط به من أنظمة الكترونية مثل نظام (.D.V.D).

ولا بدّ من الإشارة، بأن المحفوظات والوثائق ليست هي فقط الوثائق المكتوبة، بل هناك وثائق أخرى تعادل الوثائق المكتوبة أهمية منها: الوثائق أو الأفلام المصورة على أشرطة الأفلام أو الفيديو أو المعلومات أو الوثائق المسجلة صوتياً على آلات التسجيل، وهي تعتبر من الوثائق المهمة أيضاً. وهناك ما يعرف أيضاً باسم المحفوظات الدائمة التي تتمثل بالوثائق الوطنية أو التراث القومي، بالإضافة إلى الأوراق التي تثبت حقوق المواطن والدولة. ومن هنا يتضح أنّ الأرشيف أو المحفوظات كمفهوم ترتكز على عدة عوامل أهمها:

المستندات والوثائق والمكان الملائم، بالإضافة إلى عنصر التنظيم بجميع أشكاله ووسائله لبلوغ الغاية، والهدف من المحفوظات والأرشيف، والمحفوظات بشكل عام هي حفظ المستندات التي تعكس التراث الشامل للمجتمع في مختلف وجوهه السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والثقافية بحيث تكون تعبيراً أصيلاً وصادقاً لمختلف نشاطات المجتمع والدول، بل ونشاط الأفراد والجماعات.

أما فيما يختص بوجود الوثائق والمحفوظات، فإن المكان الملائم منذ فجر التاريخ هي المغاور والكهوف فهي الأماكن الأساسية لوجود المحفوظات والوثائق والتصاوير على الجدران. وبعد نشوء المكتبات باتت المكان الملائم

لحفظ الوثائق والمحفوظات، وقد عرفت على سبيل المثال مكتبة الإسكندرية الشهيرة منذ العهود اليونانية أرشيفاً خاصاً لحفظ الوثائق والمؤلفات والمستندات اليونانية، أو ما عرف باسم «اللفائف التاريخية». كما عرفت الحضارة العربية والإسلامية الكثير من المكتبات العامة والخاصة التي اعتمدت نظام الأرشيف أو المحفوظات أو الفهرسة على غرار مكتبات بغداد ودمشق وبيروت والقاهرة والقيروان وأصفهان وحواضر إسلامية عديدة مثل: قرطبة وطليطلة وغرناطة. ويكفي أن نعطي نموذجاً حياً للفهرسة عند المسلمين ما قام به ابن النديم في كتابه «الفهرست»، والطوسي في كتابه «الفهرست» أيضاً، وابن أبي أصبيعة في كتابه «عيون الأنباء في طبقات الأطباء». وهناك العشرات من كتب الفهرسة عند المسلمين التي هي بمثابة توثيق وفهرسة وأرشفة للتراث العلمي والفكري الإسلامي.

من جهة أخرى فقد بادرت أوروبا أيضاً إلى تأسيس مراكز لحفظ الوثائق من بينها وفي مقدمتها فرنسا التي أسست دار وثائق الجمهورية الفرنسية منذ عام ١٧٩٤، ووضعت أنظمة وقواعد لحفظ هذه الوثائق. وفي المشرق العربي أسس محمد علي باشا في مصر في القرن التاسع عشر مركزاً لحفظ المخطوطات والوثائق التاريخية التي ضمت كلها فيما بعد إلى قصر عابدين. ويمكن القول أن للمكتبات الوطنية دوراً مهماً في حفظ التراث الوطني والقومي بما فيها حفظ الوثائق والمخطوطات على غرار بعض المكتبات الهامة في لبنان مثل:

- مكتبة الجامعة الأميركية.
- مكتبة الجامعة اليسوعية.
- مكتبة الجامعة اللبنانية.
- دار الكتب الوطنية.
- مكتبة جامعة بيروت العربية.

- دار الوثائق التاريخية في المتحف الوطني اللبناني.
- مكتبة المعهد الألماني للأبحاث الشرقية (وهي أفضل مكتبة في المصادر الشرقية).
- مكتبة الجامعة الأميركية ـ اللبنانية في بيروت.
- مكتبة كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية.
- مكتبة المعهد العالي للدراسات الإسلامية التابع لجمعية المقاصد.
- مكتبة دار الفتوى في الجمهورية اللبنانية ومكتبة جامعة بيروت الإسلامية.
- مكتبة الجامعة الإسلامية في لبنان (خلدة).
- مكتبة البطريركية المارونية.
- مكتبة مطرانية الروم الأرثوذكس.
- مكتبة جامعة البلمند.
- مكتبة مطرانية الروم الكاثوليك.
- مكتبة دير المخلص.
- مكتبة بعقلين.
- مكتبة بلدية طرابلس.
- مكتبة بلدية صيدا.
- مكتبة بلدية بيروت وسواها من المكتبات المنتشرة، في مختلف المناطق اللبنانية، لا سيما مكتبات الجامعات القديمة أو الحديثة.
- المؤسسة الوطنية للمحفوظات التي تهتم بحفظ الوثائق والمستندات الرسمية وسواها من مراكز هامة. وهذه المكتبات لا تكمن أهميتها في حفظ الوثائق وحسب، وإنما على عاتقها مهمة نشر المعرفة والثقافة والعلوم، بالإضافة

إلى تبادل المعلومات فيما بينها في مجال المعرفة والعلوم والوثائق والمخطوطات. ولا يمكن أن ننسى في هذا المجال مكتبة الأفراد، وهي المكتبات الخاصة التي تفوق في أهميتها ومحتوياتها أحياناً المكتبات العامة.

والحقيقة فإن المكتبة في وقتنا المعاصر لم تعد مستودعاً لحفظ الكتب وحمايتها، بل إن لها دوراً أهم وأعمق من ذلك يكمن في نشر الثقافة الوطنية والقومية، كما أن للمؤسسات الوثائقية ومراكز الحفظ دوراً مماثلاً في حفظ التراث ونشره في الوقت ذاته[١].

١ ـ المجلس الدولي للوثائق:

نظراً لأهمية الوثائق فقد أنشيء المجلس الدولي للوثائق منذ عام ١٩٤٨، وتمّ التصديق على قانونه في المؤتمر الأول واتخذت باريس مقراً دائماً لهذا المجلس. وكان السيد سانميران أول رئيس منتخب له، وتمّ التصديق على قانونه الأساسي في جمعية تأسيسية بتاريخ ١٠/٨/١٩٥٠، وكان أول عمل قام به المجلس هو إعداد أدلة وفهارس بيبلوغرافية بالمحفوظات المطبوعة منذ عام ١٩٣٤ بالنسبة لأوروبا، ومنذ عام ١٩٠٠ بالنسبة للقارات الأخرى.

وقد حددت المادة الثانية من قانون المجلس الدولي للوثائق أهدافه على النحو التالي:

١ ـ عقد المؤتمرات الدولية للوثائق بصورة دورية.

---

(١) للمزيد من التفاصيل عن المكتبات في العالم العربي والعالم أنظر:
World Guide to Librairies, vol, 1, 2. K.G. Saur Editors: Willemina Van der meer. Hel mut opitz. 13 Th. Edition, münchen - Germany 1998.

٢ ـ إقامة العلاقات وتنميتها وتعزيزها بين أمناء دور الوثائق في كافة البلدان وبين المعاهد والهيئات المهنية وسواها عامة كانت أو خاصة، وأينما كان وجودها، والتي تهتم بإيداع وتنظيم وترتيب وإدارة المحفوظات.

٣ ـ تشجيع كل المحاولات والإجراءات الآيلة إلى الحفاظ على التراث الوثائقي الإنساني، ودفع الخطر عنه، واتباع الأساليب الفنية لصيانة الوثائق، وتبادل المفاهيم والمعلومات بشأن مشاكلها.

٤ ـ تسهيل استخدام مراكز إيداع المحفوظات وفق الشكل الأكثر شيوعاً من أشكال الاستخدام، وتسهيل الدراسة الفعالة للوثائق المحفوظة بتسهيل معرفة محتوياتها على نطاق واسع، وتشجيع التسهيلات للوصول إلى مراكز المحفوظات أو الوثائق.

٥ ـ التعاون مع المنظمات المهتمة بالتوثيق لضمان صيانة الخبرة البشرية، واستخدام التوثيق من أجل صالح الإنسانية.

٦ ـ تشجيع وتنسيق وتنظيم الفعاليات في حقل إدارة الوثائق والمحفوظات على نطاق دولي.

هذا، وتصدر عن المجلس الدولي للوثائق مجلة دولية باسم «أركيفون» مرة واحدة على الأقل كل سنة، وينشر فيها الموضوعات الهامة المتعلقة بالمحفوظات والتوثيق ومحاضر جلسات المؤتمرات الدولية بكاملها.

٢ ـ الفرع الإقليمي العربي للوثائق:

أنشيء هذا الفرع نتيجة للمؤتمر التأسيسي الذي عقد في مدينة روما في إيطالية بين ٢٥ و ٢٩ تموز (يوليه) ١٩٧٢. وأقر القانون التأسيسي له. وكان لبنان من بين الدول الموقعة على هذا القانون، وعلى طلب انضمام دول الفرع إلى المجلس الدولي للوثائق، وبين ٢١ و ٢٥ آب (أغسطس) ١٩٧٢، عقد المؤتمر الدولي السابع للمحفوظات في موسكو، وقد أقر المؤتمرون تأسيس

الفرع الإقليمي العربي (Arabica) وفي المؤتمر الثاني المنعقد في بغداد في أواخر عام ١٩٧٣ تم إعداد مشروع القانون اللازم، وتمّ وضعه بصيغته النهائية والتصديق عليه في المؤتمر الثالث للجمعية العامة للفرع الإقليمي العربي الذي عقد في طرابلس الغرب في ليبيا بين ١١ و ١٧ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٥، وبين ٢٠ و ١١ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٦ عقد المؤتمر الأول للوزراء العرب المسؤولين عن الشؤون الثقافية في البلاد العربية، وهو المؤتمر الذي عقد في عمان في الأردن، وفيه تمّ اتخاذ توصية بوجوب دعم الفرع الإقليمي العربي للوثائق، والمصادقة على قانونه نظراً لما لهذا الفرع من أهمية ثقافية وحضارية على الصعيدين القومي والعالمي. وتصدر عن الفرع الإقليمي العربي للوثائق مجلة خاصة هي مجلة الوثائق العربية التي تصدر منذ عام ١٩٧٤، وتهتم بشؤون وأخبار الوثائق العربية.

يتألف قانون الفرع الإقليمي من (٢٦) مادة تتناول الأمور الخاصة بالأهداف والتنظيم والتصديق والاجتماعات. كما يهتم بتعزيز التعاون بين مراكز التوثيق العربية والتعاون فيما بينها من جهة وبين المجلس الدولي للوثائق. كما يهتم قانون الفرع الإقليمي بالعمل على الحفاظ على التراث العربي وإيجاد وعي وثائقي في الدول العربية، وضرورة صيانة الوثائق والانتفاع منها، وتشجيع الدراسات الوثائقية في الجامعات العربية. والحقيقة فإن علاقات الفرع الإقليمي العربي للوثائق هي وثيقة الصلة مع المجلس الدولي للوثائق، بالإضافة إلى علاقات التعاون مع المنظمات الدولية عامة ومنظمة الأونيسكو خاصة ومع جامعة الدول العربية، لا سيما المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم المعروفة باسم (الكسو).

٣ ـ الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات:

بالإضافة إلى وجود المجلس الدولي للوثائق، والاتحاد العالمي للمكتبات، فقد تأسس الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات في ١٩ كانون

الثاني (يناير) ١٩٨٦ في القيروان في تونس من قبل أساتذة وخبراء ومديري مكتبات وممثلي جمعيات مكتبية عربية، وقد اتخذ الاتحاد تونس العاصمة مقراً له، وهو يضم أعضاء من عشرين دولة عربية.

أما أهداف الاتحاد فهي تتمثل بما يلي:

١ ـ تعزيز علاقات التعاون بين الجمعيات والمؤسسات المكتبية في الوطن العربي.

٢ ـ العناية بالتراث العربي المكتوب السمعي والبصري الموزع في كل مكان والتعريف به.

٣ ـ المساعدة على الارتقاء بالمهنة والرفع من منزلتها.

٤ ـ إعداد وتشجيع البحوث العلمية، والدراسات في مجال المكتبات والمعلومات وعقد الندوات والمؤتمرات والحلقات الدراسية المتخصصة. كما حرص الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات على إصدار نشرة دورية تعنى بنشر نشاط ومؤتمرات الاتحاد، ونشاط المكتبات في العالم العربي والعالم[1]. وكان آخر مؤتمر للاتحاد قد عقد في بيروت في تشرين الأول (أكتوبر) عام ٢٠٠٢، وبحث فيه العديد من الموضوعات التي تهم المكتبات والمكتبيين ووثائق التراث العربي.

٤ ـ جمعية المكتبات اللبنانية:

تأسست جمعية المكتبات اللبنانية، في بيروت عام ١٩٦٠، بواسطة

(١) للمزيد من التفاصيل أنظر: كتاب المؤتمر (١٣) للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات (إعلم) بيروت ٢٠٠٢، ص ج ـ د.

مجموعة من الاختصاصيين والعاملين في حقل المكتبات، بهدف نشر الثقافة والمعرفة عبر اهتمامها بالمكتبة والكتاب.

ومن أهداف الجمعية:

١ ـ رفع مستوى المكتبات ومستوى العاملين فيها، لأداء رسالتهم وتعزيز الوضع المكتبي في لبنان.

٢ ـ مؤازرة دار الكتب الوطنية كصرح للعمل المكتبي، وشريان لضخ المعلومات على المستوى العام.

٣ ـ السعي لتنمية المكتبات العامة، ومكتبات الأطفال وإنشائها في المدن والقرى والأحياء اللبنانية، ودعمها بالسبل المتوفرة.

٤ ـ تشجيع المواطنين على ارتياد المكتبات، وتلبية حاجة المطالعين والباحثين من طلاب المعرفة.

٥ ـ الاهتمام بتطوير مناهج علم المكتبات والتوثيق ضمن إطار الحاجات الميدانية، ومجاراة التقدم العلمي[١].

وهكذا يلاحظ بأن لبنان والعالم العربي والعالم، شعروا جميعاً بأهمية المكتبات لحفظ التراث الوطني والقومي والعالمي، ليتسنى للباحثين ولطلاب العلم الوصول إلى المصادر والوثائق بالطرق العلمية المثلى، لا سيما وأن أكثر المكتبات، باتت تعتمد أساليب ووسائل حديثة في مقدمتها الكومبيوتر.

ثانياً: نشأة الأرشيف العثماني:

نشأت الدولة العثمانية وكانت منذ نشأتها لا تمتلك الوثائق والمستندات

(١) المرجع السابق، ص ٥.

الإدارية والتنظيمية، وكانت لا تحتفظ بوثائقها أو بمراسلات سلاطينها أو أمرائها أو قادتها. ومع استقرار الدولة العثمانية في بلاد الشام ابتداء من عام ١٥١٦م، وفي مصر ابتداء من عام ١٥١٧م، فقد تبيّن للدولة أنه لا بد من أن تنظم أوضاعها، وأوضاع السكان في مختلف الولايات. لذا فقد اقتبست بعض الأنظمة السائدة منذ العهد المملوكي، كما اقتبست بعض الأنظمة الأوروبية نتيجة التفاعل مع الغرب. ولم تهتم الدولة العثمانية في البدايات سوى بإصدار الفرمانات السلطانية الخاصة بتعيين الأمراء والولاة، ومنح الباشاوية، أو الإمارة لهذا الزعيم أو ذاك. وكانت مختلف الرسائل أو الفرمانات لا تحفظ في أرشيف منظم خاص للدولة، بل إن ما وجد معظمه، إنما كان من بين محفوظات الأمراء أو الولاة أو أحفادهم، أو الأفراد أو محفوظات أسرهم، أو محفوظات الأسر السياسية أو الإقطاعية، كما وجدت العديد من الوثائق العثمانية في إدارات الدول، والسرايات، والقصور التاريخية، وفي مختلف الولايات السابقة التي كانت تابعة للدولة العثمانية.

وفي العاصمة إستانبول، وبعد أن تشعبت وظائف ومسؤوليات الدولة العثمانية، ونتيجة لعقد المعاهدات مع الدول الأجنبية، نشأت في الآستانة خزانة لحفظ هذه الوثائق السياسية والإدارية التي كانت ترسل نُسخاً منها إلى مختلف الولايات، لاتخاذ ما يلزم لتنفيذها. ومما ساعد أيضاً على حفظ الوثائق اعتماد الدولة العثمانية النظام الغربي في تأليف الحكومات مما اضطر الوزارات لأن يكون لكل منها أرشيفها الخاص.

وفي أوائل العهد العثماني لم تكن الدولة العثمانية قد اهتمت بإيجاد نظام يتعلق بملكية الأراضي الزراعية أو الأميرية، ولكن منذ منتصف القرن التاسع عشر تمّ إصدار نظام تسجيل الأراضي (الطابو)، مما أدى إلى نشوء ديوان خاص لتسجيل الأملاك الخاصة والعامة الأميرية. ومع انفتاح الدولة العثمانية على الغرب ومع انفتاح والي مصر محمد علي باشا على التنظيمات الأوروبية لا سيما الفرنسية منذ بداية القرن التاسع عشر، نشأت مجموعة من القوانين

والتنظيمات والضرائب المتعلقة بالمجالس المحلية والبلديات. كما صدرت العديد من القوانين العسكرية بما فيها نظام التجنيد الإجباري والقوانين المرتبطة به، كما تم إصدار تنظيمات الأوقاف، وتمّ تدوين صلاحيات ووظائف العلماء، ومن بينهم المفتي والقاضي، والوظائف الإدارية مثل: الدفتردار والخازندار والتحصيلدار وتربتدار (مسؤول الترب)، والسَردار (نقيب الدار) وسربيه (نقيب البكاوات) وأمير الحج و (صرة أميني). بالإضافة إلى تنظيم بعض المهن والقوانين المتعلقة بها مثل: سَرأجزة (نقيب الصيادلة)، وسَر طبيب، وبازار باشي (نقيب السوق) وعمدة التجار المعتبرين، وشيوخ بقية المهن والحرف والنقابات. كما أصدرت الدولة العثمانية قوانين أخرى كانت تحتفظ بنسخة منها في أسطنبول، وترسل نسخاً منها إلى الولاة في مختلف الولايات العثمانية بما فيها المحاكم الشرعية.

والحقيقة فإن الدولة العثمانية لا سيما بين القرن السادس عشر وأوائل القرن العشرين، وبانتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ كانت قد تركت من خلال تلك الحقبة التاريخية لحكمها سواء في بلاد الشام، أو مصر، أو شمالي أفريقيا، أو الخليج العربي، وقبرص واليونان، أو أجزاء من أوروبا الشرقية بما فيه منطقة البلقان، تراثاً هاماً من الأرشيف يضم ملايين من الوثائق والمراسلات والتنظيمات والقرارات والفرمانات قدرت بحوالي خمسين مليون وثيقة المجموعة فقط في تركيا الآن. كما يوجد ملايين أخرى من الوثائق العثمانية ما تزال موجودة حتى اليوم في مختلف الولايات والمناطق التي كانت خاضعة للدولة العثمانية لأكثر من أربعمائة عام. كما أن هناك مئات الألوف من الوثائق العثمانية في ملفات الحكومات ووزارات الخارجية الأجنبية. أما الوثائق الموجودة في تركيا فهي بحاجة إلى توثيق وفهرسة، وقد أفرجت الحكومة التركية في السنوات الأخيرة عن ما يقارب مليون وثيقة مصنفة من العهد العثماني، بعد أن عملت على تنظيمها وفهرستها وتصنيفها، وسمحت للباحثين بالاطلاع عليها بانتظار الإفراج عن بقية الوثائق. كما أن العهد العثماني ترك

عشرات الآلاف من المخطوطات العثمانية التي بحثت في موضوعات سياسية واقتصادية واجتماعية وعسكرية وسواها من الموضوعات[١]، وسهلت للباحثين كتابة التاريخ العثماني[٢].

ومن الأهمية بمكان، أن الباحث وطالب الدراسات العليا لا يمكنه الاستفادة من الوثائق العثمانية، إلاَّ بعد معرفة مصطلحاتها التاريخية، ومعرفة شروط الاطلاع على هذه الوثائق[٣].

ثالثاً ـ الشروط الواجبة على الباحثين وطلاب الدراسات العليا للاستفادة من الأرشيف العثماني:

أولاً ـ الشروط الواجبة على الباحثين الأجانب:

أ ـ يتوجب على الباحثين الأجانب الذين يرغبون في القيام ببحوثهم في الأرشيف العثماني في تركيا أن يتقدموا بطلباتهم إلى سفراء جمهورية تركيا في الخارج وإلى وزارة الخارجية داخل تركيا (المديرية العامة للإعلام

---

(١) راجع بهذا الخصوص فهارس المخطوطات العثمانية في مختلف المكتبات اللبنانية والعربية والأجنبية. وقد نشر في عام ١٩٩٩ أهم مخطوط عثماني يتحدث مؤلفه عن «الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام» وهو يعتبر المصدر العثماني الوحيد الذي نشر حتى الآن عن الحملة الفرنسية ويتضمن معلومات أكثر أهمية مما ورد في الجبرتي ونقولا الترك. وهذا المخطوط هو من تأليف المؤرخ العثماني عزت حسن أفندي الدارندلي، والمخطوط باسم «ضيانامه» على اسم الصدر الأعظم يوسف ضيا باشا الذي طارد الفرنسيين في تلك الفترة. وقد قام بترجمته ودراسته الأستاذ جمال سعيد عبد الغني، وصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ مصر ـ القاهرة ١٩٩٩.

(٢) أنظر: سهيل صابان: البحوث والدراسات العثمانية والتركية (بيبلوغرافيا مختارة) مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ـ الرياض، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٣) أنظر: فهرس شامل لوثائق الدولة العثمانية المحفوظة بدار الوثائق في استانبول، أنظر أيضاً كتابنا بالاشتراك مع د. عباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية.

والشؤون الثقافية)[1] إذ لا تقبل الطلبات المقدمة لأي جهة أخرى.

ب ـ على الباحث أن يذكر تفصيلاً في طلبه وبشكل أوضح ماهية الموضوع الذي سيدرسه في الأرشيف، ويوضح في الوقت نفسه الغاية منه، إذ لا تقبل الطلبات لبحوث غير واضحة لا تختص بموضوع بعينه أو تحمل صورة عامة. كما يجب على الباحث ـ إذا كان يريد الحصول على صور أو أفلام من الوثائق المتعلقة بموضوع بحثه ـ أن يذكر ذلك في استمارة الطلب.

جـ ـ لما كان إذن البحث الذي يعطى للباحثين الأجانب محدداً بمدة معينة وجب عليهم أن يوضحوا في طلباتهم المدة التي يريدون القيام بالبحث خلالها، فإن لم ينته البحث في نهاية هذه المدة أمكن تجديدها في الموضوع نفسه، فيما لو قدم الباحث طلباً آخر حسب الأصول المذكورة في المادة (آ) ووجد قبولاً من المسؤولين.

د ـ من أجل القيام بالبحث والدراسة في الأرشيف يوضع في عين الاعتبار ما إذا كان يوجد لأصحاب الطلبات بحوث ودراسات جادة في هذا المضمار أو لا يوجد.

هـ ـ بعد فحص الطلبات ودراستها تقوم وزارة الخارجية بإرسال النتيجة إلى أصحابها.

و ـ يقوم المسؤولون بإلغاء إذن البحث للأشخاص أو الهيئات التي تخرج عن موضوعها الذي كانت حددته في طلبها، ويلغى الإذن إذا لوحظ أن في تصرفاتهم خلال البحث في الأرشيف ما يمنع استمرار ذلك، وعندئذٍ لا يعطى الإذن لهم مرة ثانية.

ز ـ على كل باحث أن يقوم ـ قبل البدء في بحثه ـ باستخراج إذن الإقامة في تركيا من مديرية الأمن.

---

(١) وتكتب بالتركية الحديثة هكذا: Enformasyon ve Kültür Isilri Genel Müdürlügü.

حـ ـ على الباحثين عند الانتهاء من بحوثهم ودراساتهم أن يقوموا بتقديم نسخة من التقرير العلمي الذي سيعدونه أو نسخة من الكتاب الذي سينشرونه إلى وزارة الخارجية وأخرى إلى رئاسة الأرشيف العثماني، إذ ليس من الممكن لهم الحصول على إذن آخر لبحث آخر فيما لو فعلوا عكس ذلك.

ط ـ في حالة مغادرة الباحث للأراضي التركية خلال المدة المقررة له في الأرشيف ـ ولو لعدة أيام ـ عليه أن يقوم بالحصول على إذن جديد تبعاً للأصول المذكورة.

ثانياً ـ الشروط الواجبة على الباحثين الأتراك:

أ ـ يمكن لكل مواطن تركي بلغ الثامنة عشرة من عمره ويتمتع بكافة الحقوق المدنية أن يتقدم بالطلب للقيام بالبحوث والدراسات في الأرشيف.

ب ـ تقدم الطلبات بعريضة كتابية إلى مجلس الوزراء أو إلى رئاسة الأرشيف العثماني، يوضح فيها موضوع البحث الذي يرغب الباحث في القيام به وتاريخه وحدوده والغاية من القيام به، كما يجب عليه ـ إذا كان يرغب في الحصول على صور أو أفلام من الوثائق المتعلقة بموضوعه ـ أن يذكر هذا الأمر في الطلب.

جـ ـ تستمر مدة الإذن للبحث في أحد الموضوعات ما لم يتغير، فإذا حدث العكس وأراد الباحث تغيير موضوعه وجب عليه التقدم بطلب جديد وبالشكل الذي ذكرناه في المادة (ب).

د ـ الموظفون الذين يقومون بالعمل في الدوائر الرسمية ويراد تكليفهم بمهام علمية في الأرشيف العثماني بقصد القيام بخدمة عامة يتم تكليفهم بذلك من قبل الوزارات التي يتبعونها، فهي التي تقوم بإعلام رئاسة الوزراء بالغاية والضرورة التي استوجب تكليف هذا الموظف أو ذاك للبحث في الأرشيف.

ثالثاً ـ الأمور التي يجب على الباحثين الأتراك والأجانب مراعاتها أثناء البحث في الأرشيف:

أ ـ يواصل الحاصلون على إذن البحث والدراسة أعمالهم وبحوثهم داخل «صالون المكتبة والبحث» الموجود في الأرشيف العثماني.

ب ـ يفتح صالون البحث هذا خلال أيام العمل الرسمية بصورة مستمرة من الساعة التاسعة صباحاً وحتى الرابعة والنصف مساءً.

جـ ـ لا يقدم للباحث أكثر من عشر وثائق في اليوم الواحد، ولطلبها تملأ البطاقات المطبوعة المعدة لذلك خصيصاً، وتقدم إلى المسؤول حتى يأتي بها في اليوم التالي، ولا يسمح للباحث بطلب وثائق جديدة قبل الانتهاء من الوثائق الموجودة في يده وتسليمها.

د ـ الوثائق التي يعود تاريخها إلى ما بعد عام ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م لا تقدم للباحثين.

هـ ـ لا تدرس الوثائق إلاَّ داخل صالون البحث المعد لذلك، ولا يطلع عليها إلاَّ صاحب الإذن، ويحظر عليه عرضها على الآخرين أو الإطلاع على الوثائق الموجودة في أيديهم.

و ـ يجب على الباحث وهو يدرس الوثيقة أن يجتهد في عدم تعريضها للتلف والتجريح بأي شكل من الأشكال، ولا يقوم بتغيير ثنيات الوثيقة إذا كانت بها، وإن لم توجد فليس عليه أن يثنيها من جديد، كما يجب عليه أن لا يغير ترتيب الوثائق إذا كانت توجد داخل دوسيه، ولا يكتب على الوثيقة بأي صورة من الصور أو يضع عليها إشارة أو يستخدم أقلام حبر، إذ عليه أن يستخدم أقلام الرصاص في عمله أثناء البحث.

ز ـ لا يسمح للباحث بالحصول على أكثر من مائة (١٠٠) صورة أو نسخة لكل موضوع وتكون هذه الصورة والنسخ في شكل نماذج، ولا تتم

عملية التصوير هذه إلاَّ داخل معمل الأرشيف مقابل الأجر المحدد لذلك، ويحظر على الباحثين استخدام ماكينات التصوير الخاصة بهم، وإخراج الوثائق الأصلية خارج الأرشيف بأي صورة من الصور، كما أن الصور والنسخ التي يسمح للباحث بالحصول عليها يجب أن لا تكون لمجموعة مسلسلة من الوثائق أو كماً مستقلاً بذاته.

حـ ـ يمكن للباحثين الإستفادة من المكتبة الموجودة في صالون البحث وما تحويه من كتب تاريخية وموسوعات ومعاجم وغيرها شريطة إلاَّ تعار هذه الكتب خارج الأرشيف.

ط ـ يقوم الباحث الذي حصل على إذن الدخول للأرشيف بدراسة الوثائق بنفسه، فلا يسمح بأن يقوم بدراستها شخص آخر بتوكيل منه أو نيابة عنه في هذا المجال، كما لا يسمح بتقديم المعلومات للباحثين بطريق المراسلة.

ومن الأهمية بمكان القول، أن بعض الشروط الواردة فيما يختص بالاطلاع على الوثائق العثمانية، إنما تتشابه مع شروط الاطلاع على الوثائق والتقارير البريطانية والفرنسية والألمانية(١).

وفيما يلي دراسة لبعض الوثائق والسجلات العثمانية، لا سيما المنتشرة في تركيا ومكتبات ومراكز العالم العربي(٢):

---

(١) راجع بهذا الخصوص كتابي: مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات، ص ٨٢ ـ ٨٣، دار النهضة العربية ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

(٢) يمكن الاطلاع على محتويات ووثائق مكتبة «مركز أسطنبول للبحوث والتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية» على شبكة الأنترنت على موقع:
http:library. irica.org.

وثائق أرشيف العهد العثماني[(١)]

إن التقدم المطرد الذي طرأ على البحث التاريخي وتجميع الوثائق القومية وتحقيقها ونشرها علمياً، ساعد على نمو الروح القومية العربية، لأن الشعوب العربية في المرحلة التي تمر بها تبدي اهتماماً بالغاً بتاريخها، وتلتمس منه أسباباً جديدة للعزة والكرامة والمجد القومي.

ويفتقد المؤرخ العربي الوثائق كمصدر تاريخي بسبب عدم قيام دور الوثائق في كثير من الدول العربية بمهامها، هذا إلى جانب قلة الوثائق نفسها وتفرقها في أكثر من مكان، فهي موزعة بين أماكن مختلفة في كل بلد عربي.

كما أن افتقار أي بلد عربي إلى الوثائق المتكاملة، سيجعل من تاريخه سلسلة من الأحداث متقطعة الحلقات تتخللها فترات غامضة مما يصعب على المؤرخ في التأريخ لها واستنباط أحداثها وأحوالها لعدم وجود الأصول التاريخية.

وعلى سبيل المثال فإن تاريخ بعض البلاد العربية في شمال أفريقيا في العهد العثماني ينقصه الكثير من المصادر، ولم يؤرخ حتى الآن تأريخاً كاملاً لعدة أسباب أهمها:

---

(١) أنظر على سبيل المثال: الدكتور محمود عباس حمودة: دراسة وعرض لوثائق دول شمال أفريقيا في العهد العثماني، المجلة العربية للمعلومات، م ١، العدد (١) أيلول (سبتمبر) ١٩٧٧، ص ١٠١ ـ ١٣٦، مجلة تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ مصر ـ جامعة الدول العربية.

أ ـ إن العلوم المساعدة للتاريخ العثماني ما تزال عندنا في طور التكوين وبصفة خاصة دراسة اللغة التركية (العثمانية).

ب ـ حررت أكثر الدفاتر باللغة العربية وبخط مغربي يختلف جودة ورداءة من دفتر لآخر.

أما الوثائق والدفاتر الهامة مثل دفاتر الروزنامة والتقاسيط والتذاكر الديوانية فقد حررت بلغة تركية ـ وهو ما اصطلح عليها (بالعثمانية) ـ وهي صعبة القراءة حيث كان موظفو الأجهزة من الأتراك القائمين على الشؤون المالية والإدارية لا يتمتعون بثقافة واسعة مما نتج عنه كثرة الأخطاء ورداءة الأسلوب.

جـ ـ كتبت بعض الوثائق والدفاتر بخط «القيرمة» وهو الخط الحكومي المصطلح عليه في سائر ولايات الدولة العثمانية وفي عاصمة الخلافة نفسها ـ وهو خط دفتر داري روزنامي ـ جمع لتحرر به الدفاتر والأوراق الحسابية مثل دفاتر مرتبات الإنكشارية في ولاية الجزائر في القرن الثاني عشر الهجري.

د ـ وجود وثائق المنطقة في عدة أماكن وتفرقها بين دول المنطقة والأرشيفات العثمانية في إستانبول، بل وفي أرشيفات بعض الدول الأوروبية كإيطاليا وإسبانيا مثل الرسائل التجارية العديدة المتبادلة بين العملاء في الدول والرسائل الخاصة بالقناصل وتقارير سفراء البندقية تفيد في دراسة الحياة الاجتماعية والتجارية والاقتصادية.

هـ ـ وجود التقارير والمراسلات السرية الدبلوماسية والقنصلية الخاصة بالمغرب العربي في مركز الوثائق العامة في لندن، وفي مقر وزارة الخارجية الفرنسية، وبقية مراكز وزارات الخارجية والدفاع الأوروبية، ولا يمكن استكمال التأريخ لبلدان شمالي أفريقية (المغرب العربي ومصر) إلاّ بعد الاطلاع على تلك التقارير والمراسلات السرية.

لذلك يجب أن يلمّ المؤرخ بتلك المصادر والوثائق الأصيلة التي يجد بين ثنايا سطورها من الحقائق ما يسد الثغرات الناقصة ويستكمل الحلقات المفقودة عن تاريخ دول شمال أفريقيا: مصر وليبيا والجزائر وتونس حتى المغرب.

وقد استمر الحكم العثماني للشرق العربي زهاء أربعة قرون (١٥١٦ ـ ١٩١٨) كانت البلاد فيها تخضع للحكم العثماني على تفاوت في أشكال ودرجات الخضوع والتبعية، لذلك تزخر دور الوثائق التركية بكنوز من الوثائق الخاصة بالدولة العثمانية التي امتدت في مناطق شاسعة في أوروبا وآسيا وأفريقيا.

وتضم مجموعات ضخمة من فرمانات السلاطين العثمانيين وأوامر رجال الحكم والإدارة وسجلات الأجناد ودفاتر الأموال والأراضي والمراسلات التي تبودلت بين هيئات الحكم في مراكز الولايات والحكومات في إستانبول.

أولاً ـ أرشيف رئاسة الوزراء:

يعد أرشيف رئاسة الوزراء في استانبول من أهم الأرشيفات في تركيا وكان يسمى هذا الأرشيف من قبل خزينة أوراق (Hazin Evrak) ثم أطلق عليه «باش وكالت أرشيوي» (Bashvekalit Arshivi) قبل أن يأخذ اسمه الحديث. ويوجد أرشيف رئاسة الوزراء بجوار حديقة الكلخانة وحديقة الحيوانات بإستانبول ـ ويتبع رئاسة الوزراء مباشرة ـ ولكن وزارة الثقافة هي التي تعطي تصاريح الاطلاع على الوثائق للباحثين الأتراك، في حين أن الباحثين الأجانب يتقدمون بطلباتهم إلى سفراء تركيا في الخارج.

ويحتوي هذا الأرشيف على ثلاثة فروع تشتمل الوظائف الخاصة بالتشكيلات المركزية للدولة العثمانية وهي:

١ ـ الديوان السلطاني وأقلامه.

٢ ـ ديوان الوزارة وأقلامه.

٣ ـ الديوان الدفتري وأقلامه.

١ ـ الديوان السلطاني:

ويبحث شؤون الإمبراطورية من نواحيها السياسية والإدارية والمالية والعسكرية وينظر في الشكاوى والدعاوى المقدمة إليه ولهذا الديوان فروع منها:

أ ـ **دفاتر الرسائل السلطانية**: المتبادلة بين السلاطين والوزراء وكبار رجال الدولة في البلاد الخاضعة للدولة العثمانية بين أعوام (١٦٩٩ ـ ١٩١٧م).

ب ـ **دفاتر المهمات**: (الفرمانات التي تتعلق بشؤون الولايات التابعة للدولة العثمانية بين أعوام (١٥٥٣ ـ ١٨٦٩) ومن بينها مصر.

جـ ـ **مهمات مصر ودفاترها السرية**: من سنة ١١١٩هـ ـ ١٣٣٠هـ.

د ـ **دفاتر الأحكام**: في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

٢ ـ ديوان الوزارة وأقلامه:

ويضم الوثائق المتبادلة بين الصدارة والوزارات والدوائر.

٣ ـ الديوان الدفتري وأقلامه:

ويضم سجلات رئاسة المحاسبة والدوائر والأقلام التابعة لها مثل سجلات قلم وكالة الذمم وسجلات أقلام الأمانات التالية ـ الشؤون المالية ـ مصانع الذخيرة والبارود والمنقولات والغنائم والواردات والقلاع والشعير والترسانة والطوبخانة وغيرها مثل: سجلات قلم الفرسان وقلم المشاة وقلم المقاطعات الخاصة وقلم محاسبة الحرمين الشريفين وقلم المرتبات السنوية وسجلات جمرك إستانبول ورسوم البن والدخان وغيرها.

ويحتوي أرشيف مجلس الوزراء على مجموعات عامة من الوثائق

والسجلات مثل سجلات رئيس الديوان والفرمانات الهمايونية والرسائل السلطانية واللوائح العسكرية والتعيينات والرديف والمهام العسكرية والسرية وأرباب الحرف والكنائس والطوائف غير الإسلامية. وتحصيل وسجلات البراءات وقيد الأوراق وألقاب وأسماء موظفي الديوان السلطاني من أهم وثائق الباب الأصفى (العالي).

أما فيما يختص بالمراسلات الهمايونية وهي وثائق من عهد السلطان محمود الأول حتى عهد السلطان محمود الثاني بين أعوام ١٧٢٠ ـ ١٨٣٢م فقد جرت العادة في تلك الفترة أن يلخص الصدر الأعظم المراسلات الواردة عليه وبعرضها على السلطان ليدوّن عليها أمره وظلّت هذه العادة متبعة حتى عام ١٨٣٢م.

ثانياً ـ أرشيف المديرية العامة للأوقاف:

يوجد أرشيف المديرية العامة للأوقاف في أنقره، ويحتوي على حوالى (٢٣٠٠) دفتر في شؤون الأوقاف المختلفة منها (١٥٠٠) وقفية باللغة العربية والباقي باللغة العثمانية.

ويشتمل على وقفيات مختلفة منها ما يخص سلاطين المماليك وأمراءهم، ومنها ما هو للسلاطين العثمانيين وكبار رجال الدولة العثمانية وتفيد وثائق هذه الأوقاف في دراسة نظام الوقف والدراسات الأثرية، وتعتبر مادة غنية للدراسات التاريخية.

ثالثاً ـ طوبقبو سراي:

وجدت الحكومة في عصر الجمهورية ستة وسبعين صندوقاً ضخماً من مخلفات السلاطين العثمانيين، وهذه الصناديق تحتوي على دفاتر وأوراق (وثائق) تمتد حوالى خمسة قرون من الزمان في عصر الإمبراطورية العثمانية.

وأودعت في سنة ١٩٣٥ مكتبة متحف طوبقبوسراي بإستانبول، ثم خصص لها بعد ذلك في عام ١٩٣٧ مبنى مستقل في المتحف وضمت إليها وثائق وزارتي التجارة والمالية.

ويحتوي أرشيف متحف طوبقبوسراي على أكثر من مائتي ألف وثيقة بين دفتر وورقة مصنفة ومحفوظة على أحدث طريقة للحفظ، ويوجد للأرشيف دليل يقع في ١٩٢ صفحة طبع في إستانبول سنة ١٩٣٨ مكوّن من جزئين في مجلد واحد ـ رتبت فيه الأسماء والموضوعات في عمودين حسب الترتيب الأبجدي من حرف A إلى حرف H.

ويحتوي الأرشيف المذكور على وثائق عن الشخصيات والموضوعات التالية:

ـ السلاطين والأمراء.
ـ أغوات دار السعادة.
ـ قواد الجيش.
ـ القضاة.
ـ كبار الكتّاب والخطاطين والمدرسين.
ـ الدفتردار.
ـ الصدور العظام.
ـ القلاع.
ـ أمير آخور.
ـ السفراء.
ـ الروزنامجي.
ـ جواسيس الأعداء.
ـ عيون الماء وأوقاتها.
ـ مخازن الأسلحة.
ـ الحرمين الشريفين.
ـ خرائط الحروب والمعارك.
ـ الخزينة وبيت المال.
ـ محافظوا القلاع.
ـ تقارير عن بعض الدول.
ـ الإيرادات والمصاريف.

رابعاً ـ وثائق عن مصر:

كانت مصر تعتبر ولاية هامة من الولايات التي يعتمد عليها الحكم العثماني لموقعها واتساع رقعتها. وفي مصر وثائق تركية كثيرة متعددة الأنواع

والأغراض ترجع إلى فترات مختلفة من العهد العثماني ومنها ما دمرته الحرائق التي شبت في القلعة أيام حكم محمد علي في ١٨ حزيران (يونيه) ١٨٢٠م ومعظم الوثائق التي اختفت تعود إلى فترة الحكم العثماني لمصر[١].

ومن أهم الوثائق الخاصة بتاريخ مصر في تركيا وثائق ومراسلات:

- عبد الله باشا (والي مصر) إرسالية مصر إلى الخزينة العامرة.
- عبد الرحمن (حافظ مصر) إرساله (٣٦٠) كيس من النقود وذخيرة إلى تركيا سنة ١٦٥١م.
- عبد الرحمن باشا (والي مصر) واردات ومصاريف ١٦٥٠ ـ ١٦٥٢م.
- أبو قير: وثائق وخطط الحرب العثمانية ـ الفرنسية في أبي قير سنة ١٨٠٠م.
- عكا: محاصرتها والحرب التي دارت بها سنة ١٧٧٩م.
- صحراء بلبيس: خطاب عن الحرب العثمانية ـ الفرنسية سنة ١٧٧٩م.
- جامع الأزهر: إصلاحه وتعميره سنة ١٦٠٦ وشكوى من المنتسبين إلى الأزهر من ظلم خاير بك وأحوال مصر.
- جعفر باشا: النقود والهدايا التي أرسلت من مصر إلى السلطان العثماني في القرن ١٧م.
- درويش محمد: فرمان من السلطان أحمد الأول عن مخصصات خزينة مصر سنة ١٦٠٩م.
- جزيرة كريت: مخصصات العساكر المصرية التي اشتركت في حرب كريت سنة ١٦٥٠ ـ ١٦٥١م.

---

(١) في أوائل شهر كانون الأول (ديسمبر) عام ٢٠٠٢ شبّ حريق في قلعة محمد علي، وقد أتى على بعض المعالم الأثرية والوثائقية، ولكن بشكل جزئي.

ـ السلطان إبراهيم الأول: رسالة بخط يده إلى والي مصر محمد باشا بخصوص إرسال ذهب من خزينة مصر إلى الآستانة سنة ١٦٤٦م.

ـ **وثائق الإسكندرية:**

ـ دفتر محافظيها ومواجبهم سنة ١٦٤٦م.

ـ احتلال الفرنسيين لها سنة ١٧٩٨م.

ـ وثيقة بختم محمد علي عن الحروب التي دارت في الإسكندرية ورشيد واحتلال الإنجليز لها سنة ١٨٠٧م.

ـ إسماعيل خوجه: تقريره عن الاستيلاء على مصر سنة ١٧٩٨م.

ـ قره مراد باشا (الآغا): تقارير وأوراق عن أحوال مصر وبغداد سنة ١٦٤٩ ـ ١٦٥١م.

ـ محمود ابن رمضان: رسالة السلطان سليم الأول إليه بطلب ذخيرة لفتح مصر سنة ٩٢٣هـ.

ـ **وثائق محمد علي باشا:**

ـ الموافقة على بقائه سنة ١٨٠٦م.

ـ مكاتبات عن الحرب التي دارت مع الإنجليز في الإسكندرية ورشيد سنة ١٨٠٧م.

ـ خطاب منه إلى السلطان محمود الثاني سنة ١٨٠٩م.

ـ وثائق تتعلق بمحمد علي من سنة ١٨٠٦ ـ ١٨٤٦م.

ـ تقارير عن ظلم محمد علي في مصر، وعن عدله وعن عصيانه وتحركاته ومشكلة مصر، وعن الاتفاقيات والمباحثات سنة ١٨١١ ـ ١٨٤١م.

ـ وثائق المسألة المصرية والحروب التي خاضها محمد علي باشا ومؤتمر

لندن والمعاهدات سنة ١٨٣١ ـ ١٨٤٠م.

ـ مسيح باشا (والي مصر): اقتراضه من خزينة مصر سنة ١٥٧٣م.

ـ وثائق مصر ـ (التهنئة بالفتح العثماني لمصر):

ـ أحوال مصر والتمردات التي حدثت بها سنة ١٥٦٨ ـ ١٧٨٧م.

ـ دفتر القاهرة سنة ١٧٤٨م.

ـ تقرير عن مساحتها ومحاصيلها وتجارتها.

ـ وثائق عن متحصلات مقاطعاتها وجزيتها سنة ١٥٨٠ ـ ١٨٠٢م.

ـ وثائق عن احتلال الفرنسيين لمصر وقيام السردار يوسف كخيا والقبطان كوجك حسين باشا بتحريرها ومعاهدة الصلح مع الفرنسيين ١٧٩٨ ـ ١٨٠٣م.

ـ **وثائق نابليون بونابرت**: استيلاؤه على مصر ـ وثائق عن حربه وخطط معاركه في مصر سنة ١٧٩٨ ـ ١٨٠١م.

ـ رجائي القندي (دفتردار مصر): تقرير عما ينبغي مراعاته لاستقرار أحوال مصر سنة ١٨٠٣م.

ـ **أوقاف السلاطين (في مصر)**: وثائق تتعلق بشؤون أوقاف السلاطين في الفترة من ١٦٦٨ ـ ١٦٦٩م.

ومن الأهمية بمكان القول، أنه في مصر مجموعات كبيرة من الوثائق والدفاتر العربية والتركية في عدة أماكن متفرقة في دار المحفوظات في القلعة، ودار الوثائق القومية، وأرشيفات المحاكم الشرعية وقصر عابدين ومكتبة الإسكندرية وسواها من متاحف ومراكز بحثية، تفيد في الدراسات الاقتصادية والاجتماعية في مصر في العهد العثماني من القرن السابع عشر حتى القرن التاسع عشر أهمها:

١ ـ دفاتر الالتزام (من ١٦٥٨م):

وهذه السجلات خاصة بولايات الوجهين القبلي والبحري وتشتمل على أسماء الولايات والنواحي التي تتبع كل ولاية وأسماء الملتزمين وبيان حصة كل ملتزم. ومثال ذلك دفتر التزام الوجه القبلي رقم ١٤١ بتاريخ ١١٢٠هـ ـ ١٧٠٨ بدار المحفوظات بالقلعة.

ومثال آخر:

وثيقة تبين الاحتفال بوفاء النيل وإلزام الملتزمين بدفع الخراج (سجلات الديوان العالي بمصلحة الشهر العقاري بالقاهرة رقم ٢ صفحة رقم ٧٠ بتاريخ ١٧ صفر ١١٧٩هـ ـ الموافق ٤ أب (أغسطس) ١٧٦٥م).

٢ ـ دفاتر الجمارك (الكمارك) من سنة ١٦٧١م:

وهذه الدفاتر خاصة بجمارك بولاق ومصر القديمة والسويس والاسكندرية ودمياط ورشيد ووكالة البذور بالمحلة الكبرى ووكالة البذور ببولاق وسوق الأرز برشيد.

وتوضح الإيرادات التي كانت تجبى من هذه الجمارك بشكل واضح عن المخصصات التي كانت تحددها الروزنامة من هذه الإيرادات لرجال القلاع المسؤولين عن حراستها وبخاصة قلاع السويس والإسكندرية ودمياط ورشيد كما تبين مرتباتهم، والأوامر الصادرة من باشوات مصر إلى حكام تلك الثغور.

٣ ـ دفاتر الجراية والعليق من ١٦٠٠م:

وهي سجلات المرتبات العينية من قمح وشعير، وتفيد في التعرف على المرتبات التي كانت تدفع لكل من الباشا وقاضي العسكر والدفتردار وأمراء السناجق وكبار رجال الفرق العسكرية وكتاب الخزينة، وكبار العلماء والأشراف وغيرهم من رجال الدين. كما تفيد تلك السجلات في دراسة أوجه الصرف من الخزينة العامة (الروزنامة).

٤ ـ دفاتر الرزق الأحباسية:

وهي دفاتر خاصة بالأراضي الموقوفة على أوجه البر، وتشمل تسجيلاً لكل رزقه وقيمة دخل كل منها وصور الحجج الشرعية والفرمانات التي صدرت بخصوصها. وتفيد في دراسة الحياة الاجتماعية والاقتصادية وبعض الجوانب الدينية في العهد العثماني.

٥ ـ دفاتر خدمة الديوان «عربي»:

وتشتمل على مرتبات موظفي الإدارة المركزية والمحلية ومرتبات حكام الولايات وغيرهم.

٦ ـ دفاتر الجسور:

وتشتمل على ما يتصل بالجسور السلطانية والبلدية والمبالغ المنصرفة على جرف الجسور، وما كان يتحمله الملتزمون والفلاحون من أجل ذلك.

٧ ـ دفاتر الترابيع:

وهي الدفاتر التي وضعها علماء الحملة الفرنسية سنة ١٢١٥هـ ـ ١٨٠٠م وقد أخذ هؤلاء العلماء معلومات هذه الدفاتر من الصرافين والمباشرين الأقباط، وهي تكمل النقص الموجود بدفاتر الالتزام، ففيها تسجيل كامل لمساحة كل ناحية (قرية) بالفدان وأنواع أرض كل ناحية حسب جودتها والمال الميري المقرر على كل فدان وأنواع الضرائب الأخرى. وتسجل أنواع العادات التي فرضها رجل الإدارة على الفلاحين وقيمة كل عادة نقداً (المال البراني).

٨ ـ الوثائق الشرعية:

توجد في دار المحفوظات في القلعة في القاهرة، ودار الوثائق القومية وأرشيف وزارة الأوقاف وأرشيفات بعض المحاكم الشرعية القديمة مجموعات كبيرة من وثائق الوقف والاستبدال والاسقاط والزواج والقسمة والبيع والإيجار

والهبة والميراث والمصالحات وغير ذلك من تصرفات شرعية متكاملة الأركان صادرة من المحاكم الشرعية القديمة مثل: محكمة الباب العالي، وجامع الزاهد، والجامع الطولوني، والصالحية النجمية، والقسمة العربية، والقسمة العسكرية، وباب الشعرية وغيرها، وهي تغطي فترة طويلة من العهد العثماني من القرن العاشر حتى أواخر القرن الثاني عشر الهجري. وتعتبر مصدراً هاماً وأصيلاً لدراسة التاريخ الحضاري والاقتصادي والإداري لمصر من ذلك العصر لما تحتويه من معلومات وفيرة عن الآثار والعمارة والعادات الاجتماعية وأنواع السكة، وعن أحوال المصانع في العهد العثماني والطوائف المدنية والعسكرية. وتفيد في التعرف على احياء وخطط وأسواق القاهرة والمساجد والزوايا وغير ذلك من جوانب الحياة في هذا العصر.

٩ ـ سجلات المحاكم الشرعية القديمة:

كانت هذه السجلات مودعة في محكمة الأحوال الشخصية للولاية في شبرا. وقد نقلت إلى مصلحة الشهر العقاري والتوثيق بالقاهرة.

وتعتبر سجلات محاكم مصر في العهد العثماني وحدات وثائقية بعضها متكامل، وهي سجلات هامة تتعلق بالنظام الاقتصادي والعسكري والاجتماعي والإداري والقضائي لمصر. وتحوي تلك السجلات صور الوثائق الأصلية الصادرة من المحاكم المختلفة التي مارست العمل القضائي في تلك الفترة ومنها محكمة الباب العالي ـ الزيني ببولاق ـ قناطر السباع ـ الجامع الطولوني ـ الجامع القوصوني ـ باب سعادة والحزق ـ الصالحية النجمية ـ جامع الحاكم ـ جامع الزاهد ـ باب الشعرية ـ القسمة العسكرية والقسمة العربية.

وتفيد تلك السجلات في دراسة الإجراءات القضائية التي كانت تتبع في التقاضي، ونظام العمل بالمحاكم وتاريخ الهيئات القضائية في مصر، والحياة العمرانية والاجتماعية ونظام الوقف في العهد العثماني، كما تعتبر من أهم مصادر الأرشيف والوثائق.

١٠ ـ ضابط محاكم الأقاليم:

توجد ضابط محاكم الإقليم بدار المحفوظات العمومية في القلعة، وتشمل على أحكام محاكم النواحي ومنها محكمة المنصورة ويرجع أقدم سجلاتها إلى سنة ١١١٩هـ ـ ١٧٠٧م ومحكمة دمياط وأقدم سجلاتها يرجع إلى سنة ١٠٢١هـ ـ ١٦١٢م ومحكمة رشيد.

وتفيد تلك المضابط في دراسة الحياة الاجتماعية التي كانت سائدة في الريف وبخاصة الزواج والطلاق والتركات وعلاقات الأسر.

١١ ـ سجلات الديوان العالي:

توجد تلك المجموعة من السجلات حالياً بمصلحة الشهر العقاري والتوثيق بالقاهرة حيث نقلت إليها من محكمة الأحوال الشخصية للولاية على النفس بشبرا.

وتشتمل على تسجيل لبعض حالات النزاع بين الملتزمين حول حصص الالتزام والنزاع بينهم وبين الفلاحين والمصالحات التي تمت بينهم. هذا بالإضافة إلى بعض الفرمانات والأوامر الإدارية الخاصة بإدارة مصر إدارياً ومالياً، وهي مصدر هام لدراسة النواحي الاقتصادية والاجتماعية في مصر في العهد العثماني.

١٢ ـ وثائق ومخطوطات الفتاوى الشرعية:

يعتبر نظام الافتاء في مصر الإسلامية من الأنظمة القديمة، واستمر في العهد العثماني على الرغم من أن الدولة العثمانية جعلت المذهب الحنفي هو المذهب الرسمي للدولة، إلاَّ أنها سمحت للولايات العربية التابعة لها باختيار مفتين للمذاهب الثلاثة الأخرى، وفي بداية العهد العثماني كان أغلب المفتين في مصر والشام من الأتراك. أما في القرنين السابع عشر والثامن عشر فقد أصبح المفتون في مصر وغيرها من الولايات العربية من العرب.

والمفتون هم علماء من رجال الفقه يعطون آراءهم في كثير من القضايا المتنازع حولها، ويأتي المفتي في الترتيب بعد القاضي.

وكان المفتون الأربعة يحضرون الجلسات العامة التي كان أولو الأمر يعقدونها لمناقشة الأزمات العامة الطارئة ووضع الحلول لها.

وقد قام المفتون في مصر في العهد العثماني بدور هام في مسألة عزل الباشا على يد البكوات المماليك، فقد كان هؤلاء عندما يقررون عزل أحد الباشوات يلجأون إلى المفتين، كي يقدموا لهم فتوى على شكل أسئلة يعددون فيها مساويء الباشا ويطلبون من المفتي الجواب على فتواهم وغالباً ما كانت الفتوى تصدر لهم وفق إرادتهم.

كذلك قام المفتون بدور هام في الصراع الذي قام بين الزعامات المملوكية في أواخر القرن الثامن عشر، فقد حرص كل فريق من الفرق المتصارعة على الحصول على فتوى شرعية تبرر تصرفاته وتبيح له قتال ومحاربة الفريق الآخر. وقد أدى هذا إلى ازدياد نفوذ العلماء والمفتين ومكانتهم في المجتمع المصري.

وكان المفتي يحصل على منصبه لمدى الحياة لا يرتقي من منصب إلى آخر مثل القاضي، ولا ينال أجراً من الدولة وإنما كان يحصل على بعض مرتبات الجراية والعليق من قمح وشعير، كما كان الباشا يخلع عليهم فراوي في بعض المناسبات.

وهذه الفتاوى من وثائق ومخطوطات تعطينا صورة واضحة عن المجتمع في العهد العثماني من حيث نظام الحكم والإدارة ونظام التعليم والقضاء والحياة الاقتصادية ونظام ملكية الأراضي والالتزام ومكانة العلماء الاجتماعية.

كما تفيد الفتاوى في إعطاء صورة واضحة عن المجتمع والعلاقات الاجتماعية، وتغوص في أعماق الأسرة المصرية فتلقي الضوء على العلاقات

الأسرية، ونوعية المشاكل التي كانت تطرأ على العلاقات بين الزوجين.

كما تكشف بعض الأسرار بينهما أو بين الشركاء في التجارة أو الزراعة أو الصناعة. وتفيد أيضاً في دراسة نظام الحكم والإدارة والأحوال الاقتصادية والحياة الفكرية والاجتماعية.

وتعطى تلك الفتاوى صورة واضحة عن الأعباء المالية التي كان يتحملها المصري في العهد العثماني، والمظالم التي كانت تقع عليه من رجال الإدارة في ذلك الوقت، ومثال ذلك ما كان يتحمله الفلاح من ضرائب مثل «ضريبة الضيافة» وهي التي كان يدفعها الفلاحون عيناً لضيافة رجال الإدارة والفرق العسكرية التي تمر بالقرية. كما كان رجال الإدارة يعملون على اغتصاب أراضي الفلاحين بحجة وضع يدهم عليها ومن لم يستطع أن يثبت حقه في وضع يده انتزعوها منه.

١٣ ـ وثائق دير سانت كاترين[(١)]:

توجد منها نسخة مصورة على الميكروفيلم في المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب مصورة عن مجموعة الوثائق العربية والتركية المودعة في دير سانت كاترين، كما توجد نسخة أخرى في مكتبة كلية الآداب في جامعة الإسكندرية.

ولهذه المجموعة من الوثائق أهمية كبرى إذ توضح كيف عامل العرب بعد فتحهم لمصر أهل الذمة وفق تعاليم الإسلام السمحة. فسمحوا لهم بأن يؤدوا شعائرهم الدينية في حرية تامة دون تدخل من الحاكمين أو الأهالي. كما أبقوا على ما كانوا يتمتعون به من امتيازات في ظل الحكم البيزنطي وزادوا عليها.

---

(١) للمزيد من التفاصيل أنظر: د. محمد محمود السروجي: الوثائق العثمانية بدير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء، مجلة الدارة، العدد (٢) السنة (٨) ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م، ص ١٠٥ ـ ١٢٥.

وعندما استولى العثمانيون على مصر في عام ١٥١٧م ساروا على سياسة التسامح الديني التي اتبعها أسلافهم، وأبقى السلطان سليم الأول النصارى على ما كانوا يتمتعون به من امتيازات منذ الفتح العربي لمصر (فرمانات من العهد العثماني).

وفي أحد هذه الفرمانات يشدد السلطان العثماني على المسؤولين في مصر وشبه جزيرة سيناء بمنع العربان من الدخول إلى ديارهم والتشويش عليهم. ووضعت عقوبات مختلفة تتراوح بين الغرامة العينية والنقدية والحبس لكل من تعرض للرهبان بأذى أو اعتداء على حقوقهم، وقد منحت السلطات العثمانية للرهبان الكثير من الضمانات لإقرار العلاقات بينهم وبين القبائل البدوية وتنظيم علاقة رهبان الدير بالسلطات الحاكمة.

وعلى العموم فقد كفلت الدولة العثمانية كل وسائل الحماية والرعاية لهؤلاء الرهبان وذلك بالمحافظة على سلامة الدير وحماية أرواح رهبانه وزواره والمترددين عليه، وحق الرهبان في استخدام خفراء من العربان لحراسة بساتين العنب (الكرم) في مقابل ما يمنحونهم من دقيق وثمار وزيوت.

هذا بالإضافة إلى العديد من الفرمانات التي صدرت من السلاطين العثمانيين من السلطان سليم الأول (١٥١٢ ـ ١٥٢٠م) حتى السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ ـ ١٩٠٩).

ومن أقدم الفرمانات المحفوظة بالدير الفرمان الذي أصدره السلطان سليمان القانوني مشيراً فيه إلى الفرمان السلطاني الأول الصادر من والده السلطان سليم الأول وغيره من الفرمانات والأوامر الشريفة الموجهة إلى الرهبان منذ أيام الخلفاء الراشدين والملوك والسلاطين.

ومن دراسة هذا الفرمان يمكن تحديد العلاقة بين رهبان الدير والحكومة العثمانية، فيؤكد تعهد السلاطين العثمانيين بحماية هؤلاء الرهبان عملاً بتعاليم الدين الإسلامي، وإعفائهم من دفع الضرائب المفروضة عليهم.

كما أعفيت ممتلكات الدير من جميع الضرائب المفروضة عليها، ولم يقتصر هذا الاعفاء على الأراضي المصرية فحسب، بل امتد ليشمل كل الأراضي الأخرى الخارجة عن حدودها والخاضعة لحكم الدولة العثمانية، مثل الشام وطرابلس وجزيرتي كريت وقبرص، كما شمل أيضاً الاعفاء من الرسوم الجمركية على ما يرد إلى الدير من أموال الصدقات ومن نذور عينية ومثال ذلك:

- فرمان سلطاني بإعفاء رهبان الدير من العوايد والرسوم بتاريخ ٢٦ رجب ٩٣١هـ ١٩ أيار (مايو) ١٥٢٤م.
- مرسوم سلطاني إلى الحاكم الشرعي بالطور بشأن حماية الرهبان ورعايتهم بتاريخ ١٠ رمضان سنة ٩٤٠هـ ٢٥ آذار (مارس) ١٥٣٣م.
- من ديوان مصر المحروسة إلى المحافظين والحارسين آغات قلعة الطور بشأن حماية سدنة المسجد الموجود داخل الدير بتاريخ ٢٠ رجب ١١٢٠هـ ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٧٠٨م.
- فرمان سلطاني إلى جميع البنادر بشأن التسهيلات الممنوحة لرهبان الدير بتاريخ ١٠ ربيع الأول سنة ٩٧٠هـ (٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٥٦٢م).
- فرمان يمنع اليهود من سكنى الطور (شبه جزيرة سيناء) بتاريخ ٢٥ جمادي الأول ٩٨٩هـ (٢٧ حزيران (يونيه) ١٥٨١م).
- معاهدة بين مشايخ العرب وممثلي الدير بشأن حماية رهبان الدير وعدم التعرض لهم بتاريخ ٢٧ شعبان ١٠٥٣هـ (١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٦٤٣م).

خامساً ـ وثائق ليبيا:

دخلت ولاية طرابلس الغرب ضمن ولايات الدولة العثمانية عام ١٥٥١م، وظلت ولاية عثمانية حتى اغتصبتها إيطاليا عام ١٩١١م، فقد

خضعت الولاية للحكم العثماني مدة ثلاثمائة وستين سنة يمكن تقسيمها إلى ثلاثة عهود تاريخية.

١ ـ العهد العثماني الأول:

يبدأ بمجيء العثمانيين إلى الولاية عام ١٥٥١م، وينتهي بإرتقاء أحمد القرمانلي كرسي الولاية عام ١٧١١م وإقامة حكم وراثي، وقد اتصف هذا العهد باستقرار الأمور في الولاية، ثم اضطربت عندما صارعت القوى المختلفة: قادة الإنكشارية، والقولوغلية والباشا من أجل الاستئثار بالسلطة ثم عمّ الفقر والاستبداد.

٢ ـ العهد القرمانلي:

استغرق هذا العهد مائة وأربعاً وعشرين سنة من عام ١٧١١ إلى عام ١٨٣٥ وحكم فيه ستة أمراء من الأسرة القرمانلية حكماً وراثياً شعرت الولاية بشيء من الاستقرار في بداية حكم هؤلاء الأمراء، ثم عادت الأمور إلى حالة الفوضى الشاملة التي كانت عليها البلاد في العهد العثماني الأول، وفرضت الضرائب بالأساليب التعسفية على يد جند الإنكشارية والقولوغلية، وإتباع سياسة القرصنة في البحر المتوسط مما أدى إلى إنهاء حكم تلك الأسرة.

٣ ـ العهد العثماني الأخير:

وكانت مدته سبعاً وسبعين سنة تولى الحكم خلالها ثلاثة وثلاثون والياً تراوحت مدة ولاية بعضهم بين سنة وعدة شهور. ولقد شهدت الولاية خلال هذا العهد العثماني الأخير تصارعاً بين ثلاث قوى هي: العثمانيون والأوروبيون وأهل الولاية، وتأثرت أمور الولاية بما ساد الدولة العثمانية والحكم فيها من أحداث ظهرت في مختلف نواحي الولاية بصورة أدت في النهاية إلى ضعف الولاية واحتلال الإيطاليين لها عام ١٩١١ بعد أن أنهكتها ثورات أهل الولاية وسوء الإدارة العثمانية.

وتوجد مجموعات هامة من الوثائق التي تتصل بالحكم العثماني في ليبيا في دار المحفوظات التاريخية بمبنى السراي الحمراء بمدينة طرابلس الغرب بالجمهورية العربية الليبية وتتبع لمراقبة الآثار. وهي عبارة عن أوراق بدأ الاهتمام بجمعها في هذه الدار بعد حصول ليبيا على استقلالها وبدأ تصنيفها تصنيفاً أولياً في ملفات يحتوي كل منها على الأوراق التي رأى المصنفون فيها ترابطاً في الموضوع دون الزمن كأوراق المعارف وأوراق الضرائب وهكذا. وقام بهذا العمل آنذاك اثنان من الموظفين لهما خبرة باللغة التركية ذات الحروف العربية والدراسات التاريخية هما الأستاذ عبد السلام أدهم والأستاذ محمد الأسطى.

وتفيد تلك الوثائق في دراسة تنظيم الولاية الإداري، فبعد أن كانت ليبيا مقسمة إلى ثلاث مقاطعات هي: طرابلس ومصراتة وبنغازي، صدر فرمان عام ١٨٤٣م بجعل بنغازي متصرفية تتبع إستانبول رأساً، وتتبع ولاية طرابلس في شؤون العدلية والجمارك والبريد والمسائل العسكرية. وتفيد في بيان اختصاصات الوالي باعتباره رئيساً للنظام الإداري في الولاية. ومن الأهمية بمكان القول، أن دار المحفوظات تتضمن أيضاً منشورات صادرة من إستانبول إلى ولاية طرابلس الغرب تحمل أوامر وتعليمات تتصل بالتربية والتعليم، وشروط القبول وخطط ومناهج المدارس الابتدائية والرشدية والإعدادية مدنية عسكرية ـ بنين وبنات ـ وتقارير عن التعليم ونظام الضرائب على المزروعات والأغنام والنخيل والأشجار والضرائب على المعفيين من أداء الخدمة العسكرية، وعلى الأرباح التجارية وأصحاب الدكاكين وضريبة الويركو التي كان يدفعها كل ذكر بالغ، وإعفاء من الضرائب للمسجونين والعميان وطلاب المدارس والمعلمين والأئمة والتجار الأجانب.

ويوجد هناك بعض الوثائق التي تشير إلى وجود تجارة الرقيق وامتلاك أهل الولاية لأرقاء، منذ أن كانت تجارة القوافل تشملهم فيما تشمل من بضائع من وسط أفريقيا وغربها، ومن بين تلك الوثائق منشور من الدولة العثمانية إلى

الولاية تطلب وقف عملية الاتجار بالرقيق وتحرير الرقيق تمشياً مع قرار مؤتمر فيينا عام ١٨١٥ بتحريم الرق التي وافقت عليه وقبلته الدولة العثمانية تمشياً مع سياسة الدول الأوروبية.

وفي أرشيف طوبقبو سراي في استانبول بعض الوثائق الهامة المتعلقة بليبيا ومنها:

تقرير من طومسون باشا عن أحوال العساكر في طرابلس الغرب وبني غازي وصورة التعليمات الخاصة بالعصيان في القرن التاسع عشر.

سادساً ـ وثائق تونس:

١ ـ دار الكتب الوطنية:

تحتوي دار الكتب الوطنية في تونس على مخطوطات ووثائق مؤرخة متفاوتة القيمة أهمها:

- وثائق عن الحركة الوهابية ورد العلماء التونسيين على روادها.
- مخطوطات عن الطرق الصوفية المنتشرة في البلاد.

ولهذه المخطوطات والوثائق أهمية، إذ تلقي أضواء جديدة على تاريخ تونس، وخاصة الفتاوى التي تتناول بالدرس بعض الحالات الاقتصادية والاجتماعية لأنها تعالج مشاكل المسلمين والمعتقدات الشعبية مثل التداوي بالأعشاب والأساطير الشعبية.

٢ ـ وثائق الخزينة التونسية:

وتحتوي على وثائق الأجهزة الحكومية المختلفة ومراسلات الولاة مع الإدارة المركزية والقوانين المختلفة، ووثائق سياسية ودبلوماسية، ووثائق العلاقات الخارجية والمعاهدات والمراسلات مع سائر الدول (فرنسا ـ الباب العالي ـ مصر ـ إلخ).

وأهم هذه الوثائق مراسلات القادة (الولاة) أثناء ثورة ١٨٦٤، ومقاومة الاحتلال سنة ١٨٨١. وهناك في استانبول في أرشيف طوبقبو سراي وثائق عن الهدية التي أرسلت إلى متصرف تونس علي باشا وعن أحوال تونس سنة ١٧٦٥م.

ومن الأهمية بمكان القول، إن اهتماماً منقطع النظير ظهر في تونس في السنوات الأخيرة، يتعلق بالوثائق والدراسات العثمانية بهمة الأستاذ الدكتور عبد الجليل التميمي الذي كان له الفضل الكبير في تأسيس «مركز الدراسات العثمانية والموريسيكية» وفي عقد المؤتمرات السنوية عن التاريخ العثماني، الأمر الذي دعا المسؤولين في تونس إلى الاهتمام بشكل بارز بجمع وثائق العهد العثماني، كما أسفرت تلك المؤتمرات عن اهتمام الباحثين العرب والأجانب بإعداد دراسات وبحوث عن التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والديني والوقفي والتعليمي في الدولة العثمانية. وكان لنا شرف الاشتراك في عدد من هذه المؤتمرات العلمية.

سابعاً ـ وثائق الجزائر:

تدين الدولة العثمانية بانضمام مقاطعة الجزائر إليها إلى بطل تركي اسمه خير الدين بربروس (بربروسا)، واسمه الأصلي هو (خزر Hizir) ولد في جزيرة مدلى (Madelli) وغادر مع أخيه الكبير «أوروح» بلاده للقرصنة في المنطقة الغربية من البحر المتوسط.

ولما كانت سواحل أفريقيا بيد البرتغاليين والأسبان، فقد أدى ذلك إلى اصطدامهم بالأخوين. وعندما استشهد «أوروح» أثناء حربه مع الأسبان في ضواحي تلمسان بعد سنتين من فتحه مدينة الجزائر عام ١٥١٦ أصبح خير الدين بربروس الحاكم الوحيد للجزائر، وكان بربروس ذكياً كما كان بعيد النظر، فقد أدرك أنه ليس بمقدوره أن يحكم البلاد بقواته فقط، وأن يحارب

المسيحيين بشكل موفق، لذا فقد طرق باب الدولة العثمانية، وأعلن أن الجزائر مقاطعة للسلطان سنة ١٥٢٠. وقد أرسل له السلطان سليم الأول ألفي عسكري مسلحين مع قوة مدفعية، كما أعطى للذين يذهبون إلى الجزائر كمتطوعين امتيازات الإنكشاريين.

ولا شك أن المساعدة التي قدمتها الدولة العثمانية حققت لخير الدين بربروس فائدة عظمى، غير أن خير الدين اضطر إلى ترك مدينة الجزائر السنة ذاتها بسبب معارضة الأهالي، ثم عهد إليه السلطان سليمان القانوني ولاية الجزائر، وبعد وفاته عين للولاية ابنه حسن باشا.

وكان أوجاق الجزائر تابعاً للدولة العثمانية ومرتبطاً بها ارتباطاً قوياً حيث أن أتراك الجزائر انتصروا على جيش شارل الخامس في سنة ١٥٤١ الذي جاء لاحتلال المدينة وأجبروه على مغادرتها بعد أن كبدوه خسائر فادحة.

وفي أوائل القرن التاسع عشر أصبحت تبعية ولاية الجزائر للدولة العثمانية عبارة عن تصديق السلطان لتوليته للوالي كل سنتين أو ثلاث، والتحاق سفن الأوجاق بالأسطول العثماني كلما تطلب ذلك. وخلاف هذا فقد كان أوجاق الجزائر يجلب جنوداً أتراكاً من جزر البحر المتوسط، ومن الأناضول بما في ذلك الإنكشاريين، وحصل الولاة على الحرية لدرجة أنهم يستطيعون توقيع المعاهدات مع الدول الأجنبية مباشرة.

ويجمع المؤرخون الفرنسيون أن الحلقة المجهولة من تاريخ المغرب على الرغم من قربها التاريخي هي فترة العهد العثماني، والدراسات حول هذا الموضوع نادرة، والمعلومات فيها مستمدة من انطباعات الرحالة الأوروبيين ومن تقارير قناصل الدول الأجنبية بالمغرب.

أما وثائق الدول المغربية العربية منها والعثمانية فهي التي تتضمن وثائق ودفاتر الولاة الأتراك والمحررة باللغتين العربية والعثمانية، والتي استولت عليها الحكومة الفرنسية عند احتلال الجزائر.

لذلك لا سبيل إلى دراسة تاريخ بلد ما دون أن نضع يدنا على وثائق الدولة الرسمية ومراسلاتها وقوانينها الإدارية والمالية والاجتماعية والعسكرية التي سنتها، والتي تعتبر العمود الفقري لأية محاولة جادة لدراسة الأبعاد التاريخية والحضارية للبلد المعني والمراد دراسته. والجزائر كسائر الولايات المرتبطة بمركز الدولة العثمانية، عرضت نشاطاً حثيثاً تجارياً وعسكرياً في حوض البحر الأبيض المتوسط في العهد الحديث، ولا أدل على ذلك من هذه المراسلات التي تمت بين الجزائر والباب العالي وانتظامها، وبين الجزائر وسائر الدول الأوروبية حيث احتفظت لنا دور وثائقها بالنسخ الأصلية التي كان قد أرسلها ولاة الجزائر إلى حكامها. ويمكن أن نقول بأن الدولة الجزائرية كانت لديها دفاتر وثائقها الرسمية المتعلقة ببيت المال والأحباس والتجارة الخارجية والداخلية والضرائب والإنكشارية، بالإضافة إلى ملفات مراسلاتها السياسية مع جميع الدول. ومهما يكن من أمر فإن الإدارة الفرنسية سيطرت على تلك الدفاتر والوثائق بعد احتلالها للبلاد. ويمكن القول بأن الجيش الفرنسي قد استولى على كل المباني الحكومية وعلى أموال الدولة ووثائقها ودفاترها الرسمية فتبعثرت وضاع وتلف منها الكثير. غير أن مجموعة كبرى من هذه الوثائق نقلت إلى باريس، وفيما بعد عقدت اتفاقية مع فرنسا بعد استقلال الجزائر، أعادت فرنسا بموجبها عشرات الألوف من هذه الوثائق إلى المكتبة الوطنية في الجزائر، علماً أن عشرات الألوف من وثائق التاريخ الجزائري يمكن الاطلاع عليها في مقر وزارة الخارجية الفرنسية. إضافة إلى ذلك فإن الكثير من القادة والمسؤولين الفرنسيين السابقين قد احتفظوا في أرشيفهم الخاص بعدد كبير من الوثائق الجزائرية، كما قام بعض «تجار الوثائق» ببيع العديد منها في أسواق ومراكز باريس في القرنين التاسع عشر والعشرين.

من جهة ثانية فإن الوثائق العثمانية بالجزائر سبق أن تكونت نتيجة تسجيلات مستمرة للأوامر والتعليمات والقرارات، وكانت تصدر عن حكام الإيالة وموظفي البابليك، أو ترد إليهم من سلاطين الباب العالي وموظفيه،

كما كان قسم منها ناتجاً عن نشاط وكلاء الإيالة بالخارج أو قناصل وتجار الدول الأوروبية المقيمين بالجزائر. ونتج عن ذلك تداخل المعلومات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في معظم الوثائق، مما جعل الرجوع إليها أمراً مهماً وذا فائدة كبيرة بحيث لا يمكن الاستغناء عن أية وثيقة منها. وعلى العموم فإن الوثائق العثمانية المتعلقة بالجزائر أو المودعة بأرشيفات إستانبول أو الأرشيفات الأوروبية تعتبر المصدر الأساسي لكتابة تاريخ تلك الفترة التاريخية.

ومما يزيد أهمية هذه الوثائق والمراسلات بصفة خاصة كون العهد العثماني في الجزائر يتميز بقلّة الإنتاج التاريخي المخطوط مع وفرة الوثائق الأرشيفية، وإن كانت نادرة في القرن السادس عشر، وقليل في القرن السابع عشر، غير أنها تتميز بالكثرة والتنوع في القرن الثامن عشر. لذلك تعتبر حقلاً خصباً للمعلومات عن أواخر العهد العثماني في الجزائر.

ولا شك أن الأهمية الحقيقية للوثائق العثمانية تكمن في طبيعة المادة التي تحتويها، وتنوع الموضوعات التي تتصل بها والأماكن التي تتطرق لها، وهذا يدفعنا إلى محاولة حصر تلك الموضوعات، وعلى كل فإنه يمكن القول أن مادة تلك الوثائق التي يمكن أن تفيد في دراستها هي:

١ ـ مصادر الدخل ونظام جباية الضرائب:

وهي تتعلق بضرائب العشر والزكاة والمعونة القبلية وجزية اليهود والعوائد ورسوم الاحتكار.

وقد كانت الإدارة التركية في الجزائر خلافاً لما يعتقد، إدارة محكمة التنظيم ودقيقة، فإذا كان الدايات يقومون بالاستعانة بعدد كبير من الوزراء والموظفين والمسؤولين تمكنوا من تسيير مختلف شؤون البلاد.

فالدولة كات تتبع نظاماً دقيقاً لجباية الضرائب مثل العشر والمعونة والغرامة واللزمة وغيرها. كما كانت الدولة تميز القبائل الغنية من الفقيرة، وفي

بعض الأحيان كانت تسجل عدد أفراد القبائل وأملاكهم الشخصية ودخولهم من المحصولات الزراعية وعدد الحيوانات التي يملكونها.

وقد احتفظت لنا الدفاتر بتفاصيل كاملة للأداءات المفروضة على الواردات والصادرات ونشاط الجمارك وضرائب الشرطة على الأسواق اليومية والأسبوعية، وكذلك الضرائب على تجارة اليهود.

٢ ـ غنائم القرضة:

وتضم إتاوات وهدايا الدول الأجنبية ورسوم الجمارك والأسواق.

٣ ـ أنواع الأرث والتركات والعائدات:

وهي التي تؤول إلى بيت المال في حالة عدم وجود ورثة شرعيين، وذلك بالاعتماد على فهرس المخطوطات لأرشيفات وقصر الحكومة بالجزائر سابقاً وفهرس الوثائق الوطنية، وعلى الفهرس الذي وضعه الدكتور عبد الجليل التميمي.

٤ ـ أوجه الانفاق وجرايات الجند:

إن الدفاتر الموجودة في المكتبة الوطنية في الجزائر والتي بلغ عددها (٣٣) دفتراً تمدنا بمعلومات قيمة عن فيلق الإنكشاريين ومختلف وحداتهم ومرتباتهم وأسماء الثكنات الثماني التي كانوا يقيمون بها. كما نجد في بعض الدفاتر الأخرى أسماء الإنكشاريين الذين جندوا في الإمبراطورية العثمانية، وتاريخ وصولهم إلى الجزائر وعددهم.

ولهذه الوثائق أهمية كبرى لدراسة الوجود العسكري العثماني في الجزائر، والنظم العسكرية التي يخضعون لها، ونفقات التجهيز وشراء الأسلحة والعتاد وأمراء البحر ومصاريف المرافق العامة من عيون وسواقي وأزقة وطرقات.

كما تتصل بأوجه الانفاق من هدايا ترسل من الإيالة إلى إستانبول والحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة ونفقات ومصاريف بيت المال.

٥ ـ الأملاك العامة:

هناك مجموعة كبيرة من الوثائق الخاصة بالبنايات التي تعود إلى بيت المال أو التي تخص البايليك من تحصينات وثكنات وقناطر. كما توجد وثائق لها علاقة بأملاك الأوقاف والأحباس على الحرمين الشريفين، إذ تعتبر الأحباس (الأوقاف) من أهم المشاريع الخيرية التي أوجدها المجتمع الإسلامي، وذلك لأن الواقف ولهدف يملكه لفائدة النفع العام يكون مدفوعاً بحبه للخير والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى ورحمة بالفقراء وحباً للعلم.

ومن أجل هذه الأغراض أنشئت المساجد وشيدت المعاهد العلمية والخيرية والزوايا والملاجيء والتكايا[1].

لقد تعددت الأوقاف في مدينة الجزائر وقسنطينة ووهران وخصص ريعها للصرف على المشاريع الخيرية والتعليمية، مثل الاهتمام بالطلبة ومساعدتهم ونفقات ومرتبات الأساتذة، والقائمين على شؤون التعليم العام، ومساعدة فقراء الولاية وفقراء الحرمين الشريفين، والمرابطين وأهل الأندلس والشرفاء، وفدية الأسرى المسلمين الذين وقعوا في أسر المسيحيين. وكان يشرف على الأوقاف وكيلان تركيان يتم تعيينهما من طرف الدايات وبعض الأشراف من الأعيان الجزائريين. وتمدنا الدفاتر العربية والتركية بمعلومات عن إيرادات الأوقاف والمبالغ المرسلة إلى الحرمين الشريفين والموزعة على فقراء الجزائر والمبالغ المودعة في بيت المال، كما تعتبر مصدراً لدراسة طبقات المجتمع والفروق الموجودة بينها، وتقدم لنا مادة قيّمة للدراسات الاقتصادية والمالية والاجتماعية والوقفية والعسكرية. وكان لإيرادات الأوقاف دور بارز في دعم المجاهدين ضد الاحتلال الفرنسي.

---

(١) أنظر على سبيل المثال كتابنا: أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني (من خلال سجلات المحكمة الشرعية في بيروت).

٦ ـ التجارة ونظام الجمارك:

إن الدراسات التاريخية السابقة والتي تناولت تجارة بلاد الجزائر مع دول البحر المتوسط أثناء الفترة العثمانية ذات قيمة محدودة. وإن وجدت فقد اعتمدت على أرشيفات الدول الأوروبية فقط، ولم تعتمد على وثائق الجزائر. وقد عرفت الجزائر حركة تجارية نشيطة مع موانيء الشرق مثل أزمير وسالونيك والإسكندرية وطرابلس الشام وسوريا وطرابلس الغرب وتونس والمغرب الأقصى وموانىء الدول الأوروبية.

وكانت الجزائر تستورد من دمياط بمصر الأرز والورق والشاي. وكان لها نشاط تجاري مع أوروبا، فكانت تشتري من أوروبا الحديد والفحم الحجري والبارود والسكر والحرير الصناعي والأقمشة والمجوهرات.

وكانت تبيع إلى أوروبا المرجان والجلود والصوف والمنتجات الزراعية. وتعطينا الدفاتر العربية والتركية صورة مصغرة عن تلك التجارة من صادرات وواردات البلاد ومقدارهما مع ذكر أسعارها.

٧ ـ العملة والخزينة:

وهي تضم الوثائق الخاصة بسك النقود ونسبة المعادن المستعملة في العملة وودائع الخزينة.

٨ ـ الزراعة والصناعة:

تفيد بعض الوثائق في التعرف على الإنتاج الزراعي والحيواني وأنواع المصنوعات والمهن والحرف المختلفة.

٩ ـ حالة السكان:

تفيد الوثائق في التعرف على طوائف السكان في المدن والقرى بمختلف طبقاتهم والخلافات والحركات الشعبية.

١٠ ـ الأمور الإدارية والعسكرية:

تقدم لنا الوثائق معلومات عن مختلف الوظائف والرتب، وإجراءات التولية، والعزل والتغريم والمصادرة، وفرق الجيش المتعددة ورتبهم وثكناتهم وأسلوب معيشتهم ونشاطهم العسكري في المدن والأرياف، وقد تعرضت معظم الوثائق العثمانية أثناء الاستعمار الفرنسي للجزائر للسرقة أو الضياع، وشمل ذلك الوثائق الجزائرية الخاصة بمدينة الجزائر والمناطق الأخرى التي شملها الغزو الفرنسي، كما نقل الكثير إلى أرشيفات باريس. أما أهم الوثائق والسجلات التي يمكن الاعتماد عليها لدراسة تلك الجوانب المتعددة فهي الوثائق والسجلات التالية:

أ ـ سجلات بيت المال:

ـ الزكاة والعشور من ١١٧٠هـ ـ ١٢٥٠م.

ـ سوق الدقيق.

ـ التركات التي آلت إلى بيت المال.

ب ـ سجلات البايليك:

ـ دخل ضرائب المؤسسات الأجنبية واللزمة القبلية (تركي).

ـ الضرائب التي كان يدفعها التونسيون من عهد علي باشا باي (تركي).

ـ ضرائب الدولة على اليهود (تركي).

ـ الضرائب التي يدفعها شيوخ البلد (تركي).

ـ الضرائب التي تدفعها القبائل (عربي).

ـ الضرائب العينية التي تدفعها القبائل.

ـ مدفوعات زكاة الحبوب.

- غنائم القرصنة البحرية.
- الجمارك الأجنبية وجمارك البضائع المستوردة (تركي).
- مرتبات رؤساء البحر المدفعيين (تركي).
- رواتب رجال المدفعية (تركي).
- مصاريف عامة للدولة (تركي وعربي).
- مرتبات الأئمة والخطباء والمعلمين.
- شراء البارود والسفن والمدافع (تركي).
- مصاريف خاصة بمصلحة المياه والعيون والسواقي.
- شؤون الأوقاف والأحباس الموقوفة على الحرمين الشريفين والفقراء والأيتام.
- الزراعة والصناعة.
- صادرات وواردات البلاد من زيت وصابون ومنتجات صناعية وزراعية (تركي وعربي).
- النظام المالي والخزينة والعملة (تركي).

ويوجد في إستانبول في أرشيف متحف طوبقبو سراي بعض الوثائق الهامة **الخاصة بالجزائر منها**:

- عرائض أهالي الجزائر والأندلس عن خير الدين بربروس، تحريرات خير الدين عن حرب فرنسا وإسبانيا، وترجمات لبعض الوثائق التي تم الحصول عليها سنة ١٥٠٩ ـ ١٥٣٤ ـ ١٥٤١م.
- الهدايا القادمة من استانبول ومن تونس.
- قراصنة الجزائر وتونس سنة ١٦١٢ ـ ١٦٣٨م.

ـ كوجك حسين باشا (قبطان البحر) منشور عن منحه منصب الوزارة وقبطان البحر وإسناد حكم الجزائر له سنة ١٧٩٢م.

جـ ـ الدفاتر المتنوعة (تركي):

ـ دفتر خصصه الدايات الأتراك للأمور والقرارات الهامة، ويعرف بدفتر التشريعات مودع بالمكتبة الوطنية بالجزائر.

ـ دفاتر بايلك قسنطينة.

ـ دفاتر بايلك وهران.

ـ دفاتر الخواص.

وعلى العموم فإن تلك الوثائق والسجلات تفيد في دراسة كل المظاهر الاجتماعية والإدارية لحياة الدولة الجزائرية، وتمدنا تلك الدفاتر التركية والعربية بإحصاء تقريبي لبعض القبائل، كما توفر لنا معلومات هامة عن علاقات الجزائر ببقية البايلكات الثلاثة، ومعلومات عن الأحداث الداخلية والمعارك التي شنتها الدولة ضد القبائل الثائرة التي ترفض تسديد الضرائب المفروضة عليها.

كما تمدنا بمعلومات عن أسماء أشراف القبائل والهدايا والضرائب التي تقدمها الدول الأجنبية إلى الباشوات حكام الجزائر، وما يقدمه الأغاوات والأمراء وسائر القبائل من إداءات وهدايا إلى دار السلطان.

كما تبين لنا الوظائف الإدارية وتحدد اختصاصات كل منها وأسماء القائمين عليها، مما يفيد في دراسة العلاقات بين دولة الجزائر والدولة العثمانية وبعض دول البحر المتوسط.

ثامناً ـ وثائق المغرب:

يجدر بنا أن نذكر شيئاً عن وثائق المغرب في العهد العثماني لأنها تفيد في دراسة العلاقات بين المغرب والدول المجاورة لها والدولة العثمانية ذاتها.

وقد تنوعت المصادر وتعددت الوثائق عن الدولة السعدية في المغرب في القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلادي التي امتد نفوذها على مساحات واسعة من شمال غرب القارة الأفريقية. وقد اختلفت مظاهر العلاقات السياسية والحضارية القائمة مع الصحراء المغربية والسودان المغربي، وتعددت بتعدد الصلات التي كانت لحكامها مع:

١ ـ الأتراك العثمانيين في الشرق.

٢ ـ دول غربي أوروبا في الشمال.

٣ ـ بلاد السودان المغربي في الجنوب.

وقد عرفت الدولة السعدية خلال الفترة الأخيرة من حكمها انحلالاً سياسياً وحروباً داخلية مستمرة تسببت في ضياع الكثير من الوثائق التاريخية.

وفي المكتبات العامة والخاصة بالمغرب يوجد العديد من الوثائق السعدية، وقد قام المستشرق الفرنسي (هنري دي كاستريز Henry de Castries) بنشر الوثائق السعدية في واحد وعشرين مجلداً تضم مئات الوثائق المختلفة التي تعددت لغاتها، واختلفت موضوعاتها السياسية والحضارية من إدارية واقتصادية واجتماعية وفكرية. كما توجد وثائق عديدة عن الفترة السعدية وسواها في مراكز المخطوطات ودور الوثائق الأوروبية في إستانبول ومدريد ولشبونة وباريس ولندن وأمستردام.

أما في المغرب ففي دار الوثائق التابعة للخزانة العامة بالرباط عشرات الرسائل السعدية لمختلف عهود الدولة ابتداء من حكم المولى أحمد المنصور بين أعوام (١٥٧٨ ـ ١٦٠٣) وهناك المراسلات الخارجية للملوك السعديين مع عدد من السلاطين العثمانيين والباشوات الأتراك بالجزائر، ومع بعض ملوك أوروبا الأسبان والإنجليز.

وهناك المراسلات الداخلية مع عدد من الأقاليم المغربية وخاصة مع

الحكام المغاربة (بالسودان المغربي) ومن الوثائق الهامة أيضاً ما يتعلق بمعركة الأرمادا في صيف ١٥٨٨م، والمشروع المغربي الإنجليزي لغزو بعض المستعمرات الإسبانية كالهند في مطلع القرن السابع عشر.

ومن الوثائق المغربية العثمانية البارزة:

- مراسلات للسلطان العثماني مراد الثالث مع المنصور.
- مشروع المعاهدة العسكرية التي اقترحها السلطان مراد الثالث على المنصور ضد إسبانيا.

وما نشره (هنري دي كاستريز) يغطي علاقة المغرب بكل من البرتغال وإسبانيا وفرنسا وإنجلترا وهولندا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر.

ومن مراكز إيداع الوثائق في المغرب الخزانات التالية:

١ ـ خزانات الأوقاف الموجودة في المساجد والزوايا:

قامت الزوايا في المغرب بدور فاعل في المحافظة على الكثير من تراث هذا البلد العربي. وكان للزوايا أوقاف وناظر خاص وحسابات يصرف منها على مستخدميها ومصاريفها الشرعية.

٢ ـ الخزانة الملكية بالرباط:

وتضم الوثائق والمخطوطات التي كانت متفرقة في القصور الملكية بفاس ومراكش والرباط وغيرها، فأمر الملك الحسن الثاني بجمعها كلها من هذه القصور وإيداعها في الخزانة الخاصة.

٣ ـ الخزانة العامة بالرباط:

وهي الخزانة الرئيسية وبها قسمان: قسم خاص بالمطبوعات بمختلف اللغات، ويضم قسم خاص بالببليوجرافيا المغربية. أما القسم الثاني فهو قسم

المخطوطات ويحتوي على المخطوطات ودفاتر ورسائل رسمية.

٤ ـ خزانة تطوان:

وتضم حوالي (٢٠,٠٠٠) وثيقة بين أصل ونسخة مصوّرة مرتبة زمنياً في (١٧) محفظة، وهي عبارة عن رسائل للوزراء والعمال والقادة والسفراء الأجانب ورسائل عائلية ابتداء من حكم السلطان محمد بن عبد الله (١١٧١هـ ـ ١٢٠٤هـ). وتعتبر وثائق عصر مولاي الحسن الأول (١٢٩٠ ـ ١٣١١هـ) من أكثر وأهم ما يوجد بالخزانة.

وتفيد تلك الوثائق في دراسة الموضوعات الآتية (أحباس ـ أحكار ـ اعتداءات ـ البريد ـ البعثات العلمية ـ البوليس ـ التجارة ـ التدخل الأجنبي ـ الرعايا الأجانب ـ القناصل ـ المؤتمرات ـ النواب الأجانب).

٥ ـ الخزانات الخاصة:

ويتميز المغرب بوجود عدد غير قليل من الخزائن في ملكية بعض الشخصيات وهي تحتوي على مخطوطات نادرة ووثائق فريدة.

وهكذا يلاحظ أن وثائق مصر ودول المغرب العربي (شمالي أفريقيا) تمثل سجلاً حافلاً من تاريخ الولايات العثمانية، ومن تاريخ الدولة العثمانية، غير أنه يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار، أن الصورة الوثائقية لا يمكن أن تكتمل بالنسبة للباحثين ومراكز البحث إلاَّ بعد الاطلاع ودراسة للوثائق الأخرى المودعة في استانبول أو في مراكز الأرشيف الأوروبي.

للمزيد من التفاصيل أنظر المصادر التالية:

١ - أحمد فؤاد متولي: «الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له». القاهرة، دار النهضة العربية ١٩٧٦.

٢ - أحمد فؤاد متولي: «الوثائق العثمانية الخاصة بتاريخ مصر الحديث في دور الوثائق التركية» القاهرة، ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث، ١٩٧٧.

٣ - أرجند كوران: «السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر ١٨٢٧ - ١٨٤٧»، نقله عن التركية الدكتور عبد الجليل التميمي. تونس مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم، ١٩٧٤.

٤ - خليفة الشاطر: «مدخل إلى منهجية دراسة وثائق تاريخ تونس». ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث، ١٩٧٧.

٥ - رأفت غنيمي الشيخ: «وثائق تاريخ ليبيا في العصر العثماني الأخير» القاهرة - ندوة وثائق تاريخ العرب، ١٩٧٧.

٦ - سلوى علي ميلاد: «وثائق المحكمة الشرعية بالقاهرة وأهميتها في الدراسات التاريخية». القاهرة، ندوة وثائق تاريخ العرب، ١٩٧٧.

٧ - شوقي عطا الله الجميل: «وثائق تاريخ المغرب الحديث». سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس بالقاهرة، ١٩٧٧.

٨ - عبد الجليل التميمي: «فهرس الدفاتر العربية والتركية بالجزائر». تونس،

مستخرج من المجلة التاريخية المغربية، ١٩٧٤.

٩ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: «الريف المصري في القرن الثامن عشر». القاهرة، مطبعة جامعة عين شمس، ١٩٧٤.

١٠ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: وثائق تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني». القاهرة، ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث، ١٩٧٧.

١١ ـ عبد العزيز محمد عوني: «دعوة لدراسة الوثائق العثمانية». القاهرة، ندوة وثائق تاريخ العرب، ١٩٧٧.

١٢ ـ عبد الكريم كريم: «الوثائق التاريخية للدولة السعدية بالمغرب». القاهرة، ندوة وثائق تاريخ العرب، ١٩٧٧.

١٣ ـ عبد اللطيف إبراهيم علي: «الوثائق القومية» مقال في الحلقة الدراسية للخدمات المكتبية والوراقة والتوثيق والمخطوطات العربية والوثائق القومية. دمشق، ١٩٧٢.

١٤ ـ عبد الله محمد غرباوي: «الفتاوى وأهميتها في دراسة تاريخ مصر في العصر العثماني». القاهرة، ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث، ١٩٧٧.

١٥ ـ ليلى الصباغ: «الوثائق الإيطالية والإسبانية في تاريخ العرب في القرن السادس عشر». القاهرة، ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث، ١٩٧٧.

١٦ ـ محمود عباس حموده: «الوثائق الشرعية في القرنين ١١، ١٢ في مصر». القاهرة، رسالة دكتوراه ١٩٧٠.

١٧ ـ محمد محمود السروجي: «وثائق دير سانت كاترين بسيناء». القاهرة، ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث، ١٩٧٧.

١٨ ـ د. محمود عباس حمودة: دراسة وعرض لوثائق دول شمال أفريقيا في

العهد العثماني». المجلة العربية للمعلومات، م (١)، العدد (١) أيلول (سبتمبر) ١٩٧٧، تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ مصر ـ جامعة الدول العربية.

١٩ ـ ناصر الدين سعيدوني: «نظرة على الوثائق العثمانية بالجزائر». القاهرة، ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث، ١٩٧٧.

20 - Bernard Lewis; The Central Ottoman Archives as a Source for Arab History, Cairo, 1977.

الوثائق العثمانية بدير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء[1]

في أواخر عام ١٩٦٣ قامت جامعة الإسكندرية بالاشتراك مع جامعتي متشجان وبرنستون في الولايات المتحدة الأمريكية بدراسات أثرية وفنية وتاريخية لمحتويات دير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء في نطاق التعاون العلمي.

ولم تكن هذه المرة الأولى التي تعاونت فيها جامعة الإسكندرية مع الجامعات والهيئات العلمية الأمريكية بهذا الخصوص، بل إن جذور هذا التعاون تمتد إلى عام ١٩٥٠، حيث وفدت بعثة أمريكية في الفترة من كانون الثاني (يناير) إلى حزيران (يونيه) ١٩٥٠ مؤلفة من ممثلين عن مكتبة الكونجرس الأمريكي وبعض الهيئات الأمريكية المهتمة بالدراسات والأبحاث الشرقية، واستطاعت أن تصور جميع الوثائق المحفوظة بمكتبة الدير، وكذلك ما يقرب من نصف عدد المخطوطات. وسلمت مكتبة كلية الآداب بجامعة الإسكندرية نسخة مصورة (ميكروفيلم) منها.

بُني هذا الدير في عهد الإمبراطور جستنيان (٥٢٧ ـ ٥٦٥م) على الطراز البيزنطي، وعلى شكل قلعة من قلاع العصور الوسطى، ليتفرغ فيه الرهبان

---

(١) نقلاً عن: الأستاذ الدكتور محمد محمود السروجي (أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر في جامعة الإسكندرية): الوثائق العثمانية بدير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء، مجلة الدارة، العدد (٢) السنة (٨) ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٢م، ص ١٠٥ ـ ١٢٥.

لعبادتهم في مأمن من العربان الذين كانوا يتعرضون لهم قبل بناء الدير.

ويتجلى في بنائه الفن البيزنطي بجماله وروعته، وأهم ما يحتويه الدير مجموعة الأيقونات التي لا يوجد لها مثيل في العالم، بالإضافة إلى آلاف المخطوطات والوثائق والأواني والكؤوس والتيجان والصلبان المصنوعة من الذهب المطعّمة بالأحجار الكريمة.

والأمر اللافت للنظر، أن معظم الوثائق والمخطوطات في دير سانت كاترين، هي في معظمها، إن لم يكن كلها في مختلف عصور التاريخ تدور حول موضوع واحد، هو علاقة رهبان الدير بالعربان أو بالحكومة العثمانية أو بالسلطة المحلية.

ومن العقبات التي تواجه الباحث في هذا الموضوع أن معظم الوثائق مكتوبة بلغة هي مزيج من العربية ولغة البدو، ومليئة بالأخطاء اللغوية. كما أن أغلب الوثائق تكاد تكون صورة مكررة لبعضها البعض، بألفاظها، وعباراتها، وموضوعاتها. وإذا تناولنا الموضوعات التي كانت مثار شكوى الرهبان، يمكن إجمالها في الشكاوى ضد العربان وتعدياتهم.

وفي أحد هذه الفرمانات يشدد السلطان العثماني على المسؤولين في مصر وشبه جزيرة سيناء «بمنع العربان من الدخول إلى ديارهم والتشويش عليهم».

وقد أحلّت الاتفاقيات التي أبرمت بين الجانبين دم كل من تعرض من البدو للدير بقصد تدميره أو تخريبه، دون أن يكون على الرهبان أي لوم أو تثريب. ويمكننا أن نقسم الضمانات التي منحتها السلطات العثمانية والمصرية لرهبان الدير إلى قسمين:

القسم الأول: ضمانات تختص بإقرار العلاقة بين هؤلاء الرهبان والقبائل البدوية الضاربة في شبه جزيرة سيناء، وخصوصاً تلك التي تحيط بالدير أو القريبة من البساتين التابعة له.

القسم الثاني: ويتعلق بتنظيم علاقة رهبان الدير بالسلطات الحاكمة.

ومن أقدم الفرمانات المحفوظة بالدير والتي تُلْقي المزيد من الضوء على تلك العلاقات، الفرمان الذي أصدره السلطان سليمان القانوني ١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م مشيراً فيه إلى الفرمان السلطاني الأول الصادر من والده السلطان سليم الأول، وغيره من الفرمانات والأوامر الشريفة الموجهة إلى الرهبان منذ أيام الخلفاء الراشدين والملوك والسلاطين.

هذا وقد اقتضت طبيعة التحركات العسكرية التي قامت بها قوات محمد علي والي مصر، خلال حروبه في شبه الجزيرة العربية، تمركز قوات كبيرة العدد في شبه جزيرة سيناء، سببت شيئاً من الخوف والفزع لرهبان الدير. فلما أحسّ والي مصر بذلك أصدر مرسوماً يهديء من روعهم ويؤمنهم على مصالحهم وديارهم جاء فيه:

«صدر المرسوم الشريف الواجب القبول والتشريف والأتباع عن ديوان مصر المحروسة إلى قدوة الملّة المسيحية وعمدة الطائفة العيسوية الرهبان سكان الدير بجبل سيناء ختمت عواقبهم بالخير والرشاد تحيطون علماً أنه قد طرق مسامعنا حاصل عندكم خوف وزعل بخصوص قدوم العساكر المرسلة إلى الحجاز، والحال أننا لا نرضى إلاّ كامل راحتكم واستراحتكم في محل مواطنكم بالدير بجبل سيناء وتكونوا مطمئنين ومستريحين من هذا القبيل وعليكم أمان الله تعالى وأمان رسوله ثم أماننا السعيد. ولم تخشوا من شيء جملة كافية ولا أحد يتعرض لكم بوجه من الوجوه ويكون لكم الحماية والصيانة في ديركم محل وطنكم بجبل سيناء ولم تهتموا من شيء مطلقاً، فبناء على ذلك أصدرنا هذا المرسوم الشريف عند وصوله إليكم يكون العمل بمضمونه وبمقتضاه واعتمدوه [غاية] الاعتماد».

وخلاصة القول فإن العلاقة ـ في جوهرها ـ بين الدير والهيئات الرسمية، كما يبدو من دراسة الوثائق، علاقة طيبة تقوم على الود والاحترام المتبادل بين الجانبين، رغم ما بدا من انحراف بعض البدْو.

أما فيما يختص بوثائق ومخطوطات الدير المصورة، والمودعة مكتبة كلية الآداب جامعة الإسكندرية، والتي نسخت منها نسخة أخرى مكتبة الإسكندرية فهي:

١ ـ ميكروفيلم الوثائق العربية المحفوظة بمكتبة كلية الآداب جامعة الإسكندرية:

رقم مسلسل		عدد الوثائق	السنة
٣١١	(وثائق ١ ـ ٤٨) عهد نبوي ومراسيم	٤٨ ورقة	١٧٣٧م
٣١٢	(وثائق ٤٩ ـ ١٦٢) مراسيم وعهود	١١٤ ورقة	١٤١٣م
٣١٣	(وثائق ١٦٣ ـ ٣٠٠) فرمانات ومعاهدات	١٣٨ ورقة	١٥٨٦م
٣١٧	(وثائق ٦٨٢ ـ ٨٨٤) حجج ومحاضر وأوامر	٢٠٣ ورقة	١٧٥٤م
٣١٨	(وثائق ٨٨٥ ـ ١٠٤٢) حجج ومحاضر	١٥٨ ورقة	١٦٩١م
٣١٩	وأوامر إدارية		
	(وثائق ١٠٤٣ ـ ١٠٦٧) حجج وأوامر إدارية	٢٥ ورقة	١٨٧١م

٢ ـ ميكروفيلم الوثائق التركية

٢	(١٦٠ ـ ٣٤٥) فرمانات	١٨٦ ورقة
٣	(٣٤٦ ـ ٥٧٧) فرمانات	٢٣٢ ورقة
٤	(٥٧٨ ـ ٦٧٠) أحكام قانونية	٩٣ ورقة

٣ ـ ميكروفيلم المخطوطات العربية

٢٩٩	(رقم المخطوطة ٦٨٧) حوليات	١٩١ ورقة	حوالي القرن
٣٠٠	ومعاهدات	٧٨ ورقة	السابع عشر
٣٠١	(رقم المخطوط ٦٨٨) حوليات ومعاهدات	١٠ ورقة	١٥٧٤ ـ ١٦٨٢م
٣٠٢	(رقم المخطوط ٦٩٠) سجل معاهدات	٤٤ ورقة	١٦٧٧ ـ ١٧٠٠م
	(رقم المخطوط ٦٩١) دفتر إيصالات		١٦٥٣ ـ ١٨٢٧م

٤ ـ مخطوطات أصلية بمكتبة الدير:

ـ مخطوط رقم (٦٩٢) كتاب تاريخ دير سانت كاترين.

ـ مخطوط رقم (٢٥٣) (باللغتين اليونانية والعربية) ويتضمن معاهدات مع مشايخ العربان في القرن السابع عشر.

ـ مخطوط رقم (٢٣١٨) (باللغتين اليونانية والعربية) ويتضمن معاهدات مع مشايخ العربان في القرن السابع عشر.

وبكلمة موجزة، فإن وثائق دير سانت كاترين في شبه جزيرة سيناء في مصر، تمثل مرحلة أخرى من مراحل التاريخ الإسلامي والعثماني، وتسلط ضوءاً على تاريخ الدير الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والأدبي، وفي علاقته مع الدولة الإسلامية، ومع الولاة العثمانيين والسلطات المصرية.

الفصل السابع

الأرشيف اللبناني
في التاريخ الحديث والمعاصر

إن الأرشيف اللبناني في التاريخ الحديث والمعاصر، هو بغالبيته أرشيف عثماني، ويمكن أن يصنف في هذا الإطار، نظراً لوجود الدولة العثمانية في بلاد الشام حوالي أربعمائة عام (١٥١٦ ـ ١٩١٨)، وقد توزعت الوثائق والمستندات العثمانية في مختلف المقاطعات اللبنانية، بل طبعت هذه المقاطعات بطابعها العثماني. بالإضافة إلى ذلك فقد وجدت في المؤسسات والمراكز اللبنانية الخاصة والعامة الكثير من الوثائق اللبنانية والفرنسية والبريطانية والإيطالية والألمانية والأميركية والنمساوية وسواها. وهذه الوثائق والمستندات ما تزال موجودة إما مع مراكز المرجعيات الدينية أو المراكز الرسمية أو الخاصة، وفي بعض مكتبات المؤسسات الجامعية، فضلاً عن وثائق متنوعة في المديرية العامة للآثار. وكان على الحكومة اللبنانية أن تهتم بحفظ هذا التراث بشكل أو بآخر عبر «مؤسسة المحفوظات الوطنية»، كما أن الوثائق ـ التي باتت تعتبر وثائق لبنانية ـ ما تزال مودعة في مراكز ومكتبات وجامعات عديدة يمكن دراستها على النحو التالي:

١ ـ مؤسسة المحفوظات الوطنية في بيروت[١]:

تختص هذه المؤسسة بجمع وتوثيق المحفوظات الوطنية الرسمية

(١) للمزيد من التفاصيل أنظر: نسيب عبد الصمد: المحفوظات اللبنانية في ستين عاماً ١٩٢٠ ـ ١٩٨٠.

المتعلقة بوثائق ومستندات رئاسة الوزراء والمجلس النيابي اللبناني والجريدة الرسمية، وكل ما يتعلق بمستندات الدولة اللبنانية. والحقيقة فإن تاريخ نشأة هذه المؤسسة يعود إلى الفترات الأولى من عهد الانتداب الفرنسي، حيث أشار المرسوم رقم (٥) الصادر بتاريخ ٣١ أيار (مايو) ١٩٢٦ في عهد الرئيس شارل دبّاس ورئيس الوزراء أوغست أديب إلى تنظيم وزارات الجمهورية اللبنانية، وتحديد اختصاصاتها. وسبق هذا المرسوم مذكرة صادرة عن الحاكم الإداري الفرنسي في سوريا ولبنان حملت الرقم (٦٥) بتاريخ ٣٠ كانون الثاني (يناير) ١٩١٩، وهذه المذكرة تتعلق بتنظيم المعاملات الإدارية وحفظ الوثائق والمستندات الرسمية، وتنظيمها تنظيماً حسب الأرقام والتواريخ. وفي ٦ شباط (فبراير) ١٩٢٩ صدر مرسوم رقم (٤٥١١) كلَّف بموجبه مدير المالية الحفاظ على أرشيف السنوات المهمة المختصة بالإدارة اللبنانية، ثم توالت المذكرات والمراسيم التي تنظم عملية حفظ أو إتلاف المستندات الرسمية. وفي عهد الاستقلال صدرت أيضاً عدة تنظيمات في عام ١٩٤٣. وفي ٢٦ شباط (فبراير) ١٩٥٣ صدر المرسوم الاشتراعي رقم (٤٣) الذي يتعلق بتنظيم دوائر رئاسة مجلس الوزراء وهذه الدوائر تتمثل بوحدات ثلاث هي:

١ ـ ديوان الرئاسة: ويتولى تنظيم المحفوظات، وحفظ النسخ الأصلية للمستندات والوثائق التي يشترك في توقيعها رئيس مجلس الوزراء.

٢ ـ ديوان مجلس الوزراء والشؤون النيابية: ويتولى حفظ قرارات مجلس الوزراء وملحقاتها، وحفظ نسخ من العقود والوثائق الرسمية التي توقع بتفويض من مجلس الوزراء تكون مقرونة بتصديقه.

٣ ـ ديوان المحاسبة: وهي وحدة تتولى حفظ السجلات والاضبارات الشخصية لموظفي رئاسة مجلس الوزراء.

والحقيقة فقد استمر العمل بهذه التنظيمات حتى عام ١٩٥٩ حيث أدخلت في عهد رئيس الجمهورية اللواء فؤاد شهاب تنظيمات إدارية هامة في الدولة اللبنانية تناولت مختلف الإدارات اللبنانية. وفي عام ١٩٥٩ نظمت المديرية العامة لرئاسة مجلس الوزراء محاضر مقررات مجلس الوزراء بعد تصنيفها وحفظها في أمانة السر العامة للشؤون الوزارية، وحفظ مجموعات أعداد الجريدة الرسمية. وفي عام ١٩٦٢ أحالت الحكومة مشروع قانون معجل يرمي إلى إحداث مصلحة لإدارة محفوظات الدولة الوطنية، كما صدر عن رئيس مجلس الوزراء بالوكالة بتاريخ ١٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٤ تعميم موجه إلى جميع الإدارات العامة يطلب إليها إيداع الرئاسة بياناً عن النظام المتبع لديها في حفظ المعاملات والملفات. وفي أوائل السبعينات وبالذات في النصف الثاني من عام ١٩٧٠ كان المنعطف المميز في تاريخ المحفوظات اللبنانية الرسمية، حيث بدأت الدولة بأخذ مبادرة لإيجاد مؤسسة رسمية تعنى بشؤون المحفوظات والوثائق والمستندات الرسمية اللبنانية. وفي إطار إعادة تنظيم مصلحة المحفوظات المركزية انتهت لجنة خاصة عملها ودراستها للموضوع المشار إليه في ٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٢، وكان عام ١٩٧٣ الخطوة الهامة في مرحلة بناء وتنظيم ومعالجة المحفوظات الرسمية.

وخلال عام ١٩٧٤ أعدت رئاسة مجلس الوزراء مشروع إنشاء إدارة المحفوظات الوطنية الذي عرض على أمين عام المجلس الدولي للوثائق آنذاك الدكتور **جيوفاني انطونيدوس** الذي انتُدب من قبل منظمة الأونيسكو إلى لبنان كخبير في تنظيم المحفوظات، والعمل على إنشاء مركز للتوثيق، وإعداد الكوادر الفنية اللازمة. وكان قد سبقه إلى لبنان خبير آخر هو الدكتور **ادغار فرانز** أحد مديري المحفوظات والوثائق في ألمانيا. وبالفعل ونتيجة للجهود المبذولة من قبل الخبيرين الإيطالي والألماني فقد أعد مشروع قانون معجل من قبل الحكومة اللبنانية التي أحالته بدورها على مجلس النواب، وهو يهدف إلى

تعديل ملاكات رئاسة الجمهورية، ورئاسة مجلس الوزراء، وتحديد ملاك مديرية المحفوظات المركزية. وقد وضع مشروع القانون موضع التنفيذ بالمرسوم رقم (١٠٦١٨) بتاريخ ٢١ آب (أغسطس) ١٩٧٥، غير أن لبنان كان يمرّ في هذه الفترة بأحداث أمنية، لذا لم تتمكن رئاسة مجلس الوزراء من تنفيذ ذلك المرسوم خلال حرب السنتين ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦.

وفي عام ١٩٧٧ عرض مجدداً مشروع قانون إنشاء إدارة المحفوظات الوطنية على مجلس الوزراء، حيث قرر المجلس في جلسته المنعقدة بتاريخ ١٦ أيار (مايو) ١٩٧٧ تأجيل البتّ فيه إلى أن تمت الموافقة النهائية في جلسة مجلس الوزراء في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٧، ثم صدر مرسوم بذلك في ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٨.

الأرشيف والمحفوظات والمستندات المحفوظة في المؤسسة الوطنية للمحفوظات

عملت المؤسسة منذ إنشائها على الاهتمام بتنفيذ الغاية التي أسست من أجلها، وقد تكونت عبر سنوات العديد من المحفوظات الرسمية الهامة يأتي في مقدمتها:

١ ـ محاضر ووثائق ومستندات ومقررات مجلس الوزراء اللبناني في فترة الانتداب الفرنسي لا سيما بين أعوام ١٩٢٦ ـ ١٩٤٣. وفي المرحلة الثانية تمّ جمع وحفظ وتنظيم ما يتعلق بعهود الاستقلال في الفترة الممتدة بين أعوام ١٩٤٣ ـ ١٩٨١، بالرغم من أن بعض هذه الوثائق ومحاضر الجلسات قد ضاع أو احترق في مقر مجلس الوزراء في السراي الكبير في باطن بيروت في إبان الحرب الأهلية في لبنان. وفيما بعد انتقل مقر مجلس الوزراء بين أعوام ١٩٨١ ـ ١٩٩٨ إلى القصر الحكومي في الصنائع حيث حفظت القرارات والتعاميم الخاصة برئاسة الوزراء. ومنذ صيف ١٩٩٨ أعيد مقر مجلس الوزراء مجدداً إلى

السراي الكبير بعد ترميمه وإعادة تأهيله.

٢ ـ محاضر ومداولات ومستندات المجلس النيابي، وهي متعلقة بفترة الانتداب الفرنسي لا سيما بين أعوام ١٩٢٦ ـ ١٩٤٣ وهي فترة حافلة بالعمل النيابي وبالمداولات والمحاضر. وفيما بعد تمّ جمع وتوثيق المحاضر المشار إليها في الفترة الممتدة بين أعوام ١٩٤٣ ـ ١٩٧٥، كما حرصت رئاسة المجلس النيابي على حفظ وثائق ومحاضر الجلسات في فترة الحرب اللبنانية ١٩٧٥ ـ ١٩٩٠. كما أن رئاسة المجلس أوعزت للمعنيين باعتماد الكمبيوتر و (C.D.) لحفظ جميع محاضر الجلسات منذ الانتداب الفرنسي حتى اليوم. علماً أن المجلس النيابي اللبناني يحتفظ بنسخ مماثلة من محاضره، وإن كانت بعض الأعداد ناقصة. كما يوجد في الجامعة الأميركية في بيروت وفي مؤسسات جامعية أخرى أو حكومية نسخ من هذه المحاضر النيابية التي تطبع تباعاً حتى اليوم.

ولا بد من الإشارة إلى أن الجريدة الرسمية التي كانت تصدر عن الحكومة العربية في دمشق بين أعوام ١٩١٨ ـ ١٩٢٠، والمعروفة باسم جريدة «العاصمة» كانت تغطي أخبار لبنان وسوريا لا سيما فيما يختص بأعمال الحكومة العربية في دمشق. وهذه الجريدة الرسمية يوجد بعض أعداد منها في مؤسسة المحفوظات الوطنية، وفي مكتبة الحقوق في جامعة بيروت العربية، وهي على غاية من الأهمية لمن يود دراسة الحكومة العربية بين أعوام ١٩١٨ ـ ١٩٢٠.

٣ ـ الجريدة الرسمية: يوجد في مؤسسة المحفوظات الوطنية مجموعات هامة من الجريدة الرسمية باللغتين العربية والفرنسية الصادرة بين أعوام ١٩٢٦ ـ ١٩٤٣، وتوجد مجموعة أخرى للفترة الممتدة منذ عام ١٩٤٣ وحتى اليوم. ولا بد من الإشارة إلى أن المؤسسة تعاني من نقص في بعض أعداد الجريدة الرسمية اللبنانية لا سيما بعض المجموعات لأعوام ١٩٢٨ ـ ٤٥ ـ ٤٦ ـ ٤٩ ـ ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٣ ـ ٧٠ ـ ٧١ ـ ١٩٧٤، غير أنّ

المؤسسة تعكف على البحث والتدقيق في مختلف الإدارات والمؤسسات والجامعات ليتسنى لها تصوير النواقص لسد الخلل الحاصل في أعداد الجريدة الرسمية.

وينبغي الإشارة إلى أن المؤسسات الرسمية والخاصة تحتفظ بدورها بمجموعات متسلسلة أو متفرقة من أعداد الجريدة الرسمية.

٤ ـ القرارات والقوانين الإدارية: حرصت مؤسسة المحفوظات الوطنية على جمع العدد الأوفر من القرارات والتعاميم والمستندات الخاصة بوزارات الدولة وإداراتها، وذلك في فترتي عهد الانتداب الفرنسي وعهد الاستقلال.

٥ ـ الوثائق الفرنسية: حرصت المؤسسة أيضاً على اقتناء عدد كبير من الوثائق والمراسلات الفرنسية الصادرة عن المفوض السامي في لبنان وسوريا، والردود الصادرة من وزارة الخارجية الفرنسية، أو من الحكومة الفرنسية، والمتضمنة مواقف سياسية أو طائفية أو اجتماعية أو إدارية أو تربوية. كما يوجد في المؤسسة العديد من الوثائق الخاصة بتاريخ لبنان والمبعثرة هنا وهناك، والتي أمكن للمؤسسة أن تجمعها وتحتفظ بها، كما حرصت المؤسسة على اقتناء بعض الوثائق الإيطالية الدبلوماسية المتعلقة بتاريخ لبنان والمنطقة.

أهمية أرشيف ووثائق مؤسسة المحفوظات الوطنية:

ما من دولة في العالم إلاً وتهتم بجمع تراثها ووثائقها، لأن هذه الوثائق تمثل الذاكرة التاريخية للشعوب، علماً أن الماضي يجسد بشكل أو بآخر الحاضر والمستقبل. لذا حرصت الدولة اللبنانية على إنشاء مؤسسة المحفوظات الوطنية، لأنها تمثل ذاكرة لبنان، وعلى هذا فإن الباحثين في مجال الدراسات التاريخية أو السياسية أو القانونية أو الإدارية باستطاعتهم الاعتماد على وثائق ومستندات المؤسسة، لأنها تغني موضوعاتها المتنوعة. فهي تمثل وثائق أساسية

والقسم الأوفر منها غير منشور، وما هو منشور فإن الباحثين لم يعتمدوا على قسم كبير منه حتى الآن. وبالتالي فإن أحداً لا يستطيع أن ينكر أهمية هذا الأرشيف في مجال الدراسات التاريخية أو القانونية أو الإدارية.

ويمكن القول إن على عاتق المؤسسة جهوداً شاقة تتمثل بضرورة جمع جميع الوثائق والمستندات الرسمية على الأقل، ووثائق جميع الوزارات والدوائر الحكومية ليتم توثيقها وحفظها، ومن ثم السماح للباحثين بالاشتغال عليها، علماً أن الوثائق الرسمية الموزعة بين الوزارات وإدارات الدولة، التي كانت متوفرة ومحفوظة ولو بشكل عشوائي فقد أحرق بعضها أو أتلف بسبب الحرب اللبنانية في الفترة الممتدة بين أعوام ١٩٧٥ ـ ١٩٩٠.

٢ ـ وثائق القصر الجمهوري في لبنان:

من الأهمية بمكان القول، أن الوثائق والمراسلات والمستندات الخاصة برئاسة الجمهورية اللبنانية ليست هي من ضمن مجموعة مؤسسة المحفوظات الوطنية. ويمكن القول أن الكثير منها قد ضاع أو أحرق أو أتلف على مرّ العصور لا سيما في حرب السنتين ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦، وما تلاها من حروب وأحداث بين أعوام ١٩٧٧ ـ ١٩٩٠، كما أن بعضها الآخر قد نقل مع رؤساء الجمهورية الذين كانوا يعتبرونها من الأملاك أو الوثائق الخاصة خلافاً للحقيقة. وهذا ما حدث بالفعل بالنسبة للوثائق الرئاسية المختلفة وذلك في عهود الرؤساء: بشارة الخوري (١٩٤٣ ـ ١٩٥٢)، وكميل شمعون (١٩٥٢ ـ ١٩٥٨)، وشارل حلو (١٩٦٤ ـ ١٩٧٠)، وسليمان فرنجية (١٩٧٠ ـ ١٩٧٦)، والياس سركيس (١٩٧٦ ـ ١٩٨٢)، وأمين الجميل (١٩٨٢ ـ ١٩٨٨)[1]، وما تبقى من مستندات ووثائق فقد تبعثرت أو نقلت أو سرقت أو

(١) من الملاحظ أن بعض رؤساء الجمهورية قد أصدر مذكراته في عدة كتب عبر فيها عن الأحداث التي مرّ بها لبنان من خلال عهده، من هؤلاء الرؤساء: بشارة الخوري، كميل شمعون، شارل حلو، أمين الجميل، إلياس الهراوي.

أحرقت في فترة حكم قائد الجيش ميشال عون بين ٢٣ أيلول (سبتمبر) ١٩٨٨، و ١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٠. وما وجد من مراسلات أو وثائق خاصة برئاسة الجمهورية عبر مختلف العهود، إنما هي المراسلات التي كانت ترسل من رئاسة الجمهورية إلى رئاسة المجلس النيابي، أو رئاسة مجلس الوزراء، فأودع بعضها في مؤسسة المحفوظات الوطنية، مع أهمية الإشارة، إل أنه بالإمكان العثور على مراسلات ووثائق رؤساء الجمهورية اللبنانية في ملفات وثائق وملوك ورؤساء الدول العربية والأجنبية وفي وزارات الخارجية العربية والأجنبية.

والحقيقة فإن مسألة حفظ الوثائق والمستندات التي تمثل الذاكرة التاريخية في لبنان تستأهل إنشاء مؤسسة تعنى بجمع وتوثيق مستندات ووثائق مختلف المناطق اللبنانية الشعبية، ومختلف مراحل التاريخ اللبناني التي يمكن أن نطلق عليها مؤسسة «محفوظات التراث الشعبي»، هذا التراث الذي يمثل حقيقة «الذاكرة التاريخية» اللبنانية، والذي ما يزال منتشراً في المدن والقرى والبلدات اللبنانية.

والجدير بالذكر، أن الباحث في مجال الدراسات العليا يستطيع الاستفادة من المستندات الموجودة في أرشيف الدول الأجنبية وفي أرشيف مؤسسة المحفوظات الوطنية، وهذه المستندات كما سبق أن ذكرنا تتضمن الكثير من المراسيم الجمهورية، والقرارات الوزارية، والتعاميم، والمراسيم، وأعداد الجريدة الرسمية، بالإضافة إلى مجموعات هامة من الوثائق العربية والفرنسية والإيطالية والأجنبية عامة المتعلقة بتاريخ لبنان الحديث والمعاصر. ومن الأفضل لطالب الدراسات العليا في التاريخ الحديث والمعاصر الاطلاع على هذه المجموعات الوثائقية التي تضفي على رسالته أو أطروحته طابعاً علمياً ووثائقياً، فضلاً عن اعتماده على المجموعات الوثائقية الموجودة في المراكز العلمية الأخرى[1].

---

(١) قدم د. فيفان العَلَم في إطار «مؤتمر أرشيف تاريخ لبنان» دراسة اعتمدت على «مراسيم ١٢ حزيران (يونيو) ١٩٥٩ ودورها في الإصلاح الإداري اللبناني» مما يؤكد أهمية مثل هذا الأرشيف الذي يضم المراسيم والقرارات والتعاميم وسواها.

٣ ـ الأرشيف العثماني وأرشيف المحاكم الشرعية في الدولة العثمانية (أرشيف محاكم بيروت وبعض المحاكم الشرعية الأخرى):

نشأت الدولة العثمانية وكانت منذ نشأتها لا تمتلك الوثائق والمستندات الإدارية والتنظيمية، وكانت لا تحتفظ بوثائقها أو بمراسلات سلاطينها أو أمرائها أو قادتها. ومع استقرار الدولة العثمانية في بلاد الشام ابتداء من عام ١٥١٦م، وفي مصر ابتداء من عام ١٥١٧م، تبيّن للدولة أنه لا بد من أن تنظم أوضاعها، وأوضاع السكان في مختلف الولايات. لذا فقد اقتبست بعض الأنظمة السائدة منذ العهد المملوكي، كما اقتبست بعض الأنظمة الأوروبية نتيجة للاحتكاك مع الغرب. ولم تهتم الدولة العثمانية في البدايات سوى بإصدار الفرمانات السلطانية الخاصة بتعيين الأمراء والولاة، ومنح الباشاوية، أو الإمارة لهذا الزعيم أو ذاك. وكانت مختلف الرسائل أو الفرمانات لا تحفظ في أرشيف منظم خاص للدولة، بل إن ما وجد معظمه، إنما كان من بين محفوظات الأمراء أو الولاة أو أحفادهم، أو محفوظات الأسر السياسية أو الإقطاعية، كما وجدت العديد من الوثائق العثمانية في إدارات الدول، والسرايات، والقصور التاريخية، وفي مختلف الولايات السابقة التي كانت تابعة للدولة العثمانية، بما فيه المحاكم الشرعية.

والحقيقة فإن الدولة العثمانية لا سيما بين القرن السادس عشر وأوائل القرن العشرين، وبانتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨ قد تركت من خلال تلك الحقبة التاريخية لحكمها سواء في بلاد الشام، أو مصر، أو شمالي أفريقيا، أو الخليج العربي، وقبرص واليونان، أو أجزاء من أوروبا الشرقية بما فيه منطقة البلقان، تراثاً هاماً من الأرشيف يضم ملايين من الوثائق والمراسلات والتنظيمات والقرارات والفرمانات قدرت بحوالي خمسين مليون وثيقة المجموعة فقط في تركيا الآن. كما يوجد ملايين أخرى من الوثائق العثمانية ما تزال موجودة حتى اليوم في مختلف الولايات والمناطق التي كانت

خاضعة للدولة العثمانية لأكثر من أربعمائة عام. كما أن هناك مئات الألوف من الوثائق العثمانية في ملفات الحكومات ووزارات الخارجية الأجنبية.

هذا، وقد تشعبت الحياة العثمانية إلى وجوه اجتماعية واقتصادية وسياسية وعسكرية وتربوية وثقافية ومعمارية؛ وتظهر هذه الملامح والوجوه بشكل واضح في الوثائق العثمانية المختلفة. والأمر الملاحظ أنه منذ فترة مبكرة من التاريخ العثماني نشأت المحاكم لمختلف الطوائف، ولمختلف الرعايا الأجانب الذين يصادف وجودهم في أراضي الدولة العثمانية، لذلك فإن الدارس لسجلات ومستندات المحاكم الشرعية في بيروت وصيدا وطرابلس ودمشق وحلب وعمان والقاهرة والقدس وعكا وبغداد وتونس وغيرها من المدن والولايات العثمانية، يدرك تماماً أهمية تلك الوثائق والمستندات والوثائق التي تضمنتها سجلات المحاكم الشرعية. فلم يكن عمل تلك المحاكم يقتصر على معاملات الزواج والطلاق والأرث والوصية، بل كانت المحاكم تعالج مختلف القضايا المتعلقة بالنشاط اليومي للرعايا العثمانيين، وقد تفرعت تلك المحاكم إلى محاكم التمييز، ومحاكم الاستئناف، ومحاكم البداية، ومحاكم أخرى اهتمت بالدعاوى المتبادلة بين الرعايا(١). ويمكن القول إن تلك المحاكم الشرعية تماثل اليوم محاكم وزارة العدلية، ودوائر المالية والطابو (الدوائر العقارية)، في حين اقتصر عمل المحاكم الشرعية في عصرنا الحاضر على الدعاوى و المعاملات المتعلقة بالشؤون الدينية الإسلامية مثل: معاملات الزواج والطلاق والميراث والنفقة والوصية والوقف وما شابهها.

إن الباحث في سجلات المحكمة الشرعية يستطيع أن يستخرج معلومات

---

(١) أنظر على سبيل المثال الدعاوى العديدة في كتابنا: التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية (سجلات المحكمة الشرعية في بيروت).

على غاية من الأهمية تنشر للمرة الأولى لأن تلك السجلات والوثائق التي تعود للعهد العثماني اهتمت بالكثير من الشؤون المحلية والعثمانية: السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، وللأسف فقد أهملت هذه الوثائق من قبل الدارسين والمؤرخين لسنوات طويلة لعدم انتباههم إلى أهميتها ولعدم اطلاعهم عليها، لعدم معرفتهم بما تحويه، بل كانوا يهتمون ويعتمدون باستمرار على الوثائق الدبلوماسية الفرنسية أو البريطانية أو الألمانية أو الإيطالية أو النمساوية أو الأميركية أو الروسية، أو غيرها. وكان أول من اشتغل على وثائق وسجلات المحاكم الشرعية في لبنان في المدن الثلاث: بيروت وصيدا وطرابلس كل من د. حسان حلاق (أول من اشتغل على سجلات المحكمة الشرعية في بيروت) والدكتور عمر تدمري والدكتور خالد زيادة[١] والدكتور فريدريك معتوق (وهم أول من اشتغلوا على سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس) والدكتور طلال المجذوب والدكتور غسان سنو والأستاذ محمد حلمي الرواس (وهم من أوائل الذين اشتغلوا على سجلات المحكمة الشرعية في صيدا)، ولقد تبين بعد اشتغالنا واشتغال زملاء أو طلاب لنا على سجلات المحاكم الشرعية، إنه لا يمكن إهمال هذه السجلات والوثائق، باعتبارها وثائق تاريخية لا يمكن الطعن في صحتها، فهي وثائق تسجل واقع الحال،

---

(١) قدم د. خالد زيادة في «مؤتمر أرشيف تاريخ لبنان» دراسة هامة تحت عنوان «سجلات محكمة طرابلس الشرعية وأهميتها في توثيق تاريخ لبنان». كما قدم د. أنطوان ضومط في المؤتمر ذاته دراسة هامة تحت عنوان «وثائق المحاكم الشرعية في خدمة تاريخ لبنان: نموذج وثائق المحكمة الشرعية في طرابلس»، كما قدم د. عصام خليفة في المؤتمر الثاني لأرشيف تاريخ لبنان التي نظمته الجامعة اللبنانية في أيار (مايو) ١٩٩٥ دراسة عن الأرشيف العثماني، كما قدم د. حسان حلاق في تونس ولبنان من خلال عدة مؤتمرات عن التاريخ العثماني، عدة بحوث معتمدة على سجلات المحكمة الشرعية في بيروت، كما نظمت جامعة البلمند مؤتمراً هاماً في آذار (مارس) ٢٠٠٤ حول «العلاقات بين المسيحيين والمسلمين في بيروت في القرن ١٩» من خلال سجلات المحكمة الشرعية في بيروت. وقد شاركت ببحث في هذا المؤتمر في حينه.

وليست كالتقارير الدبلوماسية القنصلية التي يمكن أن تكون مادة تاريخية، غير صادقة، لأنها عادة تعبر عن مواقف وانطباعات شخصية للقناصل والسفراء، في حين أن سجلات المحاكم الشرعية تسجل بصدق القضايا اليومية متعددة الوجوه والموضوعات. لذا فقد أمدتنا بمادة تاريخية غنية وبمعلومات جديدة استطعنا بواسطتها الحصول على معلومات وأسماء ومناطق وحرف وقضايا وفرمانات وقرارات، وأمور عديدة لم يسبق أن كتب عنها، فعلى سبيل المثال أمكن التوصل إلى المعلومات التالية من خلال سجلات المحكمة الشرعية في بيروت منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ أسماء القادة والولاة والمفتين ونقباء الأشراف وشيوخ المهن، والعلماء والقضاة، الذين تبوأوا تلك المناصب في العهد العثماني، والألقاب التي أطلقت عليهم، والفرمانات التي صدرت بحقهم.

٢ ـ أسماء المناطق والحارات والأزقة التي اندثرت، واختفت ملامحها ومعالمها من المدن والولايات.

٣ ـ الملامح العمرانية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت قائمة في يوم من الأيام في المدن والولايات العثمانية.

٤ ـ المصطلحات العثمانية التي كانت تستخدم في تلك الفترة، وقد اندثرت مع مرور الزمن.

٥ ـ أسماء وقيمة العملات والنقود العثمانية، والعملات الأجنبية.

٦ ـ أسماء الأبراج والأبواب والأسواق والأفران والبساتين والحدائق والمزارع، ومواقع الثكنات العسكرية، والجوامع والزوايا والكنائس، والخانات والجبانات، والمدارس والمقاهي والمواني‌ء.

٧ ـ أظهرت سجلات المحكمة الشرعية الأوقاف الإسلامية والمسيحية مع

مواقعها وعددها وأهميتها[١].

٨ ـ تعرفنا سجلات المحكمة الشرعية أيضاً على لغة العصر السائدة في الفترة العثمانية سواء من حيث التعبير اللغوي، أو المصطلحات اللغوية. فالبيارتة من أبناء بيروت يتحدثون بلهجات عربية، وأحياناً يكتبون بها، فهم يحولون السين إلى صاد، فكلمة السور يلفظونها (الصور) والبسطة يلفظونها (البصطة)، كما يحولون الجيم إلى شين. فتظهر اللهجة البيروتية واللبنانية أيضاً في الكلمات التالية: اجتماع (اشتماع) والحرج (الحرش) ووجه (وش). من خلال هذه الكلمات أو اللهجة نستطيع أن نتعرف إلى ما كان سائداً في بيروت ولبنان من لهجات من خلال سجلات المحكمة الشرعية.

٩ ـ تبين لنا السجلات عند وصفها لمعاملات الشراء والبيع النظام المعماري المتبع في الولايات والمدن، لأن المحاكم الشرعية (القاضي أو الحاكم الشرعي) كان يدوّن مختلف التفاصيل المتعلقة بالعقار موضوع البيع والشراء[٢].

١٠ ـ تظهر لنا تلك السجلات الجذور التاريخية للعائلات البيروتية واللبنانية،

---

(١) أصدرنا كتاباً خاصاً عن «أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني» استمدت مادته العلمية من سجلات المحكمة الشرعية في بيروت، ونظراً لأهمية الأوقاف فقد عقد في لندن مؤتمر في عام ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م تحت عنوان «أهمية الأوقاف الإسلامية في عالم اليوم» وقد صدرت ندواته ومحاضراته في كتاب بالعنوان ذاته بالتعاون مع مؤسسة آل البيت (مآب) ومؤسسة الإمام الخوئي الخيرية، وطبع في عمان ـ الأردن ١٩٩٧م.

(٢) قمنا بنشر دراسة حول «النظام المعماري في بيروت في العهد العثماني» مستمدة من سجلات المحكمة الشرعية في بيروت، في العدد الأول من مجلة كلية الهندسة المعمارية ـ جامعة بيروت العربية.

وتعطينا معلومات عن أصول وفروع العائلات وتشعباتها وألقابها ومهنها، وما تفرع عنها من عائلات أخرى.

ومن الأهمية بمكان القول، إن سجلات المحكمة الشرعية في بيروت وصيدا وطرابلس ودمشق وحلب وعمان والسلط في الأردن والقدس وسواها، وفي بعض سجلات محاكم مصر قد استفاد منها الكثير من الدارسين والمؤرخين في السنوات الأخيرة، واعتمدوا عليها بصورة أساسية سواء في نيلهم لدرجة الماجستير أو الدكتوراه، أو في أبحاث ودراسات معمقة ما بعد مرحلة الدكتوراه. والحقيقة فإن هذه السجلات يستفيد منها أيضاً من كان متخصصاً في مجال الدراسات الأدبية، والدراسات القانونية، والدراسات الاجتماعية، وغيرها من الدراسات المتنوعة. ومن هنا تكمن أهمية سجلات المحاكم الشرعية لأنها تتميز بوصف واقع الحال، وبالصدق وبالتنوع الواضح، بحيث يمكن للعديد من الدارسين في مختلف المجالات، الاستفادة منها. وبالفعل فقد صدرت بعض الدراسات المعتمدة على سجلات المحاكم الشرعية منها على سبيل المثال: السجل الأول لمحكمة طرابلس الشرعية الذي أصدره الزملاء د. عمر عبد السلام تدمري ود. خالد زيادة، ود. فريدريك معتوق وذلك بالتعاون مع الجامعة اللبنانية. كما أصدر الدكتور حسان حلاق العديد من الدراسات التي اعتمدت بشكل أساسي ولأول مرة على سجلات المحكمة الشرعية في بيروت كما أصدر خمسة كتب رئيسية اعتمد فيها على تلك السجلات[1]. فضلاً عن العديد من المقالات والدراسات التاريخية. كما أصدر

---

(١) وهذه الكتب هي:
١ ـ أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني الصادر عام ١٩٨٤م.
٢ ـ التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية في القرن التاسع عشر الصادر في بيروت في أوائل عام ١٩٨٧م.
٣ ـ بيروت المحروسة في العهد العثماني الصادر في أواخر عام ١٩٨٧م.
٤ ـ كتاب ألبوم بيروت ـ دمشق ـ القدس ـ القاهرة، الصادر في بيروت عام ١٩٩١م.
٥ ـ بيروت المحروسة: بيروت الإنسان والحضارة والتراث، بيروت ٢٠٠٢.

د. تدمري عام ٢٠٠٢ دراسة هامة تحت عنوان «وثائق نادرة من سجلات المحكمة الشرعية في طرابلس» من منشورات مؤسسة المحفوظات الوطنية.

كما صدرت عدة دراسات هي في الأساس رسائل علمية في الجامعات اللبنانية اعتُمد فيها على سجلات محكمة طرابلس الشرعية: الأولى للدكتور نهدي حمصي وموضوع رسالته: «تاريخ طرابلس من خلال سجلات المحكمة الشرعية». أما الدراسة الثانية فهي للطالب خالد المرعبي عن «الإمارة المرعبية ١٧١٤ ـ ١٨٤٠». وهناك دراسة أخرى للدكتور طلال المجذوب تحت عنوان «تاريخ صيدا الاجتماعي»، وقد اعتمد فيها على سجلات المحكمة الشرعية في صيدا. كما اعتمد الطالب محمد حلمي الرواس في إعداد رسالة الدبلوم في التاريخ بإشرافي «الحياة الاقتصادية في صيدا العثمانية ١٨٣٠ ـ ١٨٨٨». وقد اعتمدت هذه الدراسة بشكل أساسي على سجلات ووثائق المحكمة الشرعية في صيدا، كما اعتمدت على سجلات ووثائق الأوقاف الإسلامية في صيدا أيضاً. بالإضافة إلى ذلك فقد سبق للطالب أسعد تميم عند إعداده للماجستير في دراسة عن بيروت أن استطاع استخراج العديد من الوثائق الهامة من سجلات المحكمة الشرعية في بيروت، وكانت تضم معلومات جديدة وهامة أغنت الدراسة. وفي عامي ١٩٩٦ و ١٩٩٧ قدم بعض المهتمين بتاريخ مدينة صور في إطار مؤتمر صور العديد من الدراسات التاريخية والاجتماعية والاقتصادية المعتمدة على سجلات المحكمة الشرعية في صور، وقد صدرت أعمال المؤتمر الأول في كتاب خاص وذلك في عام ١٩٩٦[(١)].

ومن الباحثين البارزين في لبنان الذين عملوا على الوثائق العثمانية في استانبول الزميل الدكتور عصام خليفة الذي عمل لفترات طويلة على الأرشيف العثماني الموجود في (١٥) مركزاً في تركيا، تتضمن هذه المراكز مئات

(١) كتاب: صور من العهد الفينيقي إلى القرن العشرين (مجموعة دراسات قدمت في المؤتمر الأول لتاريخ مدينة صور) منتدى صور الثقافي، أيلول (سبتمبر) ١٩٩٦.

الآلاف من الوثائق والمستندات والدفاتر العثمانية[1].

وفي دمشق أصدر الدكتور عبد الكريم رافق الكثير من الدراسات المعتمدة على سجلات المحاكم الشرعية في دمشق وحلب وسواهما من المدن السورية أو الشامية، وهكذا بالنسبة أيضاً لبعض الباحثين في فلسطين والأردن ومصر والعراق والمغرب العربي وغيرها. والجدير بالذكر أن هذه السجلات والوثائق الموجودة في المحاكم الشرعية، أو في دوائر الأوقاف الإسلامية في لبنان على الأخص، أو فيما يختص بالسجلات والوثائق الخاصة بالطوائف المسيحية، فلا يمكن لجميع الباحثين الاطلاع عليها لأسباب تتعلق بواقع لبنان الطائفي والمذهبي والسياسي، ثم لأن الدولة اللبنانية لم تحاول الاتفاق مع المؤسسات الدينية أو العلمية تصوير السجلات والوثائق، ومن ثم لنشرها بهدف تعميمها للحفاظ عليها والاستفادة منها، ومن ثم لوضعها في أرشيف مؤسسة المحفوظات الوطنية. غير أن مؤسسة المحفوظات الوطنية التي بادرت إلى تصوير بعض السجلات والمستندات التاريخية اللبنانية الخاصة ببعض الطوائف الدينية فقد تعهدت المؤسسة آنذاك بعدم نشرها وعدم اطلاع أحد عليها، نظراً للخصوصية الاجتماعية والدينية والعائلية التي تتميز بها مثل هذه الوثائق الخاصة بالعائلات والطوائف.

والحقيقة فإن في هذا الواقع غير العلمي ما يبرر عدم الإفساح في المجال لجميع الفئات بالعمل عليها، ذلك لأن بعض الباحثين ـ للأسف ـ حتى اليوم يخضعون بدورهم للتيارات الطائفية أو المذهبية أو الحزبية، وإذا ما سمح لبعض هؤلاء من لا يتميزون بالمسؤولية الوطنية والعلمية، بالعمل على تلك الوثائق، فإنه بالإمكان استخدامها في أمور غير علمية، بل قد تستخدم ضد الطوائف والمذاهب، خاصة وأن تلك السجلات أو بعضها على الأقل هي

(١) للمزيد من التفاصيل عن هذه الوثائق والمستندات والدفاتر العثمانية ومضامين بعضها راجع: د. عصام خليفة: لبنان في أرشيف اسطنبول، بيروت ١٩٩٦، ص ١ ـ ١٦٠، حيث نشر الباحث العديد من الوثائق ومضامينها.

خزان أسرار للعائلات الإسلامية والمسيحية في لبنان.

٤ ـ أرشيف البطريركية المارونية والبطريركيات المسيحية وأرشيف الأديرة والكنائس:

شهدت الكنيسة المسيحية في لبنان الكثير من التطورات الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية منذ قيامها وحتى اليوم. وكان رجال الدين المسيحيون يقومون بتدوين القضايا المتعلقة بأوضاعهم كافة، كما كانوا يحتفظون بنسخ من الرسائل التي كانت تصل إلى الزعماء الروحيين البطاركة والمطارنة، كما كانوا يحتفظون بمراسلاتهم سواء إلى الزعماء الروحيين أو الزمنيين (الدينيين أو المدنيين) وبعض هذه المراسلات كان يتصل بالعلاقات مع دول أجنبية وفي مقدمتها فرنسا والبابوية، أو مع قناصل الدول الأجنبية الذين كانوا يقيمون في لبنان.

لقد تعرضت تلك البطريركيات والأديرة[١] والكنائس إلى العديد من الأحداث السياسية والعسكرية، الأمر الذي أفقد الطوائف المسيحية الكثير من وثائقها وسجلاتها وأرشيفها، على غرار ما تعرضت له المؤسسات الإسلامية عبر التاريخ نتيجة للحروب الداخلية أو الحروب الخارجية على لبنان سواء في عهد الدولة العثمانية، أو في عهد الانتداب الفرنسي، أو في عهد الاستقلال.

والحقيقة فإن مجمل القول، حول أرشيف الطوائف المسيحية في لبنان إنما تتأكد أهميته من خلال عشرات الآلاف من الوثائق حيث تم إتلاف بعضها عبر التاريخ، والاحتفاظ ببعضها الآخر استناداً إلى ظروف كل مرحلة تاريخية من مراحل لبنان. وقد استطاعت البطريركية المارونية على سبيل المثال من إعادة تكوين أرشيفها وتنظيم وثائقها التي احتفظت بها منذ مئات السنين، ولا

---

(١) قدم د. جوزيف أبو نهرا في «مؤتمر أرشيف تاريخ لبنان» دراسة هامة تحت عنوان «أرشيف الأديار في القرن الثامن عشر ـ نموذج من دفاتر الرهبانية الحلبية الشويرية ١٧٢٣ ـ ١٩٨٦».

سيما منذ العهد العثماني. وهذه الوثائق تتضمن على سبيل المثال ما يلي:

١ ـ وثائق المعاملات الدينية الخاصة بالطائفة المارونية.

٢ ـ وثائق ومراسلات سياسية بين البطريركية المارونية والقناصل الأجانب والبابوية.

٣ ـ وثائق وسجلات تتعلق بالتاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعسكري للطائفة.

٤ ـ وثائق واحصاءات تتعلق بالمدارس الكاثوليكية، والمؤسسات التبشيرية والتقديمات التي قدمتها لأبناء الطائفة.

٥ ـ مخطوطات ذات طابع ديني أو سياسي أو اقتصادي.

٦ ـ محاضر ووثائق اجتماعات البطاركة والمطارنة الموارنة عبر العصور المختلفة، مع الزعامات والمسؤولين سواء في لبنان أو في الخارج، والتي عقدت في مؤتمرات سياسية أو دينية، ومنها على سبيل المثال اجتماعات البطريرك الياس الحويك والمطران عبد الله خوري في باريس في مؤتمر فرساي عام ١٩١٩.

٧ ـ سائر الوثائق والمعاملات المتعلقة بشؤون الطائفة المارونية وشؤون الكثلكة في لبنان والعالم.

ومن الأهمية بمكان القول، إن هذه الوثائق والمراسلات والمحاضر تعتبر من الوثائق الأساسية التي تعكس وجهاً من وجوه تاريخ لبنان، وتمثل تاريخ أو بعض تاريخ طائفة من الطوائف اللبنانية الهامة. كما تمثل هذه الوثائق والمراسلات جزءاً أساسياً من التاريخ الديني والاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعسكري والتربوي للطائفة المارونية في لبنان والمشرق.

لقد كشفت البطريركية المارونية في منتصف كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٦ عن بعض أرشيفها ومستنداتها منها: البراءة البابوية التي تعود لعام

١٢١٥م، وهي مخطوطة باللغة اللاتينية خطت على جلد غزال، تتضمن دعوة إلى حضور المجمع المسكوني الرابع. وفي أرشيف بكركي أيضاً مئة وسبع براءات بابوية نسخت جميعها باليد، وخطت في غالبيتها على جلود الغزلان. كما يحتوي الأرشيف على عدد ضخم من الوثائق والمستندات التاريخية يفوق عددها على مليون وثيقة، وأقدم هذه الوثائق ترقى إلى أيام لويس التاسع ملك فرنسا عام ١٢٥٠م، وهي معروفة باسمه، وهذه الوثيقة نسخة عربية لفرمان الحماية الفرنسية التي تعهد فيها الملك الفرنسي بوضع الموارنة بطريركاً وأساقفة وكهنة ورهباناً وأمراء وأعياناً وشعباً تحت حماية الدولة الفرنسية. ويضم أرشيف البطريركية المارونية أيضاً عدداً كبيراً من المخطوطات القديمة التي نسخها على مرّ الأجيال أساقفة وكهنة ونساك وعلمانيون في وادي قاديشا وقنوبين وقزحيا وعددها نحو (٥٠٠) مخطوطة، يعود أقدمها إلى عام ١٣٠٢م. أما الاطلاع على أرشيف بكركي فيحتاج إلى إذن خاص من البطريرك، لأن هذا الأرشيف يحتوي على أسرار الطائفة المارونية، وعلى أسرار لها علاقة بأشخاص وأفراد وعائلات وسياسيين ورجال دين ورجال أقطاع، ما يزال بعضهم على قيد الحياة، أو ما تزال عائلاتهم على الساحة السياسية أو الاجتماعية، علماً أن الكثير من الوثائق البطريركية يمكن أن تكشف النقاب عن فترات هامة من تاريخ لبنان الوسيط والحديث والمعاصر.

من هنا ندرك أن الوثائق التي تحتفظ في المراكز والمؤسسات الدينية أو الطائفية، والتي تحتفظ بها الطوائف في مراكزها ومؤسساتها، لا يمكن للباحثين أن يستفيدوا منها بشكل رئيسي في مجال الدراسات والبحوث المتنوعة إلاّ بإذن خاص، بما فيه أبناء الطائفة على وجه العموم، ويسمح بالاطلاع على بعض الوثائق وليس جميعها. أما فيما يختص بأرشيف البطريركية المارونية فقد سمح لبعض الباحثين من أبناء الطائفة المارونية قبل عام ١٩٧٥ أو بعده، بالاطلاع عليه. كما سمح لبعض المستشرقين بالإطلاع

على بعض هذا الأرشيف ومنهم المستشرق الألماني (أكسل هافمن) «Axel Havman» الذي اشتغل على موضوع الاقطاعات الزراعية في جبل لبنان[١]. كما سمح للمستشرق الفرنسي «دومنيك شفاليه» (Dominique Chevalier) بالاشتغال على ذلك الأرشيف لا سيما ما يختص بجبل لبنان.

٥ ـ أرشيف مركز الدراسات الأرثوذكسي في بيروت (مطرانية الروم الأرثوذكس)[٢]:

حرصت مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت على إنشاء مركز للدراسات الأرثوذكسية، بالتعاون مع قسم التوثيق والدراسات الأنطاكية في جامعة البلمند، وذلك من أجل جمع الوثائق والمستندات الخاصة بطائفة الروم الأرثوذكس في بيروت ومختلف المناطق اللبنانية والسورية، بالإضافة إلى جمع المخطوطات الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية الصادرة عن أعلام من طائفة الروم الأرثوذكس. وبالفعل فقد قام مركز الدراسات والتوثيق الارثوذكسي بجمع الوثائق والسجلات الخاصة بالطائفة العائدة للعهد العثماني، وعهود الانتداب الفرنسي وعهود الاستقلال. وهذه السجلات تتضمن التاريخ الأهلي لطائفة الروم الأرثوذكس لا سيما في بيروت، وهي مصنفة في مجلدات حسب التسلسل التاريخي مكتوبة باللغة العربية بخط أسود واضح وسليم، وهي تمثل جزءاً أساسياً من تاريخ الطائفة الأرثوذكسية في بيروت وفي لبنان،

---

(١) زار المستشرق الألماني (Axel Havmann) بيروت في منتصف عام ١٩٩٦، وعقد معي عدة لقاءات بحضور الزميل د. عبد الرؤوف سنو، ووجه إليّ عدة أسئلة مكتوبة، وعدة إشكالات تتعلق بتاريخ لبنان الحديث وأوضاعه المعاصرة، وقد دوّن الأسئلة والإجابات كتابة وتسجيلاً، كما سبق لأنطوان كتافاكو أن أصدر دراسة هامة تحت عنوان «من وثائق خزانة بكركي الخطية».

(٢) يقع مركز الدراسات والتوثيق الأرثوذكسي في منطقة الأشرفية مقابل مستشفى الروم شرقي بيروت، وتولت د. سعاد سليم إدارة وتنظيم أرشيف هذا المركز لسنوات عديدة، وقد نقل معظم هذا الأرشيف إلى جامعة البلمند في شمال لبنان.

بل نتيجة للعلاقات الاجتماعية بين الطوائف اللبنانية، فإن تلك الوثائق تمثل جزءاً أساسياً من تاريخ الدولة العثمانية، وتاريخ لبنان، وتاريخ العائلات اللبنانية المختلفة. وهذه الوثائق والسجلات تماثل سجلات ووثائق المحكمة الشرعية، في بعض موضوعاتها وفي أهميتها، وهي الوثائق التي عملت د. سعاد سليم بالتعاون مع الآنسة أورور عضاضة على تصوير بعض سجلاتها التابعة للمحكمة الشرعية في بيروت بالتنسيق مع جامعة البلمند.

من جهة ثانية، فقد سمح لبعض الباحثين من أبناء الطائفة الارثوذكسية بالاطلاع على تلك السجلات الوثائقية، والاشتغال عليها، وتصوير بعضها. ومن بين الدراسات العلمية التي اعتمدت على أرشيف مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت دراسة للأب متري جرداق تحت عنوان «أوضاع الروم الأرثوذكس في مدينة بيروت وعلاقتهم بالدولة العثمانية ١٨٧٦ ـ ١٩٠٨ استناداً لدفاتر العسكرية» وهي أعدت في الأصل كرسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في قسم التاريخ في كلية الآداب الفرع الأول في الجامعة اللبنانية، وذلك في عام ١٩٩٩.

هذا وقد حرص مركز الدراسات الأرثوذكسي على إصدار منشورات بيبلوغرافية على غاية من الأهمية تتضمن المحتويات والمحفوظات والمخطوطات الموجودة في أماكن البطريركية والمطرانيات والأديرة الأرثوذكسية في أنحاء لبنان والبلاد السورية، فمن الكتب التي أصدرها قسم التوثيق والدراسات الإنطاكية في بيروت بالتنسيق مع جامعة البلمند الكتب التالية:

١ ـ كتاب المخطوطات العربية في مكتبة بطريركية إنطاكية وسائر المشرق للروم الارثوذكس الصادر عام ١٩٨٨.

٢ ـ كتاب المخطوطات العربية في مكتبة مطرانية حلب للروم الأرثوذكس الصادر عام ١٩٨٩.

٣ ـ كتاب المخطوطات العربية في الأديرة الأرثوذكسية الأنطاكية في لبنان (شويا، كوسبا، بقعاتا، دير الحرف، دومة) وهو الجزء الأول الصادر عام ١٩٩١.

٤ ـ كتاب المخطوطات العربية في أبرشيات حمص وحماه واللاذقية للروم الارثوذكس الصادر عام ١٩٩٤.

٥ ـ كتاب المخطوطات العربية في الأديرة الارثوذكسية الأنطاكية في لبنان (الجزء الثاني) الخاص بمخطوطات دير سيدة البلمند الصادر عام ١٩٩٤.

٦ ـ كتاب محفوظات دير سيدة البلمند البطريركي، ودير النبي الياس البطريركي في شويا ودير القديس يوحنا المعمدان في دومة الصادر عام ١٩٩٥.

كما صدر عن مطرانية الروم الأرثوذكس بعض الدراسات العلمية منها:

١ ـ دراسة علمية لجميلة كوستي تحت عنوان «مدرسة زهرة الاحسان ١٨٨١ ـ ١٩٢٨». وهي دراسة علمية معتمدة على العديد من الوثائق والسجلات الخاصة بمدرسة زهرة الإحسان، والخاصة بأرشيف مركز الدراسات الأرثوذكسي في بيروت، وقد صدرت هذه الدراسة عام ١٩٩٦.

٢ ـ دراسة علمية لمرلين نجيب حيدر حول «مستشفى القديس جاورجيوس للروم الأرثوذكس ١٨٧٧ ـ ١٩٣٤» وهي دراسة علمية معتمدة على العديد من الوثائق والمصادر الخاصة بمستشفى القديس جاورجيوس. وقد صدرت هذه الدراسة عام ١٩٩٦.

بالإضافة إلى هذه المخطوطات التي تهتم بالنواحي الدينية والاجتماعية والاقتصادية والصحية الأرثوذكسية، فإن بعضها يهتم بالفقه الإسلامي. كما أنَّ

مطرانية الروم الأرثوذكس حرصت أيضاً على إصدار كتب أخرى يمكن الاستفادة منها سواء في الدراسات التاريخية السياسية، أو الاجتماعية، أو الاقتصادية، أو التربوية، منها على سبيل المثال:

١ ـ كتاب الذكرى الألفية لمعمودية الروس، وهو يتضمن وقائع مشاركة الوفد الأنطاكي برئاسة البطريرك أغناطوس الرابع بالذكرى الألفية لمعمودية الروس.

٢ ـ كتاب في المسألة اللبنانية والمصير المسيحي لغبطة البطريرك أغناطيوس الرابع، وهو يمثل مواقف الروم الأرثوذكس من الأمور السياسية المطروحة في لبنان.

٣ ـ كتاب الناموس المقدس الشريف، وهو أول كتاب من نوعه باللغة العربية، وهو عبارة عن مخطوط فريد مؤلف من (٤٩٦ ص) يضم قوانين الرسل والمجامع وعدداً من قوانين الآباء، وما رتبوه وحددوه بشروط الشريعة المسيحية وسائر ما يخص الملة الأرثوذكسية.

٤ ـ كتاب عن دير القديس جاورجيوس في منطقة دير الحرف، وهو يتحدث عن تاريخ النشأة في منطقة المتن منذ عام ١٣٠٦م، ويبرز حماية أحد أمراء الدروز من آل التنوخ لهذا الدير.

٥ ـ كتاب عن دير سيدة البلمند يتحدث عن تأسيس هذا الدير في عام ١١٥٧م في فترة الحروب الصليبية.

٦ ـ أما فيما يختص ببقية المحفوظات فتتضمن سجلات وأوراق عن دير سيدة البلمند، ودير النبي الياس، ودير القديس يوحنا، وتتضمن محفوظات وجدت في الأديرة وحفظت منذ فترات مختلفة يمكن الإفادة منها في عدد من المعطيات الاجتماعية والاقتصادية والدينية. وفي هذه المحفوظات سجلات ووقائع يومية وحجج وأوراق ومراسلات تسمح

للباحثين بدراسة التوسع العقاري للأوقاف الأرثوذكسية، وأوضاع الفلاحين، والعلاقات بين الأسقف أو البطريرك ورئيس الدير، فضلاً على أن هذه المحفوظات تعطينا فكرة عن العائلات الموجودة في القرى، وعن تركيبها وتطورها وتفاعلها مع الدير، بالإضافة إلى سجلات تتضمن تطور الأسعار والرواتب وتنوع الطبقات الاجتماعية، وقد صدر كتاب المحفوظات هذا في عام ١٩٩٥.

وأخيراً لا بد من الإشارة إلى مسألة هامة تتعلق بمركز الدراسات الأرثوذكسي في بيروت، وهي أن القيمين عليه يسمحون لطلاب العلم والدراسات العليا بالإطلاع على السجلات والوثائق والمستندات المحفوظة فيه، بغض النظر عن مناطقهم واتجاهاتهم وطوائفهم، إسهاماً من المركز في تشجيع الدراسات التاريخية، وتشجيعاً لنشر التراث اللبناني.

٦ ـ أرشيف وثائق ومخطوطات دير المخلص ـ الشوف:

يقع دير المخلص في بلدة جون في الشوف، وهو تابع للرهبانية الباسيلية المخلصية، ومنذ نشوء هذا الدير التاريخي حرص القيمون عليه على تأسيس مكتبة وجمع وثائق ومخطوطات متنوعة المصادر والموضوعات واللغات، وباتت هذه المكتبة عبر التاريخ من أهم المكتبات في لبنان، نظراً للمخطوطات النادرة والمصادر القديمة التي جُمعت بين دفتيها. ولقد حوت هذه المكتبة على (٢٥٠٠) مخطوطة كانت موجودة فيها بكاملها حتى قبل أحداث عام ١٩٨٥. وأقدم هذه المخطوطات تعود إلى القرن الثاني عشر الميلادي. أما الكتب المطبوعة فقد بلغ عددها أكثر من (٢٥,٠٠٠) خمسة وعشرين ألف كتاب من الكتب النادرة، في موضوعات ولغات مختلفة. ومما زاد في أهمية أرشيف دير المخلص وجود عدد كبير من السجلات والوثائق الراعوية الدينية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية والتاريخية تتجاوز ألفي ملف يحتوي كل ملف منها على عدد كبير من الرسائل والوثائق المتنوعة.

فضلاً عن ذلك، فقد سبق أن ضمت مكتبة دير المخلص دوريات عربية وأجنبية وموسوعات متكاملة تعود بتاريخها إلى القرن التاسع عشر، مع مجموعة هامة من القواميس والمعاجم والموسوعات العلمية القيّمة.

ولا بد من الإشارة إلى أن الأحداث الأمنية والسياسية في لبنان عامة وفي منطقتي الشوف والجنوب خاصة أدت إلى ضياع الكثير من أرشيف مكتبة دير المخلص، بما فيها بعض المخطوطات والسجلات والوثائق والمصادر الأساسية، بالإضافة إلى مجموعات نادرة من الأيقونات التاريخية والأثرية. وبرزت في عام ١٩٩٩ دعوة ولقاءات تهدف إلى إعادة تكوين أرشيف المكتبة، واستعادة محتوياتها، وهي دعوة أطلقت في ندوة عقدت في دير المخلص في جون تحت عنوان «التعرف إلى المخطوطات والمكتبات المتوسطية وصيانة وثائق الأرشيف والمكتبات وحفظها» التي أقيمت بالمشاركة بين الرهبانية المخلصية ودار أنطاكية ضمن برنامج «مانوميد» لصيانة وحفظ مخطوطات دول البحر المتوسط ومكتباتها(١).

وبالفعل فقد أعيد الكثير مما أخذ من «دير المخلص» من وثائق ومقتنيات، وذلك بدعوة وتشجيع من الزعيم وليد جنبلاط إسهاماً في حفظ التراث اللبناني والعربي.

٧ ـ مقتنيات المُتحف الوطني اللبناني، وأرشيف مركز الوثائق التابع للمديرية العامة للآثار في بيروت:

ضم المُتحف الوطني اللبناني منذ افتتاحه عام ١٩٤٢ الآثار اللبنانية القديمة التي تمثل التطور الحضاري في لبنان منذ تاريخ ما قبل الميلاد إلى العصور الميلادية والعربية والعصور الحديثة، علماً أن الطابع العام لمقتنيات المتحف هو طابع الآثار القديمة، بالإضافة إلى وجود مقتنيات عديدة من

(١) للمزيد من التفاصيل أنظر: النهار، ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٩٩، العدد ٢٠٢٥٨.

التحف واللوحات والنقوش والنقود والنواويس وسواها. وبهذه المناسبة لا يمكن لطالب التاريخ، وطالب قسم الدراسات الأركولوجية (الأثرية) إلاَّ وإنْ يهتم بهذه المجموعة الأثرية لما تمثله من مصادر ميدانية هامة لمثل هذه الدراسات. ولا بد من الإشارة إلى أن المتحف الوطني، والعديد من مقتنياته قد تعرضت للأضرار نتيجة الحرب اللبنانية ١٩٧٥ ـ ١٩٩٠، غير أن الدولة حرصت على إعادة تأهيله وترميمه وافتتاحه من جديد عام ١٩٩٧، وافتتاح طوابق أخرى منه عام ١٩٩٩.

ومن الأهمية بمكان القول، أنَّ المكتشفات الأثرية في السنوات الأخيرة في باطن بيروت، والتي يعود بعضها إلى أكثر من خمسة آلاف سنة، جعلت من باطن بيروت متحفاً عالمياً مفتوحاً، إذ أثبتت هذه المكتشفات أن ما من منطقة في الأسواق التجارية القديمة، إلاَّ وتضم العديد من الآثار الهامة سواء منذ عهود قبل الميلاد، أو العهود الميلادية، والعهود العربية والمملوكية والعثمانية، الأمر الذي يسهم إسهاماً فاعلاً في إعادة كتابة تاريخ بيروت استناداً إلى هذه المكتشفات الأثرية الجديدة التي تهم طلاب العلم والباحثين في مجال الدراسات الأثرية.

وما يهمنا في إطار دراستنا للأرشيف اللبناني في هذا المجال، هو المستندات والمجموعات الوثائقية الموجودة في المبنى الملحق بالمتحف الوطني التابع للمديرية العامة للآثار. ولقد جمع في هذا الملحق عشرات الألوف من الوثائق والمستندات اللبنانية المهمة، لا سيما الوثائق العائدة للفترة العثمانية. ولقد استطاع الكثير من الباحثين الاعتماد على تلك الوثائق في مجال دراساتهم التاريخية المتعلقة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية، والتي تختص بجبل لبنان وبيروت وبالمناطق اللبنانية الأخرى.

والحقيقة فقد استطاع الزميل الدكتور سليم هشي (المتوفى عام ٢٠٠٠) نشر مئات الوثائق التاريخية الخاصة بمجموعة المديرية العامة للآثار في عدة

مجلدات تحت عنوان «المحررات السياسية ومحررات القائمقاميتين». كما نشر الوثائق المتعلقة بالأمراء الشهابيين، وذلك في أربعة أجزاء صدرت في بيروت بين أعوام ١٩٧٤ ـ ١٩٧٨. كما أصدر الدكتور سليم هشي مجموعته الوثائقية تحت عنوان «المراسلات الاجتماعية والاقتصادية لزعماء جبل لبنان خلال ثلاثة قرون (١٦٠٠ ـ ١٩٠٠)» خمسة أجزاء، بيروت ١٩٧٩ ـ ١٩٨٤.

والجدير بالذكر، أن باستطاعة الكثير من المؤرخين الاستفادة من تلك الوثائق العثمانية التي يمكن أن تقدم لنا معلومات جديدة في إطار البحوث والدراسات التاريخية في الفترة العثمانية، وقد اشتغلت شخصياً على هذه الوثائق العثمانية قبل عام ١٩٧٥ أثناء إعدادي لرسالة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر.

٨ ـ أرشيف المعهد العالي للدراسات الإسلامية وأرشيف جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت:

عندما تأسست جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت في غرّة شعبان ١٢٩٥ هجرية ـ تموز (يوليو) ١٨٧٨ ميلادية، اهتمت في البدء بإنشاء مدارس للبنات والذكور، وذلك في باطن بيروت. وكانت قد بدأت بتكوين مكتبات متواضعة في تلك المدارس، وبمرور السنين رأت الجمعية أنه لا بد من إنشاء مكتبة تضم أمهات المصادر الأساسية في مختلف العلوم، لا سيما التي تعنى بالحضارة العربية والإسلامية. وبالفعل فقد اتخذ المعنيون مكاناً متسعاً في باطن بيروت، ثم انتقلت المكتبة إلى منطقة الأشرفية، حيث كانت توجد مدرسة للمقاصد هناك وما تزال. والحقيقة فقد قام المسلمون في بيروت بتقديم الدعم لهذه المكتبة، حيث قدم العلماء خاصة مجموعات نفيسة من المخطوطات والوثائق التي كانوا يملكونها، وذلك لإغناء هذه المكتبة وتطوير تقديماتها الثقافية والعلمية. وبمرور السنين باتت خزائن المكتبة تضم جزءاً وفيراً من تراث المسلمين في بيروت ولبنان، كما تضم مخطوطات نادرة

تتضمن موضوعات في اللغة والأدب والفلسفة والحديث والسيرة والتاريخ وغيرها من العلوم الإسلامية.

وبسبب الأحداث اللبنانية ابتداء من ١٣ نيسان (أبريل) ١٩٧٥ بات من المتعذر الوصول إلى تلك المكتبة، وكان لا بد من نقلها إلى غربي العاصمة، وبعد نقلها بقيت لسنوات عديدة دون استخدام لمصادرها وكتبها. ولما أسست جميعة المقاصد المعهد العالي للدراسات الإسلامية عام ١٩٨١ ـ ١٩٨٢، واتخذت مقراً له في مبنى أثري في منطقة المصيطبة في بيروت عام ١٩٨٧، نقلت المكتبة إلى الطابق الأرضي منه، وقد صنفت تصنيفاً حديثاً، وأصبح بإمكان طلاب المعهد والباحثين والطلاب الزائرين من الخارج الاستفادة من إمكانيات المكتبة، والاطلاع على المخطوطات النادرة في أرشيفها. وقد قام عدد من طلاب المعهد بإعداد بحوث وتسجيل رسائل ماجستير في موضوعات تتعلق بتحقيق المخطوطات سواء المخطوطات الموجودة في المعهد أو الموجودة في خارجه.

وتعميماً للفائدة فقد أصدر المعهد كتاباً هاماً تحت عنوان «فهرس المخطوطات» يتضمن أسماء المخطوطات، وبعض مضامينها وأسماء المؤلفين، ووصفاً ملخصاً لكل مخطوط على حدة(١). لذلك فإن ما قدمته الأسر البيروتية وما قدمه العلماء المسلمون من أرشيفهم الخاص المتضمن تلك المخطوطات، أو الوثائق أو المصادر الأساسية، قد تم بواسطتها تكوين مكتبة مميزة. ومن بين الذين تبرعوا بمخطوطات عديدة لجمعية المقاصد المرحوم الشيخ سعيد أياس الدمشقي، والمرحوم الشيخ محمد علي الأنسي، كما تبرعت أسرة بيهم بمجموعة هامة من الوثائق والمصادر والكتب الخاصة من

---

(١) فهرس المخطوطات ـ مخطوطات مكتبة المعهد العالي للدراسات الإسلامية ـ بيروت ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

مكتبة العلامة محمد جميل بيهم (١٨٨٧ ـ ١٩٧٨). كما تبرع المرحوم الشيخ طه الولي بمكتبته التي تضم مجموعة قيّمة من المصادر والكتب والوثائق التي أودعت بعد وفاته عام ١٩٩٦ في المعهد العالي للدراسات الإسلامية.

ولا بد من الإشارة، إلى أن وثائق ومحاضر جلسات جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية منذ تأسيسها عام ١٨٧٨ حتى اليوم، ليست هي في عداد مجموعة المعهد العالي للدراسات الإسلامية، بل إن تلك الوثائق ومحاضر الجلسات ما تزال في الإدارة المركزية للجمعية في منطقة طلعة شحادة ـ بيروت، بعد أن كانت في العهد العثماني وعهد الانتداب الفرنسي في مركز الإدارة في باطن بيروت.

وتعتبر المستندات الوثائقية التابعة للجمعية من الأهمية بمكان، بحيث أنها تمثل فعلاً التاريخ التربوي والتعليمي والاجتماعي والثقافي للمسلمين في بيروت ولبنان، كما أن بعض وثائقها يمثل التاريخ السياسي. وهذه الوثائق ومحاضر الجلسات ليست مصنفة تصنيفاً حديثاً، غير أنه بالإمكان الاطلاع عليها بإذن خاص من رئيس الجمعية. وقد صدرت عدة دراسات ورسائل دبلوم وماجستير ودكتوراه معتمدة على تلك الوثائق والمحاضر، يأتي في مقدمتها دراسات السيدة جهينة بيضون والدكتور علي حويلي ود. حسان حلاق وسواهم.

أرشيف ومخطوطات الجامعات والمكتبات العاملة في لبنان:

٩ ـ أرشيف الجامعة الأميركية في بيروت (الكلية السورية الإنجيلية سابقاً):

تأسست الجامعة الأميركية في بيروت عام ١٨٦٦، وكان موقعها الأول في بناء متواضع في محلة زقاق البلاط، وكانت تعرف آنذاك باسم الكلية السورية الإنجيلية، التابعة للطائفة البروتستانية الأميركية. وبعد ذلك انتقلت إلى منطقة رأس بيروت حيث تقع اليوم، وأقامت عدة مبان للدراسة والإدارة والمكتبة. وبالفعل فقد باتت مكتبة يافث (Jafet) مكتبة رائدة تجمع بين ثناياها

مجموعة من أمهات المصادر العربية والأجنبية في مختلف التخصصات. وهي تعتبر من أقدم المكتبات الجامعية في لبنان والمنطقة العربية. فبالإضافة إلى المصادر والكتب المتنوعة، دأبت إدارة المكتبة على جمع وثائق ومستندات عديدة، بالإضافة إلى المخطوطات الإسلامية واللبنانية. وعبر التاريخ باتت المكتبة تحتوي على الكثير من تلك الوثائق والمستندات والمخطوطات. ويكفي أن نشير إلى وجود مئات من المخطوطات والوثائق التاريخية الهامة المتعلقة بالعهود العثمانية والفرنسية والاستقلال، علماً أن في المكتبة مخطوطات يعود تاريخها إلى ما قبل العهد العثماني. وهناك مجموعة كبرى من الوثائق لا سيما المتعلقة بفترة اعتقال رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وأركان الحكم في لبنان في فجر ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٣، وهي تمثل منشورات وبيانات كانت قد وزعت وانتشرت في بيروت والمناطق اللبنانية كافة. بالإضافة إلى ذلك فقد حرصت الجامعة الأميركية على اقتناء مجموعات كبرى من الوثائق البريطانية المصنفة تحت عنوان (P.R.O) (F.O.) بالإضافة إلى الوثائق الأميركية، ومحاضر مجلس الشيوخ الأميركي، ومحاضر الكومنولث البريطاني وسواها من محاضر جلسات المؤسسات الرسمية الأميركية والبريطانية والفرنسية. وتعتبر هذه المجموعات من المجموعات الوثائقية المهمة، ومما يؤسف له أنه بعد بدء الأحداث اللبنانية عام ١٩٧٥، لم تستطع الجامعة استكمال هذه المجموعات الوثائقية بشكل منتظم ودوري، مما اضطر الكثير من الباحثين اللبنانيين للتوجه إلى بريطانيا وبعض الدول الأوروبية، وإلى مكتبة الأسد في دمشق، للحصول على بقية المجموعات الوثائقية.

أما فيما يختص بمخطوطات مكتبة الجامعة الأميركية، فإنها تعتبر من المخطوطات المهمة والنادرة التي حرصت الجامعة على اقتنائها منذ القرن التاسع عشر، وقد استفاد منها الباحثون في تاريخ لبنان والعالم العربي لا سيما في التأريخ للعهد العثماني، علماً أن العديد من المخطوطات تضم موضوعات أخرى في غير التاريخ. وقد عمدت الجامعة إلى تصويرها على ميكروفيلم

للحفاظ على أصل المخطوطات من التلف نتيجة الاستخدام المستمر[1].

ولا بد من الإشارة إلى أن مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت تضم أيضاً نوادر الدوريات والصحف اللبنانية والعربية الصادرة منذ القرن التاسع عشر. ويمكن الاطلاع عليها من خلال الميكروفيلم.

من جهة ثانية، فإن وثائق ومحاضر جلسات الجامعة الأميركية منذ تأسيسها عام ١٨٦٦، إنما تمثل النشاط التبشيري والديني والتعليمي والتربوي والسياسي في بيروت والمناطق اللبنانية، كما أن بعض الوثائق المودعة في أرشيف الجامعة، إنما هي عبارة عن مراسلات سرية وهامة متبادلة بين السياسيين اللبنانيين وإدارة الجامعة، فضلاً عن مراسلات واجتماعات المسؤولين في السفارة الأمريكية في بيروت ورؤساء الجامعة، وهذه الوثائق ومحاضر الجلسات لم تستخدم حتى الآن في إطار الدراسات التاريخية والجامعية، لأنها وثائق سرية، بالرغم من أهميتها، لأنها تكشف العديد من نشاطات الجامعة في مختلف المجالات.

١٠ ـ أرشيف ومخطوطات مكتبة الجامعة اليسوعية:

كانت نواة الجامعة اليسوعية قد تأسست عام ١٨٤٣ كمدرسة أو معهد في منطقة غزير، ثم نتيجة لمتطلبات المنافسة مع الإنجيليين انتقلت إلى بيروت في عام ١٨٧٥، وقد تأسست بإشراف اليسوعيين. وهذه الجامعة استطاعت أن تلقى الدعم القوي من الفرنسيين بعد احتلالهم لبنان عام ١٩١٨، وعرفت باسم جامعة القديس يوسف، وقد توالى على رئاستها رؤساء من الفرنسيين في مقدمتهم الأب مونو، واستطاعت إدارة هذه الجامعة أن تُكوِّن مكتبة هامة ضمت

---

(١) للمزيد من التفاصيل حول المخطوطات الموجودة في مكتبة الجامعة الأميركية راجع كتاب: فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت ـ الجامعة الأميركية ـ ١٩٨٥.

مصادر ومراجع أساسية لا سيما باللغة الفرنسية. كما ضمت العديد من كتب المستشرقين كمصادر للدراسات الشرقية، بالإضافة إلى الدوريات اللبنانية والعربية والأجنبية. أضف إلى ذلك أن هذه المكتبة استطاعت تكوين أرشيف يتضمن العديد من الوثائق والمخطوطات العثمانية واللبنانية والعربية[1]، توزعت على اختصاصات عديدة في التاريخ والأدب والفقه والتبشير واللاهوت والفلسفة والطب والهندسة وسوى ذلك. وقد استطاع العديد من الباحثين أن يستفيدوا عبر التاريخ من محتويات المكتبة اليسوعية ومن أرشيفها ووثائقها ومخطوطاتها، على غرار استفادة الباحثين من محتويات مكتبة الجامعة الأميركية.

وعلى غرار الجامعة الأميركية وبقية الجامعات والمؤسسات التربوية في لبنان، فإن أرشيف الجامعة اليسوعية يضم وثائق ومحاضر جلسات سرية أتلف بعضها في فترة الحرب العالمية الأولى بين أعوام ١٩١٤ ـ ١٩١٨، في حين أن مجموعة كبرى من الوثائق ومحاضر الجلسات لا سيما السرية منها ما تزال حتى الآن ليست بتصرف الباحثين وطلاب الدراسات العليا، مع الإشارة إلى أهميتها التاريخية والوثائقية، لأنها تمثل جزءاً أساسياً من تاريخ لبنان والمنطقة، بل ومن تاريخ السياسة الفرنسية في لبنان والبلاد السورية.

١١ ـ مكتبة الجامعة اللبنانية:

تأسست الجامعة اللبنانية عام ١٩٥٣، ومنذ ذاك التاريخ بدأت تُكون فيها عدة مكتبات لا مركزية في مقدمتها مكتبة كلية الآداب ومكتبة كلية الحقوق والعلوم السياسية، ومكتبة كلية العلوم. وما يهمنا دراسته في هذا المجال مكتبة كلية الآداب في بيروت في منطقة الأونيسكو، حيث شهدت عبر سنين طويلة قاربت (٢٥) عاماً وجود العديد من المصادر والكتب الأساسية الهامة، ولكن مما يؤسف له أن هذه المكتبة الوطنية لم يتسنَ لها المال اللازم، ولم يتسنَ لها

(١) للمزيد من التفاصيل حول وثائق ومخطوطات الجامعة اليسوعية راجع بيبلوغرافيا وفهرس مخطوطات جامعة القديس يوسف بيروت.

أيضاً قيّمون يطلقونها بشكل جيد على غرار ما تسنى للجامعتين الأميركية واليسوعية وجامعة بيروت العربية أو للمكتبة الوطنية التي كانت في باطن بيروت، فضلاً عن الأزمة التي مرّت على لبنان بين أعوام ١٩٧٥ ـ ١٩٩٠، الأمر الذي أثر على انطلاقتها. بالإضافة إلى أن مكتبة كلية الآداب لم تحتوِ على وثائق ومخطوطات على غرار المكتبات الأخرى، فإنها تعرضت منذ بداية الحرب الأهلية عام ١٩٧٥ إلى العديد من محاولات السرقة والعبث بمحتوياتها. كما أنه بعد تقسيم الجامعة اللبنانية إلى عدة فروع بعد سنتي الحرب ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ الأمر الذي أدى إلى بروز المكتبات اللامركزية في إطار الكلية الواحدة، وقد نمت هذه المكتبات وتوسعت على حساب المكتبة المركزية، وأصبح في كل فرع من الفروع المستحدثة مكتبات، غير أنها لا تلبي طموح الباحث في مجال الدراسات العليا، أو في مجال البحوث الجادة، مما يستدعي إعادة النظر في هيكلية ووظيفة مكتبات الجامعة اللبنانية، ومن بينها مكتبة كلية الآداب التي ينبغي أن تغذى بمصادر ومراجع حديثة، فضلاً عن ضرورة اقتنائها للمخطوطات وللوثائق المتنوعة التي يحتاج إليها الباحث، والأجهزة الحديثة التي يجب أن تتوافر في كل مكتبة عصرية[١]. غير أنه لا بد من الإشارة إلى أن قسم التاريخ (الفرع الأول) قد حرص على جمع بعض المخطوطات والوثائق الدبلوماسية ومن بينها الوثائق الأميركية، التي يمكن أن يستفيد منها الباحث والمؤرخ في ميدان الدراسات والبحوث التاريخية، والفضل في إيداع هذه الوثائق الأميركية للزميل الدكتور مسعود ضاهر.

١٢ ـ أرشيف مكتبة جامعة بيروت العربية في بيروت:

تأسست جامعة بيروت العربية عام ١٩٦٠ بالتعاون بين جمعية البر

(١) حول أوضاع المكتبات في الجامعة اللبنانية أنظر: أزمة الجامعة اللبنانية ومكتباتها بقلم: أحمد طالب منشور في نشرة جمعية المكتبات اللبنانية، المجلد الثاني ربيع ١٩٩٤ ـ ١٩٩٥م.

والاحسان البيروتية والحكومة المصرية في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وقد تمّ في العام الدراسي ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ افتتاح كليتي الآداب والحقوق، وفي السنة التي تلتها تم افتتاح كلية التجارة، وفيما بعد وتباعاً افتتحت كليات الهندسة المعمارية والهندسة والعلوم، كما تم افتتاح كلية الصيدلة في عام ١٩٨٦، وافتتاح كليتي الطب وطب الأسنان في العام الدراسي ١٩٩٥ ـ ١٩٩٦. ويوجد اليوم في هذه الجامعة تسع مكتبات متخصصة مكتبة لكل كلية على حدة. وما يهمنا دراسته في مجال الدراسات التاريخية هو مكتبة كلية الآداب، ومكتبة كلية الحقوق، التي يستفاد من مصادرها ومراجعها للبحوث التاريخية. علماً أنه يمكن الاستفادة من باقي المكتبات بسبب ارتباط العلوم ببعضها. فمكتبة كلية الآداب تحتوي على مصادر ومراجع أساسية وهامة لا تقل مستوى عن المصادر والمراجع الموجودة في بقية الجامعات العاملة في لبنان رغم حداثة هذه الجامعة نسبياً، وفيها مجموعة نادرة من المجلدات التي أنجزها بعض العلماء الفرنسيين الذين صاحبوا الحملة الفرنسية على مصر وتلك المجلدات معروفة باسم «وصف مصر» «Description de L’Egypte» وهي مجموعة مجلدات باللغة الفرنسية تعتبر نادرة. كما يوجد في المكتبة مجموعة مجلدات «الحروب الصليبية» باللغات العربية واللاتينية والفرنسية والأرمنية. بالإضافة إلى مجموعة كبرى من أمهات مصادر التراث الإسلامي والعربي، فضلاً عن مصادر أساسية تعود إلى فترة العهد العثماني. كما تضم المكتبة مجموعة هامة من الموسوعات والقواميس ودوائر المعارف العربية والتركية والفارسية والعبرية والسريانية والأردية (لغة أندونيسيا) والروسية وسواها من القواميس اللاتينية والإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية وسواها. كما خصصت الجامعة مكتبة خاصة للدوريات العربية والأجنبية النادرة الصادرة في القرنين التاسع عشر والعشرين. كما خصصت الجامعة قاعة تابعة لمكتبة كلية الآداب خاصة بفهارس المخطوطات العربية النادرة الموجودة في لبنان والعالم.

والأمر الملاحظ أن جامعة بيروت العربية عكفت على تكوين أرشيف يمثل في جزء منه وثائق تاريخ لبنان الحديث والمعاصر، وقد قدمت بعض العائلات البيروتية هذه الوثائق كهدية للجامعة، وفي مقدمتها بعض مجموعة العلاّمة محمد جميل بيهم (١٨٧٨ ـ ١٩٨٧) الذي كان في فترة من الفترات رئيساً لجمعيات أساسية في لبنان، سياسية وثقافية واجتماعية وخيرية. فقد كان رئيساً لجمعية أخوان الثقافة، ورئيساً لاتحاد الشبيبة الإسلامية، ورئيساً للكتلة الإسلامية، ورئيساً لاتحاد الأحزاب اللبنانية لمكافحة الصهيونية، كما كان عضواً في المؤتمر السوري عام ١٩٢٠. ومن هنا ندرك من خلال المناصب التي تبوأها أهمية الوثائق التي كان يحتفظ بها، وقد قدم مجموعات منها هدية للجامعة، كما قدم مجموعات أخرى إلى مكتبة جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت التي ألحقت منذ سنوات بالمعهد العالي للدراسات الإسلامية، أضف إلى ذلك فإن من بين محتويات مكتبة كلية الآداب بعض المخطوطات العربية التي تتعلق بالتاريخ والتراث العربي والإسلامي، وتاريخ لبنان والبلاد السورية عامة، بالإضافة إلى مخطوطات عن اليهود والحركة الصهيونية.

أما فيما يختص بوثائق ومحاضر جلسات المجالس العلمية والإدارية ومجلس الجامعة والمجلس الأعلى للجامعة، فإنها ليست من ضمن مجموعة المكتبة. وهذه الوثائق ومحاضر الجلسات تمثل صورة صادقة عن نشاط الجامعة الأكاديمي والعلمي والثقافي، وما يرتبط بهذا النشاط من أنشطة أخرى. هذا ولا يمكن الاطلاع على هذه الوثائق والمحاضر إلاّ بإذن خاص من رئيس الجامعة، وفي الوقت الراهن تقوم الطالبة رنا شريتح بإشرافي بإعداد رسالة دبلوم دراسات عليا في التاريخ عن دور جامعة بيروت العربية العلمي والتربوي والثقافي في لبنان والعالم العربي، وهي تعتمد اعتماداً أساسياً على أرشيف جامعة بيروت العربية وأرشيف جمعية البرّ والإحسان.

١٣ ـ أرشيف مكتبة وكلية الشريعة وأرشيف دار الفتوى في الجمهورية اللبنانية[١]:

تأسست كلية الشريعة في بيروت عام ١٩٣١ في عهد مفتي بيروت الشيخ مصطفى نجا[٢]، ونظراً لأهمية المكتبة فقد بادر المعنيون بتكوين نواة مكتبة تهتم بالفقه والحديث وكل ما يتعلق بالعقيدة الإسلامية، غير أنه مع مرور الزمن بدأت المكتبة تشهد تنوعاً في المصادر والمراجع. ومنذ سنوات يعمل على إعدادها وتنظيمها بشكل جيد لتكوين نواة المكتبة العامة في مشروع جامعة بيروت الإسلامية التابعة لدار الفتوى، غير أن ما يميز المكتبة في الوقت الراهن وجود عشرات المخطوطات غير المنشورة لعلماء المسلمين في بيروت ولبنان، سبق أن تقدم بها هؤلاء العلماء أو أقاربهم، وفي مقدمة هؤلاء العلماء الذين لهم مخطوطات من تأليفهم مفتي بيروت الشيخ مصطفى نجا المتوفى عام ١٩٣٢ صاحب موسوعة «فتاوى الشيخ مصطفى نجا» المؤلفة من ثلاثة أجزاء. ويوجد في المكتبة أيضاً مخطوط «أسنى المطالب» للعلامة الشيخ محمد درويش الحوت البيروتي ومخطوطات أخرى عديدة[٣]. وتحتاج هذه المخطوطات إلى مزيد من الاهتمام والترميم والتصوير، ومن ثم العمل على تحقيقها، ليتم الحفاظ عليها، وبالتالي نشرها كجزء من نشر التراث الإسلامي. ولا بد من الإشارة أيضاً إلى أن دار الفتوى في الجمهورية اللبنانية والمجلس الشرعي الإسلامي الأعلى، والمديرية العامة للأوقاف الإسلامية، تمتلك أرشيفاً هاماً من الوثائق والمراسلات والمستندات الدينية والاجتماعية

---

(١) عرفت الكلية منذ تأسيسها باسم أزهر لبنان، ثم باسم كلية الشريعة.

(٢) لقيت الكلية دعماً قوياً فيما بعد من قبل مفتي الجمهورية اللبنانية الشيخ محمد توفيق خالد.

(٣) راجع فهرس مكتبة كلية الشريعة الإسلامية من إعداد الباحثة الآنسة خديجة الجابي.

والاقتصادية والسياسية، بما فيه مراسلات ومكاتبات المفتين مع ذوي الشأن في لبنان والعالم العربي والعالم. وهذه الوثائق تمثل جزءاً أساسياً من مواقف المسلمين، وجزءاً أساسياً من تاريخ لبنان، وهذه الوثائق تمثل إضافة علمية وتاريخية بارزة لمن يعتمد عليها من الباحثين وطلاب الدراسات العليا، في حال سمح لهم بالإطلاع عليها، وبتاريخ ١٨ كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٣ أضيفت إلى هذه المكتبة مجموعة المصادر والكتب التي أوصت بها د. زاهية قدورة للمكتبة، وذلك بعد وفاتها في ٩ تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٢.

١٤ ـ أرشيف ومكتبة المركز الإسلامي للتربية في بيروت:

تمّ تأسيس وقف المركز الإسلامي للتربية في بيروت عام ١٩٧٦، ومنه انطلقت كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية، وكلية إدارة الأعمال الإسلامية، وعدة هيئات علمية. وقد عكف القيمون على الكليتين إلى تكوين مكتبة تضم المصادر الأساسية والمراجع الهامة والدوريات بمختلف اللغات: العربية والأجنبية والإسلامية، بالإضافة إلى مجموعة نادرة من الموسوعات والمجلدات العلمية والخرائط والأطالس العربية والأجنبية. فضلاً عن أرشيف هام يضم معلومات قيّمة جمعت عن العالم الإسلامي، وبيبلوغرافيا مميزة عن عناوين الموضوعات الخاصة بالعالمين العربي والإسلامي. وتعتبر مكتبة المركز الإسلامي للتربية ـ رغم حداثتها ـ من أهم المكتبات في لبنان، المتخصصة في المصادر والمراجع عن الإسلام والعالم الإسلامي.

١٥ ـ أرشيف مكتبات الجامعات الأخرى:

شهد لبنان تأسيس أكثر من أربعين جامعة وكلية ومعهد عالٍ، كما منحت الحكومة اللبنانية في عام ١٩٩٩ تراخيص عديدة لجامعات وكليات جديدة. ومعنى ذلك قيام العديد من المكتبات في تلك الجامعات الناشئة التي لم تتحول مكتباتها بعد إلى مكتبات تماثل مكتبات الجامعة الأميركية أو اليسوعية

أو العربية، أو مكتبات الجامعة اللبنانية، ولكن بمرور الزمن فقد تتحول مكتبات هذه الجامعات الخاصة إلى مكتبات هامة تحتوي على مصادر أساسية، وربما على وثائق ومخطوطات على غرار أرشيف جامعة البلمند في منطقة الكورة في شمالي لبنان التي بدأت بجمع التراث الأرثوذكسي، والمخطوطات والوثائق المتعلقة بتاريخ وتراث الروم الأرثوذكس في لبنان والمنطقة. وبالإضافة إلى هذه الجامعات توجد أيضاً معاهد وكليات عديدة منتشرة في مختلف المناطق اللبنانية تحرص بدورها على تكوين مكتبة وأرشيف خاص بها منها على سبيل المثال: جامعة الروح القدس (الكسليك). جامعة سيدة اللويزة[١]، جامعة بيروت الإسلامية، الجامعة الإسلامية في بيروت، كلية هايكازيان، الجامعة اللبنانية ـ الأميركية (B.U.C سابقاً)، جامعة المنار، وجامعة الجنان، ومعهد طرابلس الجامعي، ومعاهد دينية ولاهوتية عديدة في بيروت وجبل لبنان وطرابلس وبقية المناطق اللبنانية.

١٦ ـ أرشيف دار الكتب الوطنية ـ بيروت:

تأسست دار الكتب الوطنية في بيروت في عام ١٩٢١ بدعم من المجمع العلمي اللبناني الذي عمل في مجال البحث العلمي ودعم المكتبات ابتداء من عشرينات القرن العشرين. ويعود الفضل بتأسيسها إلى الڤيكونت فيليب دي طرازي (١٨٦٥ ـ ١٩٥٦)[٢] الذي وهب مكتبته الخاصة، وقد ظل مسؤولاً عن

(١) حرصت جامعة الروح القدس (الكسليك) على تصوير الوثائق النمساوية وإصدارها في ثلاثة أجزاء، وهي بمجملها باللغة الفرنسية وبعضها بالألمانية، وتتضمن وثائق لها علاقة بلبنان في القرن التاسع عشر. كما حرصت جامعة سيدة اللويزة على نشر بعض وثائق بكركي ومنها على سبيل المثال وثائق ومذكرات المطران عبد الله خوري.

(٢) تولى إدارة دار الكتب الوطنية بعد الفيكونت فيليب دي طرازي، كل من هكتور خلاط (١٩٤٠ ـ ١٩٤٥) وإبراهيم معوض (١٩٤٦ ـ ١٩٥٠) ومحمد يوسف حمود الذي بقي رئيس القلم فيها (٣١) عاماً.

المكتبة لمدة سبعة عشر عاماً. وقد تطورت المكتبة الوطنية تباعاً حيث كان مقرها في الطابق العلوي الغربي من مبنى المجلس النيابي اللبناني منذ عهد الانتداب. وهذه المكتبة لقيت رعاية من رؤساء الجمهورية والوزراء وأركان الحكم. وقد استطاع القيّمون على المكتبة أن يجمعوا بين دفتيها أهم المصادر العربية والأجنبية، ومع حلول عام ١٩٣٧ بلغت محتويات المكتبة نحو (٣٢) ألف مجلد، وقبيل عام ١٩٧٥ كان يوجد فيها أكثر من مئة ألف كتاب باللغات العربية والأجنبية، كما ضمت ألفي مخطوطة قديمة يعود تاريخ بعضها إلى ما قبل ٨٠٠ عام وباللغتين العربية والسريانية[١]. بالإضافة إلى الدوريات اللبنانية والعربية والأجنبية، أضف إلى ذلك فإن المسؤولين في المكتبة خصصوا جناحاً يتعلق بالوثائق والمخطوطات اللبنانية والعربية، وقد اطلعت عليها شخصياً قبل عام ١٩٧٥ واستفدت من مخطوطاتها، وهي على غاية من الأهمية، ولعل اندلاع الحرب اللبنانية عام ١٩٧٥، واستمرارها في الأسواق التجارية في باطن بيروت قد عرَّض هذه المكتبة ومحتوياتها لكثير من أعمال السلب والنهب، وضاعت منها أمهات المصادر والوثائق والمخطوطات النادرة. وتم الاتفاق مبدئياً على اتخاذ مقر كلية الحقوق في الصنائع ـ بعد انتقالها ـ مكاناً لدار الكتب الوطنية. وكان الباحثون من اللبنانيين والعرب والأجانب قد استفادوا كثيراً من هذه المكتبة لوجود المصادر النادرة بين أجنحتها وعلى رفوفها. وما تبقى من مقتنيات هذه المكتبة ما تزال مودعة بشكل مؤقت في أحد الأبنية في مرفأ بيروت، ريثما يصدر القرار الرسمي بإعادة تكوينها، والاهتمام بها، وتزويدها بمزيد من المصادر، بحيث تصبح مقتنياتها ما يقارب نصف مليون كتاب ومجلد، معتمد، على نظام مكتبي الكتروني حديث، وذلك عند انتقالها عام ٢٠٠٣ إلى مقر كلية الحقوق في منطقة الصنائع[٢]، ولكن مما يؤسف له إنها لم تنقل في هذا التاريخ.

---

(١) للمزيد من التفاصيل أنظر: النهار ٢٣/٣/١٩٩٩ و ٢٤/٣/١٩٩٩.

(٢) أنظر: النهار، السفير، اللواء، ٤/١٢/٢٠٠٢.

١٧ ـ مكتبة المعهد الألماني للأبحاث الشرقية[١]:

Orient - institut der Deutshchen Morgenlandischen Gesellschaft:

تأسس المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، التابع للجمعية الألمانية للدراسات الشرقية (Deutsche Morgenlandische Gesellschaft (DMG) في بيروت، عام ١٩٦١[٢]. واختيرت بيروت، العاصمة اللبنانية، مقراً له لأنها كانت ـ وما تزال ـ أهمّ مركز لإنتاج الكتب وتوزيعه في العالم العربي. وحددت الجمعية الألمانية منذ البداية ثلاثة أهداف من إنشاء المعهد تتمثل بما يلي:

١ ـ نشر نصوص عربية وإسلامية محققة تحقيقاً علمياً، وبالعربية في الغالب، ضمن سلسلة أطلق عليها اسم «النشرات الإسلامية» (Bibliotheca Islamica, BI).

٢ ـ إنشاء مكتبة متخصصة للباحثين في الدراسات الشرقية.

٣ ـ استحداث مركز للبحث والمتابعة للمستشرقين الألمان في العالم العربي والإسلامي.

إن الجمعية الألمانية للدراسات الشرقية، وهي المؤسسة العلمية الأهم والأقدم للمستشرقين الألمان، قد تأسّست عام ١٨٤٥م، وتُسهم في خطط المعهد ومشروعاته العلمية والبحثية من خلال مجلس استشاري. أما مدير المعهد فيختار من قبل الهيئة العامة للجمعية الألمانية للدراسات الشرقية ولمدة خمس سنوات، وهو مسؤول أمام مجلس إدارة الجمعية. ويقوم المعهد الألماني للأبحاث الشرقية بنشر تقريره السنوي في مجلة الجمعية الألمانية

---

(١) معلومات مستقاة من نشرة المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ـ بيروت ـ لبنان.
(٢) بيروت، منطقة زقاق البلاط، شارع حسين بيهم.

للأبحاث الشرقية (ZDMG Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft) وهي مجلة بحثية متخصصة تصدر مرتين في العام. ويمول المعهد من جانب الحكومة الألمانية، وقد قامت بتمويله في البداية وزارة الداخلية الألمانية حتى العام ١٩٧٢، ثم انتقلت مسؤولية التمويل إلى وزارة الأبحاث العلمية والتكنولوجية. وهناك مورد مالي إضافي أفاد منه المعهد في مجال التأسيس والإعداد، أمّنته مؤسّستا فريتس تيسن (F.Thyssen) وفولكسفاغن (Volkswagen).

وعرف المعهد منذ تأسيسه حتى عام ١٩٧٥ نشاطاً وازدهاراً ملحوظين. فقد أنشئت فيه مكتبة ضخمة متخصصة، انصب الاهتمام في مصادرها على الدراسات العربية والإسلامية، والساميات، والمسيحية الشرقية. وجرى استحداث سلسلة جديدة من المنشورات للأبحاث الشرقية، باللغات الأوروبية وعلى الأخص باللغة الألمانية تحت اسم: «دراسات ونصوص بيروتية» (Beuruter Texte und Studien, BTS) وتطورت في المعهد بيئة مشجعة للبحث العلمي، وصار ملتقى معروفاً للباحثين والدارسين من العرب والغربيين المهتمين بالدراسات العربية والشرقية والإسلامية، ومن سمات المكتبة وجود مصادر نادرة فيها غير موجودة في المكتبات المماثلة.

لقد جلبت الحرب الأهلية التي اندلعت في لبنان عام ١٩٧٥، واستمرت على تقطع حتى عام ١٩٩٠، للمعهد والعاملين فيه وأصدقائه وزُوّاره، ما لم يكن في الحسبان. صحيح أنَّ مباني المعهد اجتازت حقبة الحرب دونما أضرار كبيرة؛ غير أنَّ النشاط العلمي فيه تأثر إلى حدٍّ كبير. وشكل عام ١٩٧٨ بالنسبة للمعهد الفترة الأصعب منذ التأسيس. فقد فرضت الظروف على الألمان العاملين فيه، بما في ذلك العناصر الإدارية، مغادرة لبنان، لينشئوا في أسطنبول، الحاضرة الثقافية والتاريخية العثمانية (التركية اليوم) فرعاً يتابعون فيه العمل بعد أن تعذّر الاستمرار في بيروت لفترة، في حين تابع العاملون من غير الألمان عملهم المعتاد، وتواصلت أنشطة المعهد الأخرى (المكتبة

والمنشورات) حسب الظروف والإمكانات المتاحة. ونمت في فرع اسطنبول خلال سبع سنوات مكتبة متخصصة في الدراسات العثمانية والتركية، تضم حوالي (١٥) ألف عنوان، وأقبل الدارسون الألمان انطلاقاً من هذا الفرع ومكتبته على إجراء بحوث في شتى حقول الدراسات التركية والعثمانية[١].

وعاد النشاط يدبُّ في المقر الرئيسي في بيروت من جديد عام ١٩٩٣ مع استتباب السِّلْم، إلى أن كان الافتتاح الاستئنافي لهذا المقر في آب (أغسطس) ١٩٩٤ حيث عادت بيروت من جديد مقراً لمدير المعهد وهيئة الإدارة والبحث العلمي، وعاد الدارسون الألمان والباحثون الغربيون والعرب يتوافدون على المعهد ليفيدوا من أرشيفه ومكتبته وإمكانياته، وليثروا حياته الثقافية والعلمية بالمحاضرات وحلقات الدرس، والأُمسيات الثقافية.

المعهد، اهتماماته العلمية وتوجهاته الرئيسية:

عرف الاستشراق الألماني خلال العقدين الأخيرين من السنين تغيرات جذرية تناولت وجوه اهتمامه ومجالات استكشافه وطرائق بحثه. فقد حكمت المنهجية الفيلولوجي التاريخية حقل الدراسات الشرقية منذ تحوله إلى تخصص علمي في القرن التاسع عشر. أما اليوم فإن الطرائق والمنهجيات الحديثة المعروفة في الدراسات الإنسانية الأخرى، تجد طريقها إلى أخلاد المستشرقين الألمان وأقلامهم؛ وبخاصة تلك الطرائق المستخدمة في علوم الأدب واللغة وأبحاث الألسُنية، ومناهج العلوم الاجتماعية. ويمكن ملاحظة هذه التغيرات بوضوح في مجالات البحث وأنشطته في المعهد. ففي البحوث العربية والتركية وبحوث الإسلاميات يكاد يسود خطابٌ علمي شاملٌ يتجاوز الحدود

(١) كانت الأحداث الأمنية سبباً هاماً ومباشراً لإقامة مركز إستانبول، وإنتاج النشاط العلمي وإصدار عدد هام من الدراسات العثمانية التي اعتبرت كسباً علمياً جديداً أضافه العلماء الألمان إلى جانب إسهاماتهم العلمية البارزة في مختلف المجالات.

الضيقة لمجالات التخصص المختلفة. وتندرج توجهات البحوث بالمعهد تحت العنوان الرئيسي التالي: تكوُّن المعايير وتحوّلاتها (Formation and Transformation of Norms) في العالم العربي والإسلامي وآسيا المركزية، وفي هذا الإطار تتحقق المشاريع التالية:

١ ـ تكوّن الإتنيات (Ethnogenesis) في الشرق الأوسط وآسيا الوسطى الناطقة باللغات التركية.

* عمل في هذا المجال د. شونيغ (C.Schonig) الذي يُثري بحثه باستكشافات في تكوّن الإتنيات التركية في آسيا الوسطى وجنوب سيبيريا؛ وهي تعتمد الدرس الألسني الجغرافي في اللغات واللهجات التركية المحلية. وهناك عقود تعاون رسمية في هذا المجال مع جامعتي مرمرة والبوسفور في إسطنبول، ومع باحثين من جمهوريتي أوزبكستان وتتارستان من جمهوريات آسيا الوسطى.

٢ ـ التاريخ الاجتماعي في الدولة العثمانية والشرق الأوسط.

* ويتابع العمل في الجانب التركي منه الدكتور نويمان (C. Neumann) الذي طوّر مشروعاً لدراسة «التحوّل الاجتماعي وتقسيم العمل في المدن الواقعة في قلب الدولة العثمانية في القرن الثامن عشر» وهو يتعاون في هذا المجال مع مشروع أبحاث تاريخ العمران لمؤسسة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي في تركيا (Tarih Vakfi).

* أمّا الجانب العربي من مجال البحث هذا، فتمثّله وأشرفت عليه الدكتوره بسكس (E. Peskes) من خلال بحثها في التاريخ الاجتماعي وتاريخ الأسر في شبه الجزيرة العربية وهو: الأسس الدينية والاجتماعية لنشوء وتحول نخبة اجتماعية في حضرموت بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر الميلاديين.

* وتعمل في المجال العربي كذلك الدكتورة شونيغ (H. Schonig) من

خلال بحثها حول أدوات التجميل التقليدية للمرأة اليمنية، إلاّ أنها تجمع بين البحث الميداني ودراسة المصادر المختلفة من صيدلية وتاريخية وعلمية. وغيرها.

٣ ـ تاريخ التربية ومؤسساتها.

* عمل الدكتور نويمان (C. Neumann) على أبحاث في المجال التربوي والمدرسي من خلال عمله على تحليل أساليب «تدريس التاريخ في المدارس التركية» وذلك بالتعاون مع جامعة «التاسع من أيلول» في إزمير، والمؤسسة التركية للاقتصاد والتاريخ الاجتماعي.

٤ ـ علم اجتماع الأدب وتاريخه في الشرق الأوسط.

* ويشرف عليه الدكتور كوت (S. Guth) ومشروعه «مقارنة بين الأدبين العربي والتركي» كما يشرف على كتاب «أعلام الأدب العربي المعاصر ـ سير وسير ذاتية» للأب روبرت كامبل.

* كما عملت الأستاذة الدكتورة أ. نويفرت (A. Neuwirth) في مشروع بعنوان: استعمال الأسطورة ونقدها في الأدب العربي الحديث.

٥ ـ الدراسات الشفوية والتدوينية.

* وعملت في هذا المجال الأستاذة أنجيليكا نويفرت من خلال أعمال عن الطابع الجهري الحي للقراءة القرآنية في موازاة الجمع والتدوين القرآني.

* يحتضن المعهد مجموعة من الأنشطة الموجّهة إلى أبحاث في مجالات الدراسات الإسلامية والتركية والعربية التي يقوم بها متخصصون في المجالات المذكورة، وفي تعاون علمي وثيق.

* يضم المعهد مكتبتين:

إحداهما في بيروت، وهي متخصصة في الدراسات العربية والإسلامية، والسامية، والإيرانية، والمسيحية الشرقية، إلى جانب الدراسات والأبحاث

التي تصدر عن لبنان. وتضم المكتبة أكثر من (١٠٠,٠٠٠) مجلد و (١١٣٥) نشرة دورية، منها (٦٤٦) دورية تصدر باللغات الشرقية، و (٤٩٨) أخرى تصدر باللغات الأوروبية.

والثانية في إسطنبول، وهي متخصصة في الدراسات التركية العامة، والدراسات العثمانية، بالإضافة إلى دراسات آسيا الوسطى. وتضم المكتبة حوالي (١٥,٠٠٠) ألف عنوان، وحوالي (٨٠٠) دورية.

* وتصدر عن المعهد سلسلتان من المنشورات:

١ ـ النشرات الإسلامية (Bibliotheca Islamica, BI) وتتناول تحقيق وطباعة المؤلَّفات العربية الكلاسيكية.

٢ ـ نصوص ودراسات بيروتية (Beiruter Texte und Studien, BTS) وتتولى نشر أبحاث ودراسات شرقية باللغات الأوروبية.

كما يضم المعهد نزل للضيوف (١٢ غرفة في بيروت، وغرفة في إسطنبول لتسهيل إقامة الباحثين ومهامهم العلمية).

١٨ ـ المركز الوطني للمعلومات والدراسات في بعقلين (لبنان) (المكتبة الوطنية في بعقلين):

تعتبر وثائق المكتبة الوطنية والمركز الوطني للمعلومات في بعقلين في الشوف في جبل لبنان، من الوثائق التاريخية المهمة في تاريخ لبنان الحديث لا سيما في فترة العهد العثماني. وهذه الوثائق هي مجموعة ضخمة من المستندات التاريخية التي تم تصويرها بواسطة الميكروفيلم، كما تم الاحتفاظ بوثائقها وأوراقها الأصلية. وهذا الأرشيف المتنوع يضم مراسلات ووثائق سياسية واجتماعية واقتصادية وعسكرية تمثل مرحلة الإمارة الشهابية، بالإضافة إلى مرحلة القائم مقاميتين، ومرحلة متصرفية جبل لبنان، كما تضم وثائق تعود

إلى بعض الأسر الإقطاعية، وبعض الأمراء والمشايخ والزعامات، منها على سبيل المثال لا الحصر عائلات: شهاب، جنبلاط، أرسلان، الخازن، أبي اللمع، العماد وسواها من عائلات الجبل. كما تضم تلك الوثائق فرمانات ومراسيم موقعة من بعض الولاة العثمانيين مثل: أحمد باشا الجزار، وسليمان باشا، وعبد الله باشا، وأسعد باشا، ومحمد كامل باشا وسواهم. كما تتضمن أيضاً رسائل وتعليمات وأوامر إلى الولاة والاقطاعات. وتطرقت هذه الوثائق أيضاً إلى الأوضاع السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية في عهد الأمير بشير الشهابي الكبير (الثاني)، والأمير بشير الشهابي الثالث (أبو طحين) والأمراء الشهابيين (عباس، وحسين، وسعد الدين، وفارس، وملحم، وعبد الله، ومسعود، وخليل وقاسم). كما تهتم الوثائق بمرحلة عمر باشا النمساوي، والقائم مقام إسماعيل حيدر أبي اللمع، والقائم مقام بشير عساف، وبشير أحمد، بالإضافة إلى القائمقامين الإرسلانيين أحمد وأمين وحمد أرسلان.

أضف إلى ذلك فإن في بعقلين وثائق تتعلق بالمشايخ الجنبلاطية منهم: بشير وسعيد ونعمان، كما تم العثور على وثائق ضمن مجموعة مركز بعقلين الصادرة عن البطاركة الموارنة يوسف حبيش، ويوسف الخازن وبولس مَسعد، ووثائق بعض المطارنة مثل طوبيا عون، وبطرس البستاني، وبولس مسعد، (قبل أن يصبح بطريركا). أضف إلى ذلك فإنَّ أرشيف المركز الوطني تزداد أهميته بوجود مجموعة من الوثائق البريطانية منها تقارير من الكولونيل روز، وستيفن مور، قنصلي بريطانيا في البلاد السورية، بالإضافة إلى وثائق أخرى تتعلق بوكيل القائم مقام يوسف بك كرم أحد الزعامات المارونية التي صدر قرار بنفيه خارج البلاد في عهد المتصرف داوود باشا. كما وجدت وثائق تتعلق ببعض الأعيان منهم: شبلي آغا العريان، وأبو نوفل الخازن قنصل فرنسا في بيروت يومذاك، وبالإضافة إلى وثائق تتعلق ببشارة الخوري الفقيه.

إن أهمية هذه الوثائق والمراسلات الموجودة في المركز الوطني في

بعقلين، أنها ما تزال في غالبيتها حتى اليوم غير منشورة، وهي تمثل مرحلة تاريخية من أهم المراحل السياسية والاجتماعية والطائفية في لبنان. وتعتبر في حال الاشتغال عليها كشفاً علمياً يعطي الباحثين المزيد من المعلومات العلمية والأكاديمية التي تغني الدراسات الجامعية التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية.

ومن الباحثين الأوائل المشتغلين على أرشيف ووثائق المكتبة الوطنية والمركز الوطني للمعلومات والدراسات في بعقلين الباحث رياض غنّام الذي أعد أطروحة دكتوراه بإشراف د. حسان حلاق بعنوان «التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي للمقاطعات اللبنانية في جبل لبنان ١٧٨٨ ـ ١٨٦١»، وهي من الدراسات الهامة التي قدمت للمكتبة اللبنانية والعربية الكثير من الحقائق حول تاريخ لبنان في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر[١].

وثائق المكتبة الوطنية في بعقلين:

تضم المكتبة الوطنية في بعقلين الكثير من الوثائق والمصادر التاريخية الأساسية المتعلقة بتاريخ جبل لبنان لا سيما في العهد العثماني، وقد حرص القيّمون على هذه المكتبة على تشجيع الأهالي والأسر في جبل لبنان، لا سيما في مناطق الشوف على تقديم الوثائق الأهلية التي يمكن أن تكون بحوزتهم، وقد استطاع القيّمون على هذه المكتبة تكوين أرشيف هام يضم الوثائق السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتعلقة بعائلات الشوف. وهي تعتبر بدورها من الوثائق غير المنشورة التي يمكن أن تقدم للدراسات التاريخية الوجه

(١) تمت مناقشة هذه الأطروحة في ٢ حزيران (يونيه) ١٩٩٧ في قسم التاريخ ـ كلية الآداب (الفرع الأول) في الجامعة اللبنانية، ونال الباحث تقدير «جيد جداً». وقد نشرت هذه الأطروحة في جزئين كبيرين.

الآخر من تاريخ لبنان، وهو التاريخ غير الرسمي بتاريخ الشعب والأهالي[١]. بالإضافة إلى ذلك فقد وجد في المكتبة الوطنية أيضاً مجموعة مصوّرة من الوثائق البريطانية التابعة لوزارة الخارجية البريطانية المصنفة تحت عنوان (P.R.O) (وثائق مركز السجلات العامة التابعة لوزارة الخارجية البريطانية)، وهذه الوثائق عبارة عن مراسلات سياسية وقنصلية تتعلق بتاريخ لبنان، لا سيما في القرن التاسع عشر، وقد تمّ تصويرها وإيداعها في المكتبة الوطنية في بعقلين، والمركز الوطني للمعلومات وللدراسات بمبادرة وتشجيع ومساعدة بعض المؤرخين الذين نصحوا بتصوير هذه الوثائق وسواها.

والواقع فإن المكتبة الوطنية بالإضافة إلى ما ذكرنا تضم وثائق متنوعة ومتعددة اهتمت بالمواقف السياسية وبالمراسيم الأميرية والوزارية، كما تضمنت مراسلات وبيانات احتجاج، ووثائق أخرى تمثل الصراعات بين القوى السياسية والحزبية والعصبية والطائفية في الجبل، فضلاً عن أن تلك الوثائق تتضمن معلومات قيّمة عن الأوضاع الاقتصادية: الزراعية والصناعية والتجارية والمالية بما فيها المعاملات التي تعرفنا على أنواع وقيمة العملات السائدة. كما تضم تلك المكتبة وثائق تتعلق بالأوضاع الاجتماعية لا سيما العادات والتقاليد، والحياة الفكرية والأدبية والصحية والعمرانية في جبل لبنان.

إن هذه الوثائق مجتمعة وبصورة عامة تعتبر عاملاً أساسياً في سبيل المعرفة التاريخية لا سيما تاريخ لبنان العثماني.

هذا، وقد تسلمت اللجنة المكلفة من قبل وزارة الثقافة والتعليم العالي المحفوظات والوثائق ومحاضر جلسات بين أعوام ١٨٤٠ ـ ١٩١٥ التي تعود

---

(١) من الدراسات الهامة التي قدمت منذ سنوات في «مؤتمر أرشيف تاريخ لبنان» دراسة د. جوزيف لبكي «أرشيف القرية اللبنانية» ودراسة د. حاتم سليمان «وثائق التاريخ الاجتماعي والاقتصادي في بكفيا»، وهما من الدراسات التي اعتمدت على الوثائق الأهلية والشعبية.

إلى عهد القائمقاميتين والمتصرفية ووثائق عامي ١٩١٤ ـ ١٩١٥ والتي كانت مودعة في مركز ومكتبة بعقلين، وذلك في ٢٠ أيار (مايو) ١٩٩٩. وقد بلغت (٥٦) صندوقاً من المحفوظات والوثائق، أما عدد الوثائق فيقدر بخمسمائة ألف وثيقة[١].

١٩ ـ وثائق وأرشيف جمعية البر والإحسان في بيروت:

تأسست جمعية البرّ والإحسان في منطقة الطريق الجديدة في بيروت عام ١٩٣٦. وكانت غايتها الأساسية تعليم ومساعدة أبناء المنطقة، ومن ثم عملت على بناء المدارس يأتي في مقدمتها أول ثانوية في بيروت هي ثانوية الطريق الجديدة الرسمية للبنين عام ١٩٤٩، والتي أطلق عليها في صيف ١٩٩٨ «ثانوية جميل رواس الرسمية للبنين» تكريماً ووفاءً له، باعتباره مؤسس ورئيس الجمعية لأربعين عاماً (١٩٣٦ ـ ١٩٧٦) ولأنه سبق أن تبرع بأرض الثانوية.

ونظراً لأهمية التعليم العالي في بيروت ولبنان، فقد اتفقت جمعية البرّ والإحسان منذ عام ١٩٥٧ مع الرئيس الراحل جمال عبد الناصر على إنشاء جامعة بيروت العربية. وبالفعل فقد افتتحت هذه الجامعة في العام الدراسي ١٩٦٠ ـ ١٩٦١، ومنذ ذاك التاريخ تابعت الجمعية بالتعاون مع جامعة الإسكندرية افتتاح مختلف الكليات النظرية والعملية التي باتت منذ عام ١٩٩٥ تسع كليات متكاملة.

ويلاحظ الدارس لوثائق وأرشيف ومحاضر جلسات جمعية البرّ والإحسان منذ عام ١٩٣٦ حتى اليوم، أهمية هذه المستندات التاريخية، لأنها تمثل جزءاً أساسياً ليس من تاريخ جمعية البرّ والإحسان، وتاريخ جامعة بيروت العربية فحسب، وإنما تمثل جزءاً أساسياً من تاريخ بيروت ولبنان

(١) أنظر: اللواء، النهار، السفير، ٢١/٥/١٩٩٩.

والعالم العربي وجزءاً من تاريخ التربية والتعليم في لبنان. وتتضمن تلك المحاضر ظروف نشأة جمعية البرّ والإحسان، وميادين أعمالها ونشاطاتها التربوية والإنسانية، والظروف التي أدت إلى قيام جامعة بيروت العربية، فضلاً عن تفاصيل أساسية للتاريخ التربوي والثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي لمرحلة هامة من مراحل التاريخ اللبناني والعربي، كما يتضمن أرشيف الجمعية العديدة من المراسلات السرية المتبادلة بين رؤسائها وبين المسؤولين في مصر ولبنان. وقد قام د. حسان حلاق بالعمل على تلك الوثائق والمحاضر، فأصدر عدة دراسات وكتب معتمدة على هذه الوثائق والمحاضر، من بينها الكتب التالية:

١ ـ عمر حوري (١٩٠٦ ـ ١٩٩٤) سيرة رجل ومسيرة أمه.

٢ ـ جميل رواس (١٨٨٧ ـ ١٩٧٦) رجل البرّ والإحسان والخير والعطاء.

٣ ـ جمعية البرّ والإحسان (١٩٣٦ ـ ١٩٩٦) صفحات مضيئة من تاريخ بيروت.

٤ ـ جامعة بيروت العربية ١٩٦٠ ـ ٢٠٠٠.

٢٠ ـ أرشيف صحيفة النهار(١):

إن أرشيف صحيفة «النهار» الورقي تحوّل أرشيفاً الكترونياً بعد إخضاع الصفحات لعملية المسح الضوئي وحفظها على أقراص مضغوطة (C.D. ROM) مزودة ببرنامج يتيح استرجاع صفحات الجريدة بحسب التاريخ وعددها ٦٨ قرصاً هو عدد سني الجريدة (١٩٣٣ ـ ٢٠٠٢). وخمسة ملايين صورة فوتوغرافية، منها ما هو نادر وتاريخي لأحداث وشخصيات لبنانية وعربية ودولية، إلى نشاطات سياسية واقتصادية وثقافية ورياضية واجتماعية تعود إلى أكثر من أربعين عاماً.

---

(١) أنظر: النهار، ١٤/٨/١٩٩٨.

إن تنظيم المحفوظات وتوثيقها، بدأ مع سام منسى عام ١٩٧٧ الذي جمع المواد ورتبها بشكل يخدم الباحثين، بالاستشارة والتعاون مع مكتبة يافث في الجامعة الأميركية في بيروت ويقوم بهذا العمل الضخم منذ عام ١٩٩٢، تاريخ انطلاق المركز، ٢٨ موظفاً متخصصاً. تداخل الأقسام في المركز واستقلالها في الوقت نفسه يسهلان عملية الوصول إلى المعلومة، بفضل ربط أجهزة الكومبيوتر إحداها بالأخرى والتنسيق بين المسؤولين عنها، وهي: كشاف النهار، القصاصات الصحافية، أرشيف الصور ومكتبة جبران تويني التذكارية. إضافة إلى مجموعة «النهار» منذ ٤ آب (أغسطس) ١٩٣٣ على ميكروفيلم وأقراص ممغنطة.

ويعتبر دور المركز ريادياً، وخصوصاً بعد تنفيذ المكننة التي تضع كمية هائلة من المعلومات في أقل حجم ومساحة ممكنين إضافة إلى سهولة الحصول على أي معلومة، من دون اضطرار الباحث أو المهتم إلى الانتقال إلى مكاتب المركز حيث يتم ذلك من طريق (C.D. Rom) والأنترنت مما يوفر الوقت والجهد. كذلك أتاحت المكننة الوصول إلى باحثين خارج لبنان وفي القارات الخمس، ما يجعل المركز دولياً.

وعن الصعوبات التقنية فقد تخطى معضلة البحث على الأنترنت باللغة العربية، وأصبح الاتصال ببنك معلومات «النهار» ممكناً عبر نظام «الإدريسي» الذي وضعته شركة «صخر» للبرمجة وطورته.

وطموح المركز أن يتمكن من وضع ملفات عن التاريخ اللبناني والعربي، تعود إلى حقبات محددة، وعن شخصيات تاريخية على أقراص ضوئية، وأن تصبح من أهم مراكز استرجاع المعلومات في العالم العربي.

وعن المشاريع المستقبلية، فإن مداولات تجرى مع مسؤولين في الجامعة الأميركية في بيروت غايتها العمل على تحويل جميع صفحات الصحف اللبنانية نصوصاً، وهو عمل شاق وطويل يتم عبر نظام (O.C.R.)

ويستفيد منه الطلاب والأكاديميون.

إن عملية إغناء المركز وتطويره لا تتوقف، فقد اشترى المركز، قبل أعوام، أرشيف المرحوم قدري قلعجي، وهو يحوي صحفاً لبنانية وعربية قديمة لم تكن متوافرة في المركز.

إن أهمية نشاط المركز تكمن في «الرصد الشامل للمعلومات بحيث يتم تغطية كل ما ينشر في الصحف والمجلات اللبنانية الصادرة باللغات العربية والفرنسية والإنكليزية من مقابلات وتحقيقات وتقارير، إضافة إلى الصحافة العربية والأجنبية. وتركيزها سيتم على الأخبار المهمة التي تغطي المنطقة وإسرائيل. فـ «النهار» جريدة سياسية وهذا يخدم سياستها».

إن التطور المهم الذي حصل أخيراً وشكل نقلة نوعية في المركز تمثل في وضع أعداد «النهار» التي تعود للعام ١٩٣٣ والتي كانت موجودة على ميكروفيلم، على أقراص مضغوطة يمكن استعمالها في أجهزة الكومبيوتر الخاصة.

لم يعد المهتمون مضطرين للحضور إلى المركز للاطلاع على الأعداد الأولى القديمة للصحيفة. فالمرحلة الأولى كانت حفظ المواد قبل إصابتها بالتلف وتآكل الأوراق نظراً لما تحمله من قيمة تاريخية، والخطوة الثانية الأهم تجسدت في وضعها في متناول الجميع.

وعن القصاصات فهناك ما يُقارب ٣٥٠٠ ملف قصاصات صحافية منتقاة من أربعين مصدراً لبنانياً وعربياً ودولياً إضافة إلى «النهار» بحسب لائحة رؤوس مواضيع ثابتة، تخدم سياسة الجريدة. هذه المجموعات الورقية تمّ مسحها ضوئياً ووضعت على أقراص (C.D.) وهي تغطي أحداث لبنان والعالم العربي اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً. أما الكشاف فيغطي مواد «النهار» فقط من دون الصحف الأخرى بدءاً من عام ٩٢ ويستثنى الإعلانات والوفيات، واسترجاع أي خبر يترافق مع مواصفات بيبلوغرافية (التاريخ، اسم المؤلف،

الصفحة، رقم العدد والعنوان) ويؤمن النص نظام The - saurus وهو المكنز (كلمات مفاتيح) الذي يؤمن الرجوع إلى المواضيع وهو خاص بالمركز، ويعتبر من أهم الأنظمة في لبنان والعالم العربي لما يتضمنه من عدد كبير من كلمات المفاتيح الخاصة به، وقد تم تكييفه تبعاً لاحتياجاتنا المحلية. فالنظام المتبع عالمياً مبرمج بطريقة مختلفة بسبب الاختلاف الجوهري في اهتمامات الصحافة العالمية، فضلاً عن طريق معالجة المواضيع المنشورة. فمثلاً لا نجد في الصحافة العالمية مساحة مخصصة لاستقبالات المسؤولين ونشاطهم اليومي.

أما قسم الصور فيشهد حركة فرز وحفظ واسترجاع في كل لحظة، هذا الكنز يضم ما يفوق الخمسة ملايين صورة محلية وعالمية مفرزة تبعاً للشخصيات والمواضيع تعود لسنوات بعيدة وبعضها نادر جداً مثلاً: بيروت المغطاة بالثلج عام ١٩٢٠ أو بيروت وقد خربها القصف الألماني أواخر الحرب العالمية الثانية.

وعملية المكننة التي شملت المركز ككل عام ٩٢ انطوت على مكننة الصور التي كانت محفوظة في الأدراج هجائياً. فتحولت رؤوس المواضيع أرقاماً يحفظها الكومبيوتر بطريقة الترميز. وانتقل بذلك الحفظ اليدوي إلى حفظ ممكنن.

وفي أواخر عام ٩٦ بدأت صور الوكالات الأجنبية التي ترد إلى «النهار» عبر الأقمار ويتم معالجتها على الشبكة الداخلية للمؤسسة تحفظ مباشرة في ذاكرة الكومبيوتر، ثم يتم فرزها بحسب حاجة المركز والمواضيع، وتبعاً لأهمية الصورة حتى تنقل على أقراص (C.D. Rom) وفي الوقت نفسه بدأت عملية إخضاع الصور المحلية للمسح الضوئي لحظة ورود الصورة وفي شكل يومي. وفي مطلع عام ١٩٩٨ اتخذ قرار بحفظ الصور التي تعود إلى العام ١٩٢٠ في الكومبيوتر. ويشمل الأرشيف مواضيع دولية يجري بيعها إلى

الباحثين والطلاب والمحطات التلفزيونية بعد إعادة نسخها.

مكتبة جبران تويني مرجع للباحثين:

إن مكتبة جبران تويني التذكارية تشكل جزءاً من المركز وتضم ٥٥٠٠ كتاب جمعت منذ تأسيسها عام ١٩٧٥. وهي تعتبر مرجعاً قيماً لما تحويه من مراجع تاريخية لم تعد متوافرة في مكتبات أخرى.

وتتغذى المكتبة من الإصدارات التي تصل إلى المحررين والنقاد الذين يرسلونها إليها بعد الإطلاع عليها والكتابة عنها. إضافة إلى كل ما يصدر عن دار النهار للنشر وما تبتاعه الجريدة. فهناك موازنة سنوية تخصصها الإدارة لشراء المراجع المهمة والموسوعات والأعمال المتخصصة التي تهم المحررين والباحثين. هناك أيضاً بعض الهبات التي تصلها من كتب ومبادلات مع دور نشر أخرى.

وتواكب المكتبة آخر الإصدارات في اللغات الثلاث والمواضيع كافة، الإعلامية والصحافية والأدبية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية. وتتبع نظام Dewey Decimal لترتيب الكتب، وهو النظام المتبع دولياً، كذلك ترتيب Library of Congress Subject Headings وهو نظام ترتيب المكتبات في العالم. كما يوجد في المكتبة وثائق وبيانات غير منشورة منذ الثلاثينات حتى اليوم.

٢١ ـ أرشيف ووثائق القيادات والزعامات السياسية والاجتماعية في لبنان والعالم:

حرصت بعض الزعامات والقيادات السياسية في لبنان والعالم العربي على الاهتمام بوثائقها الخاصة المتعلقة بمراسلاتها السياسية التي كانت تتلقاها من زعامات أو قيادات أخرى أو المراسلات التي كانت ترسلها إلى تلك الزعامات أو الفعاليات. كما حرص بعض الزعماء السياسيين على كتابة

مذكراتهم السياسية من خلال التجارب التي مروا بها في مختلف المراحل السياسية ونعطي على سبيل المثال: مذكرات ووثائق ومراسلات الشخصيات التالية: الشيخ بشارة الخوري (١٩٤٣ ـ ١٩٥٢)، ومذكرات كميل شمعون (١٩٥٢ ـ ١٩٥٨)، ومذكرات أمين الجميل (١٩٨٢ ـ ١٩٨٨)، ومذكرات الياس الهراوي (١٩٨٩ ـ ١٩٩٨)، مذكرات كمال جنبلاط (١٩٤٣ ـ ١٩٧٦)، بالإضافة إل مذكرات رئيس الوزراء سامي الصلح (١٩٤٣ ـ ١٩٦٤)، ومذكرات الرئيس سليم الحص، ومذكرات الوزير يوسف سالم، ومذكرات غسان تويني، ومذكرات رئيس المجلس النيابي (صبري حمادة)، ومذكرات الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية السابق حول قمم عرمون الخاصة بالقضية اللبنانية والقضية الفلسطينية، ومذكرات السفير الدكتور حليم أبو عز الدين (المتوفى في ١٦/ ٥/ ٢٠٠١)، ومذكرات د. زاهية قدورة، مذكرات حسين العويني الصادرة عام ٢٠٠٠، ومذكرات الرئيس صائب سلام التي كتبها أثناء إقامته في سويسرا ولم تنشر بعد. وهناك العديد من مذكرات القيادات والفعاليات اللبنانية مما لا يتسع المجال لذكرها جميعاً.

وهناك العديد من المراسلات والوثائق التي تجمعت عند بعض الزعامات العربية، مما أتاح لها الفرصة بكتابة سيرتها الذاتية، ومذكراتها الشخصية منها على سبيل المثال: مذكرات أحمد عرابي، مذكرات الملك عبد الله، مذكرات عبد الرحمن عزام، مذكرات سليم علي سلام، مذكرات الوزير ساطع الحصري، مذكرات السياسي أسعد داغر (مذكراتي على هامش القضية العربية)، مذكرات الأمير شكيب أرسلان (سيرة ذاتية)، مذكرات رئيس الوزراء السوري الأسبق خالد العظم، مذكرات الرئيس أنور السادات (البحث عن الذات)، مذكرات محمد حسنين هيكل، مذكرات القائد فوزي القاوقجي، مذكرات السفير أكرم زعيتر، وهناك من قادة العالم من اهتم بتدوين مذكراته التي ضمنها وثائق ومراسلات هامة يأتي في مقدمتها على سبيل المثال: مذكرات السلطان عبدالحميد الثاني، مذكرات الرئيس الأميركي ويلسون،

مذكرات الرئيس الأميركي جونسون، مذكرات رئيس الوزراء البريطاني ونستون تشرشل، مذكرات القائد البريطاني غلوب باشا، مذكرات الرئيس الفرنسي الجنرال ديغول، مذكرات الرئيس الروسي غورباتشيف، مذكرات الجنرال الفرنسي كاترو، مذكرات أدولف هتلر، مذكرات السفير البريطاني في بيروت سبيرز، بالإضافة إلى مذكرات وذكريات عديدة لقادة عالميين آخرين.

ومن الأهمية بمكان القول أن هناك سبعة مجلدات ضخمة من الوثائق والمراسلات السياسية والاجتماعية ضمن مجموعة المؤرخ والسياسي محمد جميل بيهم (١٨٨٧ ـ ١٩٧٨) وهي مصنفة حسب التسلسل التاريخي منذ عام ١٩٠٢ حتى عام ١٩٦٥. وهذه المجلدات السبعة تتضمن وثائق ومراسلات على غاية من الأهمية، لأنها تكشف لنا عن حقائق وخفايا وأسرار الكثير من المواقف السياسية للقادة وللجمعيات والأحزاب في لبنان والعالم العربي ودول العالم أيضاً. والحقيقة فإن ما أشرنا إليه سواء من مذكرات، أو رسائل ووثائق، فإنها تعتبر مصدراً أساسياً من مصادر التاريخ والدراسات التاريخية، نظراً لأهميتها الوثائقية ونظراً لدعمها للعديد من الأحداث التاريخية التي تحتاج إلى توثيق، وإلى مستندات موثوقة الجانب، من هنا نرى دور الوثائق الخاصة والمذكرات باعتبارها من مجموعات الأرشيف الخاص الذي يضيء جوانب من التاريخ غير متوفر في مراكز الأرشيف العامة الموجودة في لبنان والعالم العربي والعالم.

إذا ما حاولنا أن نلقي الأضواء على مجموعة محمد جميل بيهم كنموذج هام وفريد وبالغ الأهمية في إطار الأرشيف الخاص، فإننا نرى أن هذا الأرشيف يتكون من بيانات ومراسلات وتقارير متبادلة بين محمد جميل بيهم وبين الأحزاب والزعامات والفعاليات والهيئات المحلية والعربية والدولية، وهي مصنفة بين أعوام ١٩٠٢ ـ ١٩٦٥ في (٧) مجلدات على النحو التالي:

١ ـ المجلد رقم (١) محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق، الملف (١) عام ١٩٢٠ ـ ١٩٦٥.

٢ ـ المجلد رقم (٢) محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق، الملف (٢) عام ١٩١٩ ـ ١٩٦٥.

٣ ـ المجلد رقم (٣) محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق، الملف (٣) عام ١٩١١ ـ ١٩٦٥.

٤ ـ المجلد رقم (٤) محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق، الملف (٤) عام ١٩٣٦ ـ ١٩٦٣.

٥ ـ المجلد رقم (٥) محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق، الملف (٥) عام ١٩٣٦ ـ ١٩٦٥.

٦ ـ المجلد رقم (٦) محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق، الملف (٦) عام ١٩٤٤ ـ ١٩٤٧.

٧ ـ المجلد رقم (٧) محمد جميل بيهم: رسائل ووثائق، الملف (٧) عام ١٩٠٢ ـ ١٩٦٥.

تضم هذه الملفات والمجلدات السبعة المئات من الوثائق والمراسلات السياسية والاجتماعية والفكرية الهامة لا يمكن الطعن في صحتها، لأن صاحبها هو الذي كتبها أو تلقاها شخصياً، ومن ثم جمعها وصنفها بالشكل المشار إليه. كما تكمن أهميتها في أنها تتعلق بالشؤون اللبنانية والعربية والدولية أيضاً، ومن يطلع عليها يدرك كم هي تغني البحث العلمي سواء في مرحلة (الدبلوم أو الماجستير أو الدكتوراه) أو في ما يتعلق بتاريخ لبنان خاصة والمنطقة عامة. وقد اعتمد بعض الباحثين على مؤلفات محمد جميل بيهم المنشورة، غير أن الدراسة الوحيدة التي اعتمدت على تلك المجلدات السبعة غير المنشورة بما فيها من وثائق ومستندات ومراسلات غير منشورة هي دراسة د. حسان حلاق (التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣ ـ ١٩٥٢)، لنيل درجة الدكتوراه عام ١٩٨١. بالإضافة إلى كتاب آخر من تأليفه عن حياة محمد جميل

بيهم تضمن العديد من الوثائق الواردة في المجلدات السابقة الذكر.

من خلال دراسة نموذج أرشيف العلاّمة محمد جميل بيهم يدرك المؤرخ والباحث أهمية الأرشيف الخاص الذي ينبغي الاهتمام به، والعمل على نشره ـ إذا ما وجد ـ وذلك للاستفادة منه في ميدان الدراسات التاريخية والسياسية. ويعتبر ضياع الوثائق الخاصة أو الأرشيف الخاص هو ضياع جزء من التاريخ، وكتابة التاريخ دون الاعتماد عليه يعتبر عملاً منقوصاً.

٢٢ ـ مكتبة مؤسسة الدراسات الفلسطينية (بيروت ـ فردان)[١]:

ترافق إنشاء مكتبة مؤسسة الدراسات الفلسطينية مع تأسيس المؤسسة عام ١٩٦٣. وكانت المكتبة أحد أشكال التعبير عن أهداف المؤسسة الرئيسية: حفظ التراث الثقافي والنتاج الفكري الفلسطيني، ومواكبة تطورات القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الإسرائيلي توثيقاً وبحثاً. وانطلاقاً من هذا الهدف عنيت المؤسسة سنة فسنة، بتنمية مقتنيات المكتبة وتطوير وظائفها ونشاطاتها حتى كبرت وتوسعت، فأصبحت اليوم المكتبة الفريدة المتخصصة في موضوع القضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الإسرائيلي بمحتوياتها من مراجع أساسية وكتب ودوريات وصحف بالعربية والإنكليزية والفرنسية والعبرية تتناول تطورات القضية في مختلف الحقول والمجالات مع تركيز خاص على فلسطين شعباً وتاريخاً ومجتمعاً، وعلى إسرائيل كياناً سياسياً وقوى إجتماعية ومؤسسات عسكرية واقتصادية.

تحتل المكتبة أربعة طوابق في مبنى المؤسسة في بيروت، وتضم أكثر من خمسين ألف مجلد، ومئات الدوريات والصحف. ومنذ عام ١٩٨٥ وبموجب قرار مجلس أمناء المؤسسة، أصبحت المكتبة تحمل اسم أحد

---

(١) نشرة صادرة عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

المؤسسين والرئيس الفخري طوال ربع قرن: الدكتور قسطنطين زريق، تكريماً له، وعرفاناً لفضله، وتقديراً لفكره وعمله.

واكبت مقتنيات المكتبة التطورات التي شهدتها القضية الفلسطينية طوال الأربعين سنة الماضية في المجالات التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، وعلى مساحة تمتد من فلسطين منذ فجر التاريخ إلى الساحات العربية والإقليمية والعالمية، واستقبلت آلاف المستفيدين من باحثين وإعلاميين ودبلوماسيين وعسكريين من مختلف الجنسيات، والكثيرون يقصدونها من بلاد بعيدة، حيث يجدون فيها مصادر ومراجع خاصة لا تتوافر في أية مكتبة أخرى.

تقدم المكتبة الخدمات المباشرة لروادها وترد على استفساراتهم وترشدهم إلى مصادر المعلومات وكيفية الإفادة القصوى منها. ولأن خدمة المعلومات المتعلقة بالقضية الفلسطينية هي المبرر الأساسي لوجود المكتبة، اتسعت رقعة الخدمات التي تقدمها إلى خارج لبنان، بالرد على رسائل واستفسارات الباحثين والجامعيين وغيرهم، وتأمين البيبلوغرافيات في مواضيع اختصاصها لطلبة جامعيين في بلاد عربية نائية لا تسمح إمكاناتهم بالحضور إلى بيروت، كالعراق والجزائر واليمن والأردن وغيرها. وهي خدمة تشكل نوعاً من الإلتزام القومي الذي لا تجد مكتبة عامة عادية نفسها مضطرة لتأديتها. كما تضع المكتبة بين أيدي الباحثين المعنيين مجموعات من الوثائق الفلسطينية والعربية والدولية المتعلقة بالقضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الإسرائيلي التي تقوم بجمعها وتصنيفها وحدة التوثيق في المكتبة. وتصدر المكتبة قوائم منتظمة بالمقتنيات الجديدة من كتب ودوريات توزع على المؤسسات والأفراد المهتمين.

ومنذ أواخر عام ١٩٩٥ اعتمدت المكتبة برنامج (OLIB) للمكننة، ودخلت عالم الكومبيوتر، وألغت نظام البطاقات بعد أن أعدت كتيباً مبسطاً

لتدريب الزائرين على استخدام أجهزة الكومبيوتر في قاعات المكتبة بمساعدة الجهاز العامل.

محتويات المكتبة:

ـ **الكتب**: تضم مجموعة مهمة من المراجع الأولية من موسوعات وكتب سنوية وبيبلوغرافيات وتقارير رسمية وقواميس وأطالس وكتب إحصائية بالإضافة إلى عدد كبير من الكتب والكراريس باللغات المختلفة، ومجموعات خاصة من الكتب النادرة منها كتب صادرة عن حكومة الانتداب، والمؤتمرات الصهيونية والجريدة الرسمية لحكومة فلسطين، ومجموعة القوانين والأنظمة المعمول بها في فلسطين، إلخ.

وتوجه المكتبة عناية خاصة لاقتناء الكتب والدوريات والصحف العربية الصادرة في الأراضي المحتلة والكتب الجديدة والدوريات والصحف الصادرة في إسرائيل، وتتبع المكتبة نظام ديوي للتصنيف العشري وقواعد الفهرسة الأنكلو ـ أميركية ولائحة مكتبة الكونغرس لرؤوس الموضوعات. وتولت المكتبة ترجمة رؤوس الموضوعات المستعملة لديها إلى العربية واعتمدتها في فهرسة الكتب العربية.

ـ **الدوريات**: تحتوي المكتبة على عدد كبير من الدوريات والصحف باللغات العربية والإنكليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية والعبرية. وتحصل عليها إما عن طريق الاشتراك أو عن طريق الإهداء والتبادل. وتعمل المكتبة على تكثيف مقالات الدوريات الموجودة لديها في موضوع تخصصها.

ـ **الوثائق الرسمية للمنظمات الدولية والإقليمية**: في المكتبة قسم خاص بالوثائق الصادرة عن الأمم المتحدة ووكالاتها منذ عام ١٩٤٧ والمتعلقة بالصراع العربي ـ الإسرائيلي؛ وكذلك جميع التقارير والوثائق الصادرة عن جامعة الدول العربية ولجانها المتخصصة والتي تصل إلى المكتبة باستمرار بشكل منتظم.

ـ **رسائل جامعية**: وكلها متعلقة بالقضية الفلسطينية والشؤون الإسرائيلية والصهيونية.

ـ **ميكروفيلم**: في المكتبة مجموعة قيّمة من الصحف الفلسطينية القديمة والدوريات القديمة والصحف الصادرة في الأراضي المحتلة والصحف الأجنبية والعبرية والعربية مصورة على ميكروفيلم. كذلك تحتوي المكتبة على تفاصيل المؤتمرات الصهيونية وبعض الأطروحات مصورة على ميكروفيلم.

ـ **الوثائق**: في المكتبة مجموعة كبيرة من الوثائق هي وثائق أصلية فريدة تتألف من أوراق خاصة ومذكرات ومحاضر اجتماعات ومؤتمرات وصور تشمل نشاط عدد من قادة الحركة الوطنية في فلسطين وأطرافها وهيئاتها وأحزابها المختلفة. كما يوجد مجموعة أخرى من هذه الوثائق لا ينطبق عليها تعريف «وثيقة أصلية» إذ أنها ليست بخط اليد، ولا تنفرد المؤسسة باقتنائها. ولكنها مجموعة وثائق نادرة وهامة بعضها بشكل صور عن الأصل وبعضها على ميكروفيلم. وأهمية هذه المجموعة من الوثائق أنها جمعت من مصادرها الأصلية المختلفة.

وفي المكتبة أيضاً مجموعات نادرة من الصور والأفلام السينمائية الوثائقية ومجموعة من الخرائط العائدة لفلسطين ومدنها وكذلك خرائط تنشرها الحكومة الإسرائيلية لمدن ومناطق الأراضي المحتلة. وتعمل المكتبة حالياً على تنمية مجموعاتها السمعية البصرية.

وإذا كانت مقتنيات المكتبة تعتمد أساساً على الشراء في حدود ميزانيتها السنوية المقررة، والتبادل والهبات، فلا بد من التنويه بإقدام العديد من الجهات والشخصيات بالتبرع بمكتباتهم، أو بالأقسام المتعلقة بالقضية الفلسطينية والصراع العربي ـ الإسرائيلي من تلك المكتبات، اقتناعاً منهم بأن هذه الكتب تستقر في مكانها الطبيعي، حفظاً واستفادة، وتسجّل بأسماء مقدميها تقديراً لجهودهم واعترافاً بفضلهم.

الفصل الثامن

بعض مراكز الأرشيف في العالم العربي

١ ـ مكتبة الإسكندرية:

نشأة مكتبة الإسكندرية في التاريخ القديم[١]:

لقد كانت مكتبة الإسكندرية أشهر المكتبات في العالم القديم مع العلم أنه سبق إقامتها وجود مكتبات في مصر وبلاد ما بين النهرين. غير أن مكتبة الإسكندرية اتخذت طابعاً عالمياً وحضارياً وضمت الآلاف من المخطوطات والأبحاث والدراسات، بحيث أصبح من المتعذر أن تبقى بدون تنظيم أو بموظفين قلائل. لذا عمد اليونانيون إلى تعيين عدد من الموظفين بما فيهم المدير الخاص بالمكتبة أو أمين المكتبة، واهتم بهذا التنظيم المؤسس الأول للمكتبة الملك بطليموس الأول (سوتير) ومن بعده بطليموس الثاني. وقد مرّ على مكتبة الإسكندرية عدد من أمنائها يمكن ذكرهم على النحو التالي:

(١) أنظر كتابنا: تاريخ العلوم والتكنولوجيا، ص ١٦٦ ـ ١٦٧.

١ ـ ديمتريوس الفاليري	حوالي ٢٨٤ ق.م.
٢ ـ زينودوتوس الأفيسي	حوالي ٢٨٤ ـ ٢٦٠ ق.م.
٣ ـ كاليماخوس البرقاوي	حوالي ٢٦٠ ـ ٢٤٠ ق.م.
٤ ـ أبوللونيوس الرودسي	حوالي ٢٤٠ ـ ٢٣٥ ق.م.
٥ ـ أراتوسثنيس البرقاوي	٢٣٥ ـ ١٩٥ ق.م.
٦ ـ أريستوفانيس البيزنطي	١٩٥ ـ ١٨٠ ق.م.
٧ ـ أبوللونيوس أيدوجرافوس	١٨٠ ـ ١٦٠ ق.م.
٨ ـ أريستاخوس الساموتراقي	١٦٠ ـ ١٤٥ ق.م.

ويلاحظ بأن المكتبة نمت نمواً مطرداً في فترة ديمتريوس وزينودوتوس، وفي منتصف القرن الثالث ق.م. صار المبنى الأصلي ضيقاً، فأنشيء ملحق للمكتبة عرف بالسارابيوم، وقد ضم الملحق وحده حوالي ٤٢,٨٠٠ لفافة بردية، وبلغ اهتمام بطليموس الثالث (٢٤٧ ـ ٢ ق.م) بالمكتبة أن فرض على كل مسافر قادم من الخارج أن يسلم أي كتاب يوجد بين أمتعته، فيصادره إذا لم توجد نسخة مماثلة في المكتبة فينسخ الكتاب ثم يعطي نسخة لصاحبه مكتوبة على ورق البردى الرخيص. كما طلب بطليموس الثالث من أمين مكتبة أثينا إعارة مكتبة الإسكندرية المؤلفات والمخطوطات غير الموجودة فيها على أن يدفع ضمانة لمكتبة أثينا مقابل إعادة المخطوطات.

هذا، وقد ضمت المكتبة مؤلفات عديدة في الفلك والطب والتنجيم والعمارة والهندسة والآداب. وقد واجه المصنف اليوناني صعوبات كثيرة في عمليات التصنيف لأنه كان عليه قبل الفهرسة أن يقرأ آلاف اللفائف من البرديات قبل تصنيفها، مع العلم أن أكثر المخطوطات القديمة لم تكن كلها تضم علماً واحداً إنما عدداً من العلوم والدراسات الإنسانية معاً، غير أنه من المؤسف أن أكثر هذه المؤلفات مع فهارسها لم تصل إلينا بسبب ضياع المكتبة، ولكن وردت أسماء بعض هذه المؤلفات في كتب المعاصرين لها

والذين أتوا من بعدها بقليل.

أما فيما يختص بعدد المخطوطات في مكتبة الإسكندرية، فقد بلغت زمن بطليموس الأول (سوتير) ما يقارب مئتي ألف لفافة بردية، ثم ارتفع العدد إلى حوالي (٥٠٠) ألف ثم إلى (٧٠٠) ألف في عهد يوليوس قيصر.

ومما يؤسف له، أن المتشددين من المسيحيين الأوائل كانوا قد أحرقوا مكتبة الإسكندرية بسبب ما تضمنته مخطوطاتها ومقتنياتها من أفكار فلسفية ودينية مخالفة للمسيحية، الأمر الذي أضاع غالبية محتوياتها. ولما افتتح عمرو ابن العاص مصر زمن الخليفة عمر بن الخطاب، جمع ما تبقى منها، وأعاد تنظيمها وترتيبها، وأضيف إليها عبر العصور الإسلامية آلاف من المخطوطات والمؤلفات.

مكتبة الإسكندرية وعصر التحدي الرقمي

توصيف مكتبة الإسكندرية[(١)]

في عصر ثورة المعلوماتية وإنجازاتها الباهرة تعود مكتبة الإسكندرية تتنفس من جديد، نافضة عن أجفانها نعاس قرون مضت، مستعيدة مجدها القديم، حاملة مشعل الحضارة، وقصب السبق والريادة.

وكان أول تحدٍ واجهته المكتبة في صحوتها الجديدة منذ أن وضع حجر الأساس عام ١٩٨٨ تحدياً جباراً يتمثل في طبيعة العصر. عصر المعلوماتية، أو عصر ثورة المعلومات والاتصالات. وكان عليها أن تواجه هذا التحدي، وأن تقف اليوم، كما وقفت بالأمس، على شاطيء المتوسط، ترسل نورها في أرجاء الدنيا وهنا يجيء التساؤل المطروح حول المكتبة؟

---

(١) د. محمد مشرف خضر: مكتبة الإسكندرية وعصر التحدي الرقمي، الأهرام ٣١ آب (أغسطس) ٢٠٠٢.

ومن ثم فقد تبنت المكتبة استراتيجية تؤهلها لامتلاك آليات، ولتصبح بذلك أول مكتبة رقمية في القرن الحادي والعشرين.

فكانت البداية بإنشاء قسم لتكنولوجيا المعلومات «IT» وإحدى المهام التي أنيطت به رقمنة المعلومات، التي تعد واحدة من أهم سمات الحضارة الجديدة، ولدينا الآن بالفعل ما يمكن أن نطلق عليه «المكتبة الرقمية» وهي تنقسم إلى قسمين الأول خاص بالمخطوطات العربية، وكان هذا تيسيراً على الباحثين من ناحية وحفاظاً على ذلك التراث من المخطوطات النادرة من ناحية أخرى، وقد صدرت بالفعل المجموعة الأولى من مخطوطات المكتبة الرقمية على أقراص مضغوطة، وما يزال العمل جارياً على إصدار مجموعات أخرى. وهناك بشرى للباحثين المهتمين بالمخطوطات، فقد أهدت الحكومة السويدية إلى المكتبة برنامجاً يتيح للباحث أن يتصفح المخطوطة على شاشة الكمبيوتر وكأنه يتصفح المخطوطة الأصلية، واسم هذا البرنامج هو «المتصفح التخيلي للمخطوطات» وقد شاهده زوار المكتبة أثناء الافتتاح التجريبي في (أكتوبر) تشرين الأول، ٢٠٠١.

أما القسم الآخر من المكتبة الرقمية فهو قسم «المكتبة العربية» وما زال العمل يسير حثيثاً فيه من أجل مكتبة عربية متكاملة على شبكة الإنترنت، حيث من المقرر أن تضم هذه المكتبة نحو عشرين ألف كتاب في مرحلتها الأولى، وسيكون هذا العمل بالتعاون مع عدد من المؤسسات الثقافية العربية كاتحاد الكتاب العرب، والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، ونادي التراث الإماراتي بأبي ظبي، وغيرها، فهو مشروع ضخم. ومن المقرر أن يترجم كثير من محتوى هذه المكتبة إلى اللغة الإنجليزية.

وهناك أيضاً مشروع الخدمة المكتبية الرقمية المتكاملة الذي سيمكن زائر موقع المكتبة على الإنترنت من الاستفادة من خدمات كثيرة فيها حول سياسات المكتبة، وأولويات عملها، ونشاطاتها المختلفة، ومقتنياتها، والتجهيزات

المتوفرة لديها، والمشروعات الثقافية والبحثية التي تضطلع بها الإدارات المختلفة بالمكتبة كل حسب اختصاصه، وفي إطار سياسة عامة للمكتبة، بوصفها مركزاً علمياً وثقافياً له خصوصيته وفرادته. وبذلك فإن أي قارىء في أي بقعة على سطح الكرة الأرضية، يستطيع الاطلاع في يسر وسهولة، وهو في مكانه، على تراث الإنسانية العظيم الذي تضمه مكتبة الإسكندرية بين جنباتها، سواء أكان هذا التراث مسموعاً أو مقروءاً، أم مرئياً.

وإضافة إلى ذلك فثمة مشروع التبادل المكتبي بين مكتبة الإسكندرية والمكتبات الدولية الأخرى بغرض التشارك في مقتنياتها جميعاً، مما يتيح مادة علمية هائلة.

وهذا سيقودنا للحديث عن ذلك المشروع الضخم، مشروع الشراكة مع أرشيف الإنترنت الدولي، وهو مشروع طموح بدأ في كاليفورنيا في الولايات المتحدة الأميركية. وبناء على هذه الشراكة فقد أهدى بروستر كال نسخة كاملة من هذا الأرشيف إلى مكتبة الإسكندرية، بما في ذلك المعدات الخاصة به. وبذلك تكون مكتبة الإسكندرية هي المركز الأول لأرشيف الإنترنت خارج حدود القارة الأميركية، وذلك ضمن خطة إنشاء مراكز دولية للأرشيف، ينتظر أن يكون المركز الثاني له في أوروبا، والثالث في آسيا.

وهذا السبق لم يأت من فراغ، فله مقدمات ضاربة في أعماق التاريخ ربما تعود إلى ما قبل الميلاد بثمان وثمانين ومائتي عام، حيث اقتنع بطليموس الأول بفكرة ديمتريوس الغاليري بإنشاء مؤسسة علمية مستقلة، فكانت مكتبة الإسكندرية منارة العلوم والفنون والآداب. ومركز الإشعاع الحضاري على العالم أجمع. . . فليس عجباً أن تصير الآن مركزاً أول للإشعاع الحضاري، وتكون هي المركز الأول لأرشيف الإنترنت في سلسلة المراكز المزمع إنشاؤها. ويضم الآن عشرة بلايين صفحة من عام ١٩٩٦ وحتى عام ٢٠٠١، وألفي ساعة من البث التليفزيوني المصري والأميركي، ويضم كذلك ألف

فيلم، وقريباً سيضم الأرشيف مليون كتاب مهدى من جامعة كارتيجي. . .

هل يعني ذلك شيئاً؟! هل يعني أن مصر تقدم للعالم بحق أول مكتبة رقمية؟ هل يعني أننا نحفظ ذاكرة الإنسانية في صورتها العصرية الرقمية. بعد أن حفظتها قروناً في أوراق البردى؟ هي يعني أن مصر تفتح أبواب حضارتها للعالم، وتقدم له المعرفة بلا مقابل؟ هل يعني أن مصر تحقق حلم الأجداد، وتقود العالم إلى مستقبل أكثر إشراقاً ينعم بالسلام والمعرفة؟

إن الباحثين يثمّنون جهود الدكتور إسماعيل سراج الدين مدير مكتبة الإسكندرية الذي نجح بوعيه وإدراكه التحدي الرقمي في زمن قصير أن يضع مكتبة الإسكندرية على الخريطة الرقمية الدولية، وهو ما يؤهل مصر لهذا التحدي الدولي.

هذا وقد وضعت مكتبة الإسكندرية نصب أعينها مجموعة أهداف أساسية تسعى حثيثاً إلى بلوغها، من أهم هذه الأهداف مواجهة التحدي الرقمي ومواكبة الثورة المعلوماتية التي طفرت آثارها في أنحاء عديدة من العالم المتقدم. . . كما تسعى المكتبة أيضاً إلى اجتياز الهوة الفاصلة بين الثقافة التراثية وعالم تكنولوجيا المعلومات، وهو ما ظهر في عدة مشروعات تراثية تطمح إلى المزج بين الأصالة والمعاصرة في أسلوب ابتكاري جديد. . .

وفي إطار هذه الأهداف الطموحة، وسعياً إلى بلوغ غاياتها، استطاعت مكتبة الإسكندرية أن تخطو خطوات ملموسة، سوف يجدها رواد المكتبة في انتظارهم بعد فترة قليلة. . . فمن ذلك أرشيف الإنترنت، قواعد البيانات الكبرى والدوريات الإلكترونية، إصدارات المكتبة الرقمية للمخطوطات النادرة، إصدارات مشروع النشر متعدد اللغات، المتصفح التخيلي للمخطوطات النادرة، الزيارة التخيلية لمتحف المخطوطات. . . وغير ذلك من المشروعات التي صارت اليوم على أرض الواقع تنتظر رواد المكتبة.

هذا بالإضافة إلى الخدمات الثقافية والمكتبات المتخصصة مثل قاعة

اطلاع مفتوحة منقطعة النظير، ومكتبات متخصصة للأطفال والنشء والمكفوفين والمواد السمعية والبصرية. وقاعات تخصصية للباحثين مثل قاعة اطلاع المخطوطات الأصلية، قاعة اطلاع الكتب النادرة، قاعة اطلاع الميكروفيلم والميكروفيش[١].

صفوة مثقفي مصر يهدون مكتباتهم الخاصة لمكتبة الإسكندرية[٢]:

بدأ سيل جارف من الإهداءات لمكتبة الإسكندرية ومبادرات من صفوة المثقفين المصريين وعائلاتهم رفعت رصيد المكتبة من الكتب مما يدل على حرص المثقفين في مصر على دعم المكتبة باستمرار. فقد أهدت «نهى يحيى حقي» للمكتبة ٩٠٤ كتب من مكتبة الأديب يحيى حقي منها تعريب قانون الحدود والجنايات وقد طبع عام ١٢٨٣هـ/ ١٩٦٢م، أما الكاتب الكبير كامل كيلاني الرائد العربي لأدب الأطفال وأول من كتب للطفل في الشرق العربي فقد أهدى ابنه «رشاد كامل كيلاني» ١٨٦٠ كتاباً من مكتبة والده من أهمها مختارات كامل كيلاني ويتضمن عدة مقالات في التاريخ والأدب والوعظ القصصي، أما الأستاذ الدكتور مصطفى الصاوي الجويني أستاذ اللغة العربية بكلية الآداب جامعة الإسكندرية فقد أهدى ابنه الدكتور عز الدين مصطفى مجموعة والده التي تزيد على ثلاثة آلاف كتاب أهمها شرح الكنز للعيني وقد طبع سنة ١٢٩٩هـ/ وتفسير الجلالين وقد طبع ١٢٨٠هـ ونأتي لصاحب الإهداءات المتميزة لمكتبة الإسكندرية الأستاذ الدكتور هنري أمين عوض، (طبيب مصري) وقد تنوع عطاؤه بين الكتب النادرة والعملات الأثرية ونوادر المقتنيات التي كان آخرها ديناراً بيزنطياً من الذهب يعود إلى الإمبراطور جستنيان، وآنية عتيقة من قرن الحرتيت صنعت في النوبة القديمة وصليباً من فجر المسيحية بمصر صور

---

(١) أنظر: أحمد بهجت: مكتبة الإسكندرية، الأهرام، ٤ آب (أغسطس) ٢٠٠٢.

(٢) أنظر: سهيلة نظمي: صفوة مثقفي مصر يهدون مكتباتهم الخاصة لمكتبة الإسكندرية، الأهرام، ٤ آب (أغسطس) ٢٠٠٢.

عليه المسيح مصلوباً وجد في خرائب الفسطاط. ومن كتبه النادرة تأملات إسحاق بيكر ستاف (لندن ١٧٤٣) وخواطر ليلية حول الحياة والموت والخلود (هامبورج ١٨٧٧) وراحة القديسين الأبدية (سالوب ١٧٥٩).

أما دريني خشبة فيعتبر أحد أهم العلامات في تاريخ مصر الثقافي المعاصر فقد كان أستاذاً للأدب والنقد المسرحي، وقد أهدى ابنه المفكر المصري سامي خشبة مجموعة من نوادر كتبه بلغت ١٠٠ كتاب من أهمها «كرامر» وهو وصف تاريخي وجغرافي لليونان القديمة، وقد أهدى الدكتور السيد محمد بدوي مكتبته الخاصة والتي تشتمل على ١٣٧٨ كتاباً ومن أندرها كتاب «تاريخ مصر» للمفكر الفرنسي الشهير هانوتو. أما صلاح راتب الكاتب والمؤلف المسرحي المعروف فقد أهدت زوجته ليلى عبد الجواد ٣١٢٠ كتاباً للمكتبة من أهمها ثلاث قصص (لا يبزج ١٨٦٩) وكتاب غرائب الأخبار عن شرق إفريقيا وزنجبار (١٩٠١م). كما أهدى فاضل القباني مجموعة والده الخاصة الشاعر السكندري الكبير عبد العليم القباني الذي قضى حياته بالإسكندرية منذ عام ١٩٢٣ وتضم المجموعة ١٨٢٥ كتاباً منها طائفة من المخطوطات، والكتب النادرة مثل مخطوطة «حاشية الدلجي على رسالة الاستعارات» بالإضافة إلى طبعة قديمة من العهدين القديم والجديد (بدون تاريخ) كما أهدت أسرة الفنان محمد ناجي وشقيقته الفنانة عفت ناجي مكتبتهما التي تتألف من ٢٠ كتاباً من بينها كتاب «أشعار مدام دي بورد فالمور» وهو مطبوع في باريس عام ١٩٢٢، وقد أهدى الكونت فردال الذي ينتمي إلى أسرة إيطالية عريقة ترجع أصولها إلى مارك أنطونيو كتاب دراسات أكاديمية للمؤرخ الإيطالي أنطون ماريا سلفيني وهو مطبوع في فلورنسا عام ١٧٢٥. وفي هذا الكتاب النادر فصول عن المكتبة القديمة وظروف إحيائها وفصول عن الإسكندر الأكبر.

أما الفنان حسين بيكار فقد أهدى مكتبته الخاصة ٨٦٨ كتاباً من بينها

«عالم جبران خليل جبران» وقد كرمته مكتبة الإسكندرية في الافتتاح التجريبي لها عام ٢٠٠١.

فضلاً عن ذلك، فإن إبراهيم فتحي حمودة الأستاذ الذي أنشأ هيئة الطاقة الذرية وقد أهدت زوجته الصحفية بهيجة نجاتي ٧١٧ كتاباً من مكتبة زوجها.

والدكتور ألفونس فرج الطبيب المشهور الذي أهدى مكتبته الخاصة والمكونة من ٨٦ كتاباً منها أندر الكتب «المرشد في الطب المطبوع في باريس ١٨١٣» والقاموس الجديد للطب والجراحة (باريس ١٨٧٢).

أما إسماعيل حلمي عضو المجالس القومية المتخصصة، رئيس مجلس إدارة جمعية الكتاب فقد أهدى مجموعة نادرة من مقتنياته الشخصية مثل العدد الأول من جريدة الأهرام والنظارة الشمسية للملك فاروق ونظارة النظر والمسافات الخاصة بالفنان محمود سعيد ومصحف صغير مقاس (٣ × ٤) سم وأصغر غليون في العالم طوله ٤ سم.

وأهدت الطبيبة ابتسام محمود مكاوي لرصيد المكتبة مجموعة مهمة من الكتب بعضها من مكتبتها الخاصة والبعض الآخر من مكتبة زوجها الراحل الطبيب الشهير علي زكي شافعي كما أهدت وسام العلوم والفنون الحاصل عليه زوجها ليكون ضمن مقتنيات المكتبة، أما رائد فن التصميمات المعمارية الذي صمم ضريح أغاخان بأسوان ومبنى مجلس قيادة الثورة ومسجد الشعب بالقاهرة فقد أهدت ابنته الدكتورة إيناس فريد شافعي مكتبة والدها لمكتبة الإسكندرية ومنها كتاب نادر جداً «فجر الحضارة لماسبيرو» وألبوم صور نادرة لمدينة لايبزج الألمانية يعود تاريخها إلى القرن التاسع عشر.

ومن المقتنيات الحديثة في مكتبة الإسكندرية وثائق فرنسية تاريخية على غاية من الأهمية، فقد تسلم الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالي والدولة للبحث العلمي عدداً ضخماً من نسخ الوثائق والخرائط المرجعية وأفلام ميكروفيلمية تحكي تاريخ بدء وتنفيذ حفر قناة السويس وأنواعاً أخرى من

الوثائق التاريخية التي تتضمن تفاصيل أهم الأحداث خلال حفر القناة والمراسلات المتبادلة والتقارير الفنية والمالية والخرائط المبدئية والنهائية والسجلات السياسية والاقتصادية، والذين قاموا بالتناوب على العمل من الفرنسيين والحسابات الخاصة باختيار مكان الحفر وطوله وعمقه وعرضه ودراسات عن حالة الجزر والأدوات التي استخدمت وأعداد المصريين والفرنسيين المشاركين في العمل، بالإضافة إلى عدد من الخرائط لعدد من الأراضي المصرية والدلتا والتي تمّ أساسها اختيار الموقع خاصة مدن بورسعيد وبورتوفيق والإسماعيلية وبوغاز رشيد والخرائط الأخرى المعاونة طوبوغرافية مصر.

وتضم هذه الوثائق الضخمة (٤٠٠) وثيقة من منتصف القرن التاسع عشر وحتى عام ١٩٥٦ سيتم وضعها جميعاً في مكتبة الإسكندرية وهي مهداة من هيئة الوثائق الفرنسية وجمعية «أصدقاء فرناند ديلسبس» الفرنسية، وأعلن رئيس الوفد الفرنسي جان بول كالون أنهم على استعداد كامل لإرسال أي مستندات أو وثائق تطلبها مصر عن قناة السويس أو أي موقع آخر ما دامت هي موجودة لدينا أو في مكان آخر، وقد تقرر أن تكون هناك منحة فرنسية من الهيئة لباحث مصري يتم اختياره من خلال وزارة التعليم العالي المصرية لمدة تتراوح ما بين ٦ أشهر أو سنة للبحث في جميع الوثائق الفرنسية في الهيئة.

وقال الدكتور مفيد شهاب أن الوزارة أرسلت للهيئة منذ عدة شهور تطلب نسخاً من هذه الوثائق لضمها إلى مكتبة الإسكندرية التي تضم العديد من المستندات والوثائق والكتب النادرة خاصة أن هذه الوثائق هي الجسر بين الماضي والحاضر وسيستفيد منها الباحثون بالدرجة الأولى وأنهم سيبدأون في عمل عدد آخر من الوثائق التي تحتاج إليها عن طوبوغرافية مصر وسيتم إرسالها أولاً بأول خاصة بعد أن أشاد الوفد الفرنسي خلال زيارته للإسكندرية بالمباني الجديدة لمكتبة الإسكندرية.

وطالب الدكتور يونان لبيب رزق أستاذ التاريخ المعاصر بضرورة وضع نسخة أخرى من هذه الوثائق بدار الوثائق المصرية خاصة أن هناك عدداً من الرسائل العلمية أعدت في الجامعة وتضمها الدار تحكي تاريخ قناة السويس وهذه الوثائق إضافة مهمة جداً للباحثين ودعم للمكتبة بالإسكندرية.

وأشاد الدكتور فتح الله الخطيب عضو مجلس إدارة مكتبة الإسكندرية بالتعاون الوثيق من الجانب الفرنسي في إنشاء المكتبة، وأكد ضرورة تلبية ما طالب به الدكتور يونان لبيب بوضع نسخة بدار الوثائق المصرية، حيث إن دراسة تاريخ القناة تقليد قديم بالجامعات المصرية.

وقال الدكتور حسنين ربيع أستاذ التاريخ أن الوثائق تشكل مادة تاريخية خصبة تضم بيانات ومعلومات تفيد الباحثين في هذا المجال من خلال مقارنتها وتحقيقها تاريخياً بوثائق وسجلات ووقائع أخرى موجودة في دور الوثائق المصرية وتلك الموجودة في قصر عابدين.

وأكد الدكتور محسن زهران مدير مكتبة الإسكندرية السابق، على الدور الفرنسي في إنشاء المكتبة وقيمة تلك الوثائق الفرنسية وأهمية وجودها بمصر مما يؤكد تقوية العلاقات المصرية ـ الفرنسية في جميع المجالات(١).

هذا وقد أعلنت الأونيسكو أن افتتاح مكتبة الإسكندرية في ١٦/ ١٠/ ٢٠٠٢ «يشكل الولادة الثانية للمكتبة ذات السمعة الأسطورية، التي أنشأها بطليموس الأول قبل نحو ألفي عام في شمال مصر». وقال مكتب الإعلام في منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم في بيان وزّعه أن الأونيسكو دعمت إنشاء المكتبة انطلاقاً من اقتناعها بضرورة تزويد الإسكندرية ومنطقة حوض البحر الأبيض المتوسط مركزاً علمياً وثقافياً بامتياز، كما أنها تندرج في صميم المهمة التي تنهض بها المنطقة والمتمثلة في تنمية المعرفة ونشرها

---

(١) أنظر: محمد حبيب: وثائق تاريخية تحكي قصة حفر القناة، الأهرام، ١٤/ ١٢/ ١٩٩٨.

بهدف التأكيد على الهوية وعلى التنوع الثقافي، والتفاهم والحوار بين الحضارات.

يُذكر أن مكتبة الإسكندرية تشكل، على غرار أوبرا سيدني ومتحف غوغنهايم في نيويورك، إنجازاً هندسياً استثنائياً. وهي تتسع لثمانية ملايين كتاب (فيها حالياً ٢٤٠٠٠٠). وتضع في متناول الجمهور (٥٠٠) كومبيوتر لمراجعة قائمة الكتب المتنوعة وبلوغ المواقع الألكترونية على شبكة الويب لأبرز المراكز الدولية للتعليم، والتي اختارها أمناء المكتبة. أما القاعة المخصصة للمطالعة، فهي فريدة من نوعها: فسحة مفتوحة على مساحة ١٧٠ ألف متر مربع ومقسمة على أحد عشر مستوى لاستيعاب ١٧٠٠ شخص.

ويقول مدير المكتبة إسماعيل سراج الدين أن هذه القاعة ليست «أكبر قاعة للمطالعة في العالم» فحسب، وإنما أيضاً «الأكثر جمالاً». فالنور الطبيعي الخافت الذي يرشح عبر أنحاء المكان وارتفاع السقف القائم على مجموعة من الأعمدة يولدان جواً ملائماً للدراسة، جديراً بأن يوصف بـ«كاتدرائية المعرفة».

يظهر المبنى على شكل قرص شمسي صاعد من الأرض في مواجهة البحر. مطمور في جزء منه ويبلغ ارتفاعه الإجمالي ١٦٠ متراً، ويحيط به سور من حجر أسوان (غرانيت) على شكل هلال نقشت عليه حروف من الأبجدية بمئة وعشرين لغة. ويرمز هذا الصرح إلى الانفتاح وعظمة المعرفة. وهو من تصميم مكتب الهندسة النروجي «سنوهيتا» الذي فاز عام ١٩٨٩ بالمباراة التي نظمتها الأونيسكو. وتمت أعمال البناء بإشراف المهندس المصري ممدوح حمزة الذي قبل التحدي المتمثل في بناء جزء من الصرح عند ١٨ متراً تحت مستوى البحر. وبالإضافة إلى المكتبة، يشتمل المبنى على مركز للمؤتمرات يستوعب ٣٢٠٠ شخص، وقبّة فلكية، ومكتبة طه حسين للمكفوفين التي تحتوي على كتب بالأحرف النافرة (برايل) التي تقرأ باللمس، والتي صنعت بواسطة التكنولوجيا الرقمية. وفي المبنى مكتبة للأطفال، وخمسة معاهد

للأبحاث، منها المعهد الدولي لعلوم الأعلام، ومختبر حفظ المخطوطات. وفيه أيضاً مركز للإنترنت وثلاثة متاحف للمخطوطات، وفنّ الخطّ، والعلوم، وأربع صالات للعروض الفنية.

وتجدر الإشارة إلى أنه تمّ حفظ جزء من المخطوطات والكتب النادرة (البالغ عددها ١٠ آلاف) من مجموعة المكتبة بفضل استخدام وسائل التكنولوجيات الرقمية. فما على الزائرين مثلاً سوى لمس شاشة الكومبيوتر لتقليب الصفحات الإلكترونية من نسخة قديمة جداً من القرآن الكريم. ذلك أن الاستعانة بتلك الوسائل تضمن حفظ الوثائق القيّمة وتسمح للباحثين وللجمهور على السواء بالاطلاع على كل النسخ بسهولة مطلقة. وفي مرحلة أولى، ستكون هذه الوظيفة محصورة في المتحف نفسه، على أن يعمم بلوغ هذه الوثائق في فترة لاحقة عن طريق الإنترنت. ويتوقع لهذا المركز الثقافي الدولي الكبير أن يتحول إلى نقطة لقاء للمفكرين والفنانين والعلماء من العالم أجمع.

وتحملت الحكومة المصرية ١٢٠ مليوناً من ٢٢٠ مليون دولار لتمويل المشروع. أما بقية المبلغ (١٠٠ مليون)، فقد توافر بفضل هبات دولية. وشاركت «الأونيسكو» في هذا المشروع منذ عام ١٩٨٦، مع ولادة فكرة بناء مركز متطور للتعليم والبحث لتعيد رفع بيرق رسالة المكتبة القديمة. وفي عام ١٩٨٧، أطلقت المنظمة نداء دولياً لإعادة إحياء مكتبة الإسكندرية القديمة، وأجرت دراسة جدوى أثبتت أن منطقة حوض المتوسط بحاجة إلى مكتبة كبرى. وفي واقع الأمر إن إحدى أولويات مكتبة الإسكندرية تكمن تحديداً في توفير مجموعة شاملة من الكتب التي تُعنى بالحضارات المتوسطية. وفي عام ١٩٨٨، نظمت الأونيسكو بالتعاون مع الاتحاد الدولي للمهندسين المعماريين وبرنامج الأمم المتحدة للتنمية مباراة دولية للهندسة المعمارية. ووقع اختيار لجنة التحكيم على مشروع مكتب سنوهيتا النروجي من بين ١٤٠٠ مشروع من ٧٧ بلداً. وفي عام ١٩٩٠، شاركت المنظمة في تنظيم اجتماع أسوان الذي أثمر أول مساهمة مالية دولية في المشروع (٦٥ مليون دولار أميركي)، جاء

القسط الأكبر منها من البلدان العربية. كما وفّرت المنظمة مزود خدمات إنترنت بالإضافة إلى موارد مالية لتطوير موقع المكتبة على الشبكة. وساهمت أيضاً في إنشاء مكتبة إلكترونية للمكفوفين ومختبر لحفظ المخطوطات. كما قدمت موارد لتدريب أمناء المكتبة، ولإعداد المراجع. وتمّ توفير المساعدة كذلك لإعداد الوثائق التقنية والتوجهات العامة في مجال النظم المعلوماتية الخاصة بالمكتبة، وصيانتها، وشراء التجهيزات، وتمويل برنامج المعهد الدولي لعلوم الإعلام الذي أقيم في مبنى المكتبة.

يذكر أن مكتبة الإسكندرية القديمة، التي أنشأها بطليموس الأول عام ٢٨٨ قبل الميلاد، كانت تشكل جزءاً من معبد «ربات الشعر» الذي كان يشمل جامعة الإسكندرية، إحدى أولى الجامعات في تاريخ الإنسانية، وحيث كان يلتقي الشعراء والعلماء والفنانون الذي كانوا يحلون ضيوفاً على سلالة بطليموس. وكانت المكتبة تضم نحو ٧٠٠ ألف مخطوط يرقى بعضها إلى القرن الثالث قبل المسيح. وتعرضت المكتبة للعديد من الحرائق ولسلسلة من الهجمات موزعة على أربعة قرون ونصف قرن، تسببت بإندثارها.

وشهدت مكتبة الإسكندرية الترجمة الأولى للعهد القديم من اللغة العبرية إلى لغة الإغريق، وفيها أكد أريسطارك دو ساموس أن الأرض تدور حول الشمس، وحسب ايراتوستان محيط دائرة الأرض، واكتشف هيروفيليوس أن العقل يحكم الجسد، واخترع اقليدس علم الهندسة. ولعل المكتبة الجديدة تسعى للحفاظ على روح تلك المؤسسة التي اتسمت شهرتها بهالة أسطورية. «إنه لأمر رائع حقاً أن نرى من جديد، وسط الحروب المتعاقبة، وفي وقت يكثر فيه الحديث عن «تصادم الحضارات»، قيام مؤسسة في مصر، على بُعد أمتار قليلة من المكان الذي اشتهرت به مكتبة الإسكندرية القديمة. وهي مؤسسة ستعنى كسابقتها بالمعرفة الكونية، وبقيم التفاهم المتبادل والتسامح»[١].

---

(١) أنظر: النهار (من مراسلها في باريس) ١٤/ ١٠/ ٢٠٠٢.

هذا، وقد افتتحت مكتبة الإسكندرية في ١٦ تشرين الأول (أكتوبر) عام ٢٠٠٢ بحضور الرئيس المصري حسني مبارك والرئيس الفرنسي جاك شيراك وملكة إسبانيا والعديد من قيادات دول العالم، وقد أمل الجميع أن تؤدي هذه المكتبة دورها الريادي والعالمي والثقافي والحضاري لجميع شعوب العالم. يبقى الإشارة وفاء وتقديراً، إلى أن إحياء هذه المكتبة، إنما نتيجة فكرة واقتراح من الدكتور مصطفى العبادي أستاذ التاريخ القديم في جامعة الإسكندرية.

٢ ـ أرشيف مكتبة الأسد الوطنية (دمشق):

تعتبر مكتبة الأسد من المكتبات الحديثة في دمشق، وقد افتتحت عام ١٩٨٤ بهدف أن تكون المكتبة المركزية الأولى من حيث اتساعها وحجمها، ومن حيث عدد المصادر والمراجع والمخطوطات والوثائق المودعة فيها.

وبالفعل فقد باتت مكتبة الأسد اليوم من أهم المكتبات السورية، لما تضمه من أمهات المصادر العربية والأجنبية. كما تكمن أهميتها في احتوائها على آلاف المخطوطات العربية التي تمثل الفكر والثقافة والحضارة العربية والإسلامية، وهذه المخطوطات في معظمها من مجموعة المكتبة الظاهرية في دمشق(١)، ومن مكتبات حلب وحماه وحمص واللاذقية وسواها من المكتبات السورية، حيث تمّ تصوير هذه المخطوطات لإيداعها في مكتبة الأسد، كما أودعت في المكتبة ذاتها بعض المخطوطات الأصلية، في حين تمّ تصويرها لإيداعها في مكتبات أخرى لضمان حفظها، وتعميم الاستفادة العلمية منها. بالإضافة إلى احتوائها على (٢٠) ألف مخطوطة، وعلى (٣٥) ألف مخطوطة مصورة على ميكروفيلم من مجموعة معهد التراث العلمي

(١) تأسست دار الكتب الظاهرية في دمشق عام ١٨٧٦ في مبنى تراثي قديم هو في الأصل مبنى المدرسة الظاهرية. وقد ضمّت المكتبة الظاهرية أمهات المخطوطات والمصادر القديمة التي نقلت بغالبيتها إلى مكتبة الأسد.

العربي في حلب[١].

ومن الأمور المميزة في مكتبة الأسد، فضلاً عن أمهات المصادر والمخطوطات، وجود مجموعة من الوثائق الدبلوماسية والقنصلية البريطانية والفرنسية والألمانية والإيطالية وسواها من المجموعات الوثائقية، وذلك للفترات الممتدة من العهد العثماني حتى الاحتلال الأجنبي وعهود الاستقلال، مما يوفر للباحث السوري والعربي الاطلاع على وثائق أصيلة وهامة، كما يوفر عليه عناء السفر إلى عواصم أوروبا للحصول على هذه المجموعات القيمة من الوثائق والمراسلات السياسية.

ولا بد من الإشارة أيضاً بأن مكتبة الأسد تعتمد أحدث الأساليب التقنية في تصنيف المصادر والمخطوطات والوثائق، وفي طريقة حفظها، وطريقة ترميمها، وفي أسلوب الحصول عليها، مما يسهل مهمة الدارسين والباحثين والزائرين للمكتبة.

٣ ـ مركز الوثائق التاريخية (دمشق):

تأسس هذا المركز في دمشق عام ١٩٥٩، وهو يحتوي على الأرشيف الرسمي الوطني السوري، ويقع المركز في مبنى تاريخي بمحاذاة متحف تاريخ دمشق، ويضم أرشيف ووثائق ومستندات حكومية قضائية وإدارية ومالية تعود إلى العهد العثماني، ووثائق رسمية تعود إلى عهود الانتداب والاستقلال. كما يضم المركز وثائق ومذكرات على غاية من الأهمية لقادة عرب وسوريين كان لهم تأثير على تاريخ سوريا وبلاد الشام، منها أوراق الشيخ عبد الرحمن الكواكبي، وسلطان باشا الأطرش، وخالد العظم، والملك فيصل بن الشريف حسين، وغيرهم من القادة العرب.

---

(١) أنظر مقال: مراكز ومصادر البحث التاريخي في دمشق لفاطمة شرف الدين كمال، منشور في نشرة جمعية المكتبات اللبنانية، المجلد الرابع، العدد الثاني، شتاء ١٩٩٧.

وبالإضافة إلى ذلك فإن أرشيف المركز بضم منشورات ووثائق بعض الأحزاب والجمعيات السورية والعربية مثل الجمعية القحطانية، والمنتدى الأدبي وغيرهما. كما يضم المركز حوالي ستة آلاف صورة تذكارية لشخصيات عربية وسورية أخذت في مناسبات وطنية. ويضم أيضاً مجموعة كتب هامة. ومنذ عام ١٩٩٠ بدأت الجهود لوضع فهارس لمجموعات الوثائق والمستندات العثمانية، وقد انتهى العمل منها واكتملت اليوم، ويجري منذ فترة وضع فهارس لوثائق مرحلة الحرب العالمية الأولى، ومن ثم مرحلة الانتداب الفرنسي. والجدير ذكره أن الدخول إلى المركز والعمل على وثائقه يحتاج إلى إذن خاص من مديرية الآثار والمتاحف[١].

٤ ـ المؤسسة الفرنسية للدراسات العربية (دمشق):

(Institut Français des Etudes Arabes à Damas):

تأسست هذه المؤسسة الفرنسية في عام ١٩٢٢ في فترة الانتداب الفرنسي. وكان للمستشرقين لا سيما (Jean Sauvaget) و (Louis Massignon) الدور الأساسي في تحويل اتجاه المؤسسة من الاهتمام بدراسة علم الآثار والفنون إلى التركيز على دراسات خاصة عن الشرق الأوسط.

يضم هذا المعهد مجموعة خرائط تاريخية قيّمة تبلغ حوالي ثلاثة آلاف خريطة، من ضمنها خرائط هامة لمدينة دمشق القديمة. وفيه العديد من الدوريات التي تبلغ (٩٠٠) دورية في مختلف اللغات من جميع أنحاء العالم، وهي مخصصة لدراسة منطقة الشرق الأوسط وقضاياها. وتضم المؤسسة ـ المعهد آلاف من الكتب المتخصصة، كما تقوم بنشر دورية متخصصة هي «مجلة الدراسات الشرقية» (Bulletin des Etudes Orientales) كما تعكف

(١) أنظر: فاطمة شرف الدين كمال، المرجع السابق، ص ١٠.

المؤسسة على نشر كتب ودراسات لباحثين تابعين لها، بلغت حتى اليوم أكثر من (١٥٠) كتاباً في مجالات التاريخ والدين والآثار والأدب. كما تقوم المؤسسة بتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، لا سيما الباحثين الفرنسيين والأجانب، ويتولى إدارة المؤسسة بعض الأكاديميين الفرنسيين.

٥ ـ دار الكتب المصرية (القاهرة)[١]:

تعتبر دار الكتب المصرية في مقدمة الهيئات العلمية العربية التي عملت على إحياء التراث العربي ونشره على أوسع نطاق، وكان لقسمها الأدبي الذي نشأ في عشرينات القرن العشرين دور كبير في نشر وإخراج المخطوطات المحققة، بالإضافة إلى تخريج أجيال من المحققين الذين تلقوا تدريبهم على أيدي كبار المحققين الرواد الذين تولوا مسؤولية ذلك القسم.

ومن نفائس كتب التراث التي أصدرها القسم الأدبي في بداية عمله كتاب «صبح الأعشى» للقلقشندي سنة ١٩٢٠، و «نهاية الأرب» للنويري سنة ١٩٢٣، و «الأغاني» للأصفهاني سنة ١٩٢٧، وغيرها من المؤلفات في مختلف فروع العلم، والتي يحجم الكثير من الناشرين عنها لكبر حجمها.

وامتداداً لذلك الدور المزدوج بين تدريب المحققين ونشر كتب التراث، أنشأت دار الكتب سنة ١٩٥٧ مركز تحقيق التراث ليخلف القسم الأدبي في وظيفته بعد فترة توقف قصيرة، قام على أثرها المركز بنشر وتحقيق عدد كبير من المخطوطات العربية نذكر منها: ديوان ابن الرومي، ومقدمة ابن الصلاح، وشرح اللزوميات لأبي العلاء المعري، ونزهة النفوس والأبدان لابن الصيرفي. وفي هذه الأيام يشهد المركز نشاطاً مكثفاً يتمثل في عقد دورات

---

(١) أنظر: فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية (٩ أجزاء) مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٢٦ ـ ١٩٥٩.

تدريبية للباحثين، واستخدام أحدث الوسائل في فهرسة وحفظ وصيانة المخطوطات، بالإضافة إلى تشكيل لجنة من كبار العلماء للإشراف على عمل اللجان في المركز[1].

وعن هذا النشاط يقول الدكتور محمد فهمي حجازي، رئيس دار الكتب: إن مركز تحقيق التراث يشهد في الوقت الراهن نشاطاً كبيراً يستهدف تحقيق الدور المطلوب منه، وهو تخريج أجيال من المحققين الشباب يقومون باستكمال المسيرة التي بدأها الرواد، ومراعاة المنهج العلمي في التحقيق وإخراج النصوص الذاتية، بالإضافة إلى نشر أمهات كتب التراث والمصادر العربية التي يحجم الناشرون عن نشرها لكبر حجمها وضخامة تكلفتها.

ويضيف: في هذا الإطار قمنا في الأعوام الماضية بتنظيم دورة تدريبية للباحثين في المركز وبعض الهيئات العلمية الأخرى، حول تحقيق التراث والمنهج العلمي الذي لا بد أن يتوافر فيه. وقد تلقى الباحثون تدريباً نظرياً وآخر عملياً من كبار الأساتذة المختصين حول فنون التحقيق من مقابلة النصوص بين النسخ المخطوطة المختلفة، وصنع الفهارس التحليلية الكاشفة لكنوز الكتاب، والتقديم له، وبيان مكانته في المكتبة العربية، وموضوعه من كتب الفن الذي يعالجه، والترجمة لمؤلفه، وإضافة التعليقات والشروح المناسبة إلى هامش النص. ولاقت هذه الدورة نجاحاً كبيراً مما يشجعنا مستقبلاً على تنظيم مثل هذه الدورات سنوياً، وستكون مفتوحة لكل الباحثين والمحققين من خارج دار الكتب حتى يستفيد منها أكبر عدد ممكن من العاملين في هذا المجال.

ويشير الدكتور حجازي إلى قرار آخر اتخذته دار الكتب في نهاية عام

---

(١) هذه المعلومات مستقاة من: عاطف مظهر: نشاط حافل لمركز تحقيق التراث في دار الكتب المصرية، صحيفة الحياة، ١٩٩٦/٦/٢٣، العدد ١٢١٧٢.

١٩٩٥ وهو تشكيل لجنة علمية من كبار العلماء البارزين للإشراف على المركز. وتضم هذه اللجنة التي يرأسها الدكتور حسنين ربيع، كلاً من الدكتور محمود علي مكي، والدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، والدكتور حسين نصار، والدكتور حسن الشافعي، والدكتور محمود الطناجي.

وتناقش اللجنة في اجتماعاتها مشاريع المركز المستقبلية، واختيار الكتب المحققة، وعرض التقارير المقدمة بفحص بعض الكتب المحققة وإجازتها للطبع، ومراجعة أعمال لجان المركز. وقررت اللجنة في اجتماعها الأخير إرجاء النظر في تحقيق كتاب «مسالك الأبصار» لابن فضل الله العمري حتى يقوم المركز بمتابعة أجزاء هذا الكتاب المتفرقة التي كان سبق تكليف بعض الأساتذة بتحقيقها منذ مدة طويلة.

ويضيف حجازي: إن دار الكتب بدأت منذ سنوات ادخال أحدث الوسائل العلمية والتكنولوجية في مجال ترميم وصيانة حفظ المخطوطات، بالإضافة إلى الفهرسة بالكمبيوتر، وذلك بعد مرحلة الإحصاء المبدئي لمخطوطات دار الكتب التي تقدر بحوالي ٦٠ ألف مخطوطة في مختلف العلوم، ويجري العمل منذ فترة على مرحلة الوصف البيبلوغرافي، ثم تأتي مرحلة الوصف المفصل بعد ذلك.

ويقول سيد عرب مدير مركز تحقيق التراث: إن المركز يضم مجموعة من المحققين على درجة عالية من الكفاءة في فن التحقيق والمقابلة والفهرسة. ويتكون المركز من لجان عدة يشرف على كل لجنة أستاذ متخصص يعاونه عدد من الباحثين، فهناك على سبيل المثال أربع لجان للتاريخ هي: لجنة تحت إشراف الدكتور حسن حبشي تقوم بتحقيق كتاب «عنوان زمان» للبقاعي، ولجنة تحت إشراف الدكتور حسنين ربيع تقوم بتحقيق كتاب «مفرج الكروب في أخبار دولة بني أيوب» لابن واصل، ولجنة تحت إشراف الدكتور محمد أمين تقوم بتحقيق كتاب «عقد الجمان» لبدر الدين العيني في العصر المملوكي،

والكتاب نفسه يقوم بتحقيقه الدكتور محمود رزق فيما يختص بالعصر الأيوبي.

أما لجنة الأدب التي يرأسها الدكتور حسين نصار فتقوم بتحقيق كتاب «منتهى الطلب من أشعار العرب» لابن ميمون، وكتاب «شرح لزوميات أبي العلاء» وهناك لجنة للغة تحت إشراف الدكتور رمضان عبد التواب، أما لجنة العلوم الإسلامية والفلسفة فتقوم بتحقيق كتاب «مدارج السالكين» لابن تيمية، تحت إشراف الدكتور عبد الحميد مدكور.

وعن الإنتاج الحالي لأعمال تلك اللجان يقول مدير المركز: يجري حالياً طبع عدد من الأجزاء لبعض الكتب المحققة مثل الجزء الثامن من كتاب «المنهل الصافي» لابن تغري بردي، والجزء الثاني من كتاب «الروضتين في أخبار الدولتين» لأبي شامة، والجزء الثاني من «مدارج السالكين» والجزء الأول من كتاب «منتهى الطلب» كما يجري الإعداد النهائي للجزء الرابع من «شرح اللزوميات» وإعداد فهارس شاملة له، بالإضافة إلى الأجزاء من الثاني إلى الخامس من كتاب «منتهى الطلب» وتتم الآن أيضاً مراجعة الجزء الثالث والثلاثين من كتاب «نهاية الأرب في فنون الأدب» للنويري.

ويؤكد سيد عرب أن المركز في الآونة الأخيرة أصبح يعتمد بصفة أساسية على باحثيه الذين اكتسبوا خبرة كبيرة في مجال التحقيق. فأعمال تلك اللجان في جميع مراحل التحقيق المختلفة يقوم بها محققو المركز الذين بلغوا درجة عالية في هذا الفن، وأصبح يسند إليهم تحقيق كتب كاملة تحت الإشراف الأدبي فقط من الأساتذة رؤساء اللجان، الذي يقتصر دورهم على التوجيه البسيط والمراجعة النهائية للعمل في المرحلة الأخيرة منه.

ويختتم مدير المركز كلامه بقوله: إن المركز هيئة علمية في المقام الأول، ويؤدي رسالة سامية في مجال حفظ ونشر التراث العربي، فنحن ننشر بغرض خدمة العلم وإحياء التراث وليس بهدف الاتجار والتكسب من وراء ذلك، ولهذا فنحن لا نتعجل نشر المخطوطات إلاً بعد أن تأخذ وقتها كاملاً

في عملية التحقيق والفهرسة والمراجعة، وهذا ما يميز المركز عن بعض الجهات الأخرى التي تعمل في مجال نشر التراث العربي.

ومما يؤسف له، أن المخطوطات العربية ضاع قسم كبير منها على مرّ التاريخ، ويرى السيد خميس البكري في مقال تحت عنوان «ذاكرة الأمة في مخطوطاتنا» إن مخطوطات دار الكتب القومية «دار الكتبخانة الخديوية» سابقاً قد تدنى عددها من (١٨٥) ألف مخطوط إلى (٥٥) ألف مخطوط وفي رأيه أن عملية التدني هذه، إنما مردها إلى عمليات التسرب المشروعة وغير المشروعة، لذلك طالب بالحفاظ على بقية المخطوطات، لأن فيها ذاكرة مصر والأمة[١].

٦ ـ مكتبة الأزهر الشريف[٢]:

تعتبر مكتبة الأزهر الشريف، من أقدم وأشهر المكتبات العلمية والدينية والثقافية في مصر والعالم، فهي تضم أكثر من مليون كتاب من مختلف علوم المعرفة إلى جانب حوالي ٢٤ ألف مخطوطة نادرة.

وقد ارتبط تاريخ المكتبة بنشأة الجامع الأزهر من عهد الفاطميين، إذ تحول الجامع بعد إنشائه بسنوات عدة إلى معهد علمي يدرس فيه الفقه كما تدرس الشريعة وعلوم الدين، وحرص الخلفاء والولاة والعلماء على تزويده بالمخطوطات والكتب الدينية والعلمية التي يحتاجها طلاب العلم.

وكان كل رواق من أروقة الجامع يحتفظ بالكتب والمخطوطات الخاصة به حتى تكونت خزانة للكتب بدأت الإشارة إليها في كتب التراث بعبارة صغيرة أطلقها: «ابن ميسر» في كتابه «أخبار مصر» قال فيها إنه أسند إليّ داعي الدعاة أي الفخر صالح منصب الخطابة في الجامع الأزهر مع رعايته لخزانة الكتب فيه.

---

(١) أنظر: خميس البكري: ذاكرة الأمة في مخطوطاتنا، الأهرام ١٧/ ١٢/ ٢٠٠٢.
(٢) انظر: اللواء، ٦/ ٩/ ٢٠٠٢.

واستمرت خزانة الكتب في الأزهر تقوم بدورها في خدمة العلم والدين حتى جاءت الحملة الفرنسية على مصر بقيادة الجنرال نابليون بونابرت عام ١٧٩٨م ودخل الفرنسيون الأزهر وأهدروا الكثير من كتب الخزانة، وأحرقوا الكثير منها للتدفئة، وخربوا الأروقة وما بها من المخطوطات.

وبعد خروج الفرنسيين من مصر تشكلت لجنة في عام ١٨٠٥ لجمع ما تبقى من كتب ومخطوطات الأزهر البالغ عددها ٢٤ ألف مخطوطة، وإنشاء خزانة عامة للكتب ومحو آثار التخريب الذي أحدثته الحملة الفرنسية.

ويقول الشيخ جمال قطب أحد الوعاظ بالأزهر: من عام ١٨٥٣ أمر ديوان عموم الأوقاف بجرد مكتبات المساجد والتكايا وأروقة الأزهر في سجلين جامعيين بلغ فيها مجموع هذه المجلدات ١٨٥٦٤ مجلداً، لا يوجد فيها اليوم سوى أسمائها فقط نتيجة سنوات الضياع والجمع والطمس والتخريب الذي تعرضت له المكتبة.

٧ ـ المدرسة الأقبغاوية التابعة للأزهر الشريف:

يقول د. جمال قطب في عام ١٨٩٧ ميلادية تم إنشاء مكتبة الأزهر حيث جمعت كل كتب الأروقة وأصبح مقرها المدرسة الأقبغاوية، وهي إحدى مدارس الأزهر التاريخية، أنشأها الأمير أقبغا عبد الواحد عام ـ ٧٤٠ هجرية ـ ١٣٤٠ ميلادية، وقام الإمام محمد عبده بدور كبير في جمع شتات هذه المكتبة التي تفرقت بين أروقة الجامع وفي المساجد الكبرى في القاهرة، حيث كانت الكتب والمخطوطات تتعرض للسرقة وبيعها لسماسرة أوروبيين. واستطاع محمد عبده الحفاظ على ما تبقى من أمهات الكتب وأندر الدوريات ودعوة كبار العلماء والأعيان إلى التبرع بما لديهم من كتب لإثراء المكتبة، وكان عدد الكتب في المكتبة عند إنشائها ٧٧٠٣ كتب منها ٦٦١٧ كتاباً جاءت بطريق

الشراء، وكان عدد مواردها وفنونها ٢٨ فناً تشتمل على المصاحف والقراءات والتفسير والحديث والبلاغة والتوحيد والمنطق والتصوف والأدب والمديح والآداب والمواعظ والأوردة والأدعية وآداب البحث والعروض والفلك والميقات والحساب والهندسة واللغة والطب والفنون.

ومع التقدم وتزويد المكتبة بكل فنون العلوم بلغ عدد كتبها في السنوات الأخيرة أكثر من مليون كتاب تقع في ١٨٣٦٦٨ مجلداً موزعة على ٦٠ فناً لكل منها عنوان خاص ومن بين ما تشمله: المصاحف وعلوم القرآن والقراءات والتفسير ومصطلح الحديث، والدين والأصول وفقه الأئمة الأربعة، المواريث وحكمة التشريع والفقه العام وعلم الكلام والمنطق وآداب البحث والفلسفة والتصوف والعروض والقوافي وتقويم البلدان والتاريخ وغيرها من العلوم.

كما تضم المكتبة مخطوطات ونوادر في كثير من الفنون، قل إن يتيسر في مكتبة أخرى إذ بلغت مخطوطاتها نحو ٢٤ ألف مخطوط، وهي متاحة لرواد المعرفة على اختلاف أجناسهم للاطلاع والاستعارة... وتتبادل المكتبة مع المكتبات الأخرى المخطوطات النادرة لنسخها أو تصويرها والاستفادة منها في الدراسات والأبحاث.

واستمرت المكتبة تقوم بدورها حتى وقع زلزال عام ١٩٩٢ الذي تعرضت له مصر فتصدعت المكتبة في موقعها في الجامع، وتقرر نقلها إلى مكان جديد يتناسب وتطورات العلم.

والمبنى الجديد للمكتبة يتكوّن من ١٤ طابقاً تتوافر فيه كل الخدمات التي يحتاجها طلاب العلم والباحثون، مثل الفهارس ونظام الميكروفيلم، إضافة إلى تصنيف المكتبة بشكل علمي في ١٤ إدارة لتوفير سرعة الأداء. ولا شك في أن هذا المبنى الجديد بتقسيماته المختلفة يعد نقلة حضارية كبرى لهذه المكتبة العريقة التي مرت بمراحل عدة من الطمس والتخريب وما زالت تحتفظ

حتى اليوم بما فيها من مخطوطات نادرة وكتب تراثية تشتمل فنون العلم والمعرفة كافة[١].

٨ ـ أرشيف ووثائق جامعة الدول العربية:

أنشئت جامعة الدول العربية عام ١٩٤٥ في القاهرة، بعد اجتماعات مكثفة بين الدول العربية المستقلة، ولفترة زادت عن السنة تمّ خلالها عقد عدة اجتماعات ما بين القاهرة والإسكندرية بحضور ممثلين عن مصر وسوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية واليمن والعراق وشرقي الأردن وممثل عن فلسطين الخاضعة وقتذاك للإنتداب البريطاني. وتمّ الاتفاق على أن تكون القاهرة المقر الدائم لجامعة الدول العربية واستمرت على هذا النحو منذ عام ١٩٤٥ حتى اليوم باستثناء فترة خروج مصر من جامعة الدول العربية بسبب اتفاقيات كامب دايفيد بين مصر وإسرائيل. فانتقل مقر الجامعة من القاهرة إلى تونس لمدة عشر سنوات تقريباً، ثم سرعان ما عاد المقر إلى القاهرة بعد مشاركة مصر في القمة العربية التي عقدت في الرباط في أيار (مايو) عام ١٩٨٩. هذا وقد تولى منصب أمين عام الجامعة منذ تأسيسها عام ١٩٤٥ حتى اليوم الأمناء العامون: عبد الرحمن عزام (مصري)، عبد الخالق حسونة (مصري)، محمود رياض (مصري)، الشاذلي القليبي (تونسي)، عصمت عبد المجيد (مصري)، عمرو موسى (مصري).

في بداية تشكيل جامعة الدول العربية عقدت دورات واجتماعات عديدة سنوية دورية واستثنائية، بالإضافة إلى الاجتماعات الدائمة الفرعية. وكان ممثلو الدول العربية سواء على مستوى الملوك والرؤساء أو رؤساء الوزراء أو

(١) للمزيد من التفاصيل يمكن الاطلاع على فهرس مكتبة الأزهر والمكتبة الأزهرية (٧ أجزاء) مطبعة الأزهر ١٩٥٢ ـ ١٩٦٢.

وزراء الخارجية يبحثون في الشؤون السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والثقافية الملحة في العالم العربي، وكانت تبحث مشكلات عديدة في مقدمتها قضية فلسطين وجلاء القوات الأجنبية عن سوريا ولبنان، والسيطرة البريطانية على مصر، والسيطرة الفرنسية على دول المغرب العربي. ومن ثم وتباعاً بحثت قضايا وأزمات عديدة سواء التي وقعت بين الدول العربية ذاتها، أو بين الدول العربية ودول أجنبية أخرى. كما بحثت أيضاً قضية تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ واشتراك العرب في حرب فلسطين ونتائجها عام ١٩٤٨، والانقلابات السورية المتكررة منذ عام ١٩٤٩ على الرئيس شكري القوتلي (انقلاب حسني الزعيم، انقلاب محسن البرازي، انقلاب سامي الحناوي، انقلاب أديب الشيشكلي وانقلابات عديدة). ثم بحثت في جامعة الدول العربية قضية الأحلاف التي شهدتها المنطقة ومنها الحلف الثلاثي الغربي، وحلف بغداد، ومشروع ايزنهاور. كما بحثت في الجامعة قضية العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦، وأحداث لبنان عام ١٩٥٨، والوحدة السورية ـ المصرية عام ١٩٥٨، والاتحاد الهاشمي بين العراق والأردن في الفترة ذاتها.

والحقيقة فإن من بين أهم المؤتمرات التي دعت إليها جامعة الدول العربية مؤتمرات القمة لمعالجة القضية الفلسطينية بشكل أساسي ونتائجها في المنطقة العربية، بما فيه ذيول ونتائج حرب حزيران (يونيه) ١٩٦٧، وأحداث الأردن في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠، وحرب تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٧٣ والحرب اللبنانية التي ابتدأت منذ نيسان (أبريل) ١٩٧٥، واتفاقات كامب ديفيد مع إسرائيل ونتائجها، وغيرها من المشكلات المتعلقة بالقضايا العربية والإقليمية والدولية التي تنعكس سلباً أو إيجاباً على العالم العربي. ومن بين القضايا التي اهتمت بها جامعة الدول العربية والتي أحدثت انقساماً حاداً بين العرب، في هذا الإطار، قضية هجوم العراق على الكويت عام ١٩٩٠، ومن ثم حرب الخليج وانعكاساتها على المنطقة منذ عام ١٩٩١، واستمرت جامعة

الدول العربية في دوراتها العادية أو الاستثنائية تبحث مختلف القضايا العربية مثل القضية الفلسطينية والانتفاضة الفلسطينية المستمرة منذ سنوات، وقضية الحصار الاقتصادي المفروض على العراق بسبب مهاجمتها الكويت، وعلى ليبيا بسبب قضية لوكربي، فضلاً عن بحث القضية اللبنانية الممتدة بين أعوام ١٩٧٥ ـ ١٩٩٠ وسواها من القضايا التي ما تزال عالقة حتى اليوم، بما فيه دراسة «قمة بيروت» إمكانية الهجوم الأميركي على العراق في وقت ما من عام ٢٠٠٣، الذي تم بالفعل في آذار (مارس) ٢٠٠٣ .

وبكلمة أخرى فإن جامعة الدول العربية ـ بغض النظر عن فعالية قراراتها ـ تبقى صيغة من صيغ العمل العربي المشترك. ومنذ إنشائها عام ١٩٤٥ حتى اليوم عقدت الكثير من الجلسات السرية أو العلنية، وأصدرت الكثير من القرارات والتوصيات بين أعوام ١٩٤٥ ـ ٢٠٠٢ كان أهمها: التوصية المتخذة في أواخر آذار (مارس) ١٩٩٧ بوقف عملية التطبيع مع الكيان الصهيوني رداً على عدم تجاوب رئيس مجلس وزراء إسرائيل «نتنياهو» مع مفاوضات السلام في المنطقة. والحقيقة فقد تكون خلال السنوات الماضية مجموعة ضخمة من محاضر الجلسات السرية أو المطبوعة، ومجموعة كبرى من القرارات والمحاضر والمضابط والمراسلات والتعاميم، بحيث باتت الجامعة تملك أرشيفاً هاماً يمثل فترة أساسية من تاريخ العرب المعاصر. وتكمن أهمية هذه المحاضر والمضابط في أنها تكشف لنا المواقف الحقيقية للكثير من الملوك والرؤساء والقادة العرب من مختلف القضايا والأزمات التي تمت معالجتها في إطار دورات الجامعة.

ويدرك المطلع على هذه المحاضر السرية حقيقة مواقف كل دولة عربية من أي موضوع نوقش داخل أروقة الجامعة، وقلّة من الباحثين والأكاديميين اطلعوا على تلك المحاضر والمضابط، لأن المسؤولين في جامعة الدول العربية لم يسمحوا بالاطلاع على وثائقها ومضابطها ومحاضرها لا سيما السرية منها، لأسباب تتعلق بمواقف الحكومات العربية في كثير من الأمور

المطروحة. لذا فإن من يطلع بشكل أو بآخر على أرشيف جامعة الدول العربية يستطيع من خلال دراسته وبحوثه عن تاريخ العالم العربي أن يقدم معلومات جديدة هامة وغير منشورة مما يعطي البحوث طابعاً جدياً[١].

أما فيما يختص بأرشيف جامعة الدول العربية، فإنه يضم مجموعات عديدة يأتي في مقدمتها المجموعات التالية:

١ ـ محاضر ووثائق مشاورات الوحدة العربية ١٩٤٣ ـ ١٩٤٤.

٢ ـ محاضر ومضابط جلسات اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي العام المنعقد في الإسكندرية ١٩٤٢.

٣ ـ محاضر ومضابط اللجنة الفرعية السياسية لوضع ميثاق جامعة الدول العربية.

٤ ـ محاضر ومضابط جلسات مجلس جامعة الدول العربية ١٩٤٥ ـ ١٩٥٠

٥ ـ مجموعات من وثائق وقرارات مجلس جامعة الدول العربية ١٩٤٥ ـ ١٩٥٢ (بعضها منشور وبعضها غير منشور).

٦ ـ قرارات جامعة الدول العربية في عدة أجزاء ١٩٥٣ ـ ٢٠٠٣.

٧ ـ محاضر ومضابط جلسات مجلس جامعة الدول العربية في عدة أجزاء ١٩٥٣ ـ ٢٠٠٣ بما فيها مجموعات القاهرة وتونس.

٨ ـ محاضر ومضابط الجلسات السرية لمؤتمرات القمة العربية في عدة أجزاء ولعدة سنوات بين أعوام ١٩٦٤ ـ ٢٠٠٣[٢].

---

(١) من بين هذه الدراسات التي اعتمدت على أرشيف جامعة الدول العربية على سبيل المثال دراسة د. حسان حلاق: التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣ ـ ١٩٥٢ للحصول على درجة الدكتوراه.

(٢) عقد أول مؤتمر قمة عربي في القاهرة عام ١٩٦٤ بدعوة من الرئيس جمال عبد الناصر.

٩ ـ أرشيف المراسلات والتعاميم ذات الطابع السياسي والعسكري أو الاقتصادي أو الإداري الخاص بأمين عام الجامعة وكبار الموظفين.

٩ ـ مكتبة الملك عبد العزيز العامة[١]:

مكتبة الملك عبد العزيز العامة مؤسسة خيرية، أنشأها صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، ورئيس الحرس الوطني، في الخامس من رجب عام ١٤٠٥هـ وافتتحها سموه الكريم في العاشر من رجب ١٤٠٨هـ، الموافق ٢٧/ ٢/ ١٩٨٧م. ويأتي إنشاء هذه المؤسسة العلمية والتربوية إيماناً من سموه الكريم بأهمية العلم والثقافة في حياة الشعوب، وفي نمو البلاد وتقدمها وتطورها؛ لذلك تعمل المكتبة على تقديم خدماتها المجانية لجميع فئات المجتمع من خلال مكتبة للرجال وأخرى للنساء وثالثة للأطفال. تقدم خدماتها على مدار اليوم بالإضافة إلى ثلاث مكتبات فرعية مماثلة بمركز الملك عبد العزيز التاريخي بمنطقة المربع. ويزور المكتبة سنوياً ما يقارب مائتا ألف زائر، للاستفادة من حوالي نصف مليون مادة متوافرة ما بين كتاب ومجلة ومخطوط ووثيقة، وغيرها من المعلومات.

حققت مكتبة الملك عبد العزيز العامة خلال العشر سنوات الماضية الكثير من الإنجازات، حيث تواصلت وتفاعلت مع اهتمامات متلقيها ومرتاديها من الباحثين وطلاب العلم، بما تقدمه من خدمات متميزة لجميع فئات المجتمع من الخدمات القرائية والإرشادية والمرجعية والبحثية والمعلوماتية، وتمثل دور المكتبة في الإنجازات التالية:

- تقتني المكتبة مجموعات متميزة من المخطوطات والكتب النادرة والوثائق والصور النادرة والمجلات في مجال تاريخ المملكة العربية السعودية وتاريخ

(١) أنظر: كراس مكتبة الملك عبد العزيز العامة.

الخليج العربي. ومنها: وثائق المستشرق الأمريكي جورج رنتز ووثائق خير الدين الزركلي، ومجموعة الصور النادرة وغيرها...

- أقامت المكتبة (٣١) ندوة ومحاضرة كما أقامت (١٢) معرضاً وشاركت في حضوره وتنظيم ما يقارب (٤٠) معرضاً داخلياً وخارجياً. ومن أبرز تلك الأنشطة الثقافية: ندوة الأندلس، وندوة استخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات، وندوة القدس، ومعرض المؤلفات النادرة عن الجزيرة العربية والخليج ومعرض الصور النادرة لمدينة القدس، معرض بواكير الصحف السعودية ومعرض عمارة المساجد، كما لديها برنامجاً ثقافياً حافلاً كل عام.

قائمة مطبوعات المكتبة:

١ ـ ولاية اليمامة، د. صالح الوشمي، ١٤١١هـ.

٢ ـ أسس تنظيم المكتبات والمعلومات، كولون هاريسون، ١٤١٢هـ.

٣ ـ دليل الصحف والدوريات السعودية، عبد الكريم الزيد، ١٤١٢هـ.

٤ ـ السجل العلمي لندوة واستخدام اللغة العربية في تقنية المعلومات، ١٤١٤هـ.

٥ ـ النشاط الاقتصادي في الأندلس، خالد البكر، ١٤١٤هـ.

٦ ـ لغة العرب، أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، ود. أمين سيدو، ١٤١٤هـ.

٧ ـ الحياة العلمية في الأندلس في عصر الموحدين، د. يوسف العريني، ١٤١٥هـ.

٨ ـ الخدمات المرجعية والإرشادية في مكتبة الملك عبد العزيز العامة، د. سالم سالم، ١٤١٥هـ.

٩ ـ فهرس المخطوطات في مكتبة الملك عبد العزيز العامة، ١٤١٥هـ.

١٠ ـ الأندلس في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري، محمد أبا الخيل، ١٤١٦هـ.

١١ ـ الصراع بين الحق والباطل كما جاء في سورة الأعراف، د. عادل أبو العلاء، ١٤١٦هـ.

١٢ ـ الخيل والفروسية: قائمة ببليوجرافية، د. ناصر السويدان، ١٤١٦هـ.

١٣ ـ تحليل محتوى أدب الأطفال، نعمة حويجي، ١٤١٦هـ.

١٤ ـ المؤلفات النادرة عن المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية، ١٤١٦هـ.

١٥ ـ الدليل الببلوجرافي لمعرض المؤلفات النادرة عن المملكة العربية السعودية والجزيرة العربية، ١٤١٦هـ.

١٦ ـ تقييم الأداء في المكتبات ومراكز المعلومات، ف لانكستر، ترجمة د. حسين الشيمي، ود. جمال الفرماوي، ١٤١٧هـ.

١٧ ـ الأمن في عهد الملك عبد العزيز، د. إبراهيم العتيبي، ١٤١٧هـ.

١٨ ـ الخيل في أشعار العرب، د. حسن النصيح، ١٤١٧هـ.

١٩ ـ الشعر في حاضرة اليمامة، د. عبد الرحمن الدباسي، ١٤١٧هـ.

٢٠ ـ زواهر الفكر وجواهر الفقر لابن المرابط، تحقيق د. حسن إفليفل، ١٤١٨هـ.

٢١ ـ السجل العلمي لندوة الأندلس، (٥) مجلدات، ١٤١٨هـ.

٢٢ ـ نشر الكتاب في جامعات مجلس التعاون الخليجي، د. فهد الدرعان، ١٤١٨هـ.

٢٣ ـ ترجمة الكتب إلى اللغة العربية في المملكة العربية السعودية، نورة الناصر، ١٤١٩هـ.

كتب خاصة صدرت بمناسبة الاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية:

٢٤ ـ الإمام محمد بن عبد الوهاب، د. محمد السكاكر، ١٤١٩هـ.

٢٥ ـ تقنيات المعلومات في المكتبات والشبكات، أودري جروش، ترجمة د. حشمت قاسم، ١٤٢٠هـ.

٢٦ ـ مكتبة الملك عبد العزيز العامة: قراءة في المسيرة والإنجازات، محمد يوسف، ١٤٢٠هـ.

٢٧ ـ موسوعة تاريخ الملك عبد العزيز الدبلوماسي، تحرير د. فهد السماري وآخرون، ١٤١٩هـ.

٢٨ ـ إنسان الجزيرة، إبراهيم عبده، مراجعة د. عبد الله الربيعي، ١٤١٩هـ.

٢٩ ـ أسد الجزيرة قال لي: محمد رفعت، مراجعة: د. حمد الدخيل ١٤١٩هـ.

٣٠ ـ في شبه الجزيرة العربية المجهولة ر. تشيزمن، ترجمة د. عبد الله المطوع، ود. محمد الفريح، ١٤١٩هـ. (مترجم من اللغة الإنجليزية).

٣١ ـ ابن سعود ملك الصحراء، ي. بيسن، ترجمة، د. عبد الله الربيعي، ود. عبد الله الدليمي، ١٤١٩هـ. (مترجم من اللغة الفرنسية).

٣٢ ـ الرياض المدينة القديمة، و. فيس، ترجمة د. عبد العزيز الهلابي، ١٤١٩هـ. (مترجم من اللغة الإنجليزية).

٣٣ ـ واقع الضبط الببليوجرافي للإنتاج الفكري عن الملك عبد العزيز آل سعود، د. سالم السالم، ١٤١٩هـ.

٣٤ ـ الخيل العربية الأصيلة، أ. غ شرباتوف، ترجمة د. عوض البادي، ١٤١٩هـ. (مترجم عن اللغة الروسية).

٣٥ ـ شهور في ديار العرب، مسعود عالم الندوي، ترجمة د. سمير عبد الحميد إبراهيم، ١٤١٩هـ. (مترجم من اللغة الأوردية).

٣٦ ـ العلاقات السعودية السوفيتية، عبد الله محمد العبد المحسن، ١٤١٩هـ.

٣٧ ـ كتاب فروسية، (٢ مج) باللغة العربية واللغة الإنجليزية، ١٤١٩هـ.

٣٨ ـ ياباني في مكة، سوزوكي تاكيشي، ترجمة د. سمير عبد الحميد إبراهيم، ١٤٢٠هـ. (مترجم من اللغة اليابانية).

٣٩ ـ الطائف: التطور والبنية والمعمار التقليدي، هايز غوبة، ترجمة د. غازي شنيك، ١٤٢٠هـ، (مترجم من اللغة الألمانية).

٤٠ ـ شبه الجزيرة العربية منذ عام ١٧٧٠م ـ ١٨٧٠م، البرخت زيهمه، ترجمة د. غازي شنيك، ١٤٢٠هـ، (مترجم من اللغة الألمانية).

٤١ ـ الملك عبد العزيز: قائمة ببليوجرافية اقتنائية، ١٤٢٠هـ.

٤٢ ـ الملك عبد العزيز في الشعر العربي الحديث، د. منصور الحازمي، د. عزت الخطاب، د. عبد الله المعيقل، ١٤٢٠هـ.

٤٣ ـ المواصلات في المملكة وتطورها في عهد الملك عبد العزيز، د. عبد الله السلماند ١٤٢٠هـ.

كتب صدرت بمناسبة الرياض عاصمة الثقافة العربية عام ٢٠٠٠م:

٤٤ ـ شعر الكتّاب في القرن الرابع الهجري، د. وفيقة بنت عبد المحسن عبد الله الدخيل، ١٤٢١هـ.

٤٥ ـ الرعاية الاجتماعية في عهد الملك عبد العزيز، إعداد: د. راشد بن سعد الباز، ١٤٢١هـ.

٤٦ ـ عمل المرأة السعودية، د. وفيقة بنت عبد المحسن عبد الله الدخيل، ١٤٢١هـ.

٤٧ ـ خدمات المكتبات والمعلومات، ف. ويلفرد لانكستر، شارون ل. بيكر، ترجمة: د. حسين الشيمي، د. جمال الفرماوي ١٤٢١هـ.

٤٨ ـ التقنيات والإدارة في خدمات المكتبات والمعلومات، فردرك ولفرد لانكستر ساندور، ترجمة الدكتورة حشمت قاسم ١٤٢١هـ.

٤٩ ـ الإسلام والأديان في اليابان، د. سمير عبد الحميد إبراهيم ١٤٢١هـ.

٥٠ ـ المخطوطات العربية مشكلات وحلول، د. عابد سليمان المشوطي، ١٤٢١هـ.

٥١ ـ دبلوماسية القمة، مجموعة من الباحثين، ١٤٢٠هـ.

كتب صدرت بمناسبة (٢٠ عاماً نماء ورخاء):

٥٢ ـ نحو استراتيجية لدخول النتاج الفكري المكتوب باللغة العربية في الفضاء الألكتروني، إشراف د. وحيد قدورة.

٥٣ ـ تراث المغاربة والأندلسيين في آثار الدارسين في المملكة العربية السعودية، د. حسن عبد الكريم الوراكلي ١٤٢٢هـ.

٥٤ ـ المقومات الفنية في القصيدة الأندلسية، د. عبد الله بن علي بن ثقفان ١٤٢٢هـ.

٥٥ ـ دور المكتبات العامة في تنمية ثقافة الطفل، د. نجاح قبلان القبلان ١٤٢٢هـ.

٥٦ ـ ديوان المئوية (ذكرى التوحيد والتأسيس)، إعداد إسماعيل حسين أبو زعنونة ١٤٢٢هـ.

٥٧ ـ نصوص عثمانية عن الأوضاع الثقافية في الحجاز، د. سهيل صابان ١٤٢٢هـ.

٥٨ ـ الملك القائد، د. يوسف بن إبراهيم السلوم، ١٤٢٢هـ.

٥٩ ـ الحياة العلمية في إفريقية في عصر بني زيري، د. لطيفة بنت محمد البسام، ١٤٢٢هـ.

٦٠ ـ ندوة مستقبل الثقافة في العالم العربي ١٤٢٣هـ.

٦١ ـ الملك عبد العزيز (قائمة ببليوغرافيا اقتنائية) (مجلدين) باللغة العربية والإنكليزية، ١٤٣٢هـ.

٦٢ ـ قالوا في الكتاب، د. هشام فرحات؛ محمود سيد محمود يوسف، ١٤٢٣هـ.

٦٣ ـ كتاب (الموحد) ١٤٢٣هـ.

٦٤ ـ كتاب (التوحيد) ١٤٢٣هـ.

٦٥ ـ الملحق الصحفي (شهري).

٦٦ ـ منار (قصة للأطفال).

٦٧ ـ ويتجدد الأمل (قصة للأطفال).

٦٨ ـ واحة الطفولة (قصة للأطفال).

٦٩ ـ صور فوتوغرافية للمملكة العربية السعودية.

٧٠ ـ الدليل الببليوغرافي (معرض المؤلفات النادرة).

٧١ ـ المعرض الدائم للفنانات التشكيليات السعوديات.

٧٢ ـ معرض الأزياء التقليدية للأطفال في المملكة العربية السعودية.

قامت المكتبة ضمن برنامج المكتبة للنشر العلمي والترجمة، بإصدار (٢٦) كتاباً ضمن الأعمال العلمية المحكمة و (٣٠) كتاباً ودراسة بمناسبة احتفال المملكة بمرور مائة عام على تأسيس المملكة. إضافة إلى ما يقارب

المائة مطبوع من الأدلة والكتيبات والإصدارات المتنوعة، إضافة إلى دورية فصلية (أحوال المعرفة) صدر العدد الأول منها عام ١٤١٧هـ. وكذلك مجلة «النوادر والمخطوطات» (نصف سنوية).

- إنتاج برنامج حاسوبي عن تاريخ الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يتضمن عرضاً لمسيرة التوحيد الخالدة ومدعماً بالصور والخرائط والوسائل الأخرى. هذا البرنامج متوفر باللغة العربية واللغة الإنجليزية على أقراص مدمجة وكذلك على شبكة الإنترنت.

- إنشاء قواعد البيانات المتخصصة، حيث أنجزت المكتبة قاعدة بيانات عن تاريخ الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ تتضمن حصراً لجميع ما كتب عن الملك عبد العزيز ـ طيب الله ثراه ـ وبمختلف الأشكال واللغات، وتحتوي القاعدة على سبعة آلاف مادة من كتب ومقالات وبحوث ورسائل جامعية.

- إنشاء قاعدة بيانات متخصصة في مجال الفروسية تتضمن حصراً للإنتاج الفكري المنشور في مجال الخيل والفروسية العربية. وتحتوي القاعدة على ثلاثة آلاف مادة.

- قامت المكتبة باقتناء مجموعات نادرة من الصور الضوئية والعملات الإسلامية النادرة ومنها:

أ ـ أقدم الصور الضوئية لمكة المكرمة والمدينة المنورة وتتمثل في مجموعة المصور المصري محمد صادق عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٨٠م. ومجموعة المصور الهندي ميرزا عام ١٢٩٨هـ/ ١٨٨١م. ومجموعة المصور أحمد حلمي.

ب ـ مجموعة العملات الإسلامية والعربية النادرة (٣٥٠٠) قطعة ذهبية وفضية وبرونزية تعود إلى القرن الأول الهجري.

جـ ـ مجموعة الخرائط النادرة عن الجزيرة العربية وتضم (٩٠٠) خريطة تعتبر

من أندر وأقدم الخرائط يرجع بعضها إلى القرن العاشر الهجري.

- قامت المكتبة بإتاحة الاطلاع على جميع فهارسها وقواعد البيانات فيها من خلال شبكة الإنترنت فأصبحت المكتبة بذلك من أوائل المكتبات العربية التي يمكن مشاهدة محتوياتها من خلال الشبكة العالمية (إنترنت).

١٠ ـ المجمع الثقافي (أبو ظبي):

أنشأ هذا المجمع الثقافي صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة عام ١٩٨١، وهو يعتبر من المعالم الثقافية والتوثيقية والعلمية الهامة ليس في الإمارات وحسب، وإنما في العالم العربي أيضاً.

يتكون المجمع الثقافي من عدة مؤسسات متخصصة منها:

١ ـ مركز الوثائق والدراسات.

٢ ـ دار الكتب الوطنية.

٣ ـ مؤسسة الثقافة والفنون.

٤ ـ الأرشيف الوطني.

وتضم هذه المؤسسات والمكتبة المصادر والمراجع النادرة باللغتين العربية والأجنبية، والأرشيف الوطني لدولة الإمارات العربية المتحدة، فضلاً عن أربعة آلاف مخطوط أصيلة وآلاف الوثائق والمراسلات ووثائق الدولة. كما أن دار الكتب الوطنية تتسع لوحدها لحوالي مليوني مجلد من المجلدات العلمية؛ وهي تقدم أهم التسهيلات الحديثة للباحثين في دولة الإمارات والدول العربية الأخرى. كما أنه من الضروري للباحث الخليجي والعربي الاطلاع على وثائق ومخطوطات ومصادر المكتبة الوطنية التابعة للمجمع الثقافي في أبو ظبي.

١١ ـ مراكز ومكتبات عربية أخرى:

ما من دولة عربية إلاً وتملك مكتبة وطنية، ومكتبات فرعية، تودع فيها المصادر والوثائق والمخطوطات منها دولة الكويت، ودولة قطر، ومملكة البحرين، وسلطنة عُمان، فضلاً عن مكتبات تاريخية هامة في المغرب وتونس والجزائر وليبيا.

كما أن مدينة القدس[١] وبقية المدن الفلسطينية تشهد وجود مكتبات تاريخية على غاية من الأهمية، تزخر بعشرات الآلاف من الوثائق والمخطوطات، بما فيها وثائق وسجلات المحاكم الشرعية. وتحاول إسرائيل جاهدة القضاء على هذا التراث الإسلامي والعربي.

(١) راجع كتاب: المكتبات في القدس، صادر عن الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات (إعلم) تونس ٢٠٠٢.

مكتبة إسلامية عربية خاصة نادرة الوجود
بـ مخطوطاتها مؤلفة من ٤١٥ كتاب (خط يد)
قديم العهد وفريد من نوعه

١٢ ـ (مكتبة الدكتور جورج عنداري):

تُعد هذه المجموعة من المخطوطات العربية الإسلامية بنظر الباحثين، أقدم وأهم مجموعة مخطوطات أصلية إسلامية في العالم (فريدة من نوعها بدراستها). وهي نتيجة ٣٠ سنة من التقميش عن الوثائق التاريخية النادرة الوجود والمتبقية حتى عصرنا اليوم وإن هذه المخطوطات هي أمانة بين يدي جامعها (للتاريخ والحضارة العربية الإسلامية) بعد تكبُّده عناء وجهد مالي كبير في جمعها. . . (يعود أقدم مخطوطاتها إلى أوائل القرن الخامس هجري، أي بداية القرن الحادي عشر ميلادي).

تتألف هذه المكتبة المهمة من: ٣٨٨ كتاب (خط يد) في الدين والحضارة الإسلامية (باللغة العربية) منها:

ـ أقدم «قرآن كريم» في العالم من عهد المماليك «مخطوط باليد» (رقمه ١٣٣ في اللائحة).

ـ وكذلك أهم وأقدم كتاب طب في العالم خط بيد أستاذ الطبيب الشهير ابن سينا، يعود تاريخه إلى أوائل القرن الخامس هجري (رقمه ٣ في اللائحة). وغيره من المخطوطات الإسلامية العربية النادرة. . .

تتناول مواضيع هذه المخطوطات الإسلامية القديمة علوم: الطب، القضاء، الإرث، دروس الأحكام والشرائع، الفلك والهيئة، الأبراج، الشطرنج، الطبيعيات، المنطق، الفلسفة، التاريخ الإسلامي وما قبله، الشعر والمقامات، الفقه، السيرة، الحديث، التفسير، الحاشية، المواعظ، الصلاة، الرسائل، الإجتهاد، الفتاوى، الدعاء، التصوف، القواعد، البيان، الإجازات، الفرمانات، قاموس ومصاحف. . . مصدر هذه المخطوطات الإسلامية النادرة هي البلدان العربية المشرقية: لبنان ـ سوريا ـ المملكة العربية السعودية ـ الأردن ـ الكويت ـ الإمارات العربية المتحدة ـ العراق ـ مصر. . . بعضها كتب بالذهب، كما زينت صفحاتها بزخارف ورسوم شرقية جميلة، مما دلت على حقبات مهمة ومجهولة من تاريخ الإسلام في عصوره المختلفة. ولقد تم إهداء عدد كبير من هذه المخطوطات منذ قديم الزمان إلى الملوك والحكام والأمراء والمشايخ. . .، كما أدهشت هذه المخطوطات بدراستها عدد كبير من المستشرقين (حسبما يدون عليها: الملاحظات، التوقيعات الأختام، الإهداء والبيع. . .).

(الوزن الصافي لـ ٣٨٨ كتاب خط يد عربي إسلامي هو: ١٣٦ كيلو غرام). تضم أيضاً هذه المكتبة المهمة: ٢٧ كتاب (خط يد) في الدين والحضارة المسيحية (باللغة العربية) منها:

أقدم كتاب (خط يد) مسيحي في العالم متبقي حتى عصرنا اليوم (كتب باللغة العربية) عمره ألف سنة وثلاث سنوات من تاريخنا اليوم. . . وغيره من المخطوطات النادرة. . .

(الوزن الصافي لـ ٢٧ كتاب خط يد عربي مسيحي هو: ٢٢ كيلو غرام).

زُد عن الأهمية التاريخية لهذه المخطوطات الإسلامية العربية النادرة الوجود والفريدة من نوعها، فإن لدى صاحب هذه المكتبة الأثرية أيضاً

المخطوطات العالمية المهمة، وأيضاً كنزٌ من التحف العالمية النادرة. . .

١٣ ـ مكتبات العراق:

تعتبر بلاد ما بين النهرين (العراق وما جاورها) من أغنى دول العالم بالآثار والتحف والعمائر الأثرية، وقد تعرضت هذه المجموعات ابتداء من ٩ شباط (أبريل) ٢٠٠٣ بعد الاحتلال الأميركي لبغداد، للنهب والسطو، لا سيما ما كان موجوداً في متحف بغداد في القاعات التالية[١].

١ ـ القاعة السومرية، وتضم التحف السومرية.

٢ ـ القاعة البابلية، وتضم التحف البابلية.

٣ ـ القاعة الآشورية، وتتضمن المنحوتات الآشورية.

٤ ـ قاعة الآثار الكلدانية، وتضم التحف والآثار الكلدانية.

٥ ـ القاعة الحضرية، وتضم مجموعة من الآثار الساسانية.

ويضم المتحف أيضاً جناحاً لمعروضات أثرية تساعد الطلاب والباحثين على التعرف والتفهم لفنون العراق وصناعاته.

١ ـ القاعة السومرية:

لقد اتفق علماء الآثار وعلماء الكتابات القديمة على أن الشعب الذي عاش في القسم الجنوبي من العراق في دور الطبقة الرابعة في الوركاء هو الشعب المعروف في التاريخ باسم السومريين، لا بل أن نفراً من الباحثين يرجح ظهور السومريين إلى دور العبيد (الألف الرابع ق.م)، وإن معرفتنا

---

(١) أنظر: د. محمد قبيسي: أهمية متاحف بغداد ومكتباتها عبر التاريخ (دراسة غير منشورة).

بالسومريين وبلغتهم وآثارهم قد جاءت متأخرة بالنسبة لمعرفتنا بالآشوريين الذين ظهروا على مسرح السياسة والحضارة جد متأخرين (القرن الرابع عشر ق.م) والسبب في ذلك يرجع إلى أن أول الكتابات التي درسها العلماء وكونت حجر الزاوية في علم الآشوريات هي كتابات آشورية. كما وأن أول الحفريات اقتصرت في بادىء الأمر في أطلال عواصم الآشوريين في الموصل.

غير أن الحال قد تغيرت عندما باشر الفرنسيون في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حفرياتهم في مدينة تلّو في القسم الجنوبي من العراق حيث ظهرت إلى النور أول مرة آثار وكتابات السومريين. وتبعت هذه البداية تنقيبات الأمريكان والألمان والإنكليز في أمهات المدن السومرية أمثال نفر والوركاء واور ومدن منطقة ديالي كتل أسمر وخفاجي وتل أجرب التي أظهرت جوانب مهمة من تاريخ وفن وديانة وعمارة السومريين.

٢ ـ القاعة البابلية:

في هذه القاعة آثار من العصر الأكدي من نحو ٢٣٠٠ ق.م. تختلف في طابعها الفني ومدلولها الثقافي عن الآثار المعروضة في القاعة السومرية ففصلت عنها، غير أن القسم الأكبر من معروضات هذه القاعة يرقى زمنه إلى العصرين البابلي القديم والكشي ويمثل حضارة البلاد للألف الثاني قبل الميلاد الذي فيه برزت مرة مدينة بابل تتلألأ بين المدن القديمة.

والأكديون أقدم الأقوام السامية المعروفة من سكان وادي الرافدين عاشوا جنباً لجنب مع السومريين، وكانت مراكزهم في المنطقة الوسطى من العراق وصار لهم كيان سياسي في عهد ملكهم سرجون الذي نشأ في مدينة كيش وتمكن من التغلب على «أوتو جيكال» ملك الوركاء، واستطاع أن يوحد دويلات المدن ويكون منها أول إمبراطورية معروفة في التاريخ وأن يمد نفوذه إلى الأناضول وسوريا وفلسطين وسواحل البحر المتوسط وبلاد عيلام ومنطقة

الخليج العربي واتخذ مدينة أكد عاصمة له ولا يعرف بالضبط مكانها.

ومن الملوك المشهورين «نارام سن» حفيد سرجون فقد عرف بمآثر كثيرة وبوصوله على ما يظن إلى جزيرة قبرص وبحروبه في الشمال مع اللوبيين والكوثيين سكان المناطق الجبلية من العراق والذين تمكنوا فيما بعد من القضاء على الاكديين باستيلائهم على وادي الرافدين ويسط نفوذهم عليه لفترة ناهزت الثمانين عاماً.

٣ ـ القاعة الآشورية:

الآشوريون من الأقوام السامية التي هاجرت من الجزيرة العربية وسكنت أرض ما بين النهرين في النصف الأخير من الألف الثالث قبل الميلاد، وقد خضع الآشوريون في بادىء أمرهم إلى ملوك السلالة الأكدية وسلالة أور الثالثة.

وفي القرن الثامن عشر قبل الميلاد ظهر الآشوريون على مسرح التاريخ كقوة سياسية لها كيانها، وكان ذلك في عهد ملكهم الأول شمشي أدد، ولما قويت الدولة الآشورية، توسعت رقعتها فشملت إقليم الأناضول وشمالي سورية غرباً إلى حدود جبال زاجروس شرقاً، وكشفت الحفائر الأثرية عن مجموعة من المدن التجارية التي أسسها الآشوريون في تلك الأقاليم وخاصة بلاد الأناضول، وكانت لها صلات مع مدنهم المعروفة آشور ونينوى وغيرهما والتي تقوم خرائبها في لواء الموصل بشمالي العراق.

٤ ـ القاعة الحضرية:

حكمت العراق لمدة أربعة قرون سلالة جاءت من منطقة بارثا الواقعة في الشمال الشرقي من هضبة إيران وعرفت بالسلالة البارثية، كما عرفت كذلك بسلالة ملوك الطوائف. بدأ حكمها في العراق زمن ملكها مثردات الذي تمكن

من طرد السلوقيين في عام ١٣٩ ق.م. وانتهى حكم هذه السلالة بسقوط الملك أرطبان الخامس عام ٢٢٦م على يد الساسانيين. وكذلك عاصمة الفرثيين حينذاك المدائن (طيسفون)، غير أن آثار الحضر الفرثية في العراق تمثل أحسن تمثيل بعض الحضارة العراقية، وقد نقلت منها مجموعة كبيرة عرضت في هذه القاعة من المتحف التي أطلق عليها القاعة الحضرية.

هذا، وقد أمدنا المؤرخ د. عمر عبد السلام تدمري[١] بمعلومات هامة عن المخطوطات والمصادر والوثائق النادرة الموجودة في مكتبات بغداد فيقول: الذي صعقه نبأ سرقتها لما تحمله هذه المكتبات الثرية من محطات مضيئة وما كانت تحفل به من كنوز المعرفة التي أحرقها الغزو الأميركي البريطاني وجنودهم وعملاؤهم وبعض ابناء العراق، يقول الدكتور تدمري:

مكتبة جامعة الموصل:

تعود بي الذاكرة إلى العام ١٩٨٢ حين شاركت في مؤتمر عالمي عن الأخوة (أبناء الأثير) الثلاثة: المؤرخ صاحب «الكامل في التاريخ»، والمحدث صاحب «جامع الأصول في أحاديث الرسول»، والأديب صاحب «المثل السائر»، وذلك في جامعة الموصل، وكذلك ألقيت بحثاً في هذا المؤتمر بعنوان: «الحضور التاريخي لمدينة طرابلس من خلال «الكامل في التاريخ» والتقيت آنذاك بمجموعة من أساتذة جامعة الموصل وأساتذة آخرين من مختلف البلاد العربية والأجنبية التي كانت مشاركة في المؤتمر وقضيت خمسة أيام أتردد على مكتبة جامعة الموصل وتعرفت فيها على الدكتور ناظم رشيد وهو متخصص في تاريخ الأيوبيين. وكان آنذاك يقتني مخطوطة بعنوان (نزهة الملوك) وتتضمن قصائد لمجموعة من الشعراء القدماء ومن بينهم الشاعر

(١) أنظر: اللواء، ٢٤/٤/٢٠٠٣. مقابلة الصحافي عبد القادر الأسمر مع المؤرخ د. عمر تدمري.

الطرابلسي إبن منير فاستعرته منه ونسخت القصائد التي لإبن منير من هذا المخطوط، ثم نشر بعد مدة «ديواناً لأمير بعلبك الملك الأمجد بهرام ابن شاهنشاه». . .

ولفتني في مكتبة جامعة الموصل أنها تحتفظ بكل مؤلفات الأخوة أبناء الأثير، وقد جمعت فيها كل النسخ المتفرقة من مكتبات العالم وعرضت في خزانة مفردة، عدا عن عشرات الآلاف من المخطوطات النادرة والتي وضع عنها فهرس في سنة ١٩٧٢ في ٩ مجلدات، كل مجلد تزيد صفحاته على ٦٠٠ صفحة يحتوي على أسماء المخطوطات والمؤلفين وتواريخها وعدد صفحاتها والنادر منها وما في بعضها من رسوم وزخارف ولوحات فنية. ومن مشاهير المتخصصين بتاريخ الموصل والمؤسسين لمكتبة الموصل الأستاذ «سعيد الديوه جي» وله كتاب «تاريخ الموصل» وأهداني في ذلك الوقت كتاباً ألفه بعنوان «بيت الحكمة» تناول فيه المكتبات الإسلامية في العصور الوسطى ومن بينها مكتبة بني عمار في طرابلس.

مكتبة الأوقاف في بغداد:

ثم أشار الدكتور تدمري عن نفائس المكتبات في بغداد عندما زارها منذ حوالي عشرين سنة فيقول: وفي عام ١٩٨٤ زرت بغداد ومكثت ٢٥ يوماً كنت أتردد يومياً على مكتبة الأوقاف في مبنى ضخم تابع لوزارة الأوقاف العراقية وهي أشبه بدار الكتب المصرية في القاهرة، وتعرفت على المشرف عليها في ذلك الوقت د. عبد الله الجهوري، وكان يعمل على تحقيق مخطوط «لابن الكلبي» في النسب، وكانت المكتبة آنذاك تضم أكثر من ٢٠٠ ألف مخطوط فضلاً عن الوثائق والسجلات والصكوك الوقفية وهي بالآلاف، وقد طالعت فيها كتاب (مختصر تاريخ الإسلام) وهو بخط إبن الملا في ٧ مجلدات وهو يختصر موسوعة «تاريخ الإسلام» للمؤرخ الكبير شمس الدين الذهبي حيث

كنت باشرت في تحقيقه قبل سنوات قليلة.

ومن هذه المكتبة حصلت على النسخة مصورة من مخطوط (نهاية الغاية في بعض رجالات القرار أولي الرواية) لمؤلف طرابلسي هو عبد الرزاق بن حمزة الطرابلس المتوفى عام ٩٧٤ هجري ويتألف المخطوط من ٣٠٦ أوراق أي أكثر من ٦٠٠ صفحة، وهو مختصر من كتاب (معرفة الكتاب الكبار على الطبقات والأعصار) للمؤرخ شمس الدين الذهبي.

وهناك مطبعة ملحقة بمكتب الأوقاف كانت تصدر نفائس الكتب التي تضمها المكتبة ونشرت لأول مرة كتاب «المعرفة والتاريخ» للبسوري في ٣ مجلدات، كما نشرت كتاب (فقه الإمام الأوزاعي) في مجلدين ضخمين وغيره من الكتب النفيسة.

مكتبة المتحف الوطني العراقي:

وفي المتحف الوطني العراقي ببغداد مكتبة ملحقة به في الدور الثاني تسمى (ذخائر التراث) كان يرأسهاالخبير في المخطوطات الأستاذ أسامة ناصر النقشبندي. وكان مخولاً من قبل الدولة بالقيام بالطواف على المدن والقرى العراقية لشراء كل ما يقع تحت يده من مخطوطات ويضعها في هذه المكتبة التي كانت مجهزة منذ وقت مبكر بجهاز (الميكروفيلم) للقراءة والتصوير. وحصلت من هذه المكتبة على مخطوطة نادرة كتبها راهب من صيدا يدعى (بولس الأنطاكي) ذكر في رسالته هذه أنه كتبها إلى صديق مسلم من أهل صيدا يبين فيها فضائل المسيح عليه السلام وتخرصات اليهود ومحاولاتهم تشويه النصرانية، وتوفي الأنطاكي في صيدا ١٥٤ هجري ٧٧٠ ميلادي. ولقد نشرت ملخصاً عن هذه الرسالة في الجزء الأول من السلسلة التي أصدرتها عن تاريخ الساحل الشامي بعنوان (لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية). وتعتبر هذه النسخة فريدة من نوعها وهي تزيد على أكثر من ١٢٥٠ عاماً، كما

حصلت على نسخة من مخطوط تاريخ الموارنة للبطريرك اسطفان الدويهي وهو الذي نشر منذ سنوات في لبنان بعنوان «تاريخ الأزمنة» اعتماداً على هذه النسخة.

دار المخطوطات:

منذ سنوات قليلة أنشيء في بغداد دار للمخطوطات عرفت بـ «دار صدام للمخطوطات» نقل إليها أسامة ناصر النقشبندي وصار مديراً لها واستطاع أن يجمع في هذه الدار حتى عام ٢٠٠١ أكثر من ٦٠ ألف مخطوط وقد زارني في تلك السنة في طرابلس وله أقرباء من آل الحليمي، وكان قد صدر له في بيروت كتاب بعنوان «اجازات الخطاطين» تتبع فيه الإجازات الملونة والمزخرفة التي كان يجيزها المؤلفون والخطاطون والنساخة لتلاميذهم. ولا يخفى أن في مكتبات بغداد والموصل نوادر المخطوطات التي كتبها كبار مشاهير الخطاطين الذين ابتدعوا الخطوط المعروفة الآن بالرقعة والنسخ والثلث والكوفي والديواني والخط الريحاني وغيره، وهي بخطوط ابن البواب وابن مقله وياقوت المستعصمي وغيرهم، والمعروف أن الخطاط ابن مقلة كان أقطع اليد ثم قطعت يده الأخرى فكان يكتب الدواوين بفمه، فكان خطه أبدع مما كان يكتب بيده.

مكتبة اتحاد المؤرخين العرب:

هناك العديد من المكتبات التي تنتشر في أرجاء بغداد وهي لا تعد حيث يحتفظ كل جامع ومسجد ومدرسة بعدد كبير من المخطوطات وفي مقدمها المصاحف الشريفة المزخرفة والمزينة بخطوط مشاهير النساخ والخطاطين. فضلاً عن مكتبة (مقر اتحاد المؤرخين العرب) الذي يضم إليه مؤرخي العالم العربي، وهو يصدر مجلة دورية بعنوان «المؤرخ العربي» ومن المعروف أن منظمة الأونيسكو نشرت منذ سنوات عدة تقارير جاء فيها «إن العراق هو الدولة

الأولى في العالم الذي يقرأ» لهذا يقال: إن مصر تؤلف ولبنان يطبع والعراق يقرأ. وتأييداً لهذه المقولة فقد كانت وزارة الثقافة العراقية حين تنشر نفائس الكتب بأسعار رمزية تنفذ جميع النسخ في أسبوع واحد، ومن أحسن المجلات الدورية التي كانت تصدر في العراق ولا تنافسها مجلة أخرى في العالم العربي كله على الاطلاق مجلة «المورد» وهي بمنزلة مجلد ضخم كانت تصدر دورياً كل شهرين وتخصص بعض أعدادها لموضوع أو محور معين، ومن بين تلك الأعداد عدد خاص بالنصوص التاريخية المتعلقة ببغداد، ونصوص عن المؤرخ الخطيب البغدادي الذي صنف أكثر من ٤٠ كتاباً أشهرها «تاريخ بغداد» في ١٤ مجلداً تناول في المجلد الأول وصفاً شاملاً لبغداد، اعتباراً من سنة ١٤٥هـ ووصف أسواقها ومساجدها وحماماتها وخاناتها وحين عدد أنهارها المتفرعة من دجلة والفرات اعتمد في ذلك على عالم بغدادي كان مقيماً في طرابلس، فأملى عليه تلك المعلومات أثناء رحلته إليها وحين عاد إلى بغداد ضمنها كتابه. والمعروف أن للخطيب البغدادي رحلة ثانية زار فيها المدن اللبنانية الساحلية حيث أقام في مدينة صور خمس سنوات كان يشغل المدينة علماً وحديثاً وفقهاً وتخرج عليه المئات. ثم قام برحلته إلى صيدا وبيروت ونزل جونية وحدث في جامعها وأثبت في كتابه أن جونية كانت في ذلك الوقت من أعمال طرابلس الشام. ثم تابع رحلته إلى طرابلس وزار مكتبتها في عهد بني عمار، وكانت له مباراة في الخطابة مع ناظر دار العلم بطرابلس القاضي ابن بشر الطرابلسي وعاد إلى بغداد سنة ٤٦٢هـ فكان يحدث في جامع المنصور وما لبث أن توفي العام التالي ٤٦٣هـ.

مكتبة جامعة بغداد:

أما مكتبة جامعة بغداد فهي أشبه بمكتبة جامعة القاهرة وتضم قسماً كبيراً من المخطوطات النادرة إلى جانب المصادر والمراجع الحديثة من عربية وأجنبية ولها اصداراتها الخاصة بها وكانت تنشر الكثير من رسائل الطلبة من

درجة الماجستير والدكتوراه. ومن الأساتذة الذين التقيتهم فيها د. أحمد مطلوب، وكان عميد كلية الآداب وزوجته الدكتورة خديجة الحويشي، وقد اشتركا معاً في تحقيق كتاب «البخلاء» للخطيب البغدادي، والدكتور نوري حمود القيسي رحمه الله وكان متخصصاً بتحقيق كتب الأدب والشعراء والبلاغة ويشاركه في تحقيقاته الدكتور حاتم صالح الضان الذي يرأس حالياً مركز المخطوطات في مجمع (جمعة الماجد) في دبي في الإمارات، ولهذا الأستاذ الأخير أكثر من ١٣٠ كتاباً محققاً في الأدب والعروض والنحو والصرف، ومن بينهم الدكتور إبراهيم السامرائي رحمه الله، وله العديد من المؤلفات والتحقيقات وكان في السنوات الأخيرة مقيماً في عمان وأصبح عضواً في «مجمع اللغة العربية الأردني».

مكتبة المجمع العلمي العراقي:

وهناك المكتبة الخاصة بالمجمع العلمي العراقي وهي تضم عشرات الآف الكتب المخطوطة والمطبوعة ويرأس المجمع الأستاذ الدكتور أحمد صالح العلي وهو من كبار العلماء والمؤرخين ممن درس في ألمانيا، وله مؤلفات كثيرة أذكر منها ترجمته لكتاب «علم التاريخ عند المسلمين» للمؤرخ الألماني «فرانتز روزنثال» وهو يعتبر من أهم ما كتب في هذا المجال.

ومن أعضاء المجمع الدكتور حسين أمين وكان يشغل منصب أمين عام اتحاد المؤرخين العرب الأسبق ويليه الأستاذ الدكتور مصطفى عبد القادر النجار الأمين السابق والذي كانت له المبادرة عام ١٩٩٣ في منح (١٥) أستاذاً ومؤرخاً من لبنان وسام المؤرخ العربي.

ردود الفعل العراقية والعربية والدولية
على نهب تراث العراق

١٧٠ ألف قطعة نهبت من متحف بغداد[١]:

حمل وزير الثقافة الروسي ميخائيل شفيدكوي القوات الأميركية مسؤولية السماح للسارقين باقتحام أكبر متحف أثري عراقي في بغداد.

وقال: «ما حذرنا منه مراراً وما قلقنا في شأنه قد حصل فعلاً». وأضاف: «أن الحرب تجلب المعاناة لغير القادرين والكنوز الحضارية غير محمية تماماً مثل كبار السن والنساء والأطفال».

وقال مدير منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «الأونيسكو» في الأردن ندييه فول: إن أعمال النهب التي طاولت المتاحف في العراق أدت إلى نهب أو تضرر ١٧٠ ألف قطعة أثرية في العراق. و«حالما تصبح الأونيسكو في وضع يمكنها من دخول العراق، سنرسل فريقاً لتقويم الأضرار في المتاحف العراقية». وأوضح أن «تهريب القطع الأثرية في العراق يشكل ممارسة قديمة جداً ومنظمة جداً»، مشدداً على ضرورة ايلاء القوات الأميركية والبريطانية هذه الأمور اهتماماً خاصاً باعتبار أن «السارقين سيحاولون ولا شك بيع الأغراض التي سرقوها من هذه القوات».

(١) النهار، ١٥ نيسان (أبريل) ٢٠٠٣.

الأونيسكو تنشىء صندوقاً للتراث العراقي واستقالة ٣ مستشارين ثقافيين لبوش احتجاجاً على سرقة متحف بغداد[١]

احتجاجاً على «مأساة» نهب متحف بغداد التي «كان يمكن توقعها ومنعها»، استقال أمس رئيس اللجنة الاستشارية الرئاسية للشؤون الثقافية في الولايات المتحدة مارتن سوليفان، والعضوان فيها غاري فيكان وريتشارد لانيير. بينما دعا الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «الأونيسكو» كويشيرو ماتسورا إلى إنشاء «شرطة للتراث» في بغداد وإصدار قرار في مجلس الأمن يحظر الاتجار بالآثار العراقية. واتهم البروفسور في جامعة شيكاغو ماغواير جيبسون، (وهو واحد من ٣٠ خبيراً دولياً في تراث الشرق الأوسط اجتمعوا بدعوة من المنظمة) عصابات منظمة حصلت على تسهيلات بتنفيذ عمليات النهب.

ومهمة اللجنة الاستشارية الرئاسية للشؤون الثقافية في الولايات المتحدة تقديم النصح للرئيس الأميركي بوش في مجال السياسة والمبادرات الثقافية، وفيها ١١ عضواً يعينون لولاية مدتها ثلاث سنوات موزعين كالآتي: خبيران في علم الآثار والأصول العرقية، ثلاثة اختصاصيين في الأسواق العالمية للأعمال الفنية، وأربعة آخرون يعينون وفق مؤهلاتهم العلمية. وقال سوليفان

---

(١) النهار، ١٨ نيسان (أبريل) ٢٠٠٣.

في كتاب استقالته أن نهب متحف بغداد يشكل «مأساة كان يمكن توقعها ومنعها لولا تراخي أمتنا». وذكر بأنه كان أحد المحاربين القدامى في فيتنام. وأضاف: «أنني متأثر جداً بشجاعة قواتنا وتضحيتنا باسم الحرية. ولكن أنت وإدارتكم اخترتم شن عمل وقائي وقررتم اطلاق الحرب باختيار الوقت والدوافع في خيار كان ينبغي، في رأيي، أن يواكبه واجب توقع ومحاولة منع أعمال النهب والتدمير (. . .) وفيما أظهرت قواتنا دقة وضبطا استثنائياً للنفس في استخدام أسلحتها وفعلت ذلك على ما يبدو لحماية وزارة الطاقة وحقول النفط، فإنها بدت غير قادرة على تأمين حماية الملكية الثقافية والحفاظ على الصحة العامة وتقديم المساعدة الإنسانية». وفي وقت لاحق، صرح سوليفان لوكالة «رويترز» أن من أسباب استقالته رغبته في تسجيل موقفه ولأنه «لا يستطيع التحدث بحرية» لكونه موظفاً خاصاً عينته الحكومة.

الخبراء:

وفي ختام مؤتمرهم الذي انعقد في مقر «الأونيسكو» في باريس، أعرب الخبراء عن «صدمتهم الشديدة» من «الأضرار الخطيرة» وعمليات النهب التي لحقت بالتراث العراقي الثقافي من جراء الصراع الأخير». وطالبوا «قوات التحالف بالتزام مبادىء اتفاق لاهاي لعام ١٩٥٤ لاحترام الممتلكات الثقافية خلال الصراع المسلح».

وأصدروا ست توصيات هي: تولي القوات الموجودة على الأرض فوراً حماية المتاحف والمكاتب والوثائق والنصوب والمواقع الأثرية، والمنع الفوري لتصدير أي قطعة أثرية أو عمل فني أو كتاب أو وثائق مصدرها العراق، والمنع الفوري للاتجار الدولي بأي قطعة تعود إلى الإرث الثقافي العراقي، واطلاق نداء لإعادة القطع الثقافية المسروقة، وإنشاء لجنة استطلاع تتعاون مع «الأونيسكو» لتقدير حجم الأضرار والخسائر الثقافية في العراق، وتسهيل الجهود الدولية لمساعدة المؤسسات الثقافية في العراق. وكان ماتسورا

أعلن في افتتاح المؤتمر إنشاء «صندوق خاص للتراث العراقي» سيغذى باشتراكات الكثير من الدول، بما فيها ايطاليا التي قدمت مساهمة قيمتها ٤٠٠ ألف دولار، وقطر وفرنسا وألمانيا وبريطانيا ومصر. ولاحظ أن «تدابير عاجلة تفرض نفسها مثل إنشاء السلطات المحلية وفي كل الأراضي العراقية «شرطة للتراث» تكلف السهر على المواقع والمؤسسات الثقافية، بما في ذلك المكتبات والمباني التي تضم المحفوظات».

وكشف أنه يستعد «ليطلب من الأمين العام للأمم المتحدة (كوفي عنان) طرح مسألة الاتجار غير المشروع على مجلس الأمن بغية تبني قرار يفرض حظراً لفترة محددة على اقتناء أي قطعة ثقافية آتية من العراق».

جيبسون:

وبعد الاجتماع، صرح جيبسون في مؤتمر صحافي: «يبدو أن بعض عمليات السرقة كان مخططاً لها. إنها من فعل عصابات تسعى منذ ١٢ سنة إلى تدمير المواقع الأثرية كي تتمكن من اخراج قطع مهمة بطريقة غير شرعية من البلد». وأضاف أن اللصوص «تمكنوا من الحصول على مفاتيح الأقبية من مكان ما وتمكنوا من أخذ أفضل الآثار... لديّ شك في أنهم منظمون من خارج البلاد، في الواقع أنا متأكد من ذلك». وأشار إلى أن لديه معلومات عن وصول بعض القطع المسروقة إلى «باريس وطهران وأجزاء أخرى من أوروبا». غير أنه لم ينكر قيام «أشخاص غاضبين أو مراهقين» بعمليات نهب، معرباً عن أمله في استرجاع بعض المسروقات من هؤلاء.

وفي واشنطن، أفاد مدير مكتب التحقيقات الفيديرالي «أف بي آي» روبرت مولر أنه سيرسل عملاء إلى العراق للمساهمة في استعادة الآثار المسروقة. وقال: «نحن ملتزمون القيام بكل ما في وسعنا لضمان عودة هذه الكنوز إلى الشعب العراقي».

في غضون ذلك، تستعد نيويورك لاحتضان أكبر معرض لفنون بلاد ما بين النهرين ينظم في السنوات الأخيرة الشهر المقبل.

الإنتربول يشن حملة لتتبع التحف المسروقة

علماء آثار عراقيون يتهمون أميركا بارتكاب «جريمة القرن»[(١)]

اتهم مدير متحف آثار بغداد أمس القوات الأميركية بارتكاب جريمة القرن لعدم حمايتها محتويات المتاحف العراقية من عمليات النهب والمواقع الأثرية العراقية من التدمير.

وقال دوني جورج بحضور علماء آثار عراقيين آخرين أن ما حصل للمواقع الأثرية وما حدث في المتحف العراقي يشكل جريمة القرن لأن هذا أثر على تراث الإنسانية.

وأضاف جورج للصحافيين هذا يدعو إلى التفكير بأن هناك أولويات أخرى للولايات المتحدة غير متحف بغداد.

ومن جانبه، أكد رئيس دائرة التراث والاثار العراقية جابر خليل إبراهيم أن على الحكومتين الأميركية والبريطانية أن تقوما باصلاح الخطأ من خلال منع خروج هذه الآثار المسروقة من العراق والبحث عن هذه الآثار التي ستعاود الظهور في سويسرا وبريطانيا والولايات المتحدة وإسرائيل واليابان وإعادتها إلى العراق.

وأوضح إبراهيم أنه متفق مع ما توصل إليه اجتماع خبراء الآثار الذي عقد بباريس برعاية اليونيسكو أول أمس من أن عصابات منظمة متخصصة

---

(١) اللواء، ١٩ نيسان (أبريل) ٢٠٠٣.

بتهريب الآثار شاركت في عمليات نهب الآثار العراقية.

وقال إن من بين القطع الأثرية التي تمت سرقتها وعاء سومري قديم يعود إلى ما قبل خمسة آلاف سنة وزنته ٣٠٠ كيلو غرام يعرف على أنه «وعاء أوروك» لا يستطيع أن يحمله إلاّ عدة أشخاص وأن ما بقي في المتحف قطع كبيرة جداً لا يمكن حملها.

وأضاف إبراهيم «اعتقد أنهم يعرفون حقاً ما كانوا يبحثون عنه، كانوا يبحثون خصوصاً عن القطع السومرية النفيسة.

من جهتها اعتبرت منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (يونيسكو) تراث العراق مهد المعرفة الإنسانية الذي تعرض للدمار أثر نهب وتخريب متاحف بغداد وتكريت والموصل واحراق المكتبة الوطنية ومكتبة المصاحف، كنزاً نفيساً «لا يقدر بثمن».

وأعلن مدير بعثات الآثار الأميركية في العراق ماكغاير غيبسون: علمنا للتو أن متحف تاريخ العراق الذي يعتبر من المواقع الأكثر أماناً، تعرض للنهب.

ويسعى غيبسون وكذلك سلمى الراضي عالمة الآثار العراقية التي تعمل في جامعة نيويورك، ونيل ماكغريكور مدير المتحف البريطاني في لندن لوضع قائمة عن حجم الكارثة التي حلت بالتراث العراقي.

إلى ذلك بدأت الشرطة الدولية حملة عالمية لتتبع الآثار والتحف العراقية التي لا تقدر بثمن والتي نهبت أثناء فوضى الغزو الذي تقوده الولايات المتحدة. وحذرت جامعي التحف من شراء أي قطعة فنية يشتبهون في كونها مسروقة.

وقالت الشرطة الدولية «الانتربول» أنها شكلت فريقاً لتعقب السارقين والكنوز المفقودة. ويسافر ضباط من الشرطة الدولية إلى العراق بأسرع ما

يمكن لحصر التحف التي نهبت في الفوضى التي واكبت سقوط نظام صدام حسين.

وقال كارل هاينز كايند المتخصص في مكافحة سرقة القطع الفنية والآثار في الانتربول: «الانتربول يدعو المنظمات والمعاهد المعنية بالحفاظ على الآثار أو الاتجار فيها أن ترفض رفضاً باتاً أية عروض متعلقة بملكية ثقافية ترجع إلى العراق».

وكان مدير الشرطة الفدرالية الأميركية (أف بي آي) روبرت موللر قال أنه أرسل عناصر من الشرطة للتحقيق في عمليات نهب الآثار في العراق.

وقال خلال مؤتمر صحافي عقده في واشنطن: «نحن عازمون على القيام بكل ما يمكننا القيام به من أجل حماية هذه الكنوز الأثرية العائدة للشعب العراقي».

ومن المقرر عقد مؤتمر دولي حول سرقة الآثار من ٢٣ إلى ٢٥ أيار (مايو) ٢٠٠٣ في برلين كما أفاد منظموه مشيرين إلى أن موضوع الآثار أصبح من مواضيع الساعة بعد ما لحق بالتراث الثقافي العراقي من دمار وسرقة بسبب الحرب.

من جهة أخرى أعربت الحكومة الباكستانية عن صدمتها واستنكارها للتقارير التي وردت حول احراق مكتبة بغداد وتدمير ما يتضمنه أرشيفها من كنوز لا تقدر بثمن.

كما أعربت عن قلقها العميق إزاء ما تعرض له المتحف العراقي من أعمال سرقة ونهب طاولت موجودات أثرية نفيسة.

عصابات دولية نهبت آثار العراق[1]

غداة الدعوات التي وجهها رجال الدين لاسترجاع المسروقات، أعاد سكان بغداد ٢٠ قطعة أثرية كانت نهبت من المقتنيات الوطنية في العراق حيث تعد أقدم تحف الحضارة الإنسانية. بيد أن خبراء الآثار أعربوا عن اقتناعهم بأن عصابات دولية منظمة سطت على التحف التي لا تقدر بثمن.

وكان رئيس قسم الآثار القديمة في العراق جبار هليل قد وصف الجمعة نهب المتحف الوطني عقب دخول القوات الأميركية بغداد بأنه «جريمة العصر»، متسائلاً لماذا لم تتحرك هذه القوات لحمايته في أيام الفوضى غداة اطاحة حكومة الرئيس صدام حسين. بيد أنه ترك إمكانا لأن لا تكون عمليات النهب بالحجم الذي كان معتقداً. ولفت إلى أنه بسبب انقطاع الكهرباء، على العاملين في المتحف أن يجروا تقويماً شاملاً للأقبية المظلمة حالياً والتي كانوا نقلوا إليها تحفاً كثيرة خشية الحرب. ولكنه أكد أنه رغم العتمة خلع اللصوص بعض الغرف. وكان المدير العام للأبحاث في مجلس الدولة للآثار القديمة دوني جورج صرح: «لا يمكننا القول كم قطعة أخذت، لكن ما حصل كارثة».

ومنع المسؤولون عن المتحف أمس الصحافيين من الدخول لمعاينة الأضرار، موضحين أن العاملين منهمكون في تقويم حجم الأضرار.

---

(١) النهار، ٢٠ نيسان (أبريل) ٢٠٠٣.

وتعهدت الشرطة الدولية «الأنتربول» ومكتب التحقيقات الفيديرالي «أف بي آي» المساعدة على إعادة المقتنيات. ولمح مسؤولون عراقيون إلى أنهم لم يتلقوا إتصالات من محققين أميركيين. وحضوا حكومات العالم على منع التجارة بالآثار المنهوبة، مشيرين إلى سويسرا والولايات المتحدة وإسرائيل واليابان حيث توجد أسواق سوداء.

وفي المتحف أفضل مجموعة أثرية في الشرق الأوسط، منها تحف هشة عمرها آلاف السنين وألواح من وادي دجلة والفرات حيث انطلقت مبتكرات الإنسانية.

ومن المقتنيات التي ثبت فقدانها مزهرية مرمرية تعود إلى عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد ومنقوشات برونزية وكنوز قديمة أخرى من الحضارتين الآشورية والسومرية وغيرهم. وقال هليل أن من بين المسروقات رؤوساً قطعت من تماثيل رومانية كانت معروضة في المتحف. وأضاف أن «العراق حقاً كان مهد الحضارة. الزراعة كانت هنا، القرى الأولى، القوانين الأولى. الدولاب ابتكر هنا، الكتابة ابتكرت في هذه المنطقة». وأشار إلى أن أئمة بغداد حضوا المؤمنين على إعادة المسروقات، والجمعة كان أول الغيث.

وقال اللفتنانت في الجيش الأميركي اريك بالاسكيك الذي يشرف على حراسة مداخل المتحف: «جاؤوا وقالوا: سيدي سيدي أنظر في الكيس... تنظر في الكيس فإذا فيه مزهرية أو شيء آخر».

وكشف هليل أن بعض الأعمال التي أعيدت أشعار وقطع معدنية. وقال عمال: إن بعض أعمال السطو نظمها أشخاص يريدون قطعاً معينة.

إلى ذلك، نفت وزارة الخارجية الفرنسية أن تكون لديها أي معلومات حيال ما تردد عن تورط أحد مهندسي الحرب على العراق رئيس مجلس السياسات الدفاعية في وزارة الدفاع الأميركية «البنتاغون» ريتشارد بيرل الذي استقال أخيراً.

ونسبت وكالة أنباء الشرق الأوسط «أ ش أ» المصرية إلى الناطق باسم الخارجية الفرنسية برنار فاليرو أنه لا يستطيع التعليق على هذا الموضوع لأنه ليس لديه معلومات عنه.

وأضافت أن أنباء ترددت في اجتماع عقد أخيراً في مقر منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «الأونيسكو» في باريس وشارك فيه ٣٠ خبير آثار، عن احتمال تورط بيرل مع عصابات دولية للجريمة المنظمة في تنظيم سرقة الآثار العراقية تحت غطاء الغوغاء التي تلت سقوط صدام.

ورجح خبراء الآثار أن تكون عمليات سرقة الآثار المهمة قد جرت على أيدي عصابات كانت تعلم في ما يبدو بسيناريوات الحرب، إذ تبين أن مفاتيح خاصة بالأقبية وقاطعات زجاج قد استخدمت لانتزاع القطع الأثرية، وهذا ما يشير إلى مشاركة لصوص محترفين.

وكان أفيد في باريس أيضاً أن الجمارك الفرنسية ضبطت ٥٠٠ قطعة هربت من العراق خلال الأيام الأخيرة لحساب أثرياء فرنسيين قبل أن يعاد تصديرها إلى أثرياء في دول أخرى.

وفي ألمانيا، قال مدير المتحف الإسلامي في برلين كلاوس بيتر هاس أن نهب المتحف العراقي حصل على أيدي عصابات منظمة.

واستبعد ما تردد عن أن مقترفي هذه الجريمة هم مجرد غوغائيين ليسوا على دراية بقيمة الآثار المنهوبة، مؤكداً أن الذين قاموا بهذه يعلمون جيداً وعلى وجه الدقة أماكن حفظ هذه الكنوز. وقال أنهم «استهدفوا كنوزاً أثرية معينة وأخفوها كما لو كانت معهم قوائم بها وخرائط بمحتويات المتحف، أنهم محترفون».

وحذّر من قيام «مافيا» الآثار بأعمال سلب ونهب للمواقع الأثرية المنتشرة في أرجاء العراق أو الحاق أضرار بالسجلات والوثائق التي تحوي

تفاصيل تلك الآثار، معتبراً أن ذلك يعد كارثة حقيقية وخسارة فادحة للباحثين الأثريين.

وفي الأردن، أعلنت سلطات الجمارك أنها ضبطت ٤١ صورة تؤرخ لفترات مختلفة من حياة الرئيس العراقي صدام حسين سرقت من المتحف الوطني في بغداد.

وقال رئيس مكتب الجمارك محمود قطيشات أن الصور وأربع لوحات زيتية ضبطت في نقطة الكرامة الحدودية مع مواطن غربي كان قادماً من العراق. وأضاف أنها صور نادرة لصدام التقطت له خلال سنوات اقامته في سوريا ومصر، إلى صور أخرى للمنزل الذي أمضى فيه طفولته وصور للقاءات له مع زعماء عالميين وصور أخرى أحدث. وكشف أن المسافر الغربي اعترف الخميس أنه أخذ الصور من المتحف.

وأكد أن السلطات الأردنية صادرت الصور وتركت المسافر يواصل رحلته لأنه لا قانون ينص على اعتقاله لهذا السبب.

وكان في هذه المجموعة صور لمنزل صدام حسين أثناء طفولته في قرية العوجة قرب تكريت وصور للمدرسة الابتدائية وصور مع أصدقاء في القاهرة وسوريا خلال وجوده في المنفى قبل أن يتولى حكم العراق عام ١٩٧٩.

فرق أميركية استعادت تحفاً ومخطوطات فقدت من المتحف الوطني العراقي(١)

أفاد مسؤولون أميركيون في الجمارك أن فرقهم استعادت نحو ٧٠٠ قطعة أثرية وحددوا أماكن ٣٩٤٠٠ مخطوطة مفقودة من المتحف الوطني العراقي في بغداد.

وأصدر المكتب الأميركي للهجرة والجمارك بياناً جاء فيه أن ضباطاً لديه في العراق يعملون مع الجيش الأميركي في البحث عن كنوز عراقية لا تقدر بثمن فقدت من المتحف الوطني منذ موجة النهب التي اجتاحت البلاد الشهر الماضي عندما أطاحت القوات التي تقودها الولايات المتحدة نظام الرئيس صدام حسين. وقال نائب رئيس المكتب مايكل غارسيا أن «استعادة هذه المخطوطات والتحف هي نتيجة تعاون رائع بين السلطات الأميركية والجيش الأميركي والشعب العراقي». وأضاف: «ما يزال أمامنا كثير من العمل»، ووعد بمتابعة عمليات البحث عن المسروقات في العراق والعالم.

ووجهت انتقادات إلى القوات الأميركية والبريطانية لتقاعسها عن حماية المتاحف والمواقع الأثرية خلال الحرب على رغم أنها تلقت تحذيرات مسبقة من الأخطار التي قد تتعرض لها الكنوز التاريخية في العراق.

وكشف البيان أن ضباطاً سريين من المكتب الأميركي للهجرة والجمارك

(١) النهار، ٩ أيار (مايو) ٢٠٠٣.

نشروا قبل بدء الحرب والحق بعضهم بوحدات الجيش الأميركي للقيام بتحريات. و«بعدما ظهرت على السطح للمرة الأولى تقارير عن أعمال النهب من المتاحف العراقية، اقترح ضباط المكتب بدء جهود فورية لاستعادة تلك القطع بالتعاون مع الجيش الأميركي».

وبمجرد وصولهم إلى بغداد، عمل ضباط المكتب الأميركي للهجرة والجمارك ومسؤولون من الجيش مع أمناء المتحف العراقي لإعداد كتيبات بالقطع التي فقدت من المتحف. وبدأ ضباط من المكتب ينامون في المتحف لحمايته من مزيد من أعمال النهب.

وقال وزير العدل الأميركي جون اشكروفت أن ثمة أدلة على أن عصابات جريمة منظمة وراء أعمال النهب، وتعهد أن تلاحق الإدارة الأميركية والشرطة الدولية «الأنتربول» اللصوص وأن تتعقب القطع الأثرية.

وإلى القطع التي أعيدت، وجد ضباط المكتب الأميركي للهجرة والجمارك أن الكثير من القطع المفقودة خزن في أماكن آمنة قبل الحرب. وعثر على عدد من الخزائن في الأيام الأخيرة.

استعادة ٩٥١ قطعة آثار عراقية(١)

أعلن رئيس فريق المحققين الأميركيين في خسائر المتحف العراقي الكولونيل ماثيو بوغدانوس استعادة ٩٥١ قطعة آثار سرقت من المتحف، من غير أن يحدد تلك التي ما تزال مفقودة.

وأبلغ إلى الصحافيين في وزارة الدفاع الأميركية «البنتاغون» أن فريقه المكون من ١٤ محققاً استعاد ٩٥١ قطعة، إما مباشرة من طريق التوجه إلى بعض المناطق، وأما من خلال «سياسة عدم توجيه الأسئلة» إلى أي شخص يعيد أي آثار مسروقة. وأضاف أن بين القطع المستعادة واحداً من أقدم الأوعية المصنوعة من البرونز واناء من الفخار يعود إلى الألفية السادسة قبل الميلاد، وواحداً من أقدم تماثيل الحضارة السومرية.

وقال: إن من الآثار التي ما تزال مفقودة وعاء من الحجر الجيري يعود إلى الحضارة السومرية من الالفية الثالثة قبل الميلاد، وأنه لم تكن في المتحف سجلات بمحتوياته كاملة.

ودعا بوغدانوس إلى تعاون دولي لاستعادة الآثار العراقية المفقودة، لأن «معظم المهمة لم ينجز بعد، وهي ملاحقة كل قطعة من هذه القطع المفقودة والتي يتوقع أن تستغرق سنوات». وأشار إلى أن فريقه لم يتمكن بعد من الوصول إلى أقبية «البنك المركزي العراقي» التي قال أحد العاملين في المتحف

(١) النهار، ١٧ أيار (مايو) ٢٠٠٣.

أنها تحوي ١٥ إلى ٢٠ صندوقاً فيها ٦٧٤٤ قطعة من الذهب والمجوهرات أحدها كنز الملك نمرود، مشيراً إلى أنه لا يمكن التحقق من ذلك قبل فتح الأقبية في «الوقت المناسب من السلطة المناسبة». ويتجه اليوم وفد من خبراء آثار دوليين في رعاية منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «الأونيسكو» من عمان إلى بغداد في مهمة تستمر ثلاثة أيام لتقويم حجم الأضرار التي لحقت بالاثار العراقية.

«الأونيسكو»: مئات لا آلاف القطع سُرقت من متحف بغداد الوطني[1]

صرح أمس المدير العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «الأونيسكو» كويشيرو ماتسورا أن مئات فقط وليس عشرات آلالاف من القطع الأثرية سرقت من المتحف الوطني العراقي في بغداد خلال الحرب التي قادتها الولايات المتحدة على العراق.

وقال للصحافيين عقب محادثات مع رئيس الوزراء البرتغالي جوزيه مانويل دوراو باروسو في لشبونة أن فريقاً من أربعة خبراء وصل السبت إلى بغداد لمعاينة الأضرار التي لحقت بالمتحف خلال عمليات النهب التي اجتاحت العاصمة العراقية عقب استيلاء القوات الأميركية عليها في التاسع من نيسان» وأضاف: «في البداية أخبرنا أن نحو نصف القطع سرقت أي ستين أو سبعين ألف قطعة، ولكن يبدو أن أقل من ألف قطعة فقدت وأنه أمكن انقاذ قطع مهمة». ورأى مع ذلك أن «فقدان ألف قطعة يشكل خسارة كبيرة للمتحف والتراث الثقافي وعلينا أن نستعيد أكبر قدر منها». وأوضح أن فريق خبراء المنظمة الذين انضم إليهم ثلاثة خبراء أميركيين في بغداد سيساعد على وضع جردة مفصلة بالقطع المفقودة من أجل المساعدة في جهود الشرطة على استعادة المسروقات. وبدأ الأنتربول حملة في كل أنحاء العالم بحثاً عن الآثار المسروقة من متحف بغداد الذي كان يضم نحو ١٧٠ ألف قطعة يعود بعضها

(١) النهار، ٢١ أيار (مايو) ٢٠٠٣.

إلى ما بين ٣٠٠٠ و ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد. وإلى جانب نهب المتحف الوطني، أقدم مرتكبو عمليات النهب على تمزيق الوثائق في مركز الأرشيف الوطني، وأضرموا النار في المكتبة الوطنية في بغداد، ودمروا وسرقوا الكثير من القطع والأعمال التي لا تقدر بثمن بعضها يرجع في تاريخه إلى أقدم حضارات العالم.

وتعرض متحف في مدينة الموصل الشمالية للنهب أيضاً، غير أن ماتسورا قال إن الخبراء لن يزوروا سوى المواقع التي تعرضت للنهب في العاصمة العراقية. وهو يرغب في استصدار قرار من مجلس الأمن يحظر كل عمليات الاتجار بالآثار والكنوز العراقية، غير أن الخبراء يعتقدون أن الكثير من القطع لن تستعاد أبداً بسبب وقوف عصابات إجرامية على ما يبدو وراء بعض عمليات النهب.

اليونسكو وآثار العراق[1]

كان المشهد مرعباً يصعب نسيانه أو محوه من الذاكرة الإنسانية فمئات من القطع الأثرية والأواني الخزفية مدمرة وملقاة في فوضى رهيبة على أرض متحف بغداد صورة تناقلتها وسائل الأعلام. ذكر هذا المشهد الكئيب العالم بالتراث الإنساني الذي فقد في الحرب العالمية الثانية. ورغم ضراوة هذه الحرب وملايين الضحايا الذين سقطوا فيها إلاً أن الجيوش الغازية حمت بعض هذه الكنوز فباريس لم ينل متاحفها أي سوء ورغم تدمير برلين إلاً أن محتويات متحفها نجت في مخازنها السرية وعلى رأسها تمثال الملكة نفرتيتي الرائع. أما تحف متحف الارميتاج بلينتجراد (سان بطرسبرج) فقد نجت رغم حصار المدينة مدة أربع سنوات. ولكن العديد من المتاحف الأوروبية دمر ونهبت محتوياته. وكان ماريشال الرايخ الألماني جورنج شغوفا بجمع التحف الفنية من البلاد التي غزاها النازي. ومن الغريب أنه تم استعادة معظمها. وكان لزاماً أن تنشأ هيئة دولية تساهم في توحيد الجهود لإعادة بناء آلاف المدارس والمتاحف والمكتبات التي دمرت في اتون الحرب في أوروبا.

وهكذا خرجت إلى الوجود منظمة اليونسكو أو منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة وريثة شرعية لثلاث منظمات ثقافية تربوية تكونت في مطلع العشرينات من القرن الماضي وانصهرت كلها في النهاية في بوتقة اليونسكو. ولا شك أن هذه المنظمة قد خرجت إلى العالم بعد أن مر بفترة

(١) د. عمرو مبروك: اليونسكو وآثار العراق، الأهرام ٢٦ أيار (مايو) ٢٠٠٣.

تاريخية حالكة تميزت بدموية شديدة ودمار غير مسبوق لم ينل فقط من الاقتصاد العالمي بل نال أيضاً من الانسان في كل مكان.

ولكن يبقى ما حدث في العراق مؤخراً من تدمير لتاريخ هذا البلد العريق حدثاً غير مسبوق فحضارة بين الرافدين هي من أقدم الحضارات العالمية فهناك آثار وجدت تنسب إلى أربعة آلاف عام قبل الميلاد. وتعتبر الحضارة السومرية من أول هذه الحضارات وتنقسم إلى فترتين منفصلتين تفصلهما الحضارة الأكدية وقد تلت هاتين الحضارتين حضارات عراقية أصيلة وهي البابلية والآشورية. ثم أصبحت العراق مركزاً حضارياً لحضارات قامت في أماكن أخرى وهي الفارسية والأغريقية حين اتخذ الاسكندر الأكبر بابل عاصمة له ثم الحضارة الساسانية التي بنت المدائن وشيدت فيها قصور الأكاسرة. أما الحضارة العربية قبل الإسلام فكان منهم ملوك المناذرة الذين أسسوا الحيرة. وتلت ذلك الحضارة الإسلامية التي أسست الكوفة والبصرة. ثم أنشئت بغداد عاصمة الخلافة العباسية ومنبع الفكر الإسلامي والعلمي لمئات السنين. وقد تميزت جميع هذه الحضارات بأنها كلها شغفت بتسجيل تاريخها وكانت الألواح السومرية أول ما عرف الإنسان من الكتابة ولهذا وجد تاريخ مكتوب لبين النهرين منذ آلاف السنين. ولا عجب أن محتويات متحف بغداد وصلت إلى مائة وسبعين ألف قطعة تمثل تاريخ كل هذه الحقب رغم ما عرفه العراق من نهب منظم لتراثه على مدى القرنين الماضيين والذي يقبع الآن في متاحف العالم الغربي كلها. ويعود الفضل في تطوير هذا المتحف الثمين إلى ساطع الحصري الذي ساهم في حماية آثار بلاده منذ الثلاثينات من القرن الماضي. وقد زود هذا المتحف بمكتبة عامرة حفلت بأمهات الكتب وساهمت في تخريج باحثين في مجال الآثار على مدى عشرات السنين. وقد امتد الدمار والنهب لدار المخطوطات وما حوته من مخطوطات إسلامية ومصاحف ثمينة نجت من هولاكو ودمرت حديثاً. أما دار الوثائق فقد حوت كل تاريخ العراق الحديث منذ القرن التاسع عشر وأصبحت الآن هشيماً تذوره الرياح. ولا شك

أن تدمير هذا التاريخ الموثق لهو أكبر ضربة تصيب الهوية العراقية في مقتل فإن العراق لهو أوجز الفنان نصير شمه «آت من الماضي ذاهب باتجاه المستقبل» لأن الحاضر مهما كانت مرارته هو مرحلة وقتية ولن يمضي وقت طويل حتى تبعث هذه الأمة من جديد ولكن يجب أن يبني هذا البعث على قواعد التاريخ التليد. ومن هنا كان النداء الذي وجهه ماتسورا المدير العام لليونسكو يطالب فيه مجلس الأمن بتبني قرار يحظر كل أشكال الاتجار في الآثار العراقية المسروقة وتكون هذه خطوة أولى مهمة من أجل استعادة العراق لكنوزه. ولكن ماتسورا لا يشعر بتفاؤل كبير في امكان استعادتها. لأن التجارة بالكنوز الثقافية تقدر بنحو خمسة ملايين دولار سنوياً لتأتي في المركز الثاني بعد تجارة المخدرات. ورغم هذا التشاؤوم الشديد يبقى الإنسان العراقي الجديد هو الأمل ففي مؤتمر منظمه المتحف البريطاني واليونسكو مؤخراً صرح خبير الآثار العراقي الدكتور دوني جورج وهو من أمناء المتحف وواحد من شهود عيان الكارثة «أن هناك العديد من الآثار العراقية التي تعاد يومياً إلى المتحف بعد مناشدة رجال الدين للمواطنين باعادتها». ربما لن يعود معظمها ولكنها خطوة أولى نحو النور تثبت أن من سرق وخرب لا ينتمي حقاً لهذا الشعب العريق.

١٤ ـ الأرشيف السري لصدام حسين:

ذكرت صحيفة «نيزا فسيمايا غازيتا» الروسية أن اطلاق النار الأميركي على قافلة دبلوماسية روسية في ٩ نيسان (أبريل) عام ٢٠٠٣ أثناء سقوط بغداد، يمكن أن يفسر أنه معركة بين أجهزة الاستخبارات الروسية والاستخبارات الأميركية، وذلك للحصول على الأرشيف السري للرئيس السابق صدام حسين موضحة أن هذه الوثائق أصبحت في موسكو على الأرجح[١].

(١) اللواء، ١٠ نيسان (إبريل) ٢٠٠٣.

ولا بد من الإشارة إلى أن وثائق صدام حسين السرية إنما تمثل حقبة مهمة من تاريخ العراق الحديث، وارتباطاته المحلية والإقليمية والدولية. ونتيجة للعلاقات الودية المستجدة بين الأميركيين والروس، فإنه من المرجح أن يتم التنسيق بين الجانبين سواء بالنسبة لتلك الوثائق ـ في حال وجودها ـ أو بالنسبة لسواها من معلومات عسكرية أو استخباراتية أو سياسية أو اقتصادية[١].

---

(١) أشارت الصحف اللبنانية والعربية والدولية، في الفترة الممتدة بين ١٦ ـ ٢٣ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٣ إن اعتقال صدام حسين قد يؤدي إلى كشف وثائق سرية عديدة.

الفصل التاسع

الأرشيف الأوروبي والأميركي

١ ـ الأرشيف البريطاني[١]:

يعتبر مركز الأرشيف البريطاني التابع لوزارة الخارجية البريطانية من أهم مراكز الأرشيف العالمي، فهو يضم العديد من السجلات والملفات الوثائقية التي يعود تاريخها إلى فترة الإمبراطورية البريطانية وحكمها في مناطق متعددة في العالم، كما يعود بعضها الآخر إلى فترة سنوات القرن العشرين، لا سيما لثلاثين سنة خلت، وهي الفترة المسموح بالاطلاع عليها.

ومن بين أرشيفه: الوثائق المتعلقة بالعالم العربي في العهد العثماني أو في التاريخ المعاصر، ووثائق الهند والمناطق الإفريقية والآسيوية، فضلاً عن الوثائق المتعلقة بأوروبا والولايات المتحدة الأميركية، أضف إلى ذلك أنَّ التقارير القنصلية والدبلوماسية البريطانية لم تكن تقتصر على مناطق النفوذ البريطاني، وإنما تعدتها إلى كل المناطق أو الدول التي تواجد فيها السفراء،

---

(١) وثائق وزارة الخارجية البريطانية المصنفة تحت مصنف (F.O)، هي وثائق ومراسلات وتقارير سرية للسفراء والقناصل البريطانيين في العواصم لامختلفة، وقد جمعت في مركز السجلات العامة (Public Record Office) (P.R.O) في العاصمة البريطانية لندن، ثم نقل هذا المركز إلى مركز حديث في أواخر السبعينات ـ بعد أن اعتمد على نظام الكمبيوتر ـ إلى منطقة (KewGardem) في ريتشموند (Richmond).

والقناصل، أو الملحقين البريطانيين التي كانت تقتضي طبيعة وظائفهم إرسال التقارير الرسمية اليومية والأسبوعية أو الشهرية إلى لندن حيث مقر الحكم المركزي، ووجود الحكومة، ووزارة الخارجية، ووزارة الدفاع. وكانت هذه المراكز الثلاثة: الحكومة، ووزارة الخارجية، ووزارة الدفاع، تتبادل التقارير والوثائق العسكرية والسياسية والاقتصادية سواء مع السفراء، أو مع القناصل البريطانيين، أو مع المسؤولين المحليين لكل دولة على حدة.

والحقيقة فإن أهمية هذه الوثائق والتقارير التي يسمح بالاطلاع عليها بعد مرور ٣٠ سنة على كتابتها، فإنها تكشف لنا عن خفايا السياسة البريطانية في العالم، وخفايا السياسة المحلية لمختلف الدول والمناطق والزعامات. أضف إلى ذلك فإن هذه الوثائق تساعد الباحث كثيراً في الكشف عن جوانب سرية: عسكرية أو سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو تربوية أو ثقافية، وهي بالتالي وبالرغم من التحفظ على بعضها، غير أنها تبقى ذات أهمية كبرى للباحث في مجال الدراسات العليا في التاريخ، أو في تخصصات أخرى أيضاً، لأنّها تكشف غوامض وخفايا وأسرار عديدة.

ومن الأهمية بمكان القول، إعطاء بعض النماذج حول أهمية الوثائق البريطانية، فعند حصول الثورة ضد السلطان عبد الحميد الثاني من قبل جمعية الاتحاد والترقي عام ١٩٠٨، ظن البعض ومن بينهم الأتراك والعرب أن هذه الثورة وحادثة الخلع عام ١٩٠٩، إنما هدفها اصلاح الأوضاع السياسية والاقتصادية والإدارية في الدولة العثمانية، وبالتالي العمل لمصلحة الشعوب العثمانية، غير أن الحقائق التاريخية أثبتت أن جمعية الاتحاد والترقي، لم تكن كما ترآى للبعض، بل أكدت الوثائق البريطانية السرية وفي مقدمتها وثائق السفير البريطاني في اسطنبول، وتقارير القناصل البريطانيين في القدس وحلب وبيروت وحيفا ويافا وسواها، أنَّ جماعة الاتحاد والترقي قاموا بالثورة ضد السلطان عبد الحميد الثاني لأنه كان العائق والمتشدد ضد إقامة دولة يهودية في

فلسطين، وضد الهجرة اليهودية إلى الأراضي المقدسة[١]، كما أظهرت التقارير الدبلوماسية البريطانية من خلال محتوياتها، ومن خلال المعلومات السرية من أن الكثير من أعضاء تركيا الفتاة والاتحاد والترقي هم من الحركة الصهيونية أو من اليهود أو من الدونمة[٢]. كما كشفت التقارير الدبلوماسية البريطانية أن ثورة الاتحاد والترقي من بدايتها إلى نهايتها ثورة يهودية ماسونية، وأنَّ الاتحاديين كانوا يجتمعون سراً في المحافل الماسونية في سالونيك[٣] التي تلقى الرعاية والحماية الدولية. وتأكد فيما بعد من خلال التقارير ذاتها أن الكثير من الأعضاء اليهود والدونمة كانوا في عداد وفد خلع السلطان عبد الحميد الثاني. وأشارت تلك الوثائق البريطانية إلى بعض هؤلاء مثل: المحامي عمانوئيل قرصوه، ونسيم مزلياح، وروسو وسواهم.

وتأكدت هذه المعلومات عندما زار إسطنبول شخصياً الشيخ السيد محمد رشيد رضا[٤] صاحب مجلة المنار الصادرة في القاهرة، بعد أن اطلع على خفايا وأسرار جمعية الاتحاد والترقي التي سمحت للمهاجرين اليهود بالدخول إلى فلسطين دون قيد أو شرط، وألغت القيود المعمول بها زمن السلطان عبد الحميد الثاني، ثم اتخذت الجمعية شعاراً لها هو شعار الماسونية (حريات ـ

---

(١) للإطلاع على الوثائق البريطانية الخاصة بهذا الموضوع راجع كتابنا: دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩، دار بيروت المحروسة، ـ بيروت ١٩٩٦ (الطبعة الثانية).

(٢) الدونمة: كلمة فارسية الأصل دخلت إلى التركية، وتعني الشخص مزدوج الشخصية والانتماء، أطلقت على اليهود الذين اعتنقوا الإسلام ظاهراً وبقوا على يهوديتهم سرّاً.

(٣) سالونيك مدينة في اليونان كانت مركزاً لليهود وللماسونية، وكانت تابعة للدولة العثمانية.

(٤) الشيخ محمد رشيد رضا (١٨٦٥ ـ ١٩٣٥) لبناني من القلمون، هاجر إلى القاهرة في أواخر القرن التاسع عشر وتتلمذ على الشيخ محمد عبده وأسس فيها مجلة «المنار». كان أحد رجال الإصلاح وعالماً بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، ثم أصبح مرجعاً للفتاوى في الأمور المعاصرة.

عدالات ـ مساوات) وهي شعارات الماسونية ذاتها. ويتبين ذلك من خلال مقارنة الشهادات الماسونية بشعارات جمعية الاتحاد والترقي، ومن خلال ما أكدته الوثائق السرية البريطانية.

إن الأرشيف البريطاني مليء بالوثائق التي تنشر للمرة الأولى. وسواء أكانت هذه الملفات صحيحة مئة في المئة أم تتفاوت صحتها، غير أنها تمثل وجهة نظر الدبلوماسية البريطانية في كثير من القضايا الهامة والحساسة. وهناك نموذج آخر للوثائق البريطانية والأرشيف البريطاني يتمثل بتاريخ لبنان الحديث والمعاصر. فقد اعتمد الكثير من المؤرخين في مجال الدراسات التاريخية الخاصة بتاريخ لبنان الحديث والمعاصر على مصادر ومراجع ومخطوطات عديدة، غير أن غالبية هذه الدراسات التاريخية السابقة، لم تكن تعتمد على الأرشيف البريطاني، أو حتى على الأرشيف الفرنسي، لأن الكثيرين لم يكونوا يقدرون أهمية هذا الأرشيف، بالإضافة إلى أن المسؤولين في وزارة الخارجية البريطانية، ووزارة الخارجية الفرنسية، ووزارات الخارجية في أوروبا، والولايات المتحدة الأميركية، لم يكونوا بعد قد نظموا هذا الأرشيف، وبالتالي لم يكن مسموحاً للدارسين بالاطلاع عليه. علماً أن البريطانيين والفرنسيين عندما بدأوا بتنظيم وثائق أرشيفهم وضعوا قواعد وأصول وشروط للاطلاع على تلك الوثائق، أو لنشرها. وقد سبق الإشارة إلى بعض هذه القواعد أو الشروط من بينها: إنه لا يفرج عن الوثائق البريطانية إلاَّ بعد مرور ثلاثين عاماً، في حين لا يفرج عن الوثائق الفرنسية إلاَّ بعد مرور ٤٠ عاماً، فيما ينشر الأميركيون بعض وثائقهم، ولو بعض مضي سنوات قليلة أو أشهر قليلة، استناداً إلى قانون «حرية الاطلاع على المعلومات». ويكفي أن نعطي نماذج واضحة من التقليد الأميركي، وقد تمثل ذلك بنشر وثائق فضيحة ووتر غيت وايران غيت، وقضية الرئيس الأميركي كلينتون مع السيدة لوينسكي الخاصة بالتحرش الجنسي عام ١٩٩٨.

ويمكن التنويه بأول عمل في لبنان اعتمد على الوثائق البريطانية العائدة

لتقارير القناصل البريطانيين والفرنسيين في سوريا ولبنان وفلسطين وهي التقارير التي تهتم بالنشاط السياسي والعسكري والاقتصادي في تلك المناطق في القرن التاسع عشر، وتحديداً في الفترة الممتدة بين أعوام ١٨٤٠ ـ ١٨٦١. وقد صدرت هذه الوثائق في ثلاثة مجلدات بعد أن ترجمها إلى اللغة العربية الخازنيان (فيليب وفريد الخازن) وصدرت عن مطبعة جونية عام ١٩١٠ ـ ١٩١١. وكان من المقرر أن تصدر بقية المجلدات تباعاً لولا أن أعدم الخازنيان على يد جمال باشا عام ١٩١٦. وأهمية هذه الوثائق التي أطلق عليها اسم «المحررات السياسية والمفاوضات الدولية في سوريا ولبنان»[١] إنها تمثل تقارير قنصلية لعدد من القناصل العاملين في المنطقة، وهي في الوقت ذاته تكشف اللثام عن عدد كبير من الأحداث والتطورات السياسية والعسكرية والطائفية في القرن التاسع عشر. بالإضافة إلى أنها تعكس وجهة النظر البريطانية والفرنسية من أحداث المنطقة، كما تعود أهميتها أنه لا يمكن لطالب الدراسات العليا أو للباحث في الدراسات في الفترة المشار إليها أن يغفلها نظراً لما تمثله من أهمية في كتابة تاريخ لبنان وبلاد الشام عامة.

دراسات وكتب معتمدة على الأرشيف البريطاني:

من جهة ثانية فقد شهدت الدراسات التاريخية في لبنان صدور كتب أو دراسات معتمدة على الأرشيف البريطاني أو الفرنسي، ذلك أن إنكلترا وفرنسا وبعض الدول الأوروبية شهدت بعد عام ١٩٤٣ توجه بعض الطلاب اللبنانيين أو العرب لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ، وقد استخدم هؤلاء الطلاب الوثائق الدبلوماسية والقنصلية، الأمر الذي بدأ يعطي مزيداً من المعلومات الجديدة التي تلقي أضواء غير تقليدية على الكثير من الأسرار والأحداث المعاصرة.

---

(١) وثائق ومحررات منقولة عن الكتاب الأزرق الإنجليزي والكتاب الأصفر الفرنسي، وعن معاهدات ووثائق الباب العالي لجامعها البارون دي تستا.

وهذا الأمر لا يتعلق بالطلاب اللبنانيين فحسب، ولا بتاريخ لبنان فحسب، وإنما بتاريخ مختلف الأقطار العربية أو أقطار العالم، حيث بات الأرشيف البريطاني مادة أساسية لكتابة التاريخ، لا سيما التاريخ الحديث والمعاصر وعلى سبيل المثال: فقد شكلت القضية الفلسطينية منذ انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول بقيادة تيودور هرتزل في بال في سويسرا عام ١٨٩٧ محوراً أساسياً في الوثائق البريطانية، وأصبحت الأطروحات والبحوث والدراسات الفلسطينية التي تغفل، أو لا تعتمد على الأرشيف البريطاني تعتبر من الدراسات التي ينقصها التوثيق، أو ينقصها الاطلاع على وجهة النظر البريطانية في موضوع القضية الفلسطينية. ونظراً لتدفق الطلاب العرب ومن بينهم الفلسطينيين إلى لندن للاطلاع على الأرشيف البريطاني، فقد قامت منظمة التحرير الفلسطينية قبل عام ١٩٧٥ بتصوير جميع الوثائق المتعلقة بالقضية الفلسطينية الخاصة بالقرنين التاسع عشر والعشرين على ميكروفيلم، بحيث أصبح هذا الأرشيف في متناول جميع الباحثين، وقد أودعت هذه الوثائق في «مركز الأبحاث» في بيروت التابع للمنظمة، والذي أُقفل فيما بعد إثر دخول الإسرائيليين إلى بيروت واقتحام مقر مركز الأبحاث في أيلول (سبتمبر) عام ١٩٨٢، والسيطرة على جميع محتوياته ووثائقه ومصادره[١].

وكما هو معلوم فإن الشرط الأساسي للأساتذة المشرفين على رسائل

(١) ضم هذا المركز فضلاً عن الوثائق البريطانية وثائق فلسطينية وعربية غير منشورة في مقدمتها وثائق مفتي فلسطين الحاج محمد أمين الحسيني التي تم نقل بعضها من منزله في منطقة المكلس في شرقي بيروت إلى مركز الأبحاث في منطقة الحمراء ـ السادات ـ بواسطة د. خيرية قاسمية، في حين احترقت بقية الوثائق بسبب أحداث الحرب اللبنانية، وقدرت بآلاف الوثائق غير المنشورة، مما شكل خسارة كبرى في مجال البحث العلمي عن القضية الفلسطينية والقضية العربية عامة، ومما شكل خسارة كبرى على الذاكرة التاريخية العربية، وكنت قد صورت بعض هذه الوثائق وأصدرتها في كتاب: فلسطين في المؤتمرات العربية والدولية ١٩١٨ ـ ١٩٤٨.

الماجستير وأطروحات الدكتوراه هو أن على الطالب ضرورة الاعتماد على الأرشيف البريطاني، أو الفرنسي، والأوروبي عامة، أو الأرشيف الأميركي، بالإضافة إلى ضرورة الاطلاع على الوثائق اللبنانية والعربية الأخرى غير المنشورة لنيل الدرجة العلمية. وتكمن أهمية هذا الشرط في أن تلك الوثائق هي وثائق جديدة غير منشورة وهي تنشر للمرة الأولى بحيث تغني المادة العلمية (دبلوم ـ ماجستير ـ دكتوراه) وتمدها بمعلومات وحقائق لم يسبق أن نشرت في الكتب والمصادر العادية، كما أنه يمكن الاطلاع بواسطة تلك الوثائق على وجهة نظر السياسة البريطانية أو الأجنبية. ويمكن القول أن الوثائق البريطانية التابعة لوزارة الخارجية البريطانية مصنفة كما يلي:

F.O (Foreign office)

الموجودة في لندن في مركز السجلات العام المعروفة باسم: P.R.O Public record office

وهذه الوثائق الخاصة بتاريخ لبنان والمشرق العربي مصنفة تحت الرقم العام:

(F.O. 371)

١ ـ المراسلات بين القنصليات البريطانية في القاهرة وبيروت ودمشق وباريس والقنصليات البريطانية الأخرى من جهة، وبين وزارة الخارجية البريطانية في لندن من جهة أخرى. فالمراسلات العائدة للعام ١٩٢٠ وما قبلها، وهي مصنفة تحت الرقم.

(F.O. 371) - (Turquie 44)

٢ ـ المراسلات بين القنصليات البريطانية في بيروت ودمشق وحلب وبين وزارة الخارجية البريطانية في لندن (١٩٢١ ـ ١٩٤٣) وهي مصنفة تحت الرقم:

(F.O. 371) - (Syria)

٣ ـ المراسلات بين السفارة البريطانية في بيروت، وبين وزارة الخارجية في لندن، وبين سفارتها في باريس وموسكو وواشنطن (١٩٤٤ ـ ١٩٤٩) وهي مصنفة تحت الرقم:

(F.O. 371) (Lebanon 88)

٤ ـ المراسلات بين المفوضية البريطانية في القدس وعمان وبيروت وبين وزارة الخارجية البريطانية في لندن (١٩٢١ ـ ١٩٤١) وهي مصنفة تحت الرقم:

(F.O. 317) (Transjordan 31) (Palestine 31)

نماذج أخرى من التقارير والوثائق البريطانية:

إن المراسلات والتقارير الوثائقية عن لبنان، وما يرتبط به في المنطقة من دول تعتبر نموذجاً لأهمية الأرشيف البريطاني الذي كشف الكثير من الأسرار والحقائق والأحداث التاريخية.

وعلى سبيل المثال فقد ظن الكثير أن المسلمين في لبنان يوم إعلان دولة لبنان الكبير في ٣١ آب (أغسطس) ١٩٢٠، رفضوا هذا الإعلان لأسباب تتعلق باتجاهاتهم الوحدوية. وبالرغم من صحة هذا الاعتقاد غير أن الأرشيف البريطاني أشار في وثيقة لقنصل بريطانيا العام في بيروت ساتو (Satow) بتاريخ ٢٣ آب (أغسطس) عام ١٩٢١ من أن وفداً من وجهاء المسلمين برئاسة عمر بك الداعوق قد قابل المفوض السامي الفرنسي، وعرض الإجحاف اللاحق بالمسلمين، وأبدى الوفد استعداده للإعتراف بدولة لبنان الكبير في حال تطبيق المساواة والعدل بين مختلف الطوائف، مما أكد على أن المسلمين رغم اتجاهاتهم الوحدوية، فقد كان بالإمكان منذ فترة مبكرة من أن يعترفوا بالكيان اللبناني. وهذا لم يحصل بسبب اتجاهاتهم الوحدوية من جهة، وبسبب الممارسات الفرنسية والإجحاف اللاحق بهم من

جهة ثانية[1].

وهناك وثيقة أخرى تمّ العثور عليها في الأرشيف البريطاني تعبر عن تحول أساسي في نظرة المؤرخين اللبنانيين إلى السياسي والزعيم «سليمان كنعان» الذي اعتقله الجنرال غورو مع وفد في جبل لبنان عند المديرج، ونفاه إلى خارج لبنان مع آخرين بحجة التعامل مع الملك فيصل بن الشريف حسين. وظلت الكتابات التاريخية اللبنانية تعتبر أن سليمان كنعان رجلاً وطنياً وفيصلياً ومخلصاً للبنان إلى أنْ عثرنا عام ١٩٨٠ على وثيقة بخط يده من مجموعة الأرشيف البريطاني التابع لوزارة الخارجية البريطانية، ومكتوبة باللغة العربية لأنه لم يكن يتقن اللغة الإنكليزية، وقد أرسلها إلى اللورد كيرزون (Curzon) وزير خارجية بريطانيا في ١٧ شباط (فبراير) ١٩٢٢ ذكر فيها تأييده لبريطانيا، وحثها على احتلال لبنان. وأشار إلى أن بيد بريطانيا مستقبل لبنان، وأنه من الخطأ ومن الضرر لبريطانيا وللبنان أن يترك وشعبه تحت السيطرة الفرنسية. وأكثر من ذلك فقد طالب سليمان كنعان عضو مجلس إدارة جبل لبنان السابق استقلال لبنان تحت راية بريطانيا لا لشيء إلاّ ليصبح لبنان «وطناً لكل المسيحيين في سوريا والشرق ويكون هؤلاء قوة لإنكلترا ومن صالحهم أن يكونوا تحت ظلها ويستميتون تحت لوائها». ثم رأى سليمان كنعان أن باستطاعة بريطانيا أن تجند من المسيحيين خمسين ألف مقاتل يعملون تحت رايتها، وإن إقامة وطن مسيحي مستقل في لبنان هو أكثر فائدة لبريطانيا من الحجاز وفلسطين والعراق، لأن سكان تلك البلاد مسلمون، وحسب رأيه من الممكن أن ينكروا جميلها بعكس سكان لبنان المسيحيين. وبكل الأحوال فإن هذه الوثيقة تعبر عن رأي كاتبها، وليس عن رأي المسيحيين.

---

(١) أنظر نص الوثيقة في كتابي: دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣ ـ ١٩٤٣، ص ١٠٩.

هذه الوثيقة التي تنشر للمرة الأولى في كتاب تدل دلالة واضحة على أهمية الأرشيف الذي يمكن أن يعطي كل جديد سواء عن شخصيات أو وزراء أو مسؤولين أو حكام أو ملوك أو رؤساء، أو عن أحداث خاصة أو عامة، بحيث يمكن أن تغير تلك التقارير والوثائق العديد من المفاهيم التاريخية التقليدية[(١)].

وهناك نماذج أخرى من الوثائق البريطانية المحفوظة في مركز الوثائق والسجلات العامة التابع لوزارة الخارجية البريطانية تشير إلى أهمية هذه الوثائق. فعند دراسة القضية الفلسطينية بين أعوام ١٩١٨ ـ ١٩٤٨، أو بين أعوام ١٩٤٨ ـ ١٩٧٣، يتبين لنا مدى الكم الهائل من التقارير القنصلية والدبلوماسية التي يتحدث فيها المندوب السامي البريطاني، أو السفير البريطاني في فلسطين فيما بعد عن تطورات القضية الفلسطينية، وعن مباحثاته مع القوى اليهودية مرة ومع القوى العربية مرة أخرى، حيث تبين تلك الوثائق مدى وقوف بريطانيا مع الحركة الصهيونية لتنفيذ أهدافها في فلسطين. وتعكس تلك التقارير البريطانية السرية المواقف الحقيقية للحكومات البريطانية، في حين كان الإعلان عن هذه المواقف تخالف حقيقة الأمر. فما يعلن وما يكتب في الصحف هو غير الموقف الحقيقي البريطاني سواء في الاضطرابات أو من الثورات العربية، ومنها ثورة عام ١٩٣٦ (ثورة الشيخ عز الدين القسام) أو الموقف من مشروع تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧، أو من حرب فلسطين عام ١٩٤٨ أو من حرب الأيام الستة عام ١٩٦٧، أو من حرب أكتوبر عام ١٩٧٣. لذلك فإن على الباحث في مجال الدراسات التاريخية (ماجستير أو دكتوراه) أن يجهد للإطلاع على هذه الوثائق البريطانية، لما تتضمنه من أهمية في مجال معرفة الموقف البريطاني من القضايا المطروحة، أو مواقف القوى السياسية

---

(١) أنظر نص الوثيقة في كتابي: التيارات السياسية في لبنان ١٩٤٣ ـ ١٩٥٢، ص ٦٣، أنظر النص الكامل في الكتاب ذاته، ص ٦٤٩ ـ ٦٥١.

التي تجتمع عادة ـ سراً أو علانية ـ مع القناصل أو السفراء البريطانيين، وعن طريق المقارنة والدرس يمكن الحصول على معلومات مهمة في مجال التاريخ الحديث والمعاصر.

ومن النماذج الأخرى الهامة التي تعطينا فكرة عن أهمية الوثائق البريطانية ما دار حول تاريخ لبنان بين أعوام ١٩١٨ ـ ١٩٤٣، و ١٩٤٣ ـ ١٩٧٣. فالجنرال «سبيرز» «Spears» المفوض البريطاني في بيروت كان يعتبر الرجل الدبلوماسي القوي الذي يسيطر على الكثير من مقدرات الأمور السياسية في لبنان، وخلال وجوده في لبنان بين أعوام ١٩٤١ ـ ١٩٤٤ كانت له الكثير من المواقف السياسية المؤثرة في تاريخ لبنان، وكانت الكثير من الاجتماعات مع رجال الدولة مثل: بشارة الخوري، ورياض الصلح، وعبد الحميد كرامي، وصائب سلام، وعبد الله اليافي، وكميل شمعون وسواهم الكثير، بما فيهم رجال الدين المسلمين والمسيحيين. هذه المواقف وهذه الاجتماعات التي كان يعقدها سبيرز كانت تفاصيلها وأسباب انعقادها ونتائجها كلها ترسل في تقارير سرية إلى وزارة الخارجية البريطانية، وقد حفظت بغالبيتها في (P.R.O) في لندن. وقد تضمنت هذه التقارير والوثائق معلومات على غاية من الأهمية لا يمكن معرفتها، لو لم تقم وزارة الخارجية البريطانية بالإفراج عنها أو عن بعضها، والسماح بالاطلاع عليها، كما أن سبيرز نفسه نشر مذكراته عن الفترة التي تولى فيها المسؤولية في لبنان[١].

كما تكشف الوثائق البريطانية عن التطورات السياسية في لبنان، والتي أدت إلى الاضطرابات العامة أو الثورة البيضاء عام ١٩٥٢، والتي اضطرت

---

(١) مذكرات سبيرز نشرت في كتاب تحت عنوان:
Speras, Major - General sir Edward; Fulfilment of a Mission and Lebanon 1941 - 1944, Great Britain 1977.

بشارة الخوري للاستقالة من الحكم، وتبين الظروف التي أدت إلى تولي كميل شمعون (١٩٥٢ ـ ١٩٥٨) الحكم في لبنان في إطار انحسار النفوذ الفرنسي عن المنطقة، وتزايد النفوذ البريطاني، ومن ثم الأميركي. وتشير الوثائق البريطانية أيضاً إلى العديد من المعلومات والتفاصيل الهامة التي أدت إلى قيام ثورة عام ١٩٥٨ ضد الرئيس كميل شمعون، ومجيء قائد الجيش اللواء فؤاد شهاب رئيساً للجمهورية (١٩٥٨ ـ ١٩٦٤)[١].

من خلال هذه النماذج والأمثلة يمكن أن نتلمس مدى أهمية الوثائق البريطانية بالنسبة للمؤرخ والباحث والمفكر[٢]، ومن هنا أدرك الكاتب الصحافي محمد حسنين هيكل أهمية الوثائق البريطانية فاعتمد عليها بشكل أساسي وبارز في كتبه التي صدرت في السنوات العشر الأخيرة. وقد تميزت كتابته بأسلوب سياسي رصين غلب عليه الأسلوب العلمي والتاريخي مبتعداً عن الأسلوب الصحافي والإنشائي. وهناك العديد من الكتب العامة أو رسائل الماجستير والدكتوراه اعتمدت بشكل أساسي على وثائق وتقارير غير منشورة، يأتي في مقدمتها الوثائق البريطانية نظراً لأهميتها الوثائقية والتاريخية.

ونظراً لأهمية الوثائق التاريخية، ففي ١٢ كانون الأول (ديسمبر) عام ٢٠٠٢، وفي مزاد علني في لندن، بيعت الكثير من مقتنيات ونستون تشرشل زعيم بريطانيا في الحرب العالمية الثانية، ورئيس وزرائها لفترات طويلة، ومن

(١) أنظر كتاب: د. عباس أبو صالح عن ثورة عام ١٩٥٨.
وتعود أهمية هذا الكتاب إلى أنه يتضمن الكثير من الوثائق البريطانية والأميركية عن أسرار وخفايا أحداث وثورة عام ١٩٥٨.

(٢) أنظر على سبيل المثال الرسائل والأطروحات المتضمنة وثائق في كتب الأساتذة: د. خيرية قاسمية، د. حسان حلاق، د. فلاح خالد علي، د. عبد الرؤوف سنو، د. حسين سليمان، د. انطوان الحكيّم، د. مسعود ضاهر.

بين أهم هذه المقتنيات أرشيف ضخم من الوثائق والمراسلات السرية الخاصة بالزعيم البريطاني، والطبعات الأولى من الكتب التي ألّفها تشرشل. وقد بيعت هذه المقتنيات بحوالي ثلاثمائة ألف جنيه استرليني[١].

٢ ـ الأرشيف الفرنسي[٢]:

تعتمد وزارة الخارجية الفرنسية أسلوباً مشابهاً إلى حد ما لما هو متبع في وزارات الخارجية الأوروبية الأخرى. فهي تفرج عن وثائقها وتقاريرها بعد مضي أربعين سنة على كتابة هذه التقارير الدبلوماسية والقنصلية. فالوثائق الفرنسية هي مجموعة من تقارير المفوضين والقناصل والسفراء الفرنسيين المتواجدين في أنحاء العالم، ومن بينها تقارير فرنسية عن العالم العربي، سواء في العهد العثماني، أو عهود الانتداب، أو عهود الاستقلال وما تزال مثل هذه التقارير السرية ترسل إلى اليوم من السفراء الفرنسيين في العالم إلى وزارة الخارجية والحكومة الفرنسية. والمشكلة التي ما تزال بارزة في الوثائق الفرنسية هو عدم اعتماد المسؤولين عنها على البرمجة الحديثة، والمكننة المستندة إلى تصنيف حديث بواسطة الكمبيوتر. فالتصنيف هو تصنيف عادي على طالب هذه التقارير أن يتعب كثيراً للوصول إلى مبتغاه، بعكس الوثائق البريطانية المصنفة تصنيفاً علمياً معتمداً على الكمبيوتر، غير أن المجلدات تحوي عناوين الوثائق وتاريخها، كما أن كل مجلد يحوي الأحرف الأبجدية للدول موضوع الوثائق. فعلى سبيل المثال فإن الباحث الذي يودّ العمل على وثائق لبنان (Liban) عليه العودة للمجلدات التي تحمل حرف (L)، الأمر المتبع في مركز الوثائق البريطانية، في حين أن مركز الوثائق البريطانية يتميز عن مركز الوثائق

(١) النهار، السفير، اللواء، ١٣/ ١٢/ ٢٠٠٢.

(٢) يمكن الاطلاع على الوثائق الفرنسية، ليس فقط في مقر وزارة الخارجية الفرنسية، وإنما في مراكز أرشيف عديدة سواء في باريس أو في بقية المدن والبلديات الفرنسية.

الفرنسية باعتماده الكومبيوتر، ومهما يكن من أمر فإن هناك محاولات لبرمجة وتصنيف الوثائق الفرنسية تبعاً للأسلوب الحديث. وفيما يختص بالوثائق الفرنسية الخاصة بلبنان والمشرق العربي فهي على غاية من الأهمية، ذلك أن الفرنسيين اهتموا منذ أمد بعيد ببلاد الشام، وحاولوا السيطرة عليها لأكثر من سبب، وبدأت محاولاتهم منذ التوقيع على المعاهدة بين ملك فرنسا وبين السلطان العثماني في منتصف القرن السادس عشر الميلادي. وفيما بعد عندما حاول نابليون السيطرة أيضاً على مصر وبلاد الشام عام ١٧٩٨ في إطار الصراع الفرنسي ـ البريطاني، وفي إطار تحقيق حلم الحركة الصهيونية للسيطرة على فلسطين. ثم عندما حدثت المجازر الطائفية في جبل لبنان كانت المعاهدة الدولية في باريس في عام ١٨٦٠، التي أسفرت عن حملة بوفور الفرنسية إلى جبل لبنان بداعي المساعدة على توطيد الأمن في المنطقة. ثم ما هي إلاَّ سنوات حتى كانت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) التي انتهت بتقسيم بلاد الشام بين بريطانيا وفرنسا. ثم مرت البلاد بمرحلة الانتداب الفرنسي أو البريطاني. فهذه المراحل التاريخية مجتمعة أنتجت الآلاف من التقارير والوثائق الصادرة عن القناصل الفرنسيين المنتشرين في بلاد الشام أو في مصر أو حتى في المغرب العربي، وبالتالي التقارير الصادرة عن السفراء الفرنسيين في استانبول من خلال العهد العثماني. ثم تجمعت آلاف التقارير خلال عهود الاستقلال سواء في لبنان أو في سواه من الدول العربية.

ومما يلاحظ أن هذه التقارير القنصلية والدبلوماسية كانت تعكس الأحوال العسكرية والسياسية والاقتصادية[1] والاجتماعية في المدن والولايات

(١) قدم د. بطرس لبكي في «مؤتمر أرشيف تاريخ لبنان» (الجامعة اللبنانية) دراسة على غاية من الأهمية تحت عنوان «أرشيف وزارة التجارة الفرنسية كمصدر لتاريخ لبنان الاقتصادي ١٨٧٠ ـ ١٩١٤».

العثمانية، وهي تعبر إما عن واقع الحال، أو عن رؤية خاصة تمثل وجهة نظر القنصل أو السفير الفرنسي.

من هنا نلاحظ من خلال دراستنا للتقارير الفرنسية أو البريطانية تضارب في وجهات النظر حول بعض القضايا، لأن كل سفير أو قنصل كان يرى الأمور من وجهة نظره الخاصة، الأمر الذي كان يستدعي عادة تدخل وزارة الخارجية لإبداء النظر في موضوع ما. ومهما يكن من أمر فإننا نلاحظ أهمية هذه الوثائق الفرنسية عندما تتم دراستها سواء من خلال الاطلاع مباشرة عليها، أو من خلال محتويات الرسائل والأطروحات الجامعية التي تضمنتها، أو من خلال التقارير التي تضمنتها مجلدات فيليب وفريد الخازن التي ضمت وثائق بريطانية وفرنسية وأوروبية بشكل عام، فقد أعطتنا فكرة واضحة عن مواقف الدول الأجنبية من الأحداث السياسية والطائفية التي مرّ بها جبل لبنان في الفترة ١٨٤٢ ـ ١٨٦٠. وقد عرفت مجلدات الخازنيان باسم «المحررات السياسية والمفاوضات الدولية في سوريا ولبنان». وينبغي أن نشير أيضاً إلى أن الزميلين د. عادل ود. منير إسماعيل نشرا مجموعة ضخمة من الوثائق والتقارير الدبلوماسية والقنصلية الفرنسية الخاصة بتاريخ لبنان في أكثر من ثلاثين مجلداً تحت عنوان «الوثائق الدبلوماسية والقنصلية»[١]. وهذه الوثائق والتقارير اهتمت بجميع الأحداث التي مر بها لبنان في العهدين العثماني والفرنسي، كما أن الزميل الدكتور انطوان الحكيّم سيصدر وثائق الانتداب الفرنسي في (١٢) جزءاً وهي وثائق على غاية من الأهمية يمكن أن توفر على الباحث عناء السفر إلى فرنسا للاطلاع عليها مباشرة، علماً أن طالب الماجستير والدكتوراه ينبغي عليه أن يعتمد على وثائق أخرى غير منشورة، لأن أهمية الرسائل والأطروحات بما تضمه من وثائق أو مخطوطات تنشر للمرة الأولى بحيث يُعطى البحث بعداً

---

(١) A. ISMAIL; Document Diplomatiques et Consulaires (34 vols) Beyrouth 1979 - 1994.

علمياً جديداً متضمناً وثائق جديدة لم يسبق أن نشرت[1]. كما أن الزميل د. نهدي حمصي أصدر عدة مجلدات، تتضمن وثائق فرنسية غير منشورة لها علاقة بوالي مصر محمد علي باشا وبفرنسا في فترة القرن التاسع عشر، وهي وثائق على غاية من الأهمية.

ومن بين الوثائق الهامة التي أثرت في مجريات الأحداث في بيروت وفي لبنان، الوثيقة التي كتبت في عام ١٩١٣ في بيروت من قبل بعض أعضاء جميعة بيروت الاصلاحية. ففي ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩١٣ أعلن في بيروت عن تأسيس جمعية مكونة من المسلمين والمسيحيين عرفت باسم جمعية بيروت الاصلاحية، وقد تكونت هذه الجمعية ولأول مرة وخلافاً للمعتاد بشكل متساوٍ بين المسلمين والمسيحيين. فقد كان عدد المسلمين (٤٢) عضواً، وعدد المسيحيين (٤٢) عضواً أيضاً، كما اختير (٢) من الطائفة اليهودية. وكانت مبادىء هذه الجمعية تقوم على أساس إصلاح أوضاع ولاية بيروت، واعتماد اللامركزية، وضرورة اعتماد اللغة العربية كلغة رسمية في الدولة. وصودف أن اجتمع وفد من أعضاء الجمعية بوالي بيروت أبي بكر حازم بك لعرض المطالب الاصلاحية عليه، فأشار الوالي إلى أنه نمي إليه أن بعض الأعضاء في الجمعية يتصلون بالقناصل الأجانب لا سيما القنصل الفرنسي، فما كان من أحد أعضاء الوفد وهو بترو طراد إلاَّ أن قال: «إننا نتعوّذ من احتلال أجنبي، ونحن لا نرضى مع بقية العرب إلاَّ بحكم الهلال».

في هذه الأثناء وبالذات في آذار (مارس) ١٩١٣ كان بترو طراد مع

---

(١) نشر د. أنطوان الحكيّم كتاباً نقدياً تحت عنوان «منهجية عادل إسماعيل في نشر الوثائق الدبلوماسية والقنصلية (دراسة تقويمية) الدار اللبنانية للنشر الجامعي - بيروت ١٩٩٨.

آخرين من الأعضاء المسيحيين وبدون تنسيق مع بقية أعضاء جمعية بيروت الاصلاحية، يوقعون ويسطرون مذكرة سرية تحت عنوان «أوضاع النصارى في سوريا»، سلموها للقنصل الفرنسي في بيروت «قوجيه» «Couget» تحدثوا فيها عن واقعهم «الأليم» في العهد العثماني، وما يتعرضون له من اضطهاد. وانتهت المذكرة السرية بمطالبة فرنسا بضرورة احتلال لبنان وباقي الولايات السورية. ومما يؤسف له أن هذا التصرف من قبل بعض الأعضاء، كان مخالفاً لإرادة جمعية بيروت الإصلاحية سواء إرادة الأعضاء المسلمين أو المسيحيين. وهذه الوثيقة كشفت لنا عن مدى التناقض عما كان يعلن ويمارس بين العلن وبين الخفاء، ولو لم تسمح الظروف لأحمد جمال باشا ـ قائد الفيلق التركي الرابع في سوريا ـ بكشف هذه الوثيقة في عام ١٩١٥ في مقر القنصلية الفرنسية في بيروت، لما كان تسنى لنا معرفة الموقف الحقيقي لبترو طراد وبعض الأعضاء في جميعة بيروت الاصلاحية، كما سببت الوثائق التي اكتشفها جمال باشا في القنصلية الفرنسية وفي بعض المنتديات والبيوتات اللبنانية، بحركة الإعدامات التي قام بها بين عامي ١٩١٥ ـ ١٩١٦ في ساحة البرج التي عرفت فيما بعد بساحة الشهداء. كما سببت هذه الوثائق بانقلاب سياسي وعسكري واجتماعي في لبنان والعالم العربي الذي انتفض معارضاً بشدة سياسية جمال باشا، والسياسة العثمانية الجديدة المرتبطة بجماعة الاتحاد والترقي المعادية للعرب والمؤيدة للحركة الصهيونية.

إن هذه الوثيقة التي اكتشفها جمال باشا قد نشرها مع وثائق أخرى مكتشفة في كتابه المعروف باسم «إيضاحات عن المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بديوان الحرب العرفي المتشكل بعاليه»، وهو الكتاب المتعلق بمحاكمة الذين اعتقلهم جمال باشا سواء من الأبرياء أو من المتورطين فعلاً. كما نشرت هذه الوثيقة باللغة الفرنسية في مجموعة الدكتور عادل إسماعيل الخاصة بالوثائق الفرنسية، كما نشرها مترجمه الدكتور وجيه كوثراني في كتابه «بلاد الشام قراءة في الوثائق». كما قمت بنشرها في كتابي المعروف باسم «مذكرات

سليم علي سلام» ١٨٦٨ ـ ١٩٣٨، عضو مجلس المبعوثان العثماني[١].

إن اكتشاف هذه الوثيقة ـ وقد أوردناها على سبيل المثال ـ والنتائج المترتبة على اكتشافها أو نشرها يدل على أهمية الأرشيف والوثائق التي هي بحد ذاتها سلاح ذو حدود عديدة منها ما هو عسكري أو سياسي أو اقتصادي، وأخيراً فهو أيضاً يحمل الحد والطابع العلمي. ويمكن أن نضيف في إطار الأرشيف الفرنسي بعض الوثائق والتقارير المتعلقة بفترة الاحتلال الفرنسي للبنان وفترات الانتداب. فعلى سبيل المثال صدرت اتهامات ضد الأمير فيصل ابن الشريف حسين الذي أسس في دمشق بين أعوام ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ الدولة والحكومة العربية بأنه دخل مع الفرنسيين والإنكليز في تسويات سياسية على حساب الأمة العربية، غير أن عثورنا على وثيقة هي عبارة عن تقرير من الجنرال غورو أرسلها من بيروت إلى وزارة الخارجية الفرنسية في عام ١٩٢٠، وقبل دخوله إلى دمشق أكد فيها أن الأمير فيصل بالرغم من اتصالات الفرنسيين به ما زال يطالب بالوحدة السورية، وهو يرفض أيضاً مطالب الحركة الصهيونية بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين[٢]. إن هذه الوثيقة يمكن أن

---

(١) أنظر نص هذه الوثيقة في المصادر والمراجع التالية:

أ ـ جمال باشا: إيضاحات عن المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بديوان الحرب العرفي المتشكل بعاليه، ص ٣٩ ـ ٤١.

ب ـ جمال باشا: Memories of a Turkish Stateman 1913 - 1919, pp. 29 - 213.

جـ ـ A.ISMAIL; Documents Diplomatiques et Consulaires, vol. 19, pp. 260 - 265.

د ـ د. وجيه كوثراني: بلاد الشام (قراءة في الوثائق)، ص ٢٦٩ ـ ٢٧٣.

هـ ـ د. حسان حلاق: مذكرات سليم علي سلام ١٨٦٨ ـ ١٩٣٨، ص ١٧٦ ـ ١٧٩، ٢٤٤ ـ ٢٤٨.

(٢) أنظر نص الوثيقة في الأرشيف البريطاني، وأنظرها أيضاً في كتابي: دراسات في تاريخ لبنان المعاصر ١٩١٣ ـ ١٩٤٣، ص ٩١، وصورة الوثيقة في ملحق الكتاب ذاته رقم (٨) ص ٢٥٠ ـ ٢٥١.

تعيد النظر في بعض الأمور المتعلقة بتلك الفترة التاريخية المرتبطة بمواقف الأمير فيصل ونشاطه السياسي في الداخل وفي الخارج.

ويمكن أن نعرض نموذجاً آخر من الأرشيف والوثائق الفرنسية الموجودة في وزارة الخارجية الفرنسية في مقر «كي دور سيه» «Quai d'orsay»، في إطار «المحفوظات الوطنية» في باريس وهي عبارة عن مراسلات بين المفوضية الفرنسية في بيروت ووزارة الخارجية في باريس أبان أزمة عام ١٩٣٢ المتعلقة بانتخاب رئيس جديد للجمهورية اللبنانية. فبعد انتهاء ولاية شارل دبّاس من رئاسة الجمهورية (١٩٢٦ ـ ١٩٣٢)، أعلن الشيخ محمد الجسر رئيس المجلس النيابي ترشيح نفسه للرئاسة الأولى الذي أزعج المفوضية الفرنسية في بيروت وبعض اللبنانيين الذين اعتبروا أن الرئاسة من حق المسيحيين وحدهم دون غيرهم، كما استاءت الأوساط الحكومية الفرنسية في باريس من هذا الترشيح، علماً أن الشيخ محمد الجسر ـ وهو المسلم ـ لم يكن معادياً للسلطات الفرنسية.

لقد أظهرت تلك المراسلات والوثائق المتبادلة بين المفوض السامي الفرنسي في بيروت وبين حكومته في باريس، عن حقيقة موقف الفرنسيين وقسم كبير من المسيحيين اللبنانيين لا سيما الموارنة. فقد أظهرت تلك الوثائق خلافاً للمعلومات المعلنة، من أن فرنسا والمسيحيين في لبنان والشرق لا يناسبهم انتخاب مسلم لرئاسة الجمهورية، لأن فرنسا عندما أعلنت عام ١٩٢٠ دولة لبنان الكبير إنما قصدت به لبنان المسيحي في وجه سوريا الإسلامية. وأشارت تلك المراسلات من أن انتخاب مسلم لرئاسة الجمهورية اللبنانية سيلهب حماس المسلمين اللبنانيين الذين سيكثرون من مطالبهم السياسية الأخرى لا سيما حول الوحدة السورية والوحدة العربية. وكانت المفوضية الفرنسية في بيروت إثر ترشيح الشيخ محمد الجسر لرئاسة الجمهورية عمدت إلى حل مجلس النواب اللبناني، مدعية أن هذا الحل إنما يهدف إلى تخفيض الانفاق الحكومي، لأن حل المجلس يؤدي إلى توقف رواتب النواب.

والحقيقة فإن ما أعلن هو مجرد ادعاء لا يمت إلى الحقيقة بصلة، وما أظهرته الوثائق والمراسلات السرية الفرنسية هي التي عبرت عن الأسباب الحقيقية لحل المجلس النيابي، والتي تكمن في منع وصول مسلم هو الشيخ محمد الجسر لمنصب رئاسة الجمهورية[١]. وما ينطبق على الأرشيف الفرنسي حول دلالاته وأهميته، ينطبق أيضاً على أرشيف الوثائق والمراسلات والتقارير السرية الألمانية والإيطالية والنمساوية والأميركية والروسية وسواها من وثائق ومراسلات الدول، فإذا سمح بالاطلاع عليها، فإنها ستؤدي إلى إضفاء معلومات أساسية في مجال البحث العلمي، وفي مجال إعداد الرسائل والأطروحات الجامعية، وفي مجال إعداد الدراسات التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية[٢].

٣ ـ الأرشيف الألماني[٣]:

تعتبر الإمبراطورية الألمانية من الإمبراطوريات الهامة حتى نهاية الحرب

---

(١) للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع أنظر حسان حلاق: دراسات في تاريخ لبنان المعاصر، ١٩١٣ ـ ١٩٤٣، ص ١٢٧ ـ ١٣٨. مع أهمية الإشارة إلى أن بعض المسلمين كانوا ضد الشيخ محمد الجسر، لأنه كان ضد الوحدة السورية.

(٢) اعتمد العديد من المؤرخين اللبنانيين في دراساتهم وبحوثهم على الوثائق الفرنسية يأتي في مقدمتهم على سبيل المثال لا الحصر: د. عادل إسماعيل، د. منير إسماعيل، د. مسعود ضاهر، د. وجيه كوثراني، د. إبراهيم محسن، د. أنطوان الحكيم، د. سميح قاسم، د. محمد مخزوم، د. رباح أبي حيدر، د. علي شعيب، د. جان شرف، د. مصطفى فواز، د. بطرس لبكي، د. عصام خليفة، د. عبد العزيز قانصو، د. ياسين سويد، د. نهدي حمصي في حين اعتمد د. عبد الرؤوف سنو على الوثائق الألمانية والبريطانية، واعتمد د. عباس أبو صالح ود. صفية سعادة على الوثائق الأميركية كما اعتمد د. لطفي المعوش على الوثائق الروسية والبلغارية والعثمانية، كما اعتمدت شخصياً على الوثائق البريطانية والعثمانية والعربية غير المنشورة.

(٣) أدين بهذه المعلومات إلى الأستاذ الدكتور عبد الرؤوف سنو، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، وعميد كلية التربية في الجامعة اللبنانية.

العالمية الأولى، ومن ثمّ تحولت ألمانيا لا سيما في الفترات ١٩١٨ ـ ١٩٣٦، ١٩٣٦ ـ ١٩٤٥ إلى دولة متقدمة ومتطورة بالرغم من تقسيمها إلى دولتين: ألمانيا الغربية وألمانيا الشرقية، التي عادت إلى وحدتها القديمة عام ١٩٩٠.

وشهدت السنوات الأخيرة توحيد الألمانيتين في دولة واحدة، ولا يخفى ما لإلمانيا من دور عسكري وسياسي واقتصادي وثقافي في أوروبا وفي العالم. ونتيجة لهذا الدور فقد تجمّع أرشيف هام ألماني يمكن الإستفادة منه بشكل أساسي وهام لمن يودّ معرفة دور السياسة الألمانية في الداخل أو في الخارج. ويمكن الاطلاع على الأرشيف بعد مرور ثلاثين عاماً أما أهم أنواع الأرشيف الألماني فيمكن تصنيفه على الشكل التالي:

١ ـ الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية الألمانية في برلين (بون سابقاً):

وهو أرشيف سياسي يتضمن المراسلات الدبلوماسية والقنصلية ويحتوي على ملفات حول علاقات ألمانيا مع الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، كما يتضمن تقارير القناصل الألمان في المنطقة العربية حول الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، كما يتضمن الأرشيف ملفات المستشرق أوفن هاين عن الجزيرة العربية، وكيفية استخدام الإسلام في المشاريع الإمبريالية لألمانيا لا سيما في مناهضة كل من بريطانيا وفرنسا ويتضمن الأرشيف السياسي أيضاً ملفات سياسية حول علاقات ألمانيا مع الدولة العربية قبل وأثناء وبعد الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥، كما يتضمن وثائق عن علاقة ألمانيا مع إسرائيل وصراعها مع منافستها ألمانيا الديمقراطية في المنطقة العربية.

٢ ـ أرشيف وزارة الخارجية في برلين الشرقية:

ويتضمن كل التقارير السياسية والاقتصادية والتجارية لعلاقات ألمانيا الديمقراطية مع دول العالم الثالث ومنها الدول العربية. وقد ضمّ الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية في برلين بعد تحقيق الوحدة بين الألمانيتين مجدداً.

٣ ـ الأرشيف البروسي السري الرسمي في برلين:

ويتضمن تقارير حول تاريخ بروسيا وعلاقاتها الخارجية قبل الوحدة الألمانية عام ١٨٧٠ كما يحتوي على ملفات حول علاقات بروسيا مع الدولة العثمانية فيما يتعلق بالقرصنة في البحر المتوسط في شمال أفريقيا وكيفية إعادة التجارة البروسية والألمانية.

٤ ـ أرشيف بوتسدام:

ويتضمن تقارير الاتحاد الألماني في فرانكفورت عام ١٨٤٨ وتقارير العلاقات التجارية بين ألمانيا والولايات العربية في الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر حتى الحرب العالمية الأولى. ويحتوي أرشيف بوتسدام أيضاً على معلومات وفيرة عن ألمانيا الشرقية والاتحادات والجمعيات فيها.

٥ ـ أرشيف فرايبورغ:

ويضم مخلفات الحزب النازي من وثائق ومستندات والمنظمات المنضوية تحته. وهناك ملفات حول جيش الدفاع الألماني، وجيش ألمانيا الشرقية ومجموعات الحدود والخرائط العسكرية.

٦ ـ الأرشيف العسكري في تسيلندورف في برلين:

ويضم الوثائق ومستندات عن تاريخ الجيش البروسي وجيش ألمانيا الديمقراطية، وعلاقة ألمانيا الشرقية بالجيوش العربية كما يتضمن ملفات حول الأحزاب اللبنانية المتعاملة عسكرياً مع جيش ألمانيا الديمقراطية.

٧ ـ أرشيف الأحزاب والمنظمات الشعبية في ألمانيا الديمقراطية في برلين الشرقية سابقاً:

ويتضمن ملفات الأحزاب ومخلفات قادة ألمانيا الشرقية ووثائق تتعلق بالعلاقات بين الحزب الحاكم في ألمانيا الشرقية والأحزاب اليسارية والشيوعية في العالم العربي.

٨ ـ أرشيف كوبلنز (نسبة إلى مدينة كوبلن):

ويتضمن ملفات ووثائق حول العلاقات الاقتصادية بين ألمانيا والولايات العربية في الدولة العثمانية كما يتضمن ملفات إذاعية حول الدعاية الألمانية في البلدان العربية خلال الحرب العالمية الثانية، وما كان يبثه **يونس البحري** إلى العالم العربي.

٩ ـ أرشيف الخرائط العسكرية في برلين:

وهو موجود في مكتبة برلين:

ويتضمن معلومات وفيرة حول المعارك والحروب وبيانات تفصيلية عن سير المعارك سواء معارك الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) أو معارك الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) إضافة إلى سجلات تتضمن أسماء السفن وطاقمها وعملياتها العسكرية.

بالإضافة إلى ذلك هناك عدة أنواع من الأرشيف المتعلقة بالوثائق الخاصة ووثائق أخرى متعلقة بالمدن. ففي **كيل وهامبورغ وبريمن ولوبك** توجد ملفات وثائقية حول العلاقات التجارية بين هذه المدن والعالم. وهناك أرشيف خاص بالأفلام الوثائقية في برلين. وفي كوبلنز أفلام حول إذاعة الشرق التي كان يديرها يونس البحري الموالي للألمان.

المكتبات والكتب الألمانية[(١)]:

يعد غوتمبرغ مخترع الطباعة بالأحرف المتحركة والذي أصدر في عام

---

(١) هذه المعلومات مستقاة من كتاب: حقائق عن ألمانيا، دائرة الصحافة والاعلام التابعة لحكومة ألمانيا الاتحادية، فرانكفورت ١٩٩٨، ص ٥١٠ ـ ٥١٣ وصفحات متفرقة. تعريب: سامي شمعون، محمود كبيبو، أنظر أيضاً صفحة الإنترنت:
hTTp:// www. government.de/

١٤٥٥ في مدينة مينتس انجيل كتاباً إحتوت كل صفحة من صفحاته ٢٢ سطراً وكان أول كتاب من نوعه يطبع بهذه الصورة، ومع هذا الحدث كانت ولادة التقنية الجديدة في نشر الكتب في ألمانيا وظلت مدينة فرانكفورت مين منذ نهاية القرن الخامس عشر ولمدة طويلة من الزمن تحتل مركزاً قيادياً كمدينة ألمانية لنشر الكتب، وفي الوقت نفسه كموقع تجاري أوروبي مركزي إلى أن حلّت محلها لا يبزغ في القرن الثامن عشر بعد جملة من التعقيدات التي كان القيصر الألماني قد فرضها على فرانكفورت. غير أن فرانكفورت استعادت مكانتها القيادية بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة لتقسيم ألمانيا. أما اليوم فهناك مدن ألمانية عديدة تتقاسم فيما بينها هذه المكانة القيادية: ميونيخ وبرلين وفرانكفورت مين وشتوتغارت وكولونيا وهامبورغ. ويتبوأ إنتاج الكتب في جمهورية ألمانيا الاتحادية المرتبة الثالثة في العالم بعد بريطانيا والصين. فقد نشر في ألمانيا خلال عام ١٩٩٥ نحو ٧٠ ألف كتاب وكان عدد العناوين المتوفرة في سوق الكتب الألمانية ٧٠٠ كتاب، ويوجد في ألمانيا أكثر من ٢٠٠٠ دار نشر يحقق مئة منها رقم مبيعات يتجاوز خمسة وعشرون مليون مارك سنوياً، وليس هناك أي دار نشر تسيطر على السوق بمفردها بل هناك إلى جانب الشركات الكبيرة عدد كبير من دور النشر الصغيرة التي تساهم جميعها بقسطها في تنوع الحياة الفكرية والأدبية. وخلال الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية إنضمت شرائح جديدة من القرّاء إلى نوادي «أصدقاء الكتب» التي تأسست أصلاً لنشر الثقافة الشعبية، والجدير بالذكر أن نادي غوتنبرغ (لأصدقاء الكتاب) على سبيل المثال قد أسسته النقابات العمالية. وينتسب اليوم نحو ٦,٦ مليون قارىء ألماني إلى هذه النوادي. في عام ١٩٩٥ وصلت رقم المبيعات الإجمالي من الكتب والمجلات الاختصاصية نحو ١٦,٥ مليار مارك وتجارة الكتب هي إلى جانب الصيدليات الفرع الاقتصادي الوحيد الذي يسمح له القانون بتحديد سعر ملزم وهو السعر الذي تحدده دار النشر وينبغي على جميع الباعة التقيد به. وتهدف هذه السياسة إلى توفير الكتب بأسعار

موحدة في جميع أنحاء ألمانيا وإلى ضمان وصول هذه السلعة الثقافية إلى جميع فئات السكان في مختلف المناطق وإلى العاملين في مجال الكتب والاتحاد العام مقره في فرانكفورت. ويسعى هذا الاتحاد مع بقية المؤسسات إلى إقامة معرض الكتاب الدولي في فرانكفورت. واعتبار من عام ١٩٧٦ بدأ المعرض بالتركيز كل عام على موضوع معين أو على الإنتاج الأدبي لإحدى المناطق أو لإحدى البلدان، وعلى سبيل المثال كان الموضوع الرئيسي عام ١٩٧٦ أمريكا اللاتينية، وعام ١٩٩٢ المكسيك، وعام ١٩٩٣ هولندا، وعام ١٩٩٤ البرازيل، و ١٩٩٥ النمسا، وعام ١٩٩٦ إيرلندا، وموضوع عام ١٩٩٧ البرتغال وعام ١٩٩٨ سويسرا.

أما ثاني أهم معرض للكتاب فيقام في فصل الربيع في لايبزيغ وهو معرض يهتم بشكل خاص بالعلاقات الثقافية مع بلدان أوروبا الشرقية.

أما فيما يختص بالمكتبات فألمانيا عكس البلدان الأخرى فهي لم تملك مكتبة وطنية منذ مئات السنين، بل ابتدأت عمليات جمع الكتب الألمانية في عام ١٩١٣ بواسطة المكتبة الألمانية في لايبزيغ، ثم أدى انقسام ألمانيا إلى تأسيس المكتبة الألمانية في فرانكفورت مين عام ١٩٤٧ وعلى غرار مكتبة لايبزيغ تأسست هذه المكتبة على يد تجار الكتب ثم تحولت عام ١٩٩٦ إلى هيئة اتحادية رسمية. وبتوقيع إتفاقية الوحدة بين الألمانيتين في آب (أغسطس) عام ١٩٩٠ تمّ توحيد المكتبتين في مكتبة واحدة تحت اسم «المكتبة الألمانية» والمكتبة الألمانية هي أرشيف كامل للمطبوعات المنشورة بالألمانية والمركز البيبلوغرافي الوطني لجمهورية ألمانية الاتحادية.

ويبلغ عدد الكتب الموجودة فيها حالياً نحو ١٤ مليون كتاب. وفي عام ١٩٧٠ أسس في برلين الأرشيف الألماني للموسيقى كفرع تابع للأرشيف المركزي الموجود في فرانكفورت وعلى جانب ذلك يوجد في فرانكفورت الأرشيف الألماني لأدب المنفى ١٩٣٣ ـ ١٩٤٥ ومن الأقسام الخاصة

الموجودة في لايبزغ مركز المحافظة على الكتاب والمتحف الوطني للكتب والمخطوطات.

ومن أهم المكتبات العملية مكتبة الدولة البافارية في ميونخ التي تحتوي على أكثر من ستة ملايين مجلد ومكتبة الدولة للممتلكات الثقافية البروسية في برلين التي تحتوي على ما يقرب من ٤ ملايين مجلد، والمكتبات التي تحتوي أعداداً كبيرة من الكتب هي غالباً مكتبات تابعة للدولة أو الولايات أو الجامعات. وإلى جانب هذه المكتبات العلمية العامة هناك مكتبات متخصصة كالمكتبة المركزية الطبية في كولونيا وهناك مكتبات قديمة ثمينة للغاية مثل مكتبة الدوق هرتزوك التي تحتوي على ٦٦٠ ألف مجلد من بينها ١٢ ألف مخطوطة ترجع إلى العصور الوسطى.

وبصورة عامة يوجد في ألمانيا تحت تصرف القراء نحو ١٣٥٠٠ ألف مكتبة عامة تحتوي على أكثر من ١٢٩ مليون كتاب ويتولى تمويل هذه المكتبات بالدرجة الرئيسية البلديات والكنائس وبعض المؤسسات الاقتصادية. ومما يلاحظ بأن بعض البلدات والمدن والأقاليم تملك مكاتب متنقلة تتيح للقراء القراءة أو إستعارة الكتب.

أما فيما يختص بالمكتبة الألمانية في فرانكفورت فهي تحتوي على جميع المطبوعات التي صدرت منذ عام ١٩٥٤ باللغة الألمانية، وهي تعتبر أكبر خزانة للكتب في ألمانيا. ومن الأحداث الثقافية ذات الشهرة الدولية في ولاية هانيس معرض الكتاب في فرانكفورت، أكبر معرض للكتب في العالم. ومعرض الفن المعاصر في كاسل ومهرجانات ومنتديات ثقافية وأدبية متعددة.

والواقع فإن المكتبة الألمانية وهي مؤسسة عامة تابعة للحكومة الاتحادية مباشرة لها مراكز في فرانكفورت مين ولايبزغ وبرلين. أما الأرشيف الاتحادي فمقره الرئيسي في (كوبلنز) وله فروع في برلين وبوتسدام وفرايبورغ وسواها.

أما أهم أرشيفين للأدب فموجودان في مارباخ وفايمار. وهكذا نرى أن

ألمانيا بلد فيه العديد من مراكز الأرشيف والوثائق والمكتبات والمراكز الثقافية. وأهمية ألمانيا أنها تعتمد في هذا الإطار اللامركزية الثقافية والعلمية والوثائقية.

وبذلك يمكن القول أن الأرشيف الألماني في وزارة الخارجية الألمانية أو في المكتبات الألمانية أو مع ما تضم هذه المكتبات من وثائق ومستندات وكتب يمكن أن تسد ثغرة وثائقية هامة للمؤرخ والباحث والطالب في مجال الدراسات التاريخية الخاصة بألمانيا أو بالعلاقات الألمانية ـ العربية أو الدولية.

٤ ـ مكتبة الكونغرس الأميركي (واشنطن) ووثائق وزارة الخارجية الأميركية:

تعتبر مكتبة الكونغرس الأميركي نموذجاً للمكتبات العملاقة في العالم، مثل المكتبة الوطنية الفرنسية، ومكتبة موسكو، ومكتبة روما، ومكتبة لندن، وسواها من المكتبات العالمية، في حين أن مكتبة الكونغرس تعد أكبر مكتبة في العالم. وقد تأسست عام ١٨٠٠، وكان مقرها الكونغرس، ومخصصة أصلاً لاستخدام البرلمانيين الأميركيين. وفي عام ١٨٩٧ تمّ تشييد مبنى الرئيس جفرسون المستقل ليكون مقراً للمكتبة، وأضيف إليه لاحقاً مبنيان آخران[١].

وبمرور السنين تطورت المكتبة تطوراً بالغاً، ومنذ عام ١٩٨٤ شهدت مكتبة الكونغرس تجديدات ضخمة تتناسب ومستواها المعماري والعلمي، وتم تجهيز قاعاتها البالغة اثنتين وعشرين قاعة بأحدث الأساليب والوسائل التكنولوجية الحديثة، وربطها بأجهزة الكمبيوتر، والإنترنت.

وتضم مكتبة الكونغرس أمهات المصادر وأندرها، بما فيه المصادر الأميركية والأجنبية والعربية، من بينها مخطوط الدستور الأميركي بخط الرئيس

---

(١) للمزيد من التفاصيل أنظر: الأنوار، ١٦/ ٥/ ١٩٩٧، العدد ١٢٩٥٢.

الأميركي «توماس جفرسون» مع شروحات وتفسيرات بخط «بنيامين فرانكلين» و «جون أدامس» ونسخة توراة غوتنبرغ، ورسائل كريستوف كولومبوس إلى البلاط الإسباني. كما تضم المكتبة (٨٥١) كلم من الرفوف على أكثر من (١١١) مليون قطعة، من ضمنها حوالي (٢٦) مليون مجلد، بالإضافة إلى صور وخرائط نادرة، وأفلام وتسجيلات صوتية، ودوريات. وقد بلغت ميزانية تشغيل المكتبة عام ١٩٩٦ أكثر من (٣٥٢) مليون دولار. ويتعين على أمناء المكتبة أن يضموا إليها في كل عام مليون وثيقة جديدة. ويبلغ عدد زوارها سنوياً ما يقارب مليون زائر.

والأمر الملاحظ أنَّ القيمين على مكتبة الكونغرس قد اقتنوا واشتروا كتباً ووثائق من أرجاء العالم تعود إلى مختلف العصور. وهي تضم كتباً بحوالي (٤٦٠) لغة في حين أن ربع كتبها فقط باللغة الإنجليزية.

ومكتبة الكونغرس مفتوحة لأي باحث أو زائر يزيد عمره عن ١٨ سنة، علماً أن للأطفال جناحاً خاصاً يتضمن مئات الآلاف من كتب الأطفال المرتبطة أيضاً بشبكة الإنترنت التي يستطيع الأطفال استخدامها.

ويوجد في مكتبة الكونغرس أربعة آلاف موظف، من بينهم ألف وخمسمائة مكلفون تزويد أعضاء مجلسي النواب والشيوخ بمعلومات محددة. وكان هذا التقليد قد اتبع منذ أيام الرئيس الأميركي الثالث «توماس جفرسون» الذي أعلن: «أنه ليس ثمة موضوع إلاَّ وعلى أعضاء الكونغرس الاطلاع على مراجع بشأنه».

لهذا نرى أنَّ أمناء المكتبة يحرصون حتى اليوم على اقتناء مجموعات هائلة من أهم الكتب الصادرة في العالم، بواسطة مندوبيهم ودور النشر وشركات التوزيع. واليوم ونظراً لاعتماد نظام الإنترنت في مكتبة الكونغرس، فإن باستطاعة الباحثين الحصول على المعلومات والدراسات والبحوث والوثائق ومحاضر ووثائق مجلسي النواب والشيوخ الأميركي والتي تهمهم من مكتبة الكونغرس بواسطة هذا النظام التكنولوجي الجديد.

ومن الأهمية بمكان القول، أن نسخاً من وثائق وملفات وزارة الخارجية الأميركية أودعت في مكتبة الكونجرس الأميركي. وهذه الوثائق هي عبارة عن مراسلات وتقارير سرية من السفراء والقناصل الأميركيين في أنحاء العالم، تمّ فهرستها لا سيما مراسلات القرنين التاسع عشر والعشرين. كما نشرت وزارة الخارجية الأميركية بعضها في مجلدات وثائقية خاصة يمكن الاطلاع عليها. أما النظام المتبع لنشر الوثائق الأميركية، فهو لا يحدد زمناً أو فترة معينة لنشر الوثيقة، وذلك اعتماداً على قانون «حرية الاطلاع على المعلومات»، لهذا فإن السلطات الأميركية تنشر بين الحين والآخر وثائق سرية هامة، فقد نشرت وزارة الخارجية الأميركية في صيف عام ٢٠٠٠ ما يقارب (١١) ألف وثيقة تتعلق بالأحداث في تشيلي في الفترة بين أعوام ١٩٦٨ ـ ١٩٩١، كما تتعلق بالدور الأميركي في دعم الانقلاب الذي قاده الرئيس السابق الجنرال أوجستو بينوشيه عام ١٩٧٣ للإطاحة بالرئيس المنتخب سلفادور الليندي. وكانت وزيرة الخارجية الأميركية السابقة مادلين أولبرايت قد أعلنت أن واشنطن قد أفرجت فعلياً عن سبعة آلاف وثيقة متعلقة بالحوادث في تشيلي خلال الستينات والسبعينات. وكانت وكالة المخابرات المركزية الأميركية «سي. اي. ايه» قد أعلنت أنها ستحتفظ بعدة مئات من الوثائق على أساس أنها «سرية للغاية» وتمس بالأمن القومي، وتكشف معلومات حساسة عن مصادر المخابرات المركزية الأميركية وأساليبها في دول العالم[١].

وثائق أميركية تشير إلى أن «السي آي إي» أطاحت رئيس غواتيمالا[٢]:

اعترفت واشنطن مؤخراً بدور وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية «سي آي إي» في الانقلاب الذي حصل عام ١٩٥٤ ضد رئيس غواتيمالا

(١) الأهرام، ١٩/٨/٢٠٠٠، ص ٥.
(٢) النهار، ١٧/٥/٢٠٠٣.

جاكوبو اربينز، وذلك في إطار مكافحة الشيوعية في السنوات الأولى للحرب الباردة.

وأصدرت وزارة الخارجية الأميركية مجلداً من تاريخها الرسمي تحت عنوان «العلاقات الخارجية للولايات المتحدة»، يكمل مجلداً صدر عام ١٩٨٣ لم يتضمن هذا الحدث.

وحاول اربينز معالجة المشاكل في غواتيمالا، فأقر عملية اصلاح زراعي كبيرة تمت الموافقة عليها في ١٩٥٢، لكن النخبة في البلاد التي كانت تسيطر على القسم الأكبر من الأراضي عارضت خطوته وكذلك شركة «يونايتد فروت» الأميركية التي أضر الإصلاح بمصالحها.

وجاء في الوثائق التي رفعت عنها السرية، أن «السي آي إي» كانت أعدت عام ١٩٥١ خطة طارئة لاطاحة اربينز، معتبرة أن تساهله مع الشيوعيين يجعله «رفيق دربهم»، وفي أسوأ الاحتمالات أحد حلفائهم.

وفي مجال آخر، فقد نشر الكونغرس الأميركي خمسة مجلدات عن فترة «جون مكارثي» بين عامي ١٩٥١ ـ ١٩٥٣ الذي اعتمد على ضرب الديموقراطية وضبط الوضع بحجة الخوف من انتشار الشيوعية، وتمنى الكونغرس الأميركي من الشعب الأميركي الاستفادة من عبر وعظات تلك الحقبة. وفي تلك المجلدات من الأسرار ما تجعل الشعب الأميركي يفقد ثقته بالنظام الأميركي.

هذا، وقد سبق الإشارة إلى أن كلية الآداب (الفرع الأول) في الجامعة اللبنانية تحتفظ بعدد وفير من السجلات والوثائق السرية التابعة لوزارة الخارجية الأميركية، وبإمكان الباحثين الاطلاع عليها. كما استطعت مؤخراً الإطلاع ـ بواسطة الأنترنت ـ على مئات الوثائق الأميركية ذات العلاقة بحرب عام ١٩٦٧.

وتجدر الإشارة أيضاً، إلى أن صحيفة «التايم» (Time) الأميركية نشرت في أواخر عام ٢٠٠٢ وثائق سرية أميركية حول كيفية إعداد الخطة العسكرية الأميركية للهجوم على العراق[١]. كما تجدر الإشارة إلى أن العديد من الباحثين وطلاب الدراسات العليا، قد اعتمدوا واستفادوا في السنوات الأخيرة من وثائق ومراسلات وزارة الخارجية الأميركية، ومن بين هؤلاء المؤرخ الدكتور عباس أبو صالح.

ومن الأهمية بمكان القول، إن ما ينطبق على الوثائق الأميركية في موضوع السماح بنشرها دون تحديد وقت ما، ودون مرور سنوات معينة عليها، ينطبق على الوثائق والتقارير السرية لهيئة الأمم المتحدة، التي يمكن أن تنشر وثائقها السرية ولو بعد مضي أشهر قليلة على إعدادها، وعلى سبيل المثال فقد تمكنت صحيفة «التايمس» (Times) اللندنية في ٢٣ كانون الأول (ديسمبر) عام ٢٠٠٢، و«منظمة الحملة ضد العقوبات على العراق» في لندن من الحصول على تقرير سري للغاية تحت عنوان «سري جداً» يتضمن موضوع الحرب على العراق والنتائج الاجتماعية والاقتصادية والغذائية، والإنسانية التي ستترتب على هذه الحرب[٢].

ويلاحظ مما تقدم، كم هي المعلومات السرية هامة جداً، التي يمكن أن تقدمها الوثائق ـ سواء الأمريكية أو سواها ـ للباحث في مجال بحوثه ودراساته، أو للسياسي أو للعاملين في المجال الدبلوماسي والقنصلي سواه.

---

(١) Time, 22/12/2002، انظر أيضاً الصحف اللبنانية والعربية الصادرة في ٢٣/ ١٢/ ٢٠٠٢ منها: النهار، السفير، اللواء، الحياة.

(٢) انظر: النهار، ١٩/ ١/ ٢٠٠٣ ص ١٢. انظر أيضاً موقع الأنترنت التالي: WWW.casi.org.uk

الفصل العاشر

١ ـ نماذج من مناهج البَحث التّاريخي عِندَ اليُونان «المنهُج التّطبيقي»

هيرودوت (Herodot) (٤٨٤ ق.م ـ؟):

ولد هيرودوت حوالي العام ٤٨٤ ق.م. في إحدى مدن كاريا في فارس وهي إحدى المقاطعات الفارسية، وقد اضطر هيرودوت منذ صغره إلى ترك وطنه بسبب الاضطرابات السياسية فحل في «ساموس» وزار أثينا ومصر وبلغ أسوان وبرقة ومرّ بغزة وصور وبابل وقضى بقية حياته في مدينة «تسورى» في اليونان وتوفي في بداية حرب «البلوبونيز» سنة ٤٣١ ـ ٤٠٤ ق.م.

يعتبر هيرودوت أول من وضع كتاباً سهل القراءة محكم الأسلوب متميزاً بالسهولة والتلقائية وقوة الإقناع. ولقد وصف في كتابه تاريخ هيرودوت بلاد اليونان ومصر وآسيا الصغرى في ماضيها وفي عصره وقد تضمن الكتاب وصف الحروب التي وقعت بين آسيا واليونان منذ ملك ليديا (كروسوس) حتى زمن الملك (كسركسيس Xerexes) ونهاية الحروب الفارسية. ولقد قسّم علماء الإسكندرية مصنف هيرودوت إلى تسعة كتب أطلقوا على كل منها إحدى آلهات الشعر غير أن هيرودوت عندما أشار إلى مصنفه لم يشر إلى أي كتاب بل أطلق عليه اسم التاريخ وهذا الكتاب يظهر لنا منهج هيرودوت التاريخي فيما قاله هو نفسه في المقدمة حيث قال:

١ ـ «الذي تعلمه هيرودوت عن طريق البحث تجده هنا ماثلاً بين يديك وذلك حتى لا تنطمس ذكرى الماضي في أذهان الرجال على مر الأيام وحتى لا تفتقر تلك الأعمال العظيمة الرائعة التي اضطلع بها اليونانيون والأجانب (أي البرابرة) وخاصة أسباب نشوب الحرب بينهم إلى من يظهرها للملأ».

ويعتبر هيرودوت أول من بحث التاريخ (Historia) أي أول من حقق التاريخ بينما كان التاريخ قبله بمثابة تسجيل الأخبار (Logographia) ويظهر الكتاب مدى موضوعية هيرودوت عندما يتحدث عن أعداء اليونانيين من الأجانب البرابرة فيصف أعمالهم العظيمة الرائعة على غرار أعمال اليونانيين، وهو لم يتحامل عليهم ولم يكن منحازاً لشعوره اليوناني أو لعنصريته. ولقد استطاع هيرودوت أن يكون علمياً عندما اعتمد في كتابه على عدد من المصادر وعلى مشاهداته في اليونان وبرقة وصور ورحلاته الخاصة إلى أوروبة وآسية وليبيا. وعندما تحدث عن الصراع بين اليونان والفرس فإنه لم يجد غضاضة من أن يذكر آراء وروايات الفرس واليونان والفينيقيين رغم تناقضها واختلافها.

وكان منهج هيرودوت يقوم على النقد والتمحيص ونكران الكهانة ثم كان يروي الحوادث نقلاً عن عدد من المصادر، أو نقلاً عن أشخاص ويرويها بعدة تفصيلات دون أن يؤيد واحدة منها دون الأخرى ويترك للقارىء التمييز بين الصحيح أو المشوه، وحتى لا يؤثر على قارئه فهو لم يصدر حكمه الشخصي بترجيح رواية على رواية وقد استطاع هيرودوت بواسطة النقاش والتحليل أن ينقل القارىء من الرأي إلى العلم اليقيني، وهو بذلك استطاع أن يصل إلى المعرفة الحقيقية إلى حد بعيد.

٢ ـ اعتمدت كتابات هيرودوت في جزء منها على أقوال عدد من شهود

العيان والمعاصرين. وكان هيرودوت حريصاً على الاتصال بمثل هؤلاء لما يملكونه من معلومات وذكريات، غير أن قدرته كمؤرخ وباحث لم تكن تقتصر على جمع المعلومات وتدوينها من هذا أو ذاك وإنما قدرته ودقته في البحث جعلته لا يكتفي بتدوين المعلومات وإنما مناقشة شهود العيان حول معلوماتهم التي أمدوا بها هيرودوت، ثم كان هو بدوره ينقلها إلى القارىء.

٣ ـ تضمن كتاب هيرودوت بعض الأساطير والخرافات الشعبية واليونانية والشرقية ويبدو في ذلك متشابهاً مع الرحالة الذين جاؤوا من بعده بقرون عديدة أمثال (ماركوبولو) في النصف الثاني من القرن ١٣م. وابن بطوطة في النصف الثاني من القرن ١٤م. غير أن السمات الأسطورية في كتابه هي التي استقاها من الناس بينما المعلومات المستقاة من رحلاته ومشاهداته فإنها تتميز بالكفاءة والجدية.

٤ ـ رأى هيرودوت أن التاريخ دراسة اجتماعية تتميز عن دراسة الأساطير أو أساطير الحكومات الإلهية وأن هدفه إبراز الجانب العقلي الذي يسيطر على نشاط الإنسان ومعنى ذلك أن التاريخ يكشف عن أعمال الإنسان وعن السبب الذي من أجله أقدم الناس على هذه الجهود. إن هيرودوت لا يقف عند مجرد التفكير في الأحداث وإنما يخضع دراسة هذه الأحداث للتقدير الإنساني البحت بوصفها أحداثاً إنسانية لها ما يبررها أو يبرر القيام بها علماً بأن المؤرخ مختص ببحث هذه الأسباب والمبررات.

٥ ـ اعتمد هيرودوت في كتابة تاريخه على النثر وكان بسيطاً كل البساطة ورغم بساطته فقد كان جدياً كل الجد. وبالرغم من المعلومات المشوشة التي أوردها عن تاريخ مصر غير أن قيمتها تزداد عندما يتناول تاريخ الأسرة ٢٦ من الفراعنة وتفصيلات عبادة الحيوان، هذا مع العلم

أن أسلوبه يتميز بالأسلوب الملحمي الاستطرادي.

٦ ـ استند هيرودوت في كتابه على أسس فلسفية ودينية وهي فرع من الأفكار الفيثاغورية والشرقية وكان يميل إلى أن الاعتقاد في تناسخ الأرواح إنما يعود إلى المصريين.

٧ ـ لقد رأى هيرودوت أنه من الضروري أن يستغل مشاهداته ورحلاته ليؤرخ وليصف المناطق التي زارها. ولهذا تحدث عن البابليين والمصريين ونهر النيل ومزج بين الجغرافيا والتاريخ والجيولوجيا وتحدث عن الزلازل والينابيع. ولقد اعتبر كتابه أول مصنف في التاريخ وأول مصنف في الجغرافيا البشرية لأنه تضمن أوصافاً جغرافية للأرض التي تعنى بالجنس البشري. وكان هيرودوت يهتم بالجغرافية البشرية أكثر من اهتمامه بالجغرافية الفلكية كما أن اهتمامه بالتاريخ البشري كان أكثر من التاريخ الطبيعي، ولم يكن هيرودوت في تاريخه الفكري يؤكد المعلومات بشكل مطلق ذلك أنه بالرغم من بعض أخطائه غير أنه كان يخشى أن يورط نفسه في معلومات غير أكيدة كقوله: «لا أستطيع أن أتحدث بدقة عن المناطق التي تقع في أقصى غرب أوروبة فأنا لا أعتقد أن هنالك نهراً يدعوه الأجانب (أريدانوس) يصب في بحر الشمال وهو كما يقال المصدر الذي يأتينا منه العنبر، كما أنني لا أعرف شيئاً عن جزر القصدير أي صقلية التي يجلب إلينا منها القصدير وأن لفظ أريدانوس نفسه يدل على أنه ليس اسماً أجنبياً بل هو يوناني أبدعته مخيلة أحد الشعراء، وعلى الرغم من كل ما بذلته من مثابرة ونشاط لم ألق إنساناً رآه أو أقر بأن هنالك بحراً وراء أوروبة وكل ما نعرفه من الأمر أن ما نستهلكه من العنبر والقصدير يرد إلينا من مناطق بعيدة جداً».

٨ ـ لقد سخر هيرودوت كتابة التاريخ للمعلومات الاقتصادية أيضاً فهو لم يكتف بذكر القضايا السياسية والعسكرية والجغرافية، بل رأى من

الضروري أن يذكر بعض المنتوجات الزراعية التي عرفتها بلاد اليونان للمرة الأولى ويعود الفضل إليه في أنه كان أول من ذكر في كتابه القطن وهو الإنتاج الزراعي الموجود آنذاك في الهند وقال في وصفه له: «تنبت بعض الأشجار البرية في الهند نوعاً من الصوف الذي يفوق في جماله وجودته صوف الغنم وهذه الأشجار تزود الهنود بملابسهم ولقد كان الهنود الذين انخرطوا في جيش (xerexes) يرتدون نوعاً من هذا الصوف النباتي».

٩ ـ إن من مفاخر المنهج الهيرودوتي التاريخي هو في وصف هيرودوت لشعوب الأمم المتعددة وعاداتهم وتقاليدهم وبذلك يمكن القول إنه كان صاحب «منهج علم خصائص الشعوب «Ethnology» وقد تميز مصنفه بالقيمة «الأثنولوجية» وهو أول كتاب يتحدث عن أقاليم الشرق الأدنى القديم وتاريخها. كما أنه يتميّز بقلة الأخطاء وعندما تحدث عن البرابرة «الأجانب» أورد أنواع مأكولاتهم وعادات زواجهم وكيفية سكنهم ولغتهم ودينهم وخير مثال على القيمة الأثنولوجية ما ذكره من تفصيلات حقيقية عن «السلتيين أو الكلتيين» الذين كانوا يقطنون شمالي البحر الأسود «المناطق الروسية» حيث وصف البلاد والمناخ والآلهة ووصف الشعائر الدينية والأضاحي وأساليب الكهانة والتقاليد العسكرية وشعائر دفن الموتى. ولقد برهنت الدراسات والحفريات المعاصرة صحة ما ذكره هيرودوت.

ووصف هيرودوت الأقزام في ليبيا كما أشار إلى مواثيق الدم عند الليديين والميديين وذلك بجرح أذرعهم وبلعق كلٍ منهم دم صاحبه كما تحدث عن عبادة المصريين للحيوانات. والحقيقة فقد استطاع هيرودوت إرساء المذهب العلمي الأثنولوجي الذي اضمحل بعد وفاته بسبب اهتمامات اليونان بتفسير الحياة وبسبب المؤثرات التي تركها سقراط وأفلاطون اللذان وجها عنايتهما إلى طبيعة الإنسان الداخلية وإلى مشاكله

السياسية والخلقية بينما أهملا دراسة طبائعه وعاداته وتقاليده.

١٠ ـ يقوم منهج وفلسفة هيرودوت التاريخية على وحدة التاريخ العالمي ونظرية الصراع بين الشرق والغرب. فبالنسبة للفكرة الأولى رأى هيرودوت أن الحروب الفارسية ليست حدثاً محلياً محدوداً إنما هو حدث عالمي وهو بمثابة صدام لمجتمع يمثل أهم محورين في السياسة العالمية في تلك العصور. وكان لا بدّ من دراسة المجتمعين المتحاربين فقد استطاع هيرودوت بنجاح كبير أن يدرس هذه المجتمعات. أما فيما يختص بالصراع بين الشرق والغرب فقد اعتبر هيرودوت أن الحروب الفارسية ليست هي إلاَّ مرحلة من مراحل الصراع بين آسيا وأوروبة. وقد استطاع هيرودوت أن ينسب هذا الصراع إلى اختلاف وتباين العادات والتقاليد والأنظمة والحكم بين بلاد اليونان وبلاد الفرس ولهذا أكّد على أن التناقض بين الشعبين كان سبباً من أسباب الصراع بين الشرق والغرب. ويسخر من الآراء التي أشارت إلى أن خطف النساء من قبل الجانبين كان سبباً لنشوب الحرب بينهما. وكانت نظرية هيرودوت القائمة على الوحدة التاريخية هي من جملة الأسباب التي دعته إلى كتابة بعض المعلومات عن الفرس، ثم كتب عنهم باعتبارهم أعداء الإغريق ولكن من النوع القوي الشريف، «نظرة حيادية».

ثوكديدس الأثيني «Thucydides» (٤٦٠ ـ ٣٩٥ ق.م):

نشأ ثوكوديدس في ظل ظروف سياسية وعسكرية مختلفة عن الظروف التي عاش فيها هيرودوت فقد عاش في فترة الحرب البلوبونيزية ٤٣١ ـ ٤٠٤ ق.م. بينما عاش هيرودوت في فترة الحروب والسيطرة الفارسية. وكان ثوكوديدس شاباً ناضجاً عندما بدأت حروب البلوبونيز فتعرف إلى مرارتها بسبب التقاتل بين المدن اليونانية وبسبب التباين بين الديمقراطية والأوليغاركية. وكانت الحروب البلوبونيزية مصدر إلهام لثيوكوديدس وبسبب براعته في الكتابة

التاريخية اعتبر أنه أفضل من أرّخ لتلك الفترة وكان الرجل سياسياً وعسكرياً ورجلاً ثرياً وقد عيّن قائداً للجيش «Strategos» «ستراتيجوس» عام ٤٢٤ ق.م. ولكنه لم يحتفظ بهذا المنصب فترة طويلة بل أقصي عن منصبه لعجزه عن إنقاذ مدينة (أنفيبوليس Amphi-Polis) ونفي عن مدينة أثينا لمدة عشرين سنة. وكان هذا الإقصاء والنفي مع ما يملكه من أموال قد سهل له التفرغ إلى بحوثه التاريخية وقد استمر لسنوات عديدة يجول في المناطق بحثاً عن الوثائق والمستندات التاريخية وقضى فترة طويلة في مدينة (سكبت هل Sxapte-Hyle) حيث شعر بالراحة، وكان بعيداً عن الحروب فأتيح له أن ينظر إليها بشيء من الحياد والشمولية، واعتبر أنه كان لها محاور محلية وإقليمية ودولية. وتميل المصادر إلى أنه كتب وتابع كتابة تاريخ الحرب الأهلية في تلك المنطقة وكتابه يبدأ على النحو التالي:

«ثوكوديدس الأثيني كتب تاريخ الحرب التي نشبت بين البلوبونيزيين والآثينيين، وقد استهل عمله عند بداية الحرب لأنه اعتقد أنها ستكون أعظم وأهم من كل ما سبقها من حروب، لأن كلا الطرفين أعد للحرب ما استطاع من قوة وأن الشعوب الهيلينية جميعاً اشتركت في هذه الحرب [المحور المحلي] فانحازت إلى هذا الطرف أو ذاك وكانت هذه الحرب أعظم حركة أثرت في الهيلينيين بل امتد أثرها إلى بعض الشعوب الأخرى [المحور الإقليمي] ويمكننا أن نذهب إلى أبعد من ذلك فنقول إنها أثرت في مجموعة كبرى من الجنس البشري» [المحور الدولي].

ورأى ثوكوديدس ضرورة ملحة لكتابة هذه المقدمة لأنه كان معاصراً للأحداث وكان شعوره بمعاصرته واضحاً كما أنه كان يشعر بمؤثرات الماضي والأسباب التي أدّت إلى إيجاد الحالة الراهنة والتي أدّت بدورها إلى هزيمة مدينة أثينا. ومن خلال دراسة تاريخ «ثوكوديدس» عن الحرب الأهلية اليونانية يتبيّن لنا المنهج الفكري التاريخي الذي اتبعه في كتابته:

١ ـ لقد استطاع ثوكوديدس أن يربط الأسباب بالمسببات وأن يربط بين تدخل الأمم الخارجية وصراعاتها وبين الحروب الأهلية، وأكّد بأن التدخل الخارجي كان سبباً رئيسياً لنشوء هذه الحرب، وأن الإسبارطيين لم ينتصروا في نهاية الحرب إلاّ بمساعدة الفرس، ولذلك فإن اعترافه بأن للحرب طابعاً داخلياً لم يمنعه من الإشارة إلى أنه كان لها طابع دولي أيضاً.

٢ ـ كان منهجه يقوم على التحليل وعلى فلسفة الأحداث سواء في فترة الحرب أو السلم وكان منطقياً مع نفسه ومع الأحداث عندما أشار إلى أن فترة الهدنة والسلم لم تكن سوى فترة تحفز جديدة للحرب، ولهذا فإنه حرص على تتبع أحداث الهدنة فكتب مقدمة ثانية لكتابه ومما جاء فيها:

«كتب تاريخ هذه الحوادث ثوكوديدس الأثيني نفسه متتبعاً تسلسل الوقائع في الصيف والشتاء حتى ذلك الوقت الذي تمكن فيه الإسبارطيون وحلفاؤهم من أن يضعوا حداً لحكم أثينا واستولوا على أسوار «برايوس» (Perayos) وبهذا الحادث تكون الحرب قد استغرقت ما مجموعه سبعاً وعشرين سنة وإذا كان هنالك من لا يرى من الصواب إضافة فترة الهدنة إلى مدة الحرب فإن حكمه خاطىء، ولا بدّ أن ينظر إلى الأمور على ضوء الحقائق كما وقعت حتى يتبيّن له أن تلك الهدنة لم تكن في الحقيقة فترة سلم توقف فيها كل من الطرفين عن استعادة أو تسلم كل ما اتفق عليه».

٣ ـ كان ثوكوديدس يؤمن بأن صحة المعلومات التاريخية تأتي من معاصرة المؤرخ للأحداث وحرصه على جمع الوثائق المتعلقة بها وأكّد على ذلك بقوله: «لقد عاصرت هذه الحروب وكنت في سن تسمح لي باستنتاج الأحكام كما أنني تتبعت حوادثها بدقة لكي أتمكن من جمع

المعلومات الصحيحة». وكان يعتبر أن دراسة الماضي تساعد المؤرخ على التنبؤ بنتائج الصراع الذي ينشب بين الأمم واتبع في كتاباته للتاريخ منهج التسلسل التاريخي (Chronological) محدداً السنة الأولى من الحرب سنة ٤٣١ ق.م. بذكر حكام أثينا وإسبارطة وبعد ذلك كان يذكر السنوات بترتيبها أي السنة الأولى من الحرب والسنة الثانية وهكذا.

٤ - اعتمد مذهب ومنهج ثوكوديدس في الكتابة التاريخية على الربط بين البيئة الجغرافية والحوادث التاريخية، كما تميّز كتابه بأنه أول محاولة لوصف الحرب من حيث أسبابها وتقلباتها، ولم يكن هذا الأسلوب أسلوب مؤرخ فحسب وإنما أسلوب الرجل العسكري الذي مارس الحرب واختبر خفاياها واتجاهاتها، ولهذا فإن منهجه كان بعيداً عن الخرافة والأساطير وفي هذا يقول:

«قد يكون خلو كتابي من بعض الخرافات سبباً لجعله منفراً للأذن ولكن لعل هنالك من يرغب أن يرتبط بفكرة واضحة عن الحوادث التي وقعت أو التي يحتمل أن تحدث في يوم من الأيام بالطريقة نفسها أو بطريقة مشابهة لها وحسبي أن يجد مثل هؤلاء الناس كتابي مفيداً لهم».

ولهذا اعتبر ثوكوديدس طالب علم يضع التساؤلات ويحللها عوضاً عن أن يكرر الأساطير، وهو يرى أن من أهداف التاريخ إلقاء الضوء على الواقع الاجتماعي وليس على الواقعين العسكري والسياسي فحسب.

٥ - تميز فكر ومنهج ثوكوديدس في كتابة التاريخ بالتجرد والاعتدال والاعتماد على الدراسة المقارنة والأخبار ووجهات النظر المتناقضة. فقد اعتمد على روايات من أطراف مختلفة وتفهمها وشرحها بأمانة واعتدال متأثراً بالفكر السفسطائي القائم على النظر إلى أي موضوع من وجهتين متقابلتين وكان صادقاً إلى حدّ كبير وقد أورد التجارب السيئة والحسنة وأظهر حياده وموضوعيته عندما تناول مسألة هامة وأساسية هي

خصائص الديمقراطية الأثينية ومقارنتها بالحكم الإسبارطي الاستبدادي.

وكان عليه أن يقارن بين الخصمين العنيدين أثينا وإسبارطة، فقد وصف الأثينيين بالرغبة في العلم والتشوق إليه ووصفهم أيضاً باتساع الأفق وحسن الضيافة والكياسة والذوق السليم والقلق أيضاً، بينما يصف سكان إسبارطة بالضعة والأنانية والتواني والهدوء والحذر والمثابرة والصبر

ولقد طبق ثوكوديدس نزعته الحيادية الموضوعية على نفسه فذكر سبب إدانته وقرار نفيه دون أن يحاول ذكر الأعذار.

٦ ـ لقد مكنه حبه للحقائق من أن يرى الوقائع ويسجلها بإخلاص وأن يصنفها وكان قادراً على رؤية الأشياء كما هي. والحقيقة فإنه يعتبر من القلة الذين اعتمدوا على وثائق ونصوص معاهدات لتدوين تاريخهم. فهو مثلاً اعتمد على نص معاهدة نيكياس التي اقتبسها بحذافيرها وأوردها في كتابه. وكذلك أورد نصوص الحلف القائم بين الأثينيين والإيجيين والأيونيين، كما اعتمد اعتماداً ملحوظاً على الخطب السياسية لتدوين تاريخه كخطبة «بركليس Breglisse» وبصورة إجمالية فإنه اعتمد على ثلاثة أنواع من الخطب: خطب عاصرها وسمعها بنفسه، وخطب نقلها عن سواه من المعاصرين ومن أكثر من واحد، وخطب نقلها عن أشخاص ليسوا معاصرين لها، كما أنه يعتبر الوحيد في عصره الذي اعتمد على الشواهد الأثرية لإظهار أصول اليونانيين، وهو بذلك كان مؤرخاً وأثرياً أيضاً. وأخيراً لا بدّ من بعض المقارنة بين أعظم مؤرخين وأعظم رائدين من رواد علم التاريخ القديم أعني بهما هيرودوت وثوكوديدس ويمكن تلخيص هذه المقارنة على الوجه التالي:

١ ـ كان هيرودوت وليد الحرب الفارسية بينما عاصر ثوكوديدس الحرب البلوبونيزية، ولكنهما عاشا في عصر واحد وكانت الفترة التي تفصل

بينهما هي عشرون سنة فحسب. وكان هيرودوت كاريا يكتب باللغة الأيونية بينما كان ثوكوديدس أثينياً كتب أول رائعة أدبية في النثر الأتيكي اليوناني، وكانت ثقافة هيرودوت في صباه مسألة تجارية، بينما كان ثوكوديدس رجلاً ثرياً ومن تلامذة السفسطائيين الأثينيين.

٢ ـ أتيح لهيرودوت أن يكتب مصنفه من خلال رحلاته العديدة والمتنوعة وكانت رحلاته أكثر من رحلات ثوكوديدس، ولم يقتصر كتاب هيرودوت على عصره بل أرخ لماضي عدد من الشعوب بعكس ثوكوديدس الذي أرخ لأحداث عصره ولمدة سبع وعشرين سنة فقط.

٣ ـ كان هيرودوت يميل أحياناً للخرافات والعجائب والغرائب، أما ثوكوديدس فقد سخر من هذا الأسلوب وابتعد عنه وكان صارماً وسياسياً واقعياً وبينما كان هيرودوت رجلاً مدنياً، كان ثوكوديدس رجلاً عسكرياً. ثم إن ثوكوديدس فاق هيرودوت بسبب اعتماد الأخير على الأساطير في حين اعتمد ثوكوديدس على الوثائق التاريخية التي كان يقدرها وهي بنظره ركن أساسي من أركان التاريخ وكان يستخدم باستمرار عبارة «إذا ما نظرت إلى الموضوع على ضوء الوثائق التاريخية. . .» غير أنه يلتقي أحياناً مع هيرودوت في أن بعض كتابتهما تعتمد على أقوال شهود العيان وعلى المهارة في البحث والمناقشة. ويتميز مصنف هيرودوت باحتوائه على مواد تهم مؤرخ العلوم والجغرافيا، بينما مصنف ثوكوديدس يعتبر أكثر أهمية في نظر المؤرخ السياسي.

٤ ـ يمكن القول بأن بعض الدارسين للرجلين اعتبروا أن مؤلف ثوكوديدس إنتاجاً «فردياً» يحمل طابع صاحبه، بينما كان مؤلف هيرودوت يهدف إلى الإحاطة بالأعمال العظيمة بحيث لا يمكن أن تنسى. وأشاروا بأن ثوكوديدس التزم تقليد هيرودوت في بعض الأمور واختلف عنه في أمور

أخرى غير أن القرن الخامس ق.م. لم يجد عباقرة من طرازهما يخلفونهما وبينما تميّز أسلوب هيرودوت بالسهولة والتلقائية فقد تميّز أسلوب ثوكوديدس بالأسلوب العلمي والجفاف والتكلّف، وبينما اعتبر هيرودوت «أب للتاريخ القديم» فقد اعتبر ثوكوديدس أب للتاريخ النفسي «السيكولوجي» القديم ليس لأنه وصف الوباء وأثره فحسب، وإنما لأنه وصف الأمراض العصبية التي تأتي نتيجة للحرب بصفة عامة.

٢ ـ نماذج من مناهج البَحث التّاريخي عِندَ الرّومان «المنهج التّطبيقي»

فابيوس بيكتور FABIUS PUCTOR:

هو أول مؤرخ روماني كتب التاريخ عنه، وقد عاش في النصف الأول من القرن الثالث ق.م. وكان عضواً في مجلس الشيوخ وقد كتب مؤلفاته باللغة اليونانية لأنها كانت ما تزال لغة العصر، ولذلك اعتبر من المؤرخين الرومان وليس من المؤرخين اللاتين، وقد تضمنت كتبه وصفاً لنمو وعظمة روما في القرن الثالث ق.م. كما أشار إلى الحرب البونية الأولى (٢٦٤ ـ ٢٤١ ق.م) وهي الحرب التي انتهت إلى إخضاع معظم إيطاليا للدولة الرومانية بما فيها استيلاء روما على سردينيا وكورسيكا وشرقي صقلية. كما تضمن الكتاب الحرب القرطاجية الرومانية وهي المعروفة باسم الحرب البونية الثانية (٢١٨ ـ ٢٠١ ق.م) زمن هنبعل القائد القرطاجي ووصف انتصار الرومان على قرطاجة وكيفية اضطرار القرطاجيين إلى التخلي عن إسبانيا وجزء من إفريقيا ومن المعروف أن (فابيوس بيكتور) اشترك في عام ٢٢٥ ق.م. في المعارك ضد غالة وفي شمال إيطاليا، ويعتبر من أوائل الذين وضعوا أسس المنهج التاريخي عند الرومان، وقد اعتمد في كتابة تاريخ الحرب البونية الأولى والثانية على عدد من الأسس والعوامل الوثائقية منها:

١ ـ اعتمد بيكتور في كتابة التاريخ على قوائم لهيئة كبار الكهنة المعروفة بالقوائم السنوية (ANNALES MAXIMI) وهي تتضمن قوائم بأسماء

أصحاب المناصب السياسية الذين كانوا يعينون سنوياً، كما تتضمن أهم الأحداث التي كانت تقع سنة فسنة.

٢ ـ اعتمد بيكتور على روايات الإسناد المتناقلة من جيل إلى آخر وعلى الأخبار المتوارثة عن الأسر الحاكمة والنبيلة، كما اعتمد على نصوص المعاهدات العسكرية ولا سيما معاهدتي روما وقرطاجة.

٣ ـ لم يحاول بيكتور أن يكتب تاريخ الماضي انطلاقاً من عصره ولم يعكس أحداث وشخصيات عصره على كتابته التاريخية. وهو بهذا كان موضوعياً ومنطقياً بينما عرفت الفترة اللاحقة له بعض المؤرخين الذين اختلقوا الأحداث وزوروا التاريخ وجملوا تاريخ بعض الأسر النبيلة تاريخاً مجيداً ومشرفاً.

هذا وقد شهد القرن الأول ق.م. بعض المؤرخين الرومان الذين كتبوا باللغة اللاتينية بعكس الأوائل الذين كتبوا باللغة اليونانية ومنهم:

اينيوس ENNIUS:

عاش اينيوس في النصف الأول من القرن الثاني ق.م حوالي ٢١٩ ـ ١٦٩ ق.م. وهو يعتبر رائداً في كتابة التأريخ الروماني باللغة اللاتينية، وقد تلقى اينيوس تعليمه باليونانية كما اتقن اللاتينية وكان قائداً للجيش الروماني في سردينيا عام ٢٠٤ ق.م. وأدى الخدمة العسكرية في الحرب البونية الثانية تحت قيادة سكيبيو الأفريقي وقد كتب أينيوس حولياته شعراً باللغة اللاتينية وعرفت باسم (ANNALIUM LIBRI) فقد بدأت الحولية الشعرية بقصة اينياس الأسير الطروادي الذي اتخذ فرجيل بطلاً للأنياد والذي تزوج ابنة ملك إيطاليا، وامتدت الحولية بأحداثها إلى ما يقرب من عام ١٨١ ق.م. وقد تميّز أسلوب اينيوس ومنهجه بعدم الاعتماد على المنهج التاريخي العلمي بل كانت حولياته عبارة عن قصائد شعرية خفيفة وإن كانت هامة. ولا بدّ من القول بأن

هذه الحوليات لاقت نجاحاً بين أوساط القرّاء اللاتين واسترعت اهتمامهم مما دعا أينيوس إلى إضافة ثلاثة أجزاء هي بمثابة ملاحق سنوية إلى الأجزاء الخمسة عشر الأولى.

كاتو الرقيب CATO:

ولد كاتو في «توسكولوم» (TUSCULUM) على بعد عشرة أميال من روما وهو من أسرة من العامة. عاش بين ٢٣٤ ـ ١٤٩ ق.م. وهو أول مؤرخ روماني كتب بالنثر اللاتيني في النصف الأول من القرن الثاني ق.م. وكان حاكماً وعسكرياً فقد حارب في الحرب البونية الثانية (٢١٨ ـ ٢٠١ ق.م) وكان مسؤولاً عن الضرائب في صقلية عام ٢٠٤ ق.م. وكان على علاقة مع اينيوس الذي اصطحبه من سردينيا إلى روما، كما أصبح عام ١٩٨ ق.م. حاكماً على سردينيا وأصبح عام ١٩٥ ق.م. قنصلاً وعضواً في مجلس الشيوخ وأصبح رقيباً عام ١٨٤ ق.م. وقام بتطهير مجلس الشيوخ وهيئة الفرسان من العناصر الفاسدة، حتى أنه اشتهر باسم كاتو الرقيب (Cato Censorms) وكان كاتو كاتباً ذكياً وخطيباً مفوهاً بليغاً كتب حوالي ١٥٠ خطبة لم يبق منها إلاّ القليل. وقد أخذ على عاتقه إصلاح الأوضاع الخلقية والاجتماعية المتدهورة في عصره فحارب البذخ في العاصمة والابتزاز في الولايات. كما اعتبر بأن المؤثرات اليونانية هي من عوامل الهدم والانحلال في المجتمع الروماني، غير أن موقفه من اليونان لم يمنعه من تعلم اليونانية ورعايته للشاعر اينيوس الذي أدخل في الأدب اللاتيني عناصر يونانية.

وكان كتابه الأساسي في التاريخ هو «الأصول» (Origines) الذي قسمه إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

القسم الأول: اختص بأصول حرب طروادة وقصة اينياس الأسير الطروادي، وتأسيس رومة ٧٥١ ق.م. وعصر الملوك ٥١٠ ق.م.

القسم الثاني والثالث: تضمنا عرضاً لأصول الجماعات الإيطالية وإنشاء المدن الإيطالية. وبالإضافة إلى هذه الأجزاء الثلاثة أضاف كاتو في شيخوخته أربعة أجزاء تاريخية أخرى إلى الأصول وقد تضمنت هذه الأجزاء ما يلي:

الجزء الرابع: الحرب البونية الأولى والثانية إلى العام ٢١٦ ق.م. أي إلى تاريخ موقعه كاناي جنوب شرق إيطاليا حيث هزم الرومان على يد هنيبعل. ولم يشهد الرومان معركة أو هزيمة عسكرية أسوأ من هذه المعركة.

الجزء الخامس: يتضمن الحروب المقدونية وأوضاع رودس خاصة وأن رودس كانت حليفة روما، ثم انفصلت عنها في الحرب المقدونية الثالثة ١٧١ ـ ١٦٧ ق.م. الأمر الذي أدّى إلى قيّام أزمات عنيفة عام ١٦٧ أدّت بدورها إلى انتهاء دور رودس سياسياً.

الجزء الخامس: يتضمن تاريخ الحرب ضد أنطوخيوس الثالث ملك سوريا ٢٢٣ ـ ١٨٧ ق.م.

الجزء السابع: وتضمن تاريخ الحروب الإسبانية وملابسات أحداثها وتفصيلات المحاكمات التي جرت بحق بعض المسؤولين عن المجازر فيها.

هذه الأجزاء تتميّز بعدد من المظاهر الفكرية والتاريخية يمكن تلخيصها بما يلي:

١ ـ يلاحظ بأن الأجزاء من الرابع إلى السابع لم تتجانس في أفكارها وسياق أحداثها مع الأجزاء الثلاثة الأولى، في حين درس كاتو وهو شاب في الأجزاء الأولى الثلاثة أصول الحرب الطروادية وأصول الجماعات والمدن الإيطالية، نراه يضيف إليها أربعة أجزاء أخرى في شيخوخته تضمنت دراسات للحروب بصورة أساسية ومنها الحروب المقدونية والإسبانية. ثم إنه لا يخفي علينا مدى التفاوت والجهد العلمي بين ما يبذله المؤرخ وهو شاب وبين ما يبذله وهو في الشيخوخة، ثم إننا ندرك

مدى التفاوت في النظرة إلى الأمور بين سن الأربعين وسن الثمانين.

٢ - من الواضح أن «كاتو» كتب في الأجزاء الأولى وفي ذهنه تفسير الأصول التي اعتمدت عليها قوة روما وعظمتها ورأى أن ذلك قد يكون تمهيداً لتاريخ عام ولم يعتن بماضي روما فحسب بل وضع تصورات لمستقبلها. وبذلك مزج بين التاريخ وعلم السياسة والإنماء. وكان منهجه السياسي والفكري متشابهاً مع مؤرخي العصر الهليني الذين كتبوا في نشأة المدن وتأسيسها. ويقوم منهجه أيضاً على أساس تفسير قيام روما بواجباتها السلطوية «الأمبريالية» (كلمة يونانية الأصل تعطي للقنصل حق في السلطة ثم أصبحت على مرّ الأيام تعني التوسع على حساب الغير) ولقد استطاع أن يعبر أحسن تعبير وأفضل تفسير لهذا الموضوع نتيجة كثرة تجاربه كجندي وكحاكم. كما أنه كان على معرفة شخصية بأكثر المظاهر السياسية والإدارية في روما، لذا أضاف إلى كتب الأصول تجاربه الشخصية العسكرية والسياسية والإدارية. كما أضاف إليها خطبه التي سبق أن ألقاها في بعض المناسبات. وبذلك يمكن القول بأنه سخر التجربة الشخصية لخدمة التأريخ.

٣ - كان أسلوب كاتو أسلوب الالتزام التاريخي والعملي (الالتزام الوطني بقضايا الشعب) وكان ديمقراطياً يهتم بالشعب والجيش ويحتقر تصرفات كبار الملاك وترفهم، وبالرغم من أنه كان متحيّزاً في بعض الأحيان غير أنه كان حيادياً في أحيان أخرى. كما أنه عرف بصراحته في الرأي وجرأته في الحق وصلابته ونزاهته وتطرف وطنيته ولم يكن أسلوبه خطابياً بل تقريرياً، ولا بدّ من الإشارة بأنه اعتمد على مصادر جيدة غير أن ضياع الأصول (Origines) خسارة لا تعوّض.

٤ - إن عناية كاتو لم تكن منصرفة إلى البلاد الإيطالية فحسب، بل أرخ للكلتين أو السلتيين والإسبان. ولم يهتم بالحرب والسياسة فحسب بل

اهتم بالجغرافيا والمناخ والزراعة والاقتصاد والتعدين وببعض المظاهر الصناعية.

يوليوس قيصر ILIUS CAESAR:

ولد جايوس يوليوس قيصر حوالي ١٠٠ ق.م. وتوفي في ١٥ آذار (مارس) عام ٤٤ ق.م. وقد عرف عنه أنه كان قائداً عسكرياً وسياسياً، غير أن تصنيفه كمؤرخ وصاحب مذهب تاريخي لا يقل أهمية وقيمة عن كونه قائداً فذاً. ولقد كتب يوليوس قيصر مذكرات الأحداث والمعارك التي شهدها في المناطق التي غزاها، فقد غزا بلاد الغال (فرنسا) من ٥٨ إلى ٥٠ ق.م. وغزا بريطانيا مرتين عامي ٥٥ و ٥٤ ق.م. كما أغار على جرمانيا عامي ٥٥ و ٥٣ ق.م. وبعض المناطق الأوروبية مثل بلجيكا. وقد كتب يوليوس قيصر عدة كتب منها مذكرات «حرب الغال» (Debello Gallica) وهو يقع في سبعة أجزاء تتضمن أحداث أعوام ٥٨ ـ ٥٢ ق.م. وكل جزء يعالج أحداث سنة واحدة وقد تابع هرتيوس (Hirtius) أحد ضباط يوليوس قيصر هذه المذكرات حتى عام ٥٠ ق.م. في كتاب ثامن. والكتاب الثاني مذكرات الحرب الأهلية (Debello Civili) ويقع في ثلاثة أجزاء وأرخ فيه تطورات أعوام ٤٩ ـ ٤٥ ق.م. وهذه الكتب تسمى التعليقات أو المذكرات وهي الذكريات لمعاركه الحربية، وهي مصدر أساسي تاريخي وجغرافي، يشير فيها للحوادث وللمناطق التي غزاها يوليوس قيصر. أما فيما يختص بمضمون الكتاب الأول «حرب الغال» فهو يشتمل على تقارير يوليوس قيصر وأعماله في «غالة» والمعارك التي خاضها ضد قبائلها وضد الجرمان عبر نهر الرين. كما يشتمل على أحداث وتفصيلات غزواته لبريطانيا. وهذا الكتاب يعتبر أقدم كتاب تضمن معلومات عن الدول الأوروبية وجغرافيتها وثرواتها وتاريخ شعوبها وقبائلها وعاداتها وتقاليدها.

أما كتابه الثاني «الحرب الأهلية» فقد اشتمل على الحروب الأهلية التي

نشبت في البلاد الرومانية بما فيها الصراع الحزبي والطبقي. وقد نسب إلى يوليوس قيصر مؤلفات أخرى قد لا تكون من تأليفه ومنها كتاب «حرب الإسكندرية» (Bellum Alexandarinum) الذي يرجح أنه من وضع القائد «هرتيوس» وهو يتناول حرب الإسكندرية بعد عام ٤٨ ق.م. وينسب ليوليوس قيصر كتاب «الحرب الأفريقية» (Bellum Africum) وكتاب «الحرب الإسبانية» (Bellum Hispaniense) هذا وألّف قيصر كتاباً في النحو (Analogia) ورسالة في ذم «كاتو» (Anti-cato).

ونظراً لأهمية ما تركه يوليوس قيصر من مفكرات ومعلومات تاريخية وجغرافية، فإننا نستطيع من خلاله أن نتلمس اتجاهاته الفكرية ومذهبه التاريخي باعتباره مؤرخاً وقائداً سياسياً وعسكرياً:

١ ـ لقد حرص يوليوس قيصر على الاستفادة ميدانياً من غزواته ورحلاته العسكرية، فوصف لنا كيفية حدوث المعارك بحس القائد العسكري وبمنهج الباحث والمؤرخ. ولذا فإنه لم يكتف بمشاهداته لكتابة مؤلفاته بل استقى بعض المعلومات من المصادر اليونانية لسد الثغرات العلمية. كما أنه استعان بما يعرف باسم مساعد أبحاث لاستكمال بعض النقاط والمعلومات التاريخية والجغرافية لا سيما حول بلاد الجرمان، هذا بالإضافة إلى أن يوليوس قيصر استغل أهل البلاد التي احتلها كما استغل الأسرى والجواسيس والمخبرين لإغناء معلوماته عن تلك البلاد. وفي ذلك فائدتان علمية وعسكرية. ويمكن القول بأنه لم يكن مؤرخاً عادياً بل كان شاهداً ومشاركاً للحوادث التي يصفها، وليست كتبه تاريخاً بقدر ما هي وثائق من الدرجة الأولى يستفيد منها المؤرخ والباحث ومذكراته تكشف عن عبقريته العسكرية وتمدنا بمعلومات جد قيّمة عن النظم العسكرية عند الرومان.

٢ ـ لقد مزج يوليوس قيصر التاريخ بالجغرافية فاستعان بالخرائط الجغرافية

وبواسطتها استطاع تحديد المناطق والأنهار والقبائل. كما وصف شكل بريطانيا الجغرافي وإيرلنده، وكان لذلك أثر واضح في تعرف الرومان على البلاد الأوروبية فكثير من أسماء القبائل والأماكن التي يعرفها الإنسان المعاصر اليوم ظهرت لأول مرة في تعليقات يوليوس قيصر. كما أمدنا بمعلومات خاصة عن أجناس البشر التي رآها وكأنه سخر التاريخ لما يعرف باسم علم الأجناس «وعلم الإنسان» (Anthropology) فقد تضمنت أول أخبار وصلتنا عن سلالات الغال والجرمان والبريطانيين وثقافتهم.

٣ - لم يكن يوليوس قيصر أول قائد عسكري يدوّن مذكراته ومشاهداته فقد سبقه بطليموس الأول إلى هذا الأسلوب، غير أن مذكراته تبقى ذات مغزى خاص نظراً لأهمية المعارك والحروب التي خاضها فضلاً عن أن اتجاهاته العسكرية لم تغلب على اتجاهاته السياسية. فقد تميّزت هذه الكتابات بالدقة والبساطة والبعد عن التكلّف والتنميق. كما تميّزت بالوضوح والاختصار والصدق وعدم تزييف الحقائق. ولكن لا بدّ من الإشارة إلى أنه بالرغم من صدقه فقد أغفل بعض المعلومات التي قد تسيء إليه، ومنها مثلاً أنه بدأ يحاول تغطية الأسباب الحقيقية لحروبه ثم أورد مبرراته السياسية والعسكرية ضد بومبي (Pompé) وألقى التبعة عليه كما أظهرت مؤلفاته: حرب الغال أو الحرب الأهلية، ميلاً للدعاية السياسية لنفسه لتوطيد نفوذه في العاصمة، وبدأ يبرر حروبه خارج الولايات المخصصة له دون تفويض رسمي.

الفصل الحادي عشر

نماذج من مناهج البَحث التّاريخي العَرَبي وَالإسلاَمي «المنهُج التّطبيقي»

ابن عبد الحكم (١٨٧هـ ـ ٢٥٧هـ)(*)

هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث المصري أبو القاسم. ولد حوالي سنة ١٨٧هـ وتوفي في مصر في مدينة الفسطاط عام ٢٥٧هـ، ودفن بالقرب من ضريح الإمام الشافعي، وقد عاش ابن عبد الحكم في ظل بيئة متفقهة بالدين والعلوم. فكان والده عبد الله المتوفى ٢١٤هـ من الفقهاء المحدثين وله مؤلفات في الفقه والحديث، وكان إماماً للمالكية في مصر بعد موت إمامها أشهب، فضلاً عن أن والده كان ثرياً وصاحب جاه وكانت كلمته مسموعة لدى القضاة في تزكية الشهود أو تجريمهم، كما كان إخوته الأربعة من الفقهاء. أما ابن عبد الحكم فقد كان عالماً بالتاريخ والحديث، وكان عاقلاً حكيماً فقيهاً صديقاً للإمام الشافعي. وبصورة عامة فإن عائلة عبد الحكم أصابت النجاح والجاه والشهرة فاشتهرت في مصر وخارجها في معرفة علوم الحديث والفقه، ولكن بعد وفاة الوالد عبد الله عن ٦٠ عاماً

(*) ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب، تحقيق عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي ـ مصر ١٩٦١.

بثلاثة عشر عاماً أصيبت أسرته بنكبة في عهد الخليفة العباسي الواثق بالله الذي اشتهر عهده بالاضطراب الديني، ولا سيما فتنة خلق القرآن. فقد رفض ابن عبد الحكم وإخوته الاعتراف بمذهب خلق القرآن كما رفضه غيرهم من المتمسكين بالأصول، وكان عقابهم جميعاً السجن والتعذيب. وقد توفي ابن عبد الحكم في السجن بعد تعذيبه بالسوط والتدخين عليه بالكبريت. وفي سنة ٢٣٧ هـ صادرت الدولة جانباً كبيراً من أملاك وأموال أسرة آل الحكم. هذا ويعتبر كتاب ابن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب من أقدم وأهم المصادر التاريخية العربية التي تتحدث عن تاريخ فتح المسلمين لمصر والمغرب العربي «شمال أفريقية» ومما يدل على أهميته اهتمام المؤرخين العرب والمسلمين القدامى بما جاء فيه من أخبار فاعتبروه مصدراً أوليّاً لدراستهم ومؤلفاتهم الخاصة بتاريخ مصر والمغرب ومن بين هؤلاء الكندي المتوفى ٣٥٠هـ والقضاعي المتوفى ٤٥٤هـ وابن دقماق المتوفى ٨٠٩هـ والمقريزي المتوفى ٨٤٥هـ والسيوطي المتوفى ٩١٠هـ وابن أيّاس المتوفى ٩٣٠هـ وسواهم. كما أن بعض المستشرقين الأجانب اعتمد عليه في تأريخهم لمصر والمغرب، وكان بعض المستشرقين أمثال «كارل وجونز وماسيه» وسواهم قد نشروا أجزاء من المخطوط غير أن المرة الأولى التي طبع فيها الجزء الأول منه كان في عام ١٩١٤. نشر المستشرق (شارلز توري) كتاب فتوح مصر بمدينة (ليدن) ويوجد من هذا المخطوط نسخ في لندن وباريس وليدن والآستانة. وفي عام ١٩٦١ نشر في مصر الأستاذ المحقق عبد المنعم عامر نسخة الآستانة، وهي تكاد تكون أول عمل عربي متكامل لمخطوط ابن عبد الحكم.

يضم كتاب ابن عبد الحكم قسماً تاريخياً وقسماً يتضمن معلومات عن القضاة والمحدثين. وما يهمنا دراسته في هذا المجال هو القسم التاريخي الذي يتضمن معلومات عن تاريخ الأقباط فيها وخروج بني إسرائيل منها وذكر ملوك مصر وتاريخ الروم والفرس فيها وبناء الإسكندرية وسبب دخول المسلمين إلى مصر. كما تضمن الكتاب وصفاً للخطط والمدن المصرية مثل الفسطاط

والجيزة والإسكندرية. أما فيما يختص ببلاد المغرب وشمال أفريقيا فقد تضمن تفصيلات عن فتح برقة وطرابلس وأفريقية والنوبة وفتح الأندلس وذكر غزاة المغرب.

أما فيما يختص بالمنهج الفكري التاريخي الذي اعتمده ابن عبد الحكم في كتابه تاريخ فتوح مصر والمغرب فهو وفقاً لما يلي:

١ ـ اتبع ابن عبد الحكم في كتابة تاريخه الكتابة على أساس الموضوعات وليس على أساس السنين، في حين كان الطبري مخالفاً له في منهجيته. فقد قسّم ابن عبد الحكم كتابه إلى سبعة أجزاء، فالجزء الأول بحث فيه فضائل مصر وتاريخها وأوصافها منذ القدم إلى فترة دخول الإسلام إليها وبحث فيه دور بني إسرائيل في تاريخ مصر، كما تحدث عن نشأة مدينة الإسكندرية وذكر الصراع الفارسي والبيزنطي للسيطرة على مصر، غير أن هذا الجزء من الكتاب يحوي كثيراً من الأساطير والميثولوجيا المتوارثة خطأ مثل قصة أولاد نوح عليه السلام. وقصة أبنائهم وقصه موسى عليه السلام مع فرعون مصر وتاريخ الفرس والروم في مصر ونبأ ذي القرنين.

أما الجزء الثاني فيتضمن الفتح الإسلامي لمصر بقيادة عمرو بن العاص في تفصيلات صحيحة وواضحة. أما الجزء الثالث فيعتبر جزءاً هاماً من الناحية التاريخية لأن ابن عبد الحكم ذكر الخطط والرباع التي أقامها الفاتحون في الفسطاط والجيزة، كما شرح لنا النظام الضرائبي مثل الخراج والجزية المفروضة على المدن والمناطق وبينها الإسكندرية. وتضمن الجزء الرابع معلومات عن إدارة مصر تحت قيادة عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد. وعن فتوح الفيوم وبرقة وطرابلس بقيادة عمرو بن العاص والنوبة والمغرب العربي بقيادة عبد الله بن سعد وينتهي هذا الجزء بتاريخ وفاة عمرو بينما تضمن الجزء الخامس معلومات عن فتح المغرب العربي وإسبانيا. أما الجزء السادس فيحتوي على تاريخ مختصر لقضاة مصر حتى سنة ٢٤٦هـ أي قبل وفاة ابن عبد

الحكم بعشر سنوات. أما الجزء السابع من الكتاب فهو أكبر الأجزاء وأوسعها فهو يتضمن مختارات عديدة من الأحاديث والروايات المنسوبة لأصحاب رسول الله الذين وفدوا إلى مصر وقد ذكر ابن عبد الحكم اثنين وخمسين صحابياً في هذا الجزء.

٢ ـ يبدأ ابن عبد الحكم مخطوطه بالبسملة وبإسناد متعدد وكثيف عن خلق الدنيا وعن تحديد البلاد الإسلامية وما وراءها من بلدان كذكره بلاد «الواق الواق» والسند دون تمحيص وتأكد من صحة المعلومات كقوله معتمداً على الإسناد الكثيف والمتعدد «. . . حدثني. . . خلقت الدنيا على صورة الطير برأسه وصدره وجناحه وذنبه فالرأس مكة والمدينة واليمن والصدر الشام ومصر والجناح الأيمن العراق وخلف العراق أمة يقال لها واق وخلف واق أمة يقال لها واق واق. وخلف ذلك من الأمم ما لا يعلمه إلاَّ الله، والجناح الأيسر السند وخلف السند الهند أمة يقال لها ناسك وخلف ناسك أمة يقال لها منسك وخلف ذاك من الأمم ما لا يعلمه إلاَّ الله عزّ وجلّ والذنب من ذات الحمام إلى مغرب الشمس وشر ما في الطير الذنب».

وأورد ابن عبد الحكم بأمانة نصوصاً صحيحة عن وصايا الرسول محمد عليه السلام بالقبط أي الأقباط كقوله: «إن الله عزّ وجلّ سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيراً فإن لكم منهم صهراً وذمةً». وكقوله: «استوصوا بالقبط خيراً فإنكم ستجدونهم نعم الأعوان على قتال عدوكم» وكقوله: «إنكم ستكونون أحفاداً وإن خير أحفادكم أهل الغرب منكم فاتقوا الله في القبط لا تأكلوهم أكل الخضر» وكقوله: «إنكم ستقدمون على قوم جعد رؤوسهم فاستوصوا بهم خيراً فإنهم قوة لكم وبلاء إلى عدوكم بإذن الله تعالى».

٣ ـ اعتمد ابن عبد الحكم في كتابة تاريخه على المصادر المكتوبة وعلى الأخبار الشفهية المتناقلة بواسطة الرواة والأخباريين في مصر ومن بين المصادر المكتوبة التي اعتمد عليها مخطوطات يحيى بن عبد الله بن باكير والواقدي

وابن لهيعة والليث ويزيد بن حبيب المتوفى ١٢٨هـ، كما اعتمد على عثمان بن صالح المتوفى ٢١٦هـ ويحيى بن أيوب المتوفى ١٧٣هـ وخالد بن حميد المتوفى ١٦٦هـ وأسعد بن موسى المتوفى ٢١٢هـ وعبدالله بن صالح والنضر بن عبد الجبار وسواهم. ولوحظ بأن ابن عبد الحكم ذكر الرواية في بعض الأحيان وأسندها إلى صاحبها دون مناقشتها أو تحليلها، ومن قوله في فتح مصر: «حدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن لهيعة عن عبيد الله بن أبي عياش بن عباس القتباني وغيرهما يزيد بعضهم على بعض قال: فلما قدم عمر بن الخطاب الجابية قام إليه عمرو فخلى به وقال: يا أمير المؤمنين ائذن لي أن أسير إلى مصر وحرضه عليها وقال إنك إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وعوناً لهم وهي أكثر الأرض أموالاً وأعجزها من القتال والحرب... حدثنا أبو الأسود النضر بن عبد الجبار حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب أن عمرو ابن العاص دخل مصر بثلاثة آلاف وخمساية رجل».

٤ ـ من الأخطاء المنهجية التي وقع فيها ابن عبد الحكم ذكره لعدد كبير من الأساطير قبل الإسلام التي نقلها عن مصادر مكتوبة أو عن الرواة، وكانت هذه المنهجية من مميزات العصر الذي عاش فيه ابن عبد الحكم، وليس خطأه في نقله الأساطير فحسب، وإنما لأنه لم يعمل على نقدها أو بطلانها. وبالرغم من هذا الخطأ الذي وقع فيه غير أنه أعطانا فكرة عن منهج من مناهج العصر وأسلوب تفكيره ومنها على سبيل المثال قوله: تحت عنوان «ظفر العمالقة بمصر وأمر يوسف»: قال: «... توفي طوطيس بن ماليا فاستخلف ابنته خروباً ابنة طوطيس ولم يكن له ولد غيرها وهي أول امرأة ملكت قال: ثم توفيت خروبا ابنة طوطيس فاستخلفت ابنة عمها زالفا ابنة «ماخوم» بن مالية فعمرت دهراً طويلاً وكثروا ونموا وملأوا أرض مصر كلها فطمعت فيهم العمالقة فغزاهم الوليد بن دومنغ فقاتلهم قتالاً شديداً ثم رضوا أن يملكوه عليهم فملكهم نحواً من مئة سنة فطغى وتكبر وأظهر الفاحشة فسلط عليه سبعاً فافترسه وأكل لحمه قال: والعماليق كما حدثنا عبد الملك بن هشام من ولد

عملاق ويقال عمليق بن لاوذ بن سام». وذكر ابن عبد الحكم نماذج عديدة أخرى مثل هذه الموضوعات كقوله: «حدثنا عثمان بن صالح حدثنا... قال كان لنوح عليه السلام أربعة من الولد سام بن نوح وحام بن نوح ويافث بن نوح ويحطون بن نوح وأن نوحاً عليه السلام رغب إلى الله عزّ وجلّ وسأله أن يرزقه الإجابة في ولده وذريته حين تكاملوا بالنماء والبركة فوعده ذلك... وكان أكبر ولد حام كنعان بن حام وهو الذي حيل به في الزجر في الفلك فدعا عليه نوح فخرج أسود وكان في ولده الجفاء والملك والجبروت وهو أبو السودان والحبش كلهم وابنه الثاني كوش بن حام وهو أبو السند والهند وابنه الثالث قوط بن حام وهو أبو البربر وابنه الأصغر الرابع بيصر بن حام وهو أبو القبط كلهم».

٥ ـ لقد حرص ابن عبد الحكم من جهة ثانية على توثيق بعض المعلومات الواردة في تاريخ فتوح مصر والمغرب فنشر مجموعة من الرسائل والخطب منها كتاب رسول الله إلى المقوقس بطريق (أي بطريرك) الإسكندرية الذي طلب فيه دخوله إلى الإسلام. كما نشر خطبة عمرو بن العاص بعد دخوله مصر، ونشر أيضاً الرسائل المتبادلة بين عمرو بن العاص والخليفة عمر ابن الخطاب. كما أنه أمدنا بمعلومات تاريخية قيّمة عن مزايا مصر ومدنها وفضائلها وعن كيفية عاداتها وتقاليدها وكيفية فرض الجزية عليها، وكلها معلومات تعتبر صحيحة ومعقولة. كما أمدنا بمعلومات عن جغرافية مصر والنيل وكيفية حفر قناة عمر بن الخطاب من النيل إلى القلزم، ثم كيفية إهمال القناة وردمها بالرمال.

٦ ـ حاول ابن عبد الحكم اتباع منهج المقارنة أحياناً عندما أورد بعض الأحداث التاريخية فذكر الحادثة وضدها، وكأنه أراد أن يعرض للقارىء مختلف الآراء حولها ومثال ذلك عندما تحدث عن فتح المسلمين لمصر، فقد أشار إلى رأي الرواة عن كيفية فتحها فبعضهم أشار إلى أنها فتحت صلحاً وبعضهم قال إنها فتحت عنوة بلا عهد ولا عقد. وقد أورد الآراء المتضاربة

وهي مسندة بدورها إلى رواة ومحدثين، وعلى هذا فيعتبر ابن عبد الحكم محدثاً غلبت عليه طريقة المحدثين فتتبع الرواية بأسانيدها دون تحقيق، عارضاً أشكالها المتعددة متبعاً أسلوب الأمانة في النقل والنقل المعاكس.

٧ ـ رأى ابن عبد الحكم أهمية التاريخ المقارن، فاعتبر أنه لا يمكن دراسة تاريخ فتح مصر منفصلاً عن تاريخ فتح المغرب وشمال أفريقية والأندلس وذلك لأسباب جغرافية وعسكرية وسياسية. ولهذا حرص على أن يؤرخ لنا تاريخ فتح المسلمين لمصر ثم ألحق بها مباشرةً تاريخ فتح المغرب فشرح كيفية فتح برقة وطرابلس (الغرب) على يد عمرو بن العاص سنة ٢٢ هـ كما أنه أمدّنا بمعلومات عن معركة ذات الصواري بين المسلمين والروم ومعارك الإسكندرية. كما أنه أمدّنا بمعلومات عن القادة الذين خرجوا لغزو المغرب بعد عمرو بن العاص ومنهم: معاوية بن حديج، عقبة بن نافع، أبو المهاجر دينار، حسان بن النعمان، موسى بن نصير. كما أعطانا معلومات عن البربر والقبائل المغربية وكيفية فتح بلاد الأندلس.

ومهما يكن من أمر فإن الثغرات والأخطاء الواردة في منهج ابن عبد الحكم عبر كتابه فتوح مصر والمغرب لا تقلل من أهميته، بل إن هذا الكتاب يعتبر أقدم مصدر عربي في موضوع تاريخ فتح المسلمين لمصر وشمالي إفريقية (المغرب العربي) إلى جانب كونه أهم مصدر يتضمن معلومات قيّمة عن خطط ومنشآت الفسطاط والجيزة والإسكندرية وبقية المناطق المصرية التي ورد ذكرها في كتابه.

الطبري(*)
(٢٢٤ ـ ٣١٠هـ) (٨٣٩ ـ ٩٢٣م)

هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كُثير الطبري، ولد في بلدة آمل في طبرستان «قزوين» حوالي عام ٢٢٤هـ وكانت وفاته في عام ٣١٠هـ. وقد عاش في القرن الثالث الهجري الذي تميّز بنضوج العلوم الإسلامية والفقهية وتزايد تصنيف كتب السيرة والمغازي والفتوح. وانتقلت في هذا القرن علوم الفرس والهند واليونان إلى العرب، كما امتزجت العلوم واللغة والتاريخ والآداب، فأصبح المشتغل باللغة والنحو عالماً بالحديث وأصبح المحدث عالماً بالتاريخ وهكذا. ففي هذا الجو العلمي نشأ الطبري حيث نهل من العلوم صبياً وطالع صنوف الكتب ورحل من أجل العلم إلى مناطق عدة، فزار العراق

(*) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف بمصر ١٩٦٢. وهناك طبعة دي غويه، لندن ١٨٨١ ـ ١٨٨٢ وسواها من الطبعات.
ومن بين مؤلفات الطبري الأخرى: آداب المناسك، آداب النفوس، اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام، أحاديث غدير خُم، بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام، البصير في معالم الدين، تهذيب الآثار وتفصيل الثابت من الأخبار، ذيل المذيل لكتاب تاريخ الرسل والملوك، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الجامع في القراءات، حديث الطير، الخفيف في الفقه، الرد على الحرقوصية، (الحنابلة)، الرد على ذي الأسفار، الرد على ابن عبد الحكم على مالك، صريح السنة، طرق الحديث، عبارة الرؤيا، كتاب العدد والتنزيل، كتاب الفضائل، لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام، مختصر الفرائض، كتاب المسترشد، المسند المجرّد، كتاب الوقف، كما نسبت إليه كتب أخرى.

وبلاد الشام وبيروت ومصر، ولما عاد إلى بغداد عكف على كتابة مؤلفاته ودراساته. وما يهمنا دراسته في هذا المجال هو كتاب «تاريخ الرسل والملوك أو تاريخ الأمم والملوك» الذي طبع في مصر في عشرة مجلدات وهو يعتبر أوفى عمل تاريخي بين مصنفات العرب والمسلمين. ويذكر بأن الطبري قال لأصحابه: «أتنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا الحاضر؟ قال كم قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة، فقالوا: إن هذا مما يفني الأعمار قبل تمامه فقال: إنا لله ماتت الهمم» ثم اختصره.

والملاحظ أن الطبري نفسه ذيّل على كتابه تاريخ الرسل والملوك بكتاب أسماه «ذيل المذيّل» كما قام آخرون من بعده بإكمال ما وصل إليه من تاريخ وأحداث. فقد قام محمد بن عبد الملك الهمذاني المتوفى سنة ٥٢١هـ بتكملة تاريخ الطبري فبدأه من أيام المقتدرية إلى بدء خلافة المستظهر ثم أنهاه بأخبار عضد الدولة أبي شجاع سنة ٢٦٠هـ. كما أن محمد بن سليمان الهاشمي وأبا الحسن الشمشاطي اختصرا كتاب الطبري. كما اختصره مع بعض الزيادات عريب بن سعد القرطبي، ونقل ابن عذارى منه ما يختص بتاريخ أفريقيا والأندلس في كتابه المغرب. وكان أول من ترجمه إلى الفارسية هو محمد بن عبد الله العلقمي المتوفى في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ثم نقلت هذه الترجمة من الفارسية إلى التركية كما ترجم ثانية إلى التركية ما بين ٩٢٨ ـ ٩٣٨هـ وطبعت الترجمة التركية في الآستانة سنة ١٢٦٠هـ كما ترجم وطبع بالفرنسية عام ١٨٧٤م وترجم إلى اللاتينية ولغات عدة أخرى، ونشرت الطبعة الكاملة لتاريخ الطبري على يد المستشرقين ما بين السنوات ١٨٧٩ ـ ١٨٩٨م ثم انتهي من طبعه ثانيةً سنة ١٩٠١م.

هذا وعلى سبيل المثال فإن الجزء الأول من تاريخ الرسل والملوك يضم موضوعات تاريخية عديدة تعود إلى تاريخ بدء الخليقة وخلق السماوات والأرض وخلق آدم وحواء ووفاتهما، وذكر الأحداث التي كانت زمن نوح وإبراهيم عليهما السلام، وذكر إبراهيم الخليل ومن كان في عصره من ملوك العجم،

وذكر النمرود بن كوش بن كنعان وذكر لوط وإبراهيم وأولاده إسماعيل وإسحاق ويعقوب، وذكر الخضر وموسى وهارون وقارون وبني إسرائيل وسليمان وداوود ودارا الأكبر والأصغر والإسكندر وتاريخ عيسى عليه السلام وتاريخ ملوك الروم في بلاد الشام إلى عهد الرسول عليه السلام وتاريخ قبائل عرب الحيرة والأنبار. . . ويبدأ الطبري كتابه بالبسملة والحمدلة وبالشهادتين وببعض الآيات القرآنية الكريمة. ويمكن أن نستنتج المنهج التاريخي الذي اعتمده من خلال بعض النصوص ومن خلال كتابه تاريخ الرسل والملوك ومنها:

١ ـ رتب الطبري حوادث كتابه وفقاً للمنهج الحولي واعتمد على الإسناد وعلى الرواة المعاصرين والسابقين له وكانت قيمة الروايات تعتمد في نظره على قوة أسانيدها، وكلما كان الإسناد في أوله قريباً من الحادثة كان ذلك مدعاة لصحتها، وكان اعتماد الطبري على الإسناد سبباً في وفرة مصادره. ويرى روزنثال في كتابه علم التاريخ عند المسلمين: إن الطبري لم يكن أول من طبق المنهج الحولي في كتابة التاريخ لأنه اعتمد على مؤرخين سبقوه في الكتابة على المنهج الحولي، ثم إن العرب عرفوا بعض المؤرخين الذين اتبعوا هذا المنهج ومنهم أبو عيسى بن المنجم المتوفى ٢٧٩هـ في كتابه «تاريخ سني العالم» وكانت حوادثه مرتبة حسب السنين والهيثم بن عدي المتوفى ٢٠٦هـ صاحب كتاب «التاريخ على السنين» كذلك ورد في الفهرست لابن النديم أن جعفر بن محمد بن الأزهر المتوفى ٢٧٦هـ ألّف كتاباً في التاريخ رتبه على السنين، ولكن لا بدّ من الإشارة بأن المنهج الحولي الطبري كان قيّماً وناضجاً كما أثّر في عدد من مؤرخي المسلمين الذين جاؤوا من بعده.

٢ ـ بدأ الطبري كتابه بذكر الدلائل على حدوث الزمان، وأن أول ما خلق بعد ذلك القلم، ثم ذكر آدم وما كان بعده من أخبار الأنبياء والرسل حسب ما ورد في التوراة، عارضاً الحوادث التي وقعت في زمانهم مفسّراً ما ورد في القرآن الكريم بشأنهم. وأورد أخبار الملوك الذين عاصروهم وملوك الفرس خاصة. ومما قاله في اعتماده على المصادر الإسلامية وما قبل الإسلام

ما يلي محدداً منهجه التاريخي:

«وليعلم الناظر في كتابنا أن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه فما شرطت أني راسمه فيه إنما هو على ما رويت من الأخبار التي أنا ذاكرها فيه والآثار التي أنا مسندها إلى رواتها فيه دون ما أدرك بحجج العقول واستنبط بفكر النفوس إلاَّ اليسير القليل منه إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أبناء الحادثين غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم إلاَّ بأخبار المخبرين ونقل الناقلين دون الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس. فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أُتي من قبل بعض ناقليه وإنّا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا».

٣ ـ حاول الطبري أن يجمع مواد كتابه من قراءته ومن الأشخاص المتخصصين في العلوم المتنوعة ومن خلال رحلاته فأخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة عن ابن عباس، ونقل السيرة عن أبان بن عثمان وعروة بن الزبير وشرحبيل بن سعد وموسى بن عقبة وابن إسحاق، وروى أخبار الردة والفتوح عن سيف بن عمر الأسدي وحوادث يومي الجمل وصفين عن أبي مخنث المدائني. وأخذ تاريخ الأمويين عن عوانة بن الحكم وأخبار العباسيين من مؤلفات أحمد بن أبي خيثمة كما أخذ أخبار العرب قبل الإسلام عن عبيد بن شريه الجرهمي ومحمد بن كعب القرظي ووهب بن منبّه، وأخبار الفرس عن الترجمات العربية عن كتب الفرس لا سيما كتب ابن المقفّع وابن الكلبي. ومعنى ذلك أن الطبري اعتمد على رواة ثقاة، وإن لم يقم بتحليل ما ورد في مؤلفاته.

٤ ـ قسم الطبري كتابه إلى عهد ما قبل الإسلام وبعده وفيما يختص بالعهد الإسلامي فقد رتبه على الحوادث من عام الهجرة الأولى إلى سنة

٣٠٢هـ وذكر في كل سنة ما وقع فيها من الأحداث المذكورة والأيام المشهورة، وإذا كانت أخبار الحوادث طويلة جزّأها على حسب السنين. والمنهج الذي سار عليه الطبري هو طريقة المحدثين بذكر الحوادث مرويّة بمقدار ما عنده من الطرق ويذكر السند حتى يتصل بصاحبه لا يبدي في ذلك رأيه معظم الأحيان. وكان يذكر أحياناً اسم الكتاب الذي أخذ عنه أو اسم المؤلف. ومن أمثلة ذلك قوله في ذكر عمر الخليقة والزمان: «حدثنا ابن حُميد قال: حدثنا يحيى بن واضح قال: حدّثنا يحيى بن يعقوب عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة فقد مضى ستة آلاف سنة ومئتي سنة وليأتين عليها مئتان من السنين ليس عليها حوجد وقال آخرون قدر جميع ذلك ستة آلاف سنة...».

ولا بدّ من الإشارة إلى أن هذا المنهج عرضه في بعض الأحيان للنقد ليس بسبب الإسناد وإنما بسبب عدم تمحيصه للأخبار والأحداث على غرار ما عرض في بدء الخليقة وسير الأنبياء. بينما رأى بعض النقاد إيجابية في هذا المنهج عند الطبري لأنه يعرض الرواية والحدث عن آخرين دون التدخل فيه بإبداء رأيه تاركاً الحكم للقارىء وقد أشار بصراحة إلى منهجه في مقدمة كتابه.

٥ ـ لقد استطاع الطبري من خلال هذا الكتاب التاريخي أن يسخر الآداب واللغة والشعر والسير للتاريخ واستفاد في كتابه تاريخ الرسل والملوك من كتب عديدة تضمنت الحديث والتفسير والأدب والمغازي ونصوص الشعر والخطب ونصوص العهود «المعاهدات» وكتب الدين والتوراة والإنجيل والقرآن الذي استفاد منه كثيراً عند كتابته عن الرسل والأمم مثل آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وشعيب ومحمد عليهم السلام إلى عهد الرسول محمد ﷺ ذكر لنا حوالي ٥٦ ملكاً ابتداءً من تيبريوس إلى هرقل المعاصر للرسول محمد عليه السلام.

٦ ـ رأى الطبري ضرورة التجوال والأسفار والقيام برحلات علمية

ليستقي معلوماته التاريخية والأدبية والفقهية والدينية وقد كتب سفره التاريخي بعد عودته من هذه الرحلات. وكان قد بدأ رحلاته في الثانية عشرة من عمره ووصل إلى الري وما جاورها من البلاد فأخذ عن شيوخها ودرس فقه العراق على أبي مقاتل وأخذ مغازي ابن إسحاق عن سلمة بن الفضل وعليه بنى تاريخه. ثم رحل إلى الكوفة فأخذ عن علمائها كما زار الشام وسواحلها وثغورها وأطال أيامه في بيروت خاصة حيث لقي فيها العباس بن الوليد البيروتي المقريء وقضى فيها سبع ليال في المسجد الجامع حتى ختم القرآن برواية الشاميين، ثم تابع مسيرته إلى الفسطاط في مصر فبلغها سنة ٢٥٣هـ فدرس فقه الشافعية هناك ثم عاد إلى الشام وقفل عائداً مجدداً إلى مصر، ثم عاد إلى بغداد بعد رحلة طويلة كتب وروى فيها ما شاهد وما تعلم. والحقيقة فقد كان لرحلاته الدور الأساسي في طبيعة منهجيته وفي تثقيفه واطلاعه على المعلومات التي أوردها في كتاب تاريخ الرسل والملوك وبقية مؤلفاته.

٧ ـ لقد رفض الطبري أن يكتب التاريخ بناء لطلب الخلفاء والأمراء وكان والده رجلاً ميسوراً يملك إحدى ضياع طبرستان وكان يصرف على ابنه طيلة إقامته في الخارج لئلا يخضع لابتزاز الخلفاء أو لشهوة الوظيفة التي عرضت عليه كثيراً. وبعد عودته وانقطاعه للدرس والتأليف عرضت عليه المناصب مجدداً فرفضها ويقول ابن عساكر في هذا الصدد: «لما تقلّد الخاقاني الوزارة وجه إلى أبي جعفر [الطبري] بمال كثير فامتنع عن قبوله وعرض عليه القضاء فأبى وعرض عليه المظالم فامتنع فعاتبه أصحابه وقالوا له. ذلك في هذا ثواب وتُحيي سُنة قد درست وطمّعوه في قبوله المظالم وباكروه ليركب معهم لقبول ذلك فانتهرهم وقال: قد كنت أظن لو رغبت ذلك لنهيتموني عنه ثم لامهم».

٨ ـ اتبع الطبري في كتاب تاريخ الرسل والملوك الأسلوب المنهجي الاستقرائي الشامل ودون أحداثه بثقة وصدق وهو بذلك يكمل أو يشابه ما قام به بعض المؤرخين أمثال: اليعقوبي والبلاذري والواقدي وابن سعد، كما أنه

خط منهجاً تاريخياً مهّد لمن جاء بعده من المؤرخين أمثال: المسعودي وابن مسكويه وابن الجوزي وابن الأثير وأبي الفداء والذهبي وابن خلدون. وبالرغم من أن الطبري تعرّض للنقد لأنه عرض للأحداث دون أن يقوم بتحليلها غير أنه بنى منهجه على هذا النوع من التأريخ لخشيته أن يكون تحليله للحادثة نوع من ترجيح فكرة ضد فكرة، كما أن كتابه بما ضمّ بين أوراقه من وقائع تاريخية نادرة ومعلومات قيّمة ونصوص وخطب ومعاهدات أصلية سيبقى أشمل كتاب للتاريخ عند العرب والمسلمين.

ابن خلدون(*)

(٧٣٢ ـ ٨٠٨هـ/ ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦م)

هو أبو زيد وليّ الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمد بن أبي عبد الله محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون. وخلدون هو خالد بن الخطاب بن عثمان رجل عربي من اليمن من حضرموت انتقل مع الجيوش العربية عند فتح المسلمين للأندلس. واسم خلدون ليس هو إلاَّ تصغير لاسم خالد، في حين يرى البعض الآخر بأن خلدون تعني «خالد الكبير». وقد اشتهرت الأُسر العربية القاطنة في الأندلس والمغرب تحديداً على أن تردف اسمها بالواو والنون على غرار الأسماء التالية: زيد = زيدون، حفص = حفصون، عبد = عبدون، حمد = حمدون، بدر = بدرون، خالد = خلدون، جن = جنون، أبيض = بيضون، سعد = سعدون وهكذا. . .

أقامت أُسرة ابن خلدون الحضرمية في قرمونة، ثم انتقلت إلى إشبيلية، ولما اشتد خطر الإسبان على إشبيلية سنة ٦٢٥هـ ـ ١٢٢٧م، هجرها آل الخطاب إلى ثغر سبتة، ثم ما لبث أن سقطت إشبيلية في يد فرديناند سنة ١٢٤٨م. ومن سبتة انتقل محمد جد ابن خلدون إلى تونس حيث ولي الوزارة لأبي حفص ثم لابنه المستنصر. كما تولى محمد والد ابن خلدون بعض

(*) اعتمدنا في هذه الدراسة على مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٨١، وعلى بعض الدراسات الخلدونية المثبتة في ثَبْت المصادر في آخر الدراسة.

المناصب العسكرية والإدارية، ثم اهتم بأمور الفقه والدين والقرآن الكريم واللغة والعلم، ما لبث أخيراً أن توفي بالطاعون الذي أصابه مع سواه سنة (٧٤٩هـ ـ ١٣٤٩م).

هذا وقد وُلد ابن خلدون في غرّة رمضان سنة(٧٣٢هـ ـ ٢٧ أيار (مايو) ١٣٣٢م)، وتلقى على والده وعلى بعض العلماء القرآن الكريم والدين الإسلامي والتفسير والفقه والنحو واللغة والشعر، ثم ما لبث أن تلقى مبادىء المنطق والفلسفة. وفي سنة (٧٤٨هـ ـ ١٣٤٧م) التحق ابن خلدون بوظيفة في قصر الحسن المريني سلطان مراكش، ثم عيّنه السلطان أبو إسحق الثاني الحفصي محمد بن تافراكين سلطان تونس سنة (٧٥٢هـ ـ ١٣٥١م) «كاتباً للعلامة» أي كاتباً لديوان الرسائل. وقد شرح ابن خلدون مهمة وظيفته بقوله إنه كان يوقّع المراسيم والكتب السلطانية بشارة السلطان وهي «الحمد لله والشكر لله» يكتبها بين البسملة وباقي النص. ثم تقلّب ابن خلدون في مناصب عديدة عند بني مرين في فاس وبني عبد الواد في تلمسان وعند بني الأحمر في غرناطة وعند بني العريف في شرق تلمسان. ثم تولى منصب القضاء على المذهب المالكي في مصر سنة (٧٨٤هـ ـ ١٣٧٢م)، ثم تولى القضاء ثانية بعد عودته من الحج سنة (٨٠١هـ ـ ١٣٩٩م)، ثم تولاّها عدة مرات إلى أن توفي في القاهرة في ٢٥ رمضان سنة (٨٠٨هـ ـ ١٥ آذار (مارس) ١٤٠٦م). وكان ابن خلدون قد تعرض أثناء حياته للسجن والاضطهاد، كما شارك بدوره في بعض الأحداث السياسية التي عرضته للنقد أو للاضطهاد، كما حدث له في فاس. كما كان في عداد وفد الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق الذي قدم من مصر إلى دمشق لمفاوضة تيمورلنك الذي غزا سورية. ولما اضطر الملك الناصر للعودة إلى مصر، ترأس ابن خلدون الوفد وأجرى مفاوضات باسم السلطان مع تيمورلنك الذي قام باحتجازه ثم ما لبث أن أكرمه وأعاده إلى مصر.

ومن الأهمية بمكان القول، بأن ابن خلدون عاش في فترة تفتت وانقسام

العالم الإسلامي إلى دويلات وإمارات صغرى وعهد الأُسر الضعيفة. وقد تأثر ابن خلدون بهذه الأجواء السائدة وتألم من واقع الحال، بل وانخرط في متاهات السياسة المحلية والإسلامية، فشارك في الكثير من السياسات التي عرفت في ذاك الزمان. كما تنوعت اهتماماته العلمية، وقد ذكر صديقه لسان الدين بن الخطيب في كتابه «الإحاطة في تاريخ غرناطة» عدداً من مؤلفاته في مختلف العلوم والحساب والمنطق والتاريخ والشعر منها: رسالة في المنطق، رسالة في الحساب، تلخيص بعض رسائل ابن رشد، شرح أُرجوزة في الفقه لابن الخطيب، تلخيص كتاب الرازي في الفقه المعروف «بالمحصَّل» وشرح قصيدة «البُردة» المشهورة للبوصيري، ولكن لم تصل كل هذه المؤلفات إلينا، إنما وصل بعضها مثل كتاب «المحصل» للرازي الذي طبع في القاهرة سنة ١٩٠٧ والموجود منه نسخة مخطوط في مكتبة الاسكوريال في إسبانيا وهو مؤرّخ في ١٩ صفر سنة (٧٥٢هـ ـ ٢٧ نيسان (إبريل) ١٣٥١م). غير أن ابن خلدون لم يلقَ شُهرة إلاَّ من كتابه الوحيد في التاريخ العام الذي سمّاه «كتاب العِبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر». وقد قسّم ابن خلدون هذا الكتاب إلى مقدمة وثلاثة كتب هي:

١ ـ المقدمة، وهي تتحدث عن فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه والإلماع لما يعرض للمؤرخين من المغالط وذكر شيء من أسبابها.

٢ ـ الكتاب الأول: وهذا الكتاب مع مقدمة المقدمة يعرف باسم «مقدمة ابن خلدون» ويضم بحثاً في طبيعة العمران وذكر ما يعرض فيه من العوارض الذاتية من المُلْك والسلطان والكسب والمعاش والصنائع والعلوم، وما لذلك من العلل والأسباب وهو ستة أبواب.

٣ ـ الكتاب الثاني: ويبحث في أخبار العرب وأجيالهم ودولهم منذ بدء الخليقة إلى القرن الذي يعيش فيه ابن خلدون أي القرن الرابع عشر

الميلادي. وفيه الإلماع لبعض من عاصرهم من الأمم والمشاهير ودولهم مثال: النبط، السريان، الفرس، بني إسرائيل، القبط، اليونان، الروم، الترك، والفرنجة.

٤ ـ الكتاب الثالث: ويبحث في أخبار البربر ومواليهم من زناتة، وذكر أوليتهم وأجيالهم، وما كان لهم بديار المغرب خاصة من الملوك والدول. وفي آخر هذا الكتاب تكون عادة ترجمة حياة ابن خلدون المسمّاة «التعريف بابن خلدون».

هذا وقد نشر هذا التاريخ في سبعة مجلدات في بولاق في مصر سنة (١٢٨٤هـ ـ ١٨٦٧م) بهمة وعناية اللغوي المصري الشيخ نصر الهوريني. وكان البارون «دي سلان» قد نشر منه تاريخ الدول الإسلامية في المغرب، وهو الكتاب الثالث، وذلك في مجلدين ضخمين في الجزائر سنة (١٢٦٣هـ ـ ١٨٤٧م) و (١٢٦٧هـ ـ ١٨٥١م).

وبالرغم من أن ابن خلدون اشتهر بصورة أساسية كعالم وفيلسوف اجتماعي مبدع، غير أننا سنتناول في هذه الدراسة منهجيته التاريخية ومذهبه الفكري وأسلوبه الذي هو في حقيقته مزيج من علوم متعددة، لا سيما وأن ابن خلدون استطاع أن يربط التاريخ بعلم الاجتماع، كما ربط التاريخ بالجغرافيا والسياسة والاقتصاد والصناعة والزراعة والطب والفقه والنحو واللغة والقرآن الكريم، كما أرّخ لبعض الفنون ومنها الغناء والموشحات والأزجال، وبعض العلوم كالهندسة والرياضيات والكيمياء. وكأن ابن خلدون في مؤلفه لا سيما المقدمة أراد أن يكون مؤرخاً ليس للأحداث السياسية فحسب بل مؤرخاً للعلوم والفنون. ولقد حرص في مؤلفه الضخم أن يجعل له مقدمة أو مقدمة للمقدمة تبحث باديء ذي بدء في علم التأريخ أو في فن التأريخ، وأراد أن يورد دراسة القواعد والأسس التاريخية التي ينبغي للمؤرّخ أن يتقيد بها لتكون سراجاً منيراً في كتابته التاريخية. أما مذهب ابن خلدون التاريخي فإنه يتبين لنا

في بعض وجوه وملامح كتاباته من خلال مؤلفه التاريخي المشهور وذلك وفق الاتجاهات الفكرية التاريخية التالية:

١ ـ بدأ ابن خلدون كتابته بالبسملة وقسّم دراسته على أساس الموضوعات، وليس على مبدأ السنين كما جرت العادة عند بعض كتاب الحوليات. ورأى ابن خلدون بأن للتاريخ فوائد عديدة وغاية شريفة، ورأى ضرورة الاستفادة من تجارب الماضي في بناء الحاضر والمستقبل اعتماداً على مبدأ «نفعية التاريخ». ورأى أن التأريخ يحتاج إلى علوم مساعدة متنوعة وحسن نظر وتثّبت وتحقيق وتعليل، وذلك للوصول إلى الحق وللابتعاد عن الأخطاء والمزالق. كما رأى بأن التأريخ يحتاج إلى عملية مقارنة الحاضر بالماضي لأن عدم المقارنة يمكن أن تؤدي إلى الوقوع في الخطأ والانحياز والابتعاد عن جادة الصواب. ورأى أن مجرد النقل ليس هدفاً للتأريخ، بل لا بد من التحقيق والمقارنة والتمعّن والتحكيم، وبذلك كله يقول:

«اعلم أن فن التأريخ فن عزيز المذهب، جمّ الفوائد شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبّت يفضيان بصاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلاّت والمغالط، لأن الأخبار إذا اعتُمد فيها على مجرد النقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني ولا قيسَ الغائب منها بالشاهد والحاضر بالذاهب فربما لم يُؤمن فيها من العثور ومزلّة القدم والحَيد عن جادة الصدق. وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأَيِمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثّاً أو سميناً ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سَبَروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار، فضلّوا عن الحق وتاهوا عن بيداء الوهم والغلط ولا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال

والعساكر إذا عرضت في الحكايات، إذ هي مظنّة الكذب ومطية الهذَر ولا بدّ من ردّها إلى الأصول وعرضها على القواعد. . .»،

٢ ـ انتقد ابن خلدون بعض المؤرخين الذين يذكرون أحداثاً وأخباراً تتناقض مع «قانون المطابقة» وتخالف الواقع والموضوعية، والذين يبالغون في ذكر الأعداد وإحصاء الجيوش، وأعطى أمثلة عديدة منها ما ذكرها المسعودي بشأن تمثال الزرزور برومة الذي تجتمع إليه الزرازير في يوم معلوم من السنة حاملة للزيتون ومنه يتخذون زيتهم. كما انتقد المسعودي ـ رغم إعجابه به واعتماده على مؤلفاته ـ وسواه من المؤرخين لما ذكروه عن جيش بني إسرائيل زمن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بأن عدده كان ستمائة ألف أو يزيدون وقال ابن خلدون معلّقاً على ذلك:

«ويذهل في ذلك عن تقدير مصر والشام واتساعهما لمثل هذا العدد من الجيوش لكل مملكة من الممالك حصة من الحامية تتسع لها وتقوم بوظائفها وتضيق عمّا فوقها تشهد بذلك العوائد المعروفة والأحوال المألوفة. . .».

وأضاف ابن خلدون قائلاً:

«وقد نجد الكافّة من أهل العصر إذا أفاضوا في الحديث عن عساكر الدول التي لعهدهم أو قريباً منه وتفاوضوا في الأخبار عن جيوش المسلمين أو النصارى أو أخذوا في إحصاء أموال الجبايات وخراج السلطان ونفقات المترفين وبضائع الأغنياء الموسرين توغلوا في العدد وتجاوزوا حدود العوائد وطاوعوا وساوس الإغراب فإذا استكشف أصحاب الدواوين عن عساكرهم واستنبطت أحوال أهل الثروة في بضائعهم وفوائدهم واستجلبت عوائد المترفين في نفقاتهم لم تجد معشار ما يعدّونه، وما ذلك إلاّ لولوع النفس بالغرائب وسهولة التجاوز على اللسان والغفلة على المتعقّب والمنتقد حتى لا يحاسب نفسه على خطأ ولا عمد ولا يطالبها في الخبر بتوسط ولا عدالة ولا يرجعها إلى بحث وتفتيش فيرسل عنانه ويسيم في مراتع الكذب لسانه. . . وحسبك بها صفقة خاسرة. . .».

٣ ـ يركّز ابن خلدون على أخطاء المؤرخين وكتاباتهم غير الصحيحة فينتقدها، ثم يحدّد بعض قواعد التأريخ للمؤرخين من معرفة قواعد السياسة وطبائع الموجودات والجغرافية والاجتماع، وضرورة تميّزهم بامتلاك القدرة على المقارنة بين أحوال الحاضر وأحداث الماضي على ما بينهما من تشابه أو تناقض، وضرورة معرفة أسباب نشوء الدول ومظاهرها. وبصورة أخرى فقد رأى أن الباحث يجب أن يكون في الوقت نفسه عالماً اجتماعياً ومؤرخاً. ومما قاله ابن خلدون:

«ومن الأخبار الواهية للمؤرخين... وهذه الأخبار كلها بعيدة عن الصحة عريقة في الوهم والغلط وأشبه بأحاديث القصص الموضوعة... فالأخبار بذلك واهية مدخولة... فلا تتيقَنَّ بما يُلقى إليك من ذلك وتأمل الأخبار واعرضها على القوانين الصحيحة يقع لك تمحيصها بأحسن وجه والله الهادي إلى الصواب...».

وينفي ابن خلدون أن تكون نكبة البرامكة مثلاً قد نشأت عن قصة غرامية بطلاها جعفر بن يحيى البرمكي والعباسة أخت الرشيد، فيعلّلها بأسباب أعمق جديرة بالذكر والدرس وأكثر علاقة بطبيعة الملك ومقتضياته ومنها «ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجافهم أموال الجباية» فالظلم والاستبداد والأوضاع الاقتصادية هي برأي ابن خلدون الأسباب الحقيقية لنكبة البرامكة. كما انتقد ابن خلدون بعض المفسرين لبعض الآيات والسور القرآنية كسورة الفجر حيث تفسر من الناحية التاريخية تفسيراً خاطئاً عند بحث جماعة «عاد إرم ذات العماد». ثم بعد أن ذكر الكثير من الأمثلة التاريخية التي لم تعالج معالجة صحيحة، وبعد أن عدّد المغالط والأخطاء عند المؤرخين قال:

«وقد كدنا أن نخرج عن غرض الكتاب بالإطناب في هدو المغالط فقد زلّت أقدام كثير من الأثبات والمؤرخين الحفّاظ في مثل هذه الأحاديث والآراء وعلّقت أفكارهم ونقلها عنهم الكافّة من ضَعَفَة النظر والغفلة عن القياس

وتلقوها هم أيضاً كذلك من غير بحث ولا روية واندرجت في محفوظاتهم حتى صار فن التاريخ واهياً مختلطاً وناظره مرتبكاً وعُدَّ من مناحي العامة. فإذاً يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الأمم والبقاع والأعصار في السير والأخلاق والعوائد والنِحَل والمذاهب وسائر الأحوال والإحاطة بالحاضر ومماثلة ما بينه وبين الغائب من الوفاق أو بون ما بينهما من الخلاف وتعليل المتفق منها والمختلف والقيام على أصول الدول والمِلل ومبادىء ظهورها وأسباب حدوثها ودواعي كونها وأحوال القائمين بها وأخبارهم حتى يكون مستوعباً لأسباب كل خبره. وحينئذ يعرض خبر المنقول على ما عنده من القواعد والأصول فإن وافقها جرى على مقتضاها كان صحيحاً وإلاَّ زيَّفه واستغنى عنه وما استكبر القدماء علم التاريخ إلاَّ لذلك حتى انتحله الطبري والبخاري وابن إسحق من قبلهما وأمثالهم من علماء الأمة وقد ذهل الكثير عن هذا السر فيه حتى صار انتحاله مجهلة واستخفّ العوام ومن لا رسوخ له في المعارف مطالعته وحمله والخوض فيه والتطفل عليه فاختلط المرعي بالهمل واللباب بالقشر والصادق بالكاذب وإلى الله عاقبة الأمور».

٤ ـ اعتبر ابن خلدون بأن التاريخ فن من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال، وأشار إلى أن التاريخ «في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول». واعتنق ابن خلدون فكرة التمحيص والتنقيب والتحقيق والتعليل ووجّه النقد للمؤرخين المتطفلين على التأريخ والذين شوّهوا ملامح من التاريخ بسبب كتاباتهم غير المحقّقة ومما قاله:

«أما بعد فإن فن التأريخ من الفنون التي تتداوله الأمم والأجيال وتشدّ إليه الركائب والرجال... إذ هو في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون الأول... وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق وأن فحول

المؤرخين في الإسلام قد استوعبوا أخبار الأيام وجمعوها وسطّروها في صفحات الدفاتر وأودعوها، وخلطها المتطفلون بدسائس من الباطل وهمّوا فيها وابتدعوها، وزخارف من الروايات المضعفة لفقوها ووضعوها، واقتفى تلك الآثار الكثير ممّن بعدهم واتبعوها، وأدّوها إلينا كما سمعوها، ولم يلاحظوا أسباب الوقائع والأحوال ولم يراعوها، ولا رفضوا ترّهات الأحاديث ولا وضعوها». ثم واصل ابن خلدون نقده لمثل هؤلاء المؤرخين لعدم دقّتهم في التحقيق والتنقيب «فالتحقيق قليل وطرف التنقيح في الغالب كليل، والغلط والوهم نسيب للأخبار وخليل، والتقليد عريق في الآدميين وسليل، والتطفل على الفنون عريض طويل...».

٥ ـ في الوقت الذي وجّه ابن خلدون نقده لبعض المؤرخين المسلمين بسبب بعض الترهات والأخطاء الواردة في مؤلفاتهم أمثال ابن إسحق (١٥٠هـ ـ ٧٦٧م)، والطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠هـ/ ٨٣٩ ـ ٩٢٣م) وابن الكلبي (٢٠٤هـ ـ ٨١٩م)، ومحمد بن عمر الواقدي (١٣٠ ـ ٢٠٧هـ/ ٧٤٧ ـ ٨٢٣م)، والأسدي (٢٠٠هـ ـ ٨١٥م)، والمسعودي (٣٤٦هـ ـ ٩٥٧م) وسواهم غير أنه اعتمد عليهم وأنصفهم إنصاف المؤرّخ العادل ومما قاله:

«وإن كان في كتب المسعودي والواقدي من المطعن والمغمز ما هو معروف عند الأثبات، ومشهور بين الحَفَظَة الثقات، إلاَّ أن الكافّة اختصّتهم بقبول أخبارهم واقتفاء سُننهم في التصنيف واتباع آثارهم. والناقد البصير قسطاس نفسه في تزييفهم فيما ينقلون أو اعتبارهم، فللعمران طبائع في أحواله ترجع إليها الأخبار وتحمل عليها الروايات والآثار...».

وعند حديثه عن بعض المؤرخين الذين كتبوا تاريخ الدول المعاصرة لهم أو غير المعاصرة مثل المسعودي وابن حيان (٣٧٧ ـ ٤٦٩هـ/ ٩٨٧ ـ ١٠٧٦م) وابن الرقيق بعد (٤١٧هـ ـ ١٠٢٦م) قال ابن خلدون:

«من هؤلاء مَن استوعب ما قبل الملّة من الدول والأمم والأمر العمم،

كالمسعودي ومَن نحا منحاه وجاء من بعدهم من عدل عن الإطلاق إلى التقييد ووقف في العموم والإحاطة على الشأو البعيد، فقيّد شوارد عصره واستوعب أخبار أُفقه وقطره، واقتصر على تاريخ دولته ومصره، كما فعل أبو حيان مؤرّخ الأندلس والدولة الأموية بها، وابن الرقيق مؤرخ إفريقية والدولة التي كانت بالقيروان ثم لم يأت من بعد هؤلاء إلاَّ مقلّد وبليد الطبع والعقل أو متبلد، ينسج على ذلك المنوال ويحتذي منه بالمثال. . .».

٦ ـ رأى ابن خلدون أن من واجب المؤرّخ في حال كتابته تاريخ دولة ما أو منطقة ما أن لا يعمد إلى التسرّع في الكتابة أو إلى الاختصار أو التكرار وعليه التحقّق من أسباب نشأة الدول وأحوالها والظروف المحيطة بنشأتها، وليس الاكتفاء بذكر أسماء الملوك والأمراء، وقد انتقد ابن خلدون مثل هؤلاء لخروجهم عن القواعد ولإخلالهم بالمذاهب التاريخية المعروفة للمؤرخين. وفي ذلك يقول عن المؤرخين غير المحقّقين:

«. . . فيجلبون الأخبار عن الدول وحكايات الوقائع في العصور الأول، صوراً قد تجردت عن موادها وصفاحاً انتضيت من أغمادها ومعارف تستنكر للجهل. بطارفها وتلادها، إنما هي حوادث لم تعلم أصولها، وأنواع لم تعتبر أجناسها ولا تحققت فصولها، يكررون في موضوعاتها الأخبار المتداولة بأعيانها. . . إذا تعرضوا لذكر الدولة نسّقوا أخبارها نسقاً محافظين على نقلها وهماً أو صدقاً، لا يتعرضون لبدايتها ولا يذكرون السبب الذي رفع من رايتها، وأظهر من آيتها ولا علّة الوقوف عند غايتها. فيبقى الناظر متطلعاً بعد إلى افتقاد أحوال مبادىء الدول ومراتبها، مفتشاً عن أسباب تزاحمها أو تعاقبها، باحثاً عن المقنع في تباينها أو تناسبها، حسبما نذكر ذلك كله في مقدمة الكتاب. ثم جاء آخرون بإفراط الاختصار، وذهبوا إلى الاكتفاء بأسماء الملوك والاقتصار، مقطوعة عن الأنساب والأخبار، موضوعة عليها أعداد أيّلهم بحروف الغبار، كما فعله ابن رشيق في ميزان العمل، ومن اقتفى هذا الأثر من الهمل، وليس يعتبر لهؤلاء مقال، ولا يعدّ لهم ثبوت ولا انتقال، لما أذهبوا

من الفوائد، وأخلّوا بالمذاهب المعروفة للمؤرخين والعوائد».

٧ ـ لم يكن التأريخ هدف ابن خلدون المباشر على غرار بعض المؤرخين، ولم يكن همّه سرد التاريخ وكتابته لمجرد الكتابة، إنما كان هدفه أبعد من ذلك، فقد اعتبر أن التاريخ وسيلة أساسية للإجابة على ما جرى ويجري من أحداث وتطورات، وللإجابة على الأسئلة الكثيرة والملحّة التي كانت تشغل باله. ولهذا عندما تفرّغ أربع سنوات للكتابة، وكتب ضمن ما كتب المقدمة، أجرى فيما بعد عدّة تعديلات عليها ثم نقحها وهذّبها إلى آخر حياته حتى اكتملت على الصورة التي بلغتنا. ثم إنه لما بدأ مؤلفه لم يكن ينوي الكتابة عن الشرق، بل عن المغرب فحسب، ولكن بعد أن زار مصر وبعض بلدان المشرق أضاف تاريخ هذه المنطقة إلى مؤلفه. وقد اعتبر ابن خلدون أن مذهبه التاريخي في المقدمة يعتبر غريباً لم يسبق لسواه أن صنع مثله وبهذا يقول:

«وأنزلوني بأهلي في قلعة ابن سلامة... فأقمت بها أربعة أعوام، متخلياً عن الشواغل كلها، وشرعت في تأليف هذا الكتاب وأنا مقيم بها، وأكملت المقدمة منه على ذلك النحو الغريب الذي اهتديت إليه في تلك الخلوة...».

ويلاحظ بأن حرص ابن خلدون واهتمامه بالمنهجية التاريخية أدّت به للتوصّل إلى علم جديد هو علم العمران وبذلك يقول:

«وكأن هذا علم مستقل بنفسه، فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني... واعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة، غريب النزعة، غزير الفائدة، أَعثَرَ عليه البحث وأدى إليه الغوص... كأنه علم مستنبط النشأة... ونحن ألهمنا الله إلى ذلك إلهاماً وأعثرنا على علم جعلنا بين فكرة وجهينة خبرة... ولي الفضل لأني نهجت له السبيل وأوضحت له الطريق...».

٨ ـ واستكمالاً للنقطة السابقة الذكر فقد اعتبر ابن خلدون بأنه ألَّف مؤلفه ورتبه وبوّبه بأسلوب وطريقة غريبة، وأن منهجه التاريخي في ذلك يعتبر عجيباً ومبتدعاً، فليس تاريخه تاريخاً تقليدياً ومجرد سرد للأخبار، بل هو تاريخ وتفسير لأحوال العمران والتمدّن والاجتماع ودراسة للأسباب والمسبّبات وللقوانين وهو تعليل للكوائن وأسبابها، وقد أشار إلى ذلك في قوله:

«أبديت فيه لأولية الدول والعمران عللاً وأسباباً، وبنيته على أخبار الأمم الذين عمّروا المغرب في هذه الأعصار. . . وما كان لهم من الدول الطوال أو القصار، ومن سلف لهم من الملوك والأنصار وهما العرب والبربر. . . وسلكت في ترتيبه وتبويبه مسلكاً غريباً واخترعته من بين المناحي مذهباً عجيباً، وطريقة مبتدعة وأسلوباً، وشرحت فيه من أحوال العمران والتمدّن وما يعرض في الاجتماع الإنساني من العوارض الذاتية ما يمتّعك بعلل الكوائن وأسبابها، ويعرّفك كيف دخل أهل الدول من أبوابها، حتى تنزع من التقليد يدك، وتقف على أحوال ما قبلك من الأيام والأجيال وما بعدك، ورتبته على مقدمة وثلاثة كتب. . .».

وبالرغم من أن ابن خلدون أشار إلى مذهبه التاريخي والعمراني والاجتماعي المنفرد والمبتدع والمستنبط غير أنه لم يجد غضاضة في أن ينقده العلماء، بل على العكس فقد طالبهم بفعل ذلك معترفاً بارتكاب الأخطاء ومما قاله في هذا المجال:

«. . . وأنا من بعدها موقن بالقصور، بين أهل العصور، معترف بالعجز عن المضاء في مثل هذا القضاء، راغب من أهل اليد البيضاء والمعارف المتسعة الفضاء في النظر بعين الانتقاد لا بعين الارتضاء، والتغمّد لما يعترون عليه بالإصلاح والإغضاء، فالبضاعة بين أهل العلم مزجاة والاعتراف من اللوم منجاة، والحسنى من الإخوان مرتجاة. . .».

٩ ـ رأى ابن خلدون أن من الأخطاء التاريخية عدم تنبّه المؤرخين إلى

طبيعة كيان الدول والأمم وتبدّل أوضاعها والحقب التي تمر بها، ذلك لأن أحوال العالم لا تدوم على وتيرة واحدة، إنما هناك تبدّل مستمر سواء في الأشخاص أو في الدول والأمصار، وهو يتشابه في ذلك مع هيرودوت، ومما قاله في هذا الخصوص:

«ومن الغلط الخفي في التاريخ الذهول عن تبدل الأحوال في الأمم والأجيال بتبدّل الأعصار ومرور الأيام وهو داء دوي شديد الخفاء إذلا يقع إلاَّ بعد أحقاب متطاولة فلا يكاد يتفطن له إلاَّ الآحاد من أهل الخليقة وذلك أن أحوال العالم والأمم وعوائدهم ونحلهم لا تدوم على وتيرة واحدة ومنهاج مستقر، إنما هو اختلاف على الأيام والأزمنة وانتقال من حال إلى حال، وكما يكون ذلك في الأشخاص والأوقات والأمصار، فكذلك يقع في الآفاق والأقطار والأزمنة سُنّة الله التي قد خَلَت في عباده».

وأشار ابن خلدون إلى أمثلة عديدة تؤكد مذهبه التاريخي، فذكر زوال أمم الفرس الأولى والسريان والنبط والتبابعة وبني إسرائيل والقبط، وكيف جاء من بعدهم دولة الفرس الثانية والروم والعرب. ثم جاء الإسلام الذي أحدث «انقلابة» على ما ذكر ابن خلدون. ثم درست دولة العرب وصار الأمر في أيدي سواهم من العجم مثل الترك بالمشرق والبربر بالمغرب والفرنجة بالشمال.

وفسّر ابن خلدون سبب تقلب أوضاع الأمم والدول، ورأى أن أسباب ذلك إنما يعود إلى تمازج العادات والتقاليد القديمة بالعادات والتقاليد الحديثة والطارئة، ومن أسباب الاضمحلال أيضاً عدم الحفاظ على العادات وإغفالها والتي كانت سبباً من أسباب القوة، ومن الأسباب أيضاً أسلوب السلطان في الحكم. . . وفي ذلك يقول ابن خلدون:

«والسبب الشائع في تبدل الأحوال والعوائد أن عوائد كل جيل تابعة لعوائد سلطانه كما يقال في الأمثال الحكمية: الناس على دين الملك. وأهل

الملك والسلطان إذا استولوا على الدولة والأمر فلا بدّ من أن يفزعوا إلى عوائد من قبلهم ويأخذون الكثير منها ولا يغفلون عوائد جيلهم مع ذلك فيقع في عوائد الدولة بعض المخالفة لعوائد الجيل الأول. فإذا جاءت دولة أخرى من بعدهم ومزجت من عوائدهم وعوائدها خالفت أيضاً بعض الشيء، وكانت للأولى أشد مخالفة، ثم لا يزال التدريج في المخالفة حتى ينتهي إلى المباينة بالجملة. فما دامت الأمم والأجيال تتعاقب في المُلْك والسلطان لا تزال المخالفة في العوائد والأحوال واقعة والقياس والمحاكاة للإنسان طبيعة معروفة ومن الغلط غير مأمونة تخرجه مع الذهول والغفلة عن قصده وتعوج به عن مرامه، فربما يسمع السامع كثيراً من أخبار الماضين ولا يتفطن لما وقع من تغيّر الأحوال وانقلابها فيجريها لأول وهلة على ما عرف ويقيسها بما يشهد وقد يكون الفرق بينهما كثيراً فيقع في مهواة من الغلط...».

١٠ ـ جدّد ابن خلدون تفنيد أخطاء المؤرخين الذين يتبعون التقليد في الكتابة ويقلّدون من سبقهم من المؤرخين الماضين دون تفهم لدورة الحياة وتطور المفاهيم. ثم أعطى في خاتمة فصل «في فضل علم التاريخ وتحقيق مذاهبه» آراء أخرى في كيفية التأريخ، ومنها أن ذكر الأحوال العامة للآفاق والأجيال والأعصار (العصور) إنما هي أُسس للمؤرخ ومما قاله مستشهداً بالمؤرخ «المسعودي» صاحب كتاب «مروج الذهب» وبالبكري صاحب «المسالك والممالك» ما يلي:

«إن التاريخ إنما هو ذكر الأخبار الخاصة بعصر أو جيل فأما ذكر الأحوال العامة للآفاق والأجيال والأعصار فهو أُس للمؤرخ تنبني عليه أكثر مقاصده وتتبين به أخباره. وقد كان الناس يفردونه بالتأليف كما فعله المسعودي في كتاب مروج الذهب شرح فيه أحوال الأمم والآفاق لعهده في عصر الثلاثين والثلاثمائة غرباً وشرقاً وذكر نحلهم وعوائدهم ووصف البلدان والجبال والبحار والممالك والدول وفرّق شعوب العرب والعجم فصار إماماً للمؤرخين يرجعون إليه، وأصلاً يعوّلون في تحقيق الكثير من أخبارهم عليه،

ثم جاء البكري من بعده ففعل مثل ذلك في المسالك والممالك خاصة دون غيرها من الأحوال لأن الأمم والأجيال لعهده لم يقع فيها كثير انتقال ولا عظيم تغيّر. وأما لهذا العهد وهو آخر المائة الثامنة فقد انقلبت أحوال المغرب الذي نحن شاهدوه وتبدلت بالجملة... ويقف مسلك المسعودي لعصره ليكون أصلاً يقتدي به من يأتي من المؤرخين من بعده وأنا ذاكر في حياتي هذا ما أمكنني منه في هذا القطر المغربي إما صريحاً أو مندرجاً في أخباره وتلويحاً لاختصاص قصدي في التأليف بالمغرب وأحوال أجياله وأُممه وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الأقطار لعلم اطّلاعي على أحوال المشرق وأممه وأن الأخبار المتناقلة لا تفي كُنْه ما أُريده منه والمسعودي إنما استوفى ذلك لبُعد رحلته وتقلبه في البلاد كما ذكر في كتابه مع أنه لمّا ذكر المغرب قصّر في استيفاء أحواله وفوق كل ذي علم عليم...».

١١ ـ حرص ابن خلدون على شرح المزيد من منهجه التاريخي واتجاهاته التأريخية، وقد حدّد ماهية التأريخ مجدداً عندما تحدث عن «طبيعة العمران في الخليقة» فأشار بأن التأريخ هو خبر الاجتماع الإنساني الذي اعتبره بأنه هو عمران العالم. وأشار إلى أن الاعتدال في سماع الخبر يكون مدعاة لتمحيصه والتحقّق من صحته. ثم إن التشيّع لرأي ما أو لقضية ما إنما هو مدعاة لقبول ونقل ما يتوافق مع هذا التحزب ورفض ما يناقضه. كما أن الثقة بناقل الخبر وعدم فهم الخبر أو القصد منه يؤدي إلى الوقوع في نقل الأخبار الكاذبة. وإن ما يوقع في الأخطاء التاريخية الجهل بتطبيق الحال على الواقع والتقرّب من بعض ذوي المراتب والسلطان ومدحهم والثناء عليهم، وكذلك الجهل بطبائع الأحوال في العمران لأن لكل حادث طبيعة تخصّه في ذاته فإذا كان السامع أو المؤرّخ عالماً بطبائع الحوادث والأحوال أعانه ذلك في التحقّق من الأخبار وتمييز الصدق من الكذب. وقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله:

«اعلم أنه لما كانت حقيقة التأريخ أنه خبر عن الاجتماع الإنساني الذي هو عمران العالم وما يعرض لطبيعة ذلك العمران من الأحوال مثل التوحش

والتأنس والعصبيات وأصناف التغلبات للبشر بعضهم على بعض وما ينشأ عن ذلك من المُلك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث من ذلك العمران بطبيعته من الأحوال. ولما كان الكذب متطرفاً للخبر بطبيعته وله أسباب تقتضيه، فمنها التشيعات للآراء والمذاهب فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقّه من التحميص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه وإذا خامرها تشيّع لرأي أو نِحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة وكان ذلك الميل والتشيّع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله. ومن الأسباب المقتضية للكذب في الأخبار أيضاً الثقة بالناقلين وتمحيص ذلك يرجع إلى التعديل والتجريح. ومنها الذهول عن المقاصد فكثير من الناقلين لا يعرف القصد بما عاين أو سمع وينقل الخبر على ما في ظنه وتخمينه فيقع في الكذب. ومنها توهم الصدق وهو كثير وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين ومنها الجهل بتطبيق الأحوال على الوقائع لأجل ما يداخلها من التلبيس والتصنع فينقلها المخبر كما رآها وهي بالتصنّع على غير الحق في نفسه. ومنها تقرّب الناس في الأكثر لأصحاب التجلّة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك فيستفيض الإخبار بها على غير حقيقة فالنفوس مولعة بحب الثناء والناس متطلعون إلى الدنيا وأسبابها من جاه أو ثروة وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا متنافسين في أهلها. ومن الأسباب المقتضية له أيضاً وهي سابقة على جميع ما تقدم الجهل بطبائع الأحوال في العمران فإن كل حادث من الحوادث ذاتاً كان أو فعلاً لا بدّ له من طبيعة تخصّه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله فإذا كان السامع عارفاً بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض. . .».

١٢ ـ ركز ابن خلدون في منهجيته ومذهبه التاريخي على ضرورة التزام الواقعية والموضوعية أثناء معالجة المؤرخ للأحداث والتأريخ لها، وأن عليه

معرفة طبائع العمران الذي شدّد عليه كشرط أساسي وهام في كتابة التاريخ، ورأى أن من الأخبار ما هو مستحيل وهو الذي لا يقبله العقل. وأكد على أن التأريخ والأخبار يجب أن تكون مطابقة للشرع، وبمعنى آخر فإن على المؤرخ التزام الصدق والشريعة في الكتابة لأسباب شرعية دينية طالما أن الشرع يحرم التلفيق والأكاذيب، كما رأى بأن التأريخ يستوجب النظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران وأحواله، وإن ما يكون معارضاً ومناقضاً للاجتماع البشري والعمران وأحواله يجب أن لا يؤخذ ولا يعتدّ به. واعتبر ابن خلدون أن الالتزام بهذا المبدأ هو بمثابة قانون في تمييز الحق من الباطل بأدلة وبراهين، وهو معيار صحيح يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه. واعتبر أن ذلك هو علم مستقل بنفسه وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني اكتشفه ابن خلدون بنفسه وهو ما يمكن تسميته اليوم بالعلوم الاقتصادية والاجتماعية، وأوضح بأن هذا العلم ليس هو من علم الخطابة ولا من علم السياسة المدنية وبعد أن أعطى مثالاً تاريخياً غير معقول عن مدينة النحاس التي ذكرها المسعودي منتقداً إياه قال ابن خلدون في هذا المجال:

«. . . وأما تشييد مدينة منها فكما تراه من الاستحالة والبعد وأمثال ذلك كثيرة وتمحيصه إنما هو بمعرفة طبائع العمران وهو أحسن الوجوه وأوثقها في تمحيص الأخبار وتمييز صدقها من كذبها وهو سابق على التمحيص بتعديل الرواة ولا يُرجع إلى تعديل الرواة حتى يُعلم أن ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع وأما إذا كان مستحيلاً فلا فائدة للنظر في التعديل والتجريح. ولقد عَدَّ أهل النظر من المطاعن في الخبر استحالة مدلول اللفظ وتأويله بما لا يقبله العقل وإنما كان التعديل والتجريح هو المعتبر في صحة الأخبار الشرعية لأن معظمها تكاليف إنشائية أوجب الشارع العمل بها حتى حصل الظن بصدقها وسبيل صحة الظن الثقة بالرواة بالعدالة والضبط. وأما الأخبار عن الواقعات فلا بدّ في صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب أن ينظر في إمكان وقوعه وصار فيها ذلك أهم من التعديل ومقدماً عليه إذ فائدة الإنشاء مقتبسة

منه فقط وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة وإذا كان ذلك فالقانون في تمييز الحق من الباطل في الأخبار بالإمكان والاستحالة أن ننظر في الاجتماع البشري الذي هو العمران ونميز ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضاً لا يعتدّ به وما لا يمكن أن يعرض له وإذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانوناً في تمييز الحق من الباطل في الأخبار والصدق من الكذب بوجه برهاني لا مدخل للشك فيه وحينئذ فإذا سمعنا عن شيء من الأحوال الواقعة في العمران عَلِمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه وكان ذلك لنا معياراً صحيحاً يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه وهذا هو غرض هذا الكتاب الأول من تأليفنا وكأن هذا علم مستقل بنفسه فإنه ذو موضوع وهو العمران البشري والاجتماع الإنساني وذو مسائل وهي بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى وهذا شأن كل علم من العلوم وضعياً كان أو عقلياً. واعلم أن الكلام في هذا الغرض مستحدث الصنعة غريب النزعة عزيز الفائدة أعثر عليه البحث وأدى إليه الغوص وليس من علم الخطابة إنما هو الأقوال المقنعة النافعة في استمالة الجمهور إلى رأي أو صدِّهم عنه ولا هو أيضاً من علم السياسة المدنية إذ السياسة المدنية هي تدبير المنزل أو المدينة. . . وكأنه علم مستنبط النشأة ولعمري لم أقف على الكلام في منحاه لأحد من الخليقة ما أدري ألغفلتهم عن ذلك وليس الظن بهم أو لعلهم كتبوا في هذا الغرض واستوفوه ولم يصل إلينا فالعلوم كثيرة والحكماء في أمم النوع الإنساني متعددون وما لم يصل إلينا من العلوم أكثر مما وصل. . .».

إن المتتبّع والدارس لمنهجية ابن خلدون التاريخية والدارس لمؤلفه يتبين له بأن ابن خلدون توصل إلى مبادىء تاريخية جديدة وإلى تحليل جديد للتاريخ وإلى معلومات جديدة. وبالرغم من ذلك فإنه لم يتقيد بهذه المبادىء والموضوعية في كل ما كتب. فقد اعتبر ابن خلدون أنه كان مجدداً ثورياً في كتابه الأول (المقدمة) وتقليدياً كلاسيكياً في بعض ما جاء في كتابيه الثاني

والثالث، وقد أخطأ في بعض الأمور التي أبدى فيها حكماً نهائياً بدون شكوك أو تساؤلات ومنها مثلاً تأكيده على صحة نسب إدريس الأصغر الذي اعتبره أنه من نسل عائلة لا تقترف الإثم مطلقاً وهذا يتنافى مع حقيقة ومنهجية التأريخ، بل ويتناقض مع حقيقة تطور سلوك الفرد والجماعات والدول عبر السنين والعصور وهو الذي سبق أن أشار إليه ابن خلدون نفسه. وبالرغم من أنه اعتبر أن التقرّب للحكام وذوي المراتب والتشيّع لهم يؤدي إلى الوقوع في الخطأ التأريخي، فإننا نراه في بعض سني حياته يتقرب للحكام والأمراء ويبدي مجاملة لهم على حساب التاريخ، فلما كان في مصر يعيش في كنف السلطان برقوق أورد قصة مختلقة تتضمن اتصال نسب السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤ ـ ٨٠١هـ/ ١٣٨٢ ـ ١٣٩٩م) بقبيلة غسان العربية كي يرتقي به إلى شرف الانتساب إلى العرب. وهناك أمثلة أخرى تشير إلى مجاملة وتقرّب ابن خلدون لذوي المراتب العليا رغم أنه لم يكن من الطبقة الدنيا وكانت تعتبر هذه الميزة علة من علله الاجتماعية والسياسية. وهو بذلك يتناقض مع المنهجية التاريخية التي اكتشفها ووضعها بنفسه لنفسه ولسواه من المؤرخين الآخرين.

هذا من جهة المبادىء والسيرة الذاتية وتعارضها مع مذهبه التاريخي، أما بخصوص مبادىء التأريخ وقواعده، فإنه بدوره لم يتقيد بكل ما ذكره من قواعد طالب المؤرخين بضرورة التقيد بها، فرغم إتحافه لنا وتأكيده على أهمية التمحيص والتحقيق فإنه قصّر في بعض المعلومات التي أوردها، فعندما تحدث مثلاً عن البربر مدحهم مدحاً كثيراً بينما ذمّ العرب، وعندما أرّخ لفتح المغرب ذكر بأن الفتح بدأ في خلافة الخليفة عمر بن الخطاب وهذا غير صحيح. وأورد بأن الكاهنة قد عمّرت ١٢٧ سنة وهذه رواية غير صحيحة، وأشار إلى أن استشهاد عقبة بن نافع في موقعة تهودة على يد الكاهنة، في حين أنه من المؤكد أن عقبة ذهب ضحية الثورة التي دبرها كسيلة ونفذتها جماعته من الأوربة. . .

وكل دارس وباحث لتاريخ ابن خلدون يعلم علم اليقين أن هذا التاريخ

لا يغني مطلقاً ـ حتى في تاريخ المغرب ـ عن سواه من المؤلفات، بل يمكن أن يجد الباحث في سواه أضعاف ما يجد فيه. ففي تاريخ الأغالبة مثلاً (١٨٤ ـ ٢٩٦هـ/ ٨٠٠ ـ ٩٠٩م) فإن أهم مؤلف أو موسوعة يمكن الاعتماد عليها ليس كتاب ابن خلدون «العبر وديوان المبتدأ والخبر» وإنما هي «البيان المغرب» لابن عذارى ثم «الكامل» لابن الأثير، ثم «نهاية الأرب» للنويري. وابن خلدون في هذا المجال يأتي في المرتبة الرابعة نظراً للاختصار وبعض الأخطاء في هذا التاريخ. ويتساءل البعض عن السبب في قصور ابن خلدون عن التأريخ للمجاعة الهائلة التي اجتاحت مصر زمن السلطان برقوق، ذلك أنه لم يسجل أحداثها رغم معاصرته لها.

ومهما يكن من أمر فإن ابن خلدون لم يحاول الادّعاء بأن مؤلفه جامع شامل للتواريخ كامل غير منقوص لا تشوبه بعض الأخطاء. بل أكد منذ البدء وفي المقدمة على إمكان وجود الأخطاء والنواقص وطالب العلماء بتوجيه النقد إليه وتوجيهه نحو أخطائه، كما اعترف بأن الإنسان لا يمكن أن يلمّ بكل العلوم وفي ذلك يقول:

«. . . وأنا من بعدها موقن بالقصور. . . معترف بالعجز. . . راغب من أهل اليد البيضاء والمعارف المتسعة الفضاء في النظر بعين الانتقاد لا بعين الارتضاء، والتغمد لما يعتدون عليه بالإصلاح. . .».

وفي جانب آخر يقول:

«فالعلوم كثيرة والحكماء في أمم النوع الإنساني متعددون، وما لم يصل إلينا من العلوم أكثر مما وصل. . .».

ثم إننا لا يمكن أن ننكر ما لأبن خلدون من أياد بيضاء في تصحيح بعض الروايات التاريخية ـ التي سبق أن ذكرنا قسماً منها ـ وأهمية ابن خلدون وتاريخه ليس في ذكر الأحداث والتأريخ لها فحسب، وإنما أهميته تكمن في القدرة على التحليل وفلسفة الأحداث ونكران غير المعقول والمستحيل.

ويمكن القول بأن ابن خلدون استطاع التوصل إلى قواعد ومباديء تاريخية يمكن تلخيصها على النحو التالي:

١ ـ ارتباط التأريخ بعلوم مساعدة متنوعة تفسّر وتوضّح التاريخ وتساعد على فهم حركته.

٢ ـ قانون المطابقة والواقعية والموضوعية، ورفض المعلومات التي تخالف هذا القانون.

٣ ـ قانون معرفة أسباب نشوء الدول وأحوالها ومظاهرها ومعرفة قواعد السياسة وطبائع الموجودات وقواعد الجغرافية والاجتماع.

٤ ـ إن التأريخ فن وعلم وهو نظر وتحقيق وتعليل للكائنات وهو علم بكيفيات الوقائع وأسبابها.

٥ ـ توصل ابن خلدون إلى علم جديد أثناء كتابته للتاريخ وهو علم العمران. فالتاريخ عنده تفسير لأحوال العمران والتمدّن والاجتماع وهو دراسة للأسباب والمسبّبات وللقوانين وهو ما يمكن تسميته بقانون السببية.

٦ ـ التقى مع هيرودوت ـ سواء بالاطّلاع على مذهبه أو بالصدفة ـ إلى دورة الحياة والموت بالنسبة للدول والأمم وأحوال العالم التي لا تدوم على وتيرة واحدة، إنما هناك تبدل مستمر في الأشخاص والدول والأمصار. وأشار إلى أسباب هذا التبدل والضعف والاضمحلال، وهذا ما يمكن تسميته بقانون التطور والتبدل.

بالإضافة إلى ذلك فإن ما كان يميّز ابن خلدون مذهبه التاريخي وأسسه المنهجية التاريخية التي كانت بالفعل ثورية عندما وضعها وحلّلها وفسّرها على أُسس جديدة ومن منظور حديث. وبذلك فإنه يبرز من بين أهم منظري ومحللي التاريخ العربي والإسلامي منذ القرن الثامن الهجري حيث لا نجد سواه في ميدان تاريخ الحضارات وفي ميدان ربط الأحداث بالأسباب والمسبّبات الظاهرة والخفيّة.

والحقيقة أنه لولا ابن خلدون لما تمكّنا من التوصل والتعرّف إلى بعض تطورات الحقب التاريخية الهامة سواء في المغرب أو المشرق باعتباره معاصراً ومشاركاً للأحداث. فقد تفرّد مثلاً بتاريخ وذكر أحداث الجالية الأندلسية التي نزحت إلى المغرب في القرن السابع الهجري ـ الثالث عشر الميلادي، كما تفرّد بذكر أحداث هامة عن تاريخ الترك والمماليك وتيمورلنك الذي اتصل به ابن خلدون مباشرة عبر المفاوضات، وكان ذلك سبباً لطبع تاريخه بطابع خاص ومميز. كما أن بعض المعلومات المميزة عن السلطان برقوق ـ باستثناء المدح ـ هي معلومات فريدة وغنية بسبب اتصاله به. كما أن الأهمية التي أولاها ابن خلدون عن تاريخ الترك تتجلى في غنى المصادر التي اعتمد عليها وأكثرها مصادر أولية بالإضافة إلى اعتماده على مصادر شفوية. فقد اعتمد على «مسالك الأبصار» للرحّالة العمري المعاصر لابن خلدون، فاستفاد منه في معرفة تاريخ الترك وجغرافية بلادهم وأصولهم وفي معرفة حياة جنكيزخان ودولته. كما اعتمد على كتاب «الكامل» لابن الأثير وهو من أكثر المصادر التي رجع إليها ابن خلدون في كتابته لتاريخ الترك في العالم الإسلامي. كما اعتمد على مصادر أولية أخرى مثل «النسوي» كاتب السلطان جلال الدين بن خوارزم شاه، حيث نقل عنه أخبار هذا السلطان وأخبار الصين وقبائلها. كما استقى أخباره من المقابلات التي أجراها معه كبار موظفي الدولة وأُمرائها مثل رشيد الدين الهمداني وبيبرس البندقداري... كما اعتمد على الإدريسي وابن إسحق والطبري وابن الكلبي والواقدي والأسدي والمسعودي وابن حيان وابن الرقيق. كما اعتمد في بعض الكتابات السياسية على أرسطو وسواه من اليونانيين واستخدم بعض المصادر اليهودية والنصرانية المعربة مثل تاريخ هرشيوش (Orasius) الذي عاش في القرن الخامس الميلادي، وعن سعيد بن البطريق وتاريخ يوسفوس اليهودي وابن العميد وجرجيس المكين.

إن معاصري ابن خلدون اختلفوا اختلافاً كبيراً في شأنه، فمنهم مدحه وبالغ في إطرائه، ونفر آخر بالغ في ذمه وقدحه. ومن المؤرخين المعجبين به:

المقريزي (٧٦٦ ـ ٨٤٥هـ/ ١٣٦٥م) وابن تغري بردي (٨١٣ ـ ٨٧٤هـ/ ١٤١٠ ـ ١٤٧٠م) والقلقشندي (٧٥٦ ـ ٨٢١هـ/ ١٣٥٥ ـ ١٤١٨م).

ومن خصومه من المؤرخين: من تونس ابن عرفة (٧١٦ ـ ٨٠٣هـ/ ١٣١٦ ـ ١٤٠٠م) ومن مصر ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ ـ ٨٥٢هـ/ ١٣٧٢ ـ ١٤٤٩م) والركراكي (٧٩٩هـ ـ ١٤١٧م) وبدر الدين العيني (٧٦٢ ـ ٨٥٥هـ/ ١٣٦٠ ـ ١٤٥١م) والجمال عبد الله البشبيشي (٧٦٢ ـ ٨٢٠هـ، ١٣٦١ ـ ١٤١٧م).

ومن الأهمية بمكان القول، إن خصوم ابن خلدون رغم خصومتهم وانتقادهم له، غير أنهم اعترفوا بأهمية مؤلفاته ومحاضراته واعترفوا بالاستفادة منه كقول ابن حجر العسقلاني «اجتمعت بابن خلدون مراراً ونعمت من فوائده ومن تصانيفه خصوصاً في التاريخ». أما العيني فقد قال عن ابن خلدون إنه «كان رجلاً فاضلاً، صاحب أخبار ونوادر ومحاضرة مليحة...». ومهما يكن من أمر فإن أحداً من المفكرين العرب والأجانب لا يستطيع نكران فضل وعبقرية ابن خلدون فيما اكتشفه وفيما وضعه وأرساه من علوم تاريخية واجتماعية وعمرانية. ولا أحد ينكر في أنه بعد قرون تحققت رغبته في اتساع رقعة علم العمران الذي طالب ابن خلدون ممّن سيأتي من بعده بالغوص والتبحّر والبحث أكثر منه. وبالفعل فقد تفتقت وازدهرت علوم الاقتصاد والاجتماع التي تتميز اليوم بالتطور والازدهار كما تتميز في الوقت نفسه بالاستقلال، وهذه ميزة هامة من مميزات العلوم الحديثة.

مُصطَلحات منهجيَّة وتاريخيَّة

Methological and Historical Terms

(A)

Absolute	مطلق
Absolute value	القيمة المطلقة
Absolutisme	مذهب السلطة المطلقة
Absorbability	استيعاب (قابل للامتصاص)
Academic	أكاديمي
Academician	عضو في مجمع علماء
Academy	مجمع علماء
Acclimatization	تأقلم
Acknowledgement	كلمة امتنان وشكر تذكر عادة في مقدمة الكتاب
Action	فعل
Interaction	(تفاعل
Reaction	ردود فعل
Activities	نشاطات
Adaptation social	التكيف الاجتماعي
A.D.C. (Aide de camp)	ضابط مرافق ـ سكرتير عسكري خاص
Adoption	التبني
Adytum	رئيس كهنة في المعابد القديمة
Agglomeration	تجميع
Agreement	إتفاقية

Alliance	اتحاد، تحالف
A.M. (Artium Magister)	أستاذ علوم
Ambiguity	التباس، غموض
Ambivalence	ازدواج
Analysis	تحليل
Annatation	حاشية توضيحية أو تعليق نقدي
Anenology	علم الرياح
Anti - British	معاد للسياسة البريطانية
Anti - Zionism	معاد للصهيونية
Anthropology	علم الأجناس والإنسان
Apis	العجل أبيس معبود قدماء المصريين
Appendix	ملحق بآخر الكتاب
Application	تطبيق
Appreciation	تقدير
Apprehension	تصور ساذج
Arbitrary	تحكمي - تعسفي
Arbitration	احتكام
Archaelogy	الأركولوجيا (علم الآثار)
Arguments	حجج
(Historical Arguments)	حجج تاريخية
Arian	أريوسي من الجنس الأري
Aspiration	طموح

Assembly	جمعية، هيئة
Association	هيئة، رابطة، جمعية
Assumption	ادعاء، افتراض
Assyrian	أشوري
Astrate	عشتروت آلهة الفينيقيين
Ate	آلهة النحس والشر عند الإغريق
Atheism	الحاد
Attitudes	اتجاهات (مواقف)
Authentic	أصيل، حقيقي
Authority	السلطة
Auto - Biography	سيرة ذاتية
Autocracy	أوتوقراطي ـ حكم الفرد المطلق
Avoidance	تحاشي
Awakening	يقظة، صحوة

(B)

Babylonic, Babylonish	بابلي
Backround	خلفية
Barbarian	بربري
Basic Factor	العامل الأساسي
Beliefs	معتقدات
Bey	بك (لقب عثماني)

Bibliography	علم الببليوغرافيا ـ علم معرفة فهرسة الكتب والمخطوطات
Biography	ترجمة لحياة شخصية
(Auto - Biography)	سيرة ذاتية
B.M. (British Museum)	المتحف البريطاني
Bourgeois	بورجوازي
Boustrophedon	كتابة إغريقية قديمة

(C)

Calendar	تقويم
Calligraphy	فن الخط
Caliph	الخليفة
Caliphate	الخلافة (الإسلامية)
Cartography	علم الخرائط
Case - Study	دراسة الحالة
Cause	سبب، علة
Central Tendency	النزعة المركزية
Centricity	مركزية
Chairmanship	رئاسة الجلسة
Chancellor	سكرتير أول في السفارة
Chancery	سكرتير ـ مستشار
Charter	ميثاق
Chronological	مؤرخ حسب التسلسل التاريخي

Chronology	التأريخ حسب التسلسل التاريخي
Circulation	دورة
Civilization	مدنية، حضارة
Class Conflict	الصراع الطبقي
(Social)	الصراع الاجتماعي
Classification	تصنيف
Code	رمز (قانون)
Codification	قوننة الشرائع
Coin	نقود، عملة
Coinage	سك العملة
Colonial	كولونيالي، استعماري
Colonization	استعمار
Commonwealth	جامعة الدول المرتبطة ببريطانيا وكانت سابقاً خاضعة للاستعمار البريطاني
Comparison	مقابلة
Complere Induction	استقراء تام
Concentration	تركيز
Concepts	مفاهيم
Conceptual Frame work	إطار نظري
Connections	اتصالات
Concordat	اتفاقية بابوية
Congress	مؤتمر

Conquests	فتوحات
Consecrate	رسم الكاهن
Constitutional Government	حكومة دستورية
Consul	قنصل
Consulate	قنصلاتو ـ قنصلية
Consul - general	قنصل عام
Contemporary	معاصر
Content Analysis	تحليل المضمون
Control	رقابة
Controller	مراقب، مدقق
Copy right	حقوق الطبع
Corps Diplomatiques (Diplomatic)	هيئة سياسية
Cosmology	علم نظام الكون
Counsel Royal	مستشار ملكي
Court	بلاط الملك
Court-martial	مجلس عسكري
Creation	إبداع
C.R. (Commercial Register)	سجل تجاري

(D)

Decentralisation	لا مركزية
Decipher	حل رموز الشيفرة

Declaration	تصريح
Decoding	تفسير الرموز
Dectionary	قاموس
Deduction	الاستدلال
De facto	بحكم الواقع
Definition	تعريف
D.H. (Doctor of History)	دكتور في التاريخ
The Degree committee	اللجنة العلمية (لجنة مناقشة الماجستير أو الدكتوراه)
Demography	علم السكان (ديموغرافيا)
Demonstrator (Assistant)	معيد، مساعد أستاذ
Determinism	الحتمية ـ منهج الجبر
Diagnosis	تشخيص
Dialectical Materialism	الجدلية المادية
Dialectology	علم وفن طبيعة علاقة اللغات ببعضها
Dialectic	جدلية
Dialecticism	المنهج الجدلي
Dialects	لهجات
Diairies	يوميات
Diocese	أسقفية، أبرشية
Diplomacy	فن السياسة
Diplomat	دبلوماسي، سياسي

Diplomatics	علم الدبلومات أو الشهادات الكتابية
Discussion	مناقشة
District	مقاطعة، إقليم
Doctorate	أستاذية، شهادة الدكتوراه
Documents	وثائق
Documentation	توثيق
Dynamic	القوة المحركة، زخم ديناميكي
Dynasty	سلالة ملكية، عائلة، دولة، خلافة

(E)

Earl	لقب شرف إنجليزي وهو رتبة أرفع من كونت
Eastern church	الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية
Ecology	(علم الأيكولوجيا) علاقة الإنسان بالبيئة
Ediot	مرسوم، منشور، فرمان
Editio Princeps (First Edition)	الطبعة الأولى
Edition	طبعة
Ego	الأنا ـ الذاتية
Election	انتخاب
Electorate	الناخبون
Empiricism	المنهج التجريبي
Encyclopedia (Encyclopaedia)	موسوعة، دائرة معارف
Epigraphy	علم النقوش

Episcopate	أسقفية
Equations	معادلات
Eros	إله الحب عند الإغريق
Ethnography	علم وصف الشعوب والسلالات البشرية وعاداتها وتقاليدها وأخلاقها
Ethonology	علم السكان وعلم خصائص الشعوب والأمم
Ethology	علم الأخلاق وتكوينها
Evolution	تطور، ارتقاء
Evolutionism	المذهب النشوئي
Exact sciences	العلوم الدقيقة (المضبوطة)
Exocommunication	الحَرْم الكنسي
Exordium	ديباجة، افتتاحية
Expropriation	نزع الملكية
Extract	ملخص، مستخرج، مقتبس
(Abstract)	ملخص، خلاصة
Extra - ordinary	فوق العادة

(F)

Federal	فدرالي، اتحادي
Federation	تحالف، تعاهد، اتحاد، (إقطاعية)
Feu de joie	مدافع تطلق في المناسبات
Fogy	تقليدي، محافظ، متمسك بالقديم

Formerly	سابقاً، فيما مضى
Footnote	الهوامش
Foundation	مؤسسة
Fundamental Laws	قوانين أساسية
Futurism	مستقبلية

(G)

Galionge	غيلونجي ومنها غلاييني، لفظ تركي يطلق على البّحارة
Gazette	صحيفة
Gazetteer	قاموس جغرافي لتقويم البلدان
Geography	علم الجغرافيا
Godhead, Godhood	ربوبية، لاهوتي، الوهية
Godless	ملحد
Gurical	شرعي، قضائي
Gurisprundence	علم الفقه

(H)

Hamitic Languages	اللغات الحامية (الهيروغليفية والقبطية وسواهما)
Helios	إلّه الشمس عند الإغريق
Helio - polis	مدينة الشمس
Hellenic, Hellene, Hellenistic	يوناني، إغريقي، هيليني

Hellenist	عالم باللغة اليونانية
Hermeneutic	تأويلي
Heritage	تراث
His Majesty	جلالته (جلالة الملك)
Historian	مؤرخ
Historical Method	المنهج التاريخي
Historic	مختص بالتاريخ
Historiographer	مؤرخ، مختص بكتابة التاريخ
Historiography	التأريخ، علم تدوين وكتابة التاريخ
History - Ancient	التاريخ القديم
History Medieval	التاريخ الوسيط
History Modern	التاريخ الحديث
Holy Land	الأرض المقدسة (لفظ يطلق على فلسطين
Humanism	إنسانية، إحياء الثقافة الإنسانية السابقة

(I)

Ibid (Ibidem)	الموجود نفسه (المرجع نفسه)
Ichnology	علم الحفريات
Idea	فكرة
Imperialism	أمبريالي، تسلطي، توسعي
In contrast	بالمقارنة
Index	فهرس (فهرس أبجدي أو أعلام وأماكن . . .)

Induction	استقراء
Inscriptions	كتابات ونقوش
In short	باختصار
Interpretation	تأويل
Interview	مقابلة
Introduction	ديباجة، تقديم، تمهيد
Issue	نشرة

(K)

Khedive	خديوي لقب لوالي مصر بين ١٨٦٧ ـ ١٩١٤

(L)

Law	قانون
Legend	ملحمة، خرافة، أسطورة
Legendist	كاتب ملاحم وأساطير
Life History	تاريخ الحياة
Listing	القيد
Loct. cit (Loco citati) in the place cited	الجزء نفسه والصفحة نفسها
Logography (Logographia)	علم تسجيل الأخبار

(M)

M.A. (M.A. Thesis)	ماجستير
Manuscript	مخطوط
Marginal Distribution	توزيع الهامش (الحواشي)

Mass - interview	مقابلة جماعية
Memoirism	عملية وفن كتابة ترجمة حياة شخص
Memoranda (Memoirs)	مذكرات، مفكرات
Mesopotamia	ميزوبوتاميا (بلاد ما بين النهرين ـ العراق وما جاورها)
Methodology	علم المناهج، صناعة التاريخ، منهج التاريخ، مصطلح التاريخ (الطرائقية)
Models	نماذج
Monogram	طُرَّة، طغراء (نقش على غرار طرة النقود العثمانية)
Myth (Mythology)	أسطورة (علم الأساطير)

(N)

Numismatics	النميات (علم النقود والمنمنمات
Nuncio	القاصد الرسولي (البابوي)

(O)

Objective	موضوعي، بعيد عن الذاتية والتحيز
(Subjective)	غير موضوعي، ذاتي
Obligation	التزام
oligarchy	حكم الأقلية (الأوليجاركية)
op. cit. (Operocitato) in the work cited	المصدر أو المرجع السابق
Origin of Species	أصل الأنواع
Origines	الأصول

Originality	الأصالة
Outline	مسودة، خطوط أولية

(P)

P. (Page)	صفحة
P P.	من صفحة كذا لصفحة كذا
PP. 15 - 16 - F	صفحات ١٥ ـ ١٦ وما يليها من صفحات
PP. 20 - 25 FF.	صفحات ٢٠ ـ ٢٥ وما يليها من صفحات
Paleography	علم قراءة الخطوط القديمة
Pamphlets	نشرات
Papyri	ورق البردي
Passim	مقتبس من هنا وهناك
Period	حقبة، عصر، عهد
Periodical	نشرة دورية، صحف، مجلات
Pergury	شهادة زور
Ph. D. (Doctorat of Philosophy)	دكتوراه الفلسفة
Phenomennalism	مذهب (منهج) الظواهر
Philological	لغوي مختص بعلم اللغات
Phylology (Philology	فقه اللغة
Pilot Study	دراسة استطلاعية
Pilot Survey	أبحاث استطلاعية
Planing	تخطيط

Practical Research	أبحاث عملية (بحث عملي)
Praxis	عمل إبداعي
Prima facie	لأول وهلة
Primitive	بدائي
Priority	الأولوية
Postulates	مسلمات
Probability	دليل أصلي
Problem	قضية، مشكلة، مسألة
Professorship	مركز الأستاذية (أستاذ)
Propagenda	دعاية (بروباغندا)
Pure Research	بحث علمي بحت

(Q)

Quotation	اقتباس، عبارة مقتبسة
Quote	اقتبس

(R)

Race	فصيلة، نوع، جنس، سلالة
Radical	جذري
Random	عشوائي
Ratiocination	استدلال، استنتاج، قياس منطقي
Rationale	تعليل عقلي
Rationalism	عقلنة، الأسلوب العقلي

Rationalist	عقلي
Raw Score	التبرير
Reader	آلة لقراءة الوثائق والمخطوطات
Reconsider	أعاد النظر
Records	مسجلات (مسجل، محضر)
References	مراجع، مصادر
Reform	إصلاح
Relations	علاقات
Renissance	النهضة
Republication	إعادة طبع أو إعادة نشر
Research Center	مركز أبحاث
Review	مراجعة كتاب
Romance	اللغات المشتقة من الألمانية أو اللاتينية
Romantic	خيالي، رومنطيقي
Rural	ريفي

(S)

Sample	نموذج، عيّنة
Seals	أختام
Selection	نخبة، اختيار
Senate	مجلس الشيوخ
Sociality	اجتماعية (اشتراكية)

Specification	خصوصية
Sources	مصادر
Statesman	سياسي، رجل دولة
Statisties	إحصاء
Status-quo	الأمر الواقع، الحالة الراهنة
Status-quo ante	الموقف السابق، الحالة السابقة
Subject	موضوع
Subjective	غير موضوعي، ذاتي
Supervisor	مشرف (أستاذ مشرف على رسائل جامعة)
Synopis	نبذة
Synonymous	مرادف

(T)

Tabulation	تبويب
Tallying	تفريغ
Technical Terms	مصطلحات علمية
Temporary	مؤقت
Tendences	تيارات
Terminology	علم المصطلحات
Test	اختبار
Theory (Doctrine)	نظرية
Thesis	رسالة، أطروحة (ماجستير، دكتوراه)

Thesis writing	كتابة الرسالة
Title page	صفحة العنوان
Top secret	سري للغاية
Traditionalism	النزعة التقليدية
Translation	تحويل، ترجمة، تبديل
Traditionalist	تقليدي
Treaty	إتفاقية، معاهدة
Type of Research	نمط البحث، نوع البحث
Typology	علم شرح الرموز الكتابية
Typography	طبوغرافيا (طباعة الأحرف)

(V)

Variables	متغيرات
Version	صيغة
Vol. (Volume)	جزء من مجلدات (جـ ١ مثلاً)
Voting	تصويت
Vice - Consul	نائب قنصل
Vice - President	نائب رئيس

(W)

Weigh	ترجيح
Working Guide	دليل العمل

(U)

Union	اتحاد
Unity	وحدة
Urban	حضري
Utopia	طوباوي، خيالي، تصوري

دليل الرسائل والأطروحات الجامعية
(دبلوم، ماجستير، دكتوراه)

١ ـ الجامع للرسائل والأطاريح في الجامعات العراقية شاملة جميع التخصصات (١٣٨٨ ـ ١٤٢١هـ/ ١٩٦٧ ـ ٢٠٠٠م). جمع واعداد أ. د. ابتسام مرهون الصغار ـ كلية التربية للبنات جامعة بغداد، الأستاذ وليد بن أحمد السحين ـ رئيس تحرير مجلة الحكمة.

٢ ـ دليل رسائل التخصص «الماجستير» والعالمية «الدكتوراه» جـ ١، جـ ٢، ١٩٧٢ ـ ١٩٨٤، جمهورية مصر العربية، جامعة الأزهر، الإدارة العامة للدراسات العليا والبحوث.

٣ ـ الأطروحات الجامعية، القائمة رقم «١» الجمهورية العربية السورية وزارة الثقافة، مكتبة الأسد، مديرية التوثيق والإعلام، منشورات مكتبة الأسد ـ دمشق ـ ١٩٨٨.

٤ ـ ملخصات رسائل الماجستير، الجزء الأول، العلوم الإنسانية والاجتماعية والتربوية، إشراف د. أحمد ماضي، تحرير عوني الفاعوري س.ف. موهان كلية الدراسات العليا الجامعية الأردنية، ١٩٩١.

٥ ـ ملخصات رسائل الماجستير، الجزء الثاني، علوم الشريعة والقانون والسياسة والعلوم الأساسية والتطبيقية إشراف د. أحمد ماضي، تحرير عوني الفاعوري س.ف. موهان عمادة البحث العلمي، كلية الدراسات العليا الجامعة الأردنية ١٩٩١.

٦ ـ دليل الرسائل الجامعية التي أجازتها كلية الآداب منذ إنشائها حتى نهاية عام ١٩٩٠، إعداد هاشم فرحات سيد ـ المدرس المساعد بقسم المكتبات، ناصر محمد عبد الرحمن ـ السعيد بقسم المكتبات، إشراف الأستاذ حشمت قاسم ـ قسم المكتبات والوثائق، المجلد الأول والمجلد الثاني، جامعة القاهرة كلية الآداب، ١٩٩٢.

٧ ـ دليل الأطروحات والرسائل الجامعية يكليات الآداب بالمغرب، ١٩٦١ ـ ١٩٩٦، المملكة المغربية جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سلسلة دراسات بيبلوغرافية رقم ٤. أشرف على إنجازه عمر أفا.

٨ ـ دليل رسائل الماجستير والدكتوراه التي نوقشت في كلية دار العلوم منذ عام ١٩٥٠ وحتى نهاية ١٩٩٧، البحث العلمي في دار العلوم، إعداد فاطمة عباس عبد الرحمن، مها أحمد علام، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٩ ـ دول الخليج العربي، في الأطروحات والرسائل الجامعية الإنكليزية والفرنسية والألمانية، ١٨٨١ ـ ١٩٨١، إعداد الدكتور موريس صليبا ـ أستاذ في الجامعة اللبنانية، لبنان ١٩٨٣.

١٠ ـ فهرس الأطروحات والرسائل التي نوقشت في الكليات والمعاهد والمدارس العليا المغربية، منذ تأسيس الجامعة إلى سنة ١٩٨٤، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والنشر، أعد هذا الكتاب الأساتذة: محمد حجي، أحمد التوفيق، عبد المجيد بنيوسف، أحمد بنجلون، وشارك في تحضير المادة الأساتذة؛ عبد اللطيف الشاذلي، عبد العزيز توري، إدريس الفاسي، عبد القادر زمامة، محمد بريان، عمر الجيدي، محمد أديوان.

١١ ـ الدليل الببلوجرافي للرسائل الجامعية في مصر، ١٩٢٢ ـ ١٩٧٤،

المجلد الأول الإنسانيات، مؤسسة الأهرام، القاهرة ١٩٧٦.

١٢ - يمكن الاطلاع على دليل الرسائل والأطروحات الجامعية لكل من الجامعة اللبنانية، الجامعة الأميركية، الجامعة اليسوعية، جامعة بيروت العربية، وبقية الجامعات في لبنان.

مصادر الدراسة

مصادر الأرشيف والوثائق والمخطوطات[1]

ومناهج الفكر والبحث التاريخي

أولاً ـ الأرشيف (وثائق مختارة):

١ ـ أرشيف الوثائق البريطانية (وثائق وزارة الخارجية البريطانية (F.o.).

٢ ـ أرشيف الوثائق الفرنسية (وثائق وزارة الخارجية الفرنسية)

٣ ـ أرشيف الوثائق الأميركية، وأرشيف مكتبة الكونغوس الأميركية، (وثائق وزارة الخارجية الأميركية).

٤ ـ أرشيف الوثائق الألمانية، (وثائق وزارة الخارجية الألمانية).

٥ ـ أرشيف الوثائق العثمانية (في استانبول ـ القاهرة ـ بيروت ـ المغرب العربي . . .).

٦ ـ أرشيف وسجلات المحكمة الشرعية في بيروت في العهد العثماني.

٧ ـ أرشيف البطريركية المارونية في حريصا (لبنان).

٨ ـ أرشيف مركز الدراسات الأرثوذكسي في بيروت.

---

(١) أوردنا بعض مصادر الأرشيف والتاريخ في هذا الثبت، وهناك العديد من المصادر التي اعتمدنا عليها، وقد اكتفينا بورودها في هوامش الكتاب أو في المتون (المؤلف).

٩ ـ أرشيف مركز الوثائق التابع للمديرية العامة للآثار في بيروت.

١٠ ـ أرشيف المعهد العالي للدراسات الإسلامية وأرشيف جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت.

١١ ـ أرشيف ومخطوطات الجامعة الأميركية في بيروت.

١٢ ـ أرشيف ومخطوطات الجامعة اليسوعية في بيروت.

١٣ ـ أرشيف مكتبة الجامعة اللبنانية.

١٤ ـ أرشيف مكتبة جامعة بيروت العربية، في بيروت.

١٥ ـ أرشيف مكتبة كلية الشريعة وأرشيف دار الفتوى في الجمهورية اللبنانية.

١٦ ـ أرشيف المركز الإسلامي للتربية في بيروت.

١٧ ـ أرشيف دار الكتب الوطنية في بيروت.

١٨ ـ أرشيف مكتبة المعهد الألماني للأبحاث الشرقية.

١٩ ـ أرشيف المركز الوطني للمعلومات والدراسات في بعقلين، وأرشيف المكتبة الوطنية في بعقلين.

٢٠ ـ أرشيف جمعية (وقف) البر والإحسان في بيروت.

٢١ ـ أرشيف ووثائق ومحاضر جامعة بيروت العربية.

٢٢ ـ أرشيف صحيفة النهار في بيروت.

٢٣ ـ أرشيف مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت.

٢٤ ـ أرشيف ووثائق العلامة محمد جميل بيهم ١٨٧٨ ـ ١٩٧٨.

٢٥ ـ أرشيف مكتبة الإسكندرية.

٢٦ ـ أرشيف مكتبة الأسد الوطنية في دمشق، والمكتبة الظاهرية في دمشق.

٢٧ ـ أرشيف مركز الوثائق التاريخية في دمشق.

٢٨ ـ أرشيف المؤسسة الفرنسية للدراسات العربية في دمشق.

٢٩ ـ أرشيف دار الكتب المصرية في القاهرة.

٣٠ ـ أرشيف مكتبة الأزهر الشريف في القاهرة.

٣١ ـ أرشيف جامعة الدول العربية في القاهرة.

٣٢ ـ أرشيف مكتبة الملك عبد العزيز العامة.

٣٣ ـ أرشيف المجمع الثقافي في أبو ظبي.

٣٤ ـ أرشيف متاحف ومكتبات العراق.

ثانياً ـ المصادر والمراجع الوثائقية (مصادر ومراجع مختارة):

١ ـ أحمد بهجت: مكتبة الإسكندرية، الأهرام (القاهرة) ٤ آب (أغسطس) ٢٠٠٢.

٢ ـ د. أحمد طالب: أزمة الجامعة اللبنانية ومكتباتها، نشرة جمعية المكتبات اللبنانية ـ المجلد الثاني ـ بيروت ١٩٩٥.

٣ ـ أسد مولوي: منهج تحقيق المخططوات، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم ١٤٠٨هـ.

٤ ـ إنطوان الحكيم: منهجية عادل إسماعيل في نشر الوثائق الدبلوماسية والقنصلية (دراسة تقويمية) الدار اللبنانية للنشر الجامعي ـ بيروت ١٩٩٨.

٥ ـ أحمد فؤاد متولي: الفتح العثماني للشام ومصر ومقدماته من واقع الوثائق والمصادر التركية والعربية المعاصرة له. القاهرة، دار النهضة العربية ١٩٧٦.

٦ ـ أحمد فؤاد متولي: الوثائق العثمانية الخاصة بتاريخ مصر الحديث في

دور الوثائق التركية. القاهرة، ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث، ١٩٧٧.

٧ ـ أرجند كوران: السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر ١٨٢٧ ـ ١٨٤٧، نقله عن التركية الدكتور عبد الجليل التميمي. تونس مطبعة الشركة التونسية لفنون الرسم ١٩٦٤.

٨ ـ بيار زيادة: مجموعة وثائق دبلوماسية وسياسية (لبنان ١٩٤١ ـ ١٩٤٣) بيروت ١٩٦٩.

٩ ـ بشارة الخوري: حقائق لبنانية، ثلاثة أجزاء، درعون ـ حريصا ١٩٦٠ ـ ١٩٦١.

١٠ ـ د. حسام الدين عبد الحميد محمود: تكنولوجيا صيانة وترميم المقتنيات الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٩.

١١ ـ د. حسان حلاق: أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني (سجلات المحكمة الشرعية في بيروت) الدار الجامعية ـ الطبعة الثانية ـ بيروت ١٩٨٧.

١٢ ـ د. حسان حلاق: التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت (سجلات المحكمة الشرعية في بيروت) الدار الجامعية ـ بيروت ١٩٨٧.

١٣ ـ د. حسان حلاق: دور اليهود والقوى الدولية في خلع السلطان عبد الحميد الثاني عن العرش ١٩٠٨ ـ ١٩٠٩، دار بيروت المحروسة بيروت ١٩٩٦.

١٤ ـ د. حسان حلاق: مناهج الفكر والبحث التاريخي والعلوم المساعدة وتحقيق المخطوطات، دار المعرفة الجامعية ـ الطبعة الثالثة ـ الإسكندرية ١٩٩٨.

١٥ ـ د. حسان حلاق: فلسطين في المؤتمرات العربية والدولية، روائع

مجدلاوي ـ الأردن ـ لبنان ـ قطر، ١٩٩٨.

١٦ ـ د. حسان حلاق: بيروت المحروسة: بيروت الإنسان والحضارة والتراث، مؤسسة الحريري، بيروت ٢٠٠٠.

١٧ ـ د. حسان حلاق، د. عباس صباغ: المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٨[1].

١٨ ـ حقائق عن ألمانيا، دائرة الصحافة والأعلام التابعة لحكومة ألمانيا الاتحادية، تعريب: سامي شمعون، محمود كبيبو، فرانكفورت ١٩٩٨.

١٩ ـ خليفة الشاطر: مدخل إلى منهجية دراسة وثائق تاريخ تونس. ندوة وثائق التاريخ العربي الحديث، ١٩٧٧.

٢٠ ـ خميس البكري: ذاكرة الأمة في مخطوطاتنا، الأهرام (القاهرة) ١٧ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠٢.

٢١ ـ رأفت غنيمي الشيخ: وثائق تاريخ ليبيا في العصر العثماني الأخير ـ القاهرة ندوة وثائق تاريخ العرب، ١٩٧٧.

٢٢ ـ الأب رفائيل نخلة اليسوعي: غرائب اللهجة اللبنانية ـ السورية، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٦٢.

٢٣ ـ د. رياض غنام: التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي للمقاطعات اللبنانية. في جبل لبنان ١٧٨٨ ـ ١٨٦١، أطروحة دكتوراه قسم التاريخ ـ كلية الآداب (الفرع الأول) الجامعة اللبنانية. بيروت ١٩٩٧.

٢٤ ـ سالم الألوسي: علم تحقيق الوثائق (الدبلوماتيك) دار الحرية ـ بغداد ١٩٧٧.

(١) أنظر للأهمية كتاب: د. حسان حلاق: الأرشيف والوثائق والمخطوطات في مكتبات ومراكز لبنان والعالم العربي والعالم، دار النهضة العربية ـ بيروت ٢٠٠٣.

٢٥ ـ سهيل صابان: البحوث والدراسات العثمانية والتركية (بيبلوغرافيا مختارة) مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ـ الرياض ١٤١٥هـ ـ ١٩٥٥م.

٢٦ ـ سهيلة نظمي: صفوة مثقفي مصر يهدون مكتباتهم الخاصة لمكتبة الإسكندرية، الأهرام (القاهرة) ٤ آب (أغسطس) ٢٠٠٢.

٢٧ ـ د. سلطان بن محمد القاسمي: الوثائق العربية العُمانية في مراكز الأرشيف الفرنسية، الطبعة الأولى ١٩٩٣.

٢٨ ـ سلوى علي ميلاد: وثائق المحكمة الشرعية بالقاهرة وأهميتها في الدراسات التاريخية. القاهرة، ندوة وثائق تاريخ العرب، ١٩٧٧.

٢٩ ـ شامل شاهين: المؤسسات الثقافية الإسلامية في تركيا، مركز المخطوطات والتراث والوثائق ـ الكويت ١٤٠١هـ ـ ١٩٩٠م، الدليل الدولي للمؤسسات الثقافية الإسلامية ـ مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية (استانبول).

٣٠ ـ شوقي عطا الله الجمل: وثائق تاريخ المغرب الحديث. حلقة الدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس بالقاهرة، ١٩٧٧.

٣١ ـ د. صلاح الدين المنجد: قواعد فهرسة المخطوطات العربية (قواعد وأساليب تحقيق المخطوطات)، دار الكتاب الجديد ـ بيروت ١٩٧٣.

٣٢ ـ عاطف مظهر: نشاط حافل لمركز تحقيق التراث في دار الكتب المصرية، الحياة (طبعة القاهرة) ٢٣ حزيران (يونيه) ١٩٩٦.

٣٣ ـ عبد الجليل التميمي: فهرس الدفاتر العربية والتركية بالجزائر. تونس، مستخرج من المجلة التاريخية المغربية، ١٩٧٤.

٣٤ ـ عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم: وثائق تاريخ مصر الاقتصادي والاجتماعي في العصر العثماني. القاهرة، ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث، ١٩٧٧.

٣٥ ـ عبد العزيز محمد عوني: دعوة لدراسة الوثائق العثمانية ـالقاهرة، ندوة وثائق تاريخ العرب، ١٩٧٧.

٣٦ ـ د. عبد العزيز نوار: وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث ١٥١٧ ـ ١٩٢٠، منشورات جامعة بيروت العربية ـ بيروت ١٩٧٤.

٣٧ ـ عبد الكريم كريم: الوثائق التاريخية للدولة السعدية بالمغرب. القاهرة، ندوة وثائق تاريخ العرب، ١٩٧٧.

٣٨ ـ عبد اللطيف إبراهيم علي: الوثائق القومية، مقال في الحلقة الدراسية للخدمات المكتبية والوراقة والتوثيق والمخطوطات العربية والوثائق القومية. دمشق، ١٩٦٢.

٣٩ ـ عدنان ضاهر، د. رياض غنام: مجلس النواب في ذاكرة الاستقلال اللبناني، بيروت ٢٠٠٢.

٤٠ ـ د. عصام خليفة: لبنان في أرشيف اسطنبول، بيروت ١٩٩٦.

٤١ ـ فاطمة شرف الدين: مراكز ومصادر البحث التاريخي في دمشق، نشرة جمعية المكتبات اللبنانية، م ٤، العدد الثاني، شتاء ١٩٩٧.

٤٢ ـ فرانتز روزنتال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، تعريب: د. أنيس فريحة، دار الثقافة، بيروت ١٩٨٠.

٤٣ ـ فهرس الكتب العربية بدار الكتب المصرية (٩ أجزاء) مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٢٦ ـ ١٩٥٩.

٤٤ ـ فهرس مخطوطات مكتبة المعهد العالي للدراسات الإسلامية، بيروت ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٤٥ ـ فهرس مكتبة الأزهر والمكتبة الأزهرية (٧ أجزاء) مطبعة الأزهر ١٩٥٢ ـ ١٩٦٢.

٤٦ ـ فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الجامعة الأميركية في بيروت ـ الجامعة الأميركية ١٩٨٥.

٤٧ ـ فهرس مخطوطات مكتبة كلية الشريعة الإسلامية ـ بيروت ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م (إعداد: خديجة الجابي).

٤٨ ـ فهرس شامل لوثائق الدولة العثمانية المحفوظة بدار الوثائق التابعة لرئاسة مجلس الوزراء باستانبول، إعداد: نجاتي أقطاش، عصمت بينارق، تعريب: صالح السعداوي صالح إشراف وتقديم: د. أكمل الدين إحسان أوغلي، منشورات مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية باستانبول ـ مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية ـ عمان ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٤٩ ـ ليلى الصباغ: الوثائق الإيطالية والإسبانية في تاريخ العرب في القرن السادس عشر. القاهرة، ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث، ١٩٧٧.

٥٠ ـ محمد جميل بيهم: عروبة لبنان، تطورها في القديم والحديث، دار الريحاني ـ بيروت ١٩٦٩.

٥١ ـ محمد حبيب: وثائق تاريخية تحكي قصة حفر قناة السويس، الأهرام (القاهرة) ١٤ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٨.

٥٢ ـ محمد السبيطلي: وثائق وزارة الخارجية الفرنسية المتعلقة بالسياسة الداخلية للخلافة العثمانية (نشاطات حزب تركيا الفتاة ١٨٩٧) مجلة دراسات شرقية، العدد ٣، السنة الأولى.

٥٣ ـ د. محمد محمود السروجي: الوثائق العثمانية بدير سانت كاترين بشبه جزيرة سيناء. مجلة الدارة، العدد (٢) السنة (٨) ١٩٨٢.

٥٤ ـ محمد مشرف خضر: مكتبة الإسكندرية وعصر التحدي الرقمي، الأهرام (القاهرة) ٣١ آب (أغسطس) ٢٠٠٢.

٥٥ ـ د. محمود عباس حمودة: الوثائق الشرعية في القرنين ١١، ١٢ في مصر، القاهرة، رسالة دكتوراه ١٩٧٠.

٥٦ ـ د. محمود عباس حمودة: دراسة وعرض لوثائق دول شمال إفريقيا في العهد العثماني، المجلة العربية للمعلومات، م (١)، العدد (١) أيلول (سبتمبر) ١٩٧٧، تصدر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ـ مصر ـ جامعة الدول العربية.

٥٧ ـ المكتبات في القدس، صادر عن الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات (إعلم) تونس ٢٠٠٢.

٥٨ ـ المؤتمر (١٣) للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات (إِعلم) بيروت ٢٠٠٢.

٥٩ ـ ناصر الدين سعيدوني: نظرة على الوثائق العثمانية بالجزائر. القاهرة، ندوة وثائق تاريخ العرب الحديث، ١٩٧٧.

٦٠ ـ نجدة فتحي صفوة: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز) (خمسة مجلدات) ١٩١٤ ـ ١٩٢٠، دار الساقي ـ بيروت الطبعة الثانية ٢٠٠٠ ـ ٢٠٠١.

٦١ ـ نسيب عبد الصمد: المحفوظات اللبنانية في ستين عاماً ١٩٢٠ ـ ١٩٨٠، منشورات مؤسسة المحفوظات الوطنية ـ بيروت (لا. ت.).

٦٢ ـ نسيب عبد الصمد: الوثائق اللبنانية بالميكروفيلم، منشورات مؤسسة المحفوظات الوطنية ـ بيروت ١٩٨٢.

٦٣ ـ نشرة المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ـ بيروت.

٦٤ ـ نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ـ بيروت (لا. ت.).

٦٥ ـ نشرة مكتبة الملك عبد العزيز العامة ـ (لا. ت.).

٦٦ ـ نشرة المجمع الثقافي ـ أبو ظبي (لا. ت.).

٦٧ ـ المقدم القيّم د. نهدي الحمصي: الوثائق والمراسلات الدبلوماسية والاقتصادية الفرنسية (وثائق تنشر للمرة الأولى) م١، م٢، بيروت ١٩٩٨.

٦٧ ـ د. وجيه كوثراني: بلاد الشام (قراءة في الوثائق) معهد الإنماء العربي ـ بيروت ١٩٨٠.

ثالثاً ـ الدوريات العربية:

١ ـ الأنوار (بيروت) ١٩٩٧.

٢ ـ الأهرام (القاهرة) ١٩٩٨، ٢٠٠٠، ٢٠٠٢.

٣ ـ الحياة (طبعة القاهرة) ١٩٩٦، ٢٠٠٠.

٤ ـ اللواء (بيروت) ١٩٩٩، ٢٠٠٢، ٢٠٠٣.

٥ ـ النهار (بيروت) ١٩٩٨، ١٩٩٩، ٢٠٠٢، ٢٠٠٣.

رابعاً ـ المصادر والمراجع الأجنبية:

1 - A. Ismail; Documents Diplomatiques et Consulaires (Liban) (vols 1 - 34) Beyrouth, 1979 - 1994.

2 - Adamthwaite, Anthony; The Lost peace International Realtions in Europe 1918 - 1939, London 1980.

3 - Benecke, Gerhard; Germany in the thirty years war, London 1984.

4 - Bernard, Lewis; The central Ottoman Archives as a Source for Arab History, Cairo 1977.

5 - Carre, E; what is History, Pengwin 1961.

6 - Collingwood, R.G; The Idea of History, New - York 1956.

7 - Hardman, John; The French Revolutions 1785 - 1795, London 1918.

8 - Historia; Les Trésors Des Archives, n. 678 juin (Paris) 2003.

9 - Seignobos, Langlois; Introduction aux Etudes Historiques, Paris 1898.

10 - Spears; Sir Edward; Fulfilment of a Mission syria and Lebanon 1941 - 1944, London 1977.

11 - Willemina van der Meer, Helmut opitz; (Editors): world Guide to Librairies, vol. 1, 2. 13 Th. Edition, München - Germany 1998.

خامساً ـ مصادر ومناهج الفكر والبحث التاريخي:

١ ـ ابن الأثير الجزري (علي بن أبي الكرم محمد. . . بن عبد الواحد الشيباني): التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية (بالموصل)، تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة ـ القاهرة ومكتبة المثنى ـ بغداد ١٩٦٣.

٢ ـ ابن خلدون (أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن. . .): المقدمة، طبعة دار القلم ـ بيروت الطبعة الرابعة ١٩٨١.

٣ ـ ابن خلدون والمعرفة: مجلة الفكر العربي، العدد (١٦) تموز (يوليه) ١٩٨٠ (مجموعة مقالات).

٤ ـ ابن عبد الحكم (عبد الرحمن بن عبد الله): فتوح مصر والمغرب والأندلس، تحقيق: عبد المنعم عامر، لجنة البيان العربي ـ القاهرة ١٩٦١.

٥ ـ ابن النديم (أبو الفرج محمد بن إسحاق): الفهرست، المكتبة التجارية الكبرى ـ مصر (بدون تاريخ). وطبعة بيروت، مكتبة خياط، نسخة مصورة عن طبعة ليبزيغ ١٨٧١ ـ ١٨٧٢.

٦ ـ ا.ج ـ إيفانز: هيرودوت. تعريب: أمين سلامة، مراجعة: كمال الملاخ، الدار القومية للطباعة والنشر ـ مصر (بدون تاريخ).

٧ ـ د. أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه، وكالة المطبوعات ـ الكويت، الطبعة السادسة ١٩٨٢.

٨ ـ د. أحمد حسين اللقائي: اتجاهات في تدريس التاريخ، عالم الكتب ـ القاهرة ١٩٧٨.

٩ ـ د. أحمد شلبي: كيف تكتب بحثاً أو رسالة، مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة، الطبعة الثانية عشرة ١٩٨٠.

١٠ ـ إدوار كار: ما هو التاريخ؟ تعريب: ماهر كيالي، بيار عقل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الثانية ١٩٨٠.

١١ ـ د. أسد رستم: مصطلح التاريخ، منشورات المكتبة العصرية، صيدا ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٥٥.

١٢ ـ البان ج. ويدجيري: المذاهب الكبرى في التاريخ (من كونفوشيوس إلى توينبي)، تعريب: ذوقان قرقوط، دار العلم ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٩٧٩.

١٣ ـ د. أنيس فريحة: دراسات في التاريخ، دار النهار للنشر ـ بيروت ١٩٨٠.

١٤ ـ البلاذري (الإمام أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود): فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال ـ بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٥ ـ البيهقي (أبو الفضل محمد بن حسين): تاريخ البيهقي، تعريب: يحيى الخشاب، صادق نشأت، دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٨٢.

١٦ ـ جب: علم التاريخ، تعريب: لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية (إبراهيم خورشيد ـ د. عبد الحميد يونس ـ وحسن عثمان) كتب دائرة المعارف الإسلامية، دار الكتاب اللبناني ـ بيروت ١٩٨١.

١٧ ـ جورج سارتون: تاريخ العلم، جـ ١ ـ جـ ٦، تعريب: لفيف من العلماء بإشراف د. إبراهيم بيومي مدكور، د. محمد كامل حسين، د. محمد مصطفى زيادة، د. قسطنطين زريق. د. محمد مرسي أحمد، دار المعارف ـ القاهرة، مؤسسة فرانكلين ـ نيويورك الطبعة الثانية ١٩٦٣ ـ ١٩٧٢.

١٨ ـ جوزف هورس: قيمة التاريخ، تعريب: نسيم نصر، منشورات عويدات ـ بيروت ـ باريس الطبعة الثانية ١٩٨٢.

١٩ ـ الإمام الحافظ النيسابوري (محمد بن إبراهيم بن المنذر): الإشراف على مذاهب أهل العلم جـ ٢، تحقيق: محمد نجيب سراج الدين، إشراف: الشيخ عبد الغني محمد عبد الخالق، إدارة إحياء التراث الإسلامي ـ قطر ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٢٠ ـ د. حسام الدين عبد الحميد محمود: تكنولوجيا صيانة وترميم المقتنيات الثقافية، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٩.

٢١ ـ د. حسان حلاق: تاريخ العلوم والتكنولوجيا، الدار الجامعية ـ بيروت ١٩٩٠.

٢٢ ـ د. حسان حلاق: مذاهب الفكر التاريخي، مطبعة اتحاد طلاب الجامعة اللبنانية ـ بيروت ١٩٨٣.

٢٣ ـ د. حسان حلاق: تاريخ الحضارات، الدار الجامعية ـ بيروت ١٩٩١.

٢٤ ـ د. حسان حلاق: تعريب النقود والدواوين في العصر الأموي، دار الكتاب اللبناني ـ دار الكتاب المصري، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

٢٥ ـ د. حسان حلاق: أوقاف المسلمين في بيروت في العهد العثماني (سجلات المحكمة الشرعية في بيروت) المركز الإسلامي للأعلام والإنماء ـ بيروت ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٢٦ ـ د. حسان حلاق: العمارة في العهد العثماني من خلال سجلات المحكمة الشرعية في بيروت، المجلة المعمارية ـ كلية الهندسة المعمارية ـ جامعة بيروت العربية ـ العدد الأول ١٩٨٥.

٢٧ ـ د. حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، دار المعارف ـ مصر، الطبعة الرابعة ١٩٨٠.

٢٨ ـ خليل شرف الدين: ابن خلدون، دار مكتبة الهلال ـ بيروت (بدون تاريخ).

٢٩ ـ الأب رفائيل نخلة اليسوعي: غرائب اللهجة اللبنانية ـ السورية، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت ١٩٦٢.

٣٠ ـ د. زكي محمد إسماعيل: الأنتروبولوجيا والفكر الإسلامي، عكاظ للنشر والتوزيع ـ المملكة العربية السعودية، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٣١ ـ سالم عبود الألوسي: علم تحقيق الوثائق (الدبلوماتيك) دار الحرية ـ بغداد ١٩٧٧.

٣٢ ـ السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن): الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م (نسخة مصورة من خزانة المرحوم المحقق أحمد باشا تيمور).

٣٣ ـ د. السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٨١.

٣٤ ـ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر): الشماريخ في علم التاريخ، ليدن ١٨٩٤، وطبعة بغداد نشر وتقديم: د. إبراهيم

السامرائي، مطبعة أسعد ١٩٧١.
٣٥ ـ شاكر مصطفى: التاريخ العربي والمؤرخون جـ ١، جـ ٢. دار العلم للملايين ـ بيروت، ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠.
٣٦ ـ د. شرف الدين علي الراجحي. مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوي عند العرب، دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٨٣.
٣٧ ـ صالح بن يحيى: تاريخ بيروت (أخبار السلف من ذرية بحتر بن علي أمير الغرب ببيروت) تحقيق: فرنسيس هورس اليسوعي ـ كمال سليمان الصليبي بالاشتراك مع آخرين، دار المشرق ـ بيروت ١٩٦٩.
٣٨ ـ د. صلاح الدين المنجد: قواعد فهرسة المخطوطات العربية، دار الكتاب الجديد ـ قواعد وأساليب تحقيق المخطوطات: بيروت ١٩٧٣.
٣٩ ـ الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير): تاريخ الرسل والملوك جـ ١، جـ ١٠، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ـ دار المعارف ـ مصر الطبعة الأولى ١٩٦٠ ـ ١٩٦٩.
٤٠ ـ د. طريف الخالدي: بحث في مفهوم التاريخ ومنهجه دار الطليعة ـ بيروت ١٩٨٢.
٤١ ـ عبد الله العروي: العرب والفكر التاريخي، دار الحقيقة ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨٠.
٤٢ ـ د. عبد اللطيف أحمد علي: مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٦٥.
٤٣ ـ عبد اللطيف أحمد علي: مصادر التاريخ الروماني، دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٧٠.
٤٤ ـ د. عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية، دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٧٢.

٤٥ ـ د. عثمان موافي: منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الأوروبي، مؤسسة الثقافة الجامعة ـ الإسكندرية ١٩٧٦.

٤٦ ـ د. عزيز العظمة: الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية، دار الطليعة ـ بيروت ١٩٨٣.

٤٧ ـ د. عفت الشرقاوي: في فلسفة الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨١.

٤٨ ـ د. عمر فروخ: كلمة في تعليل التاريخ. دار العلم للملايين بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٧.

٤٩ ـ د. عمر فروخ: تجديد التاريخ في تعليله وتدوينه (إعادة النظر في التاريخ) دار الباحث ـ بيروت ١٩٨٠.

٥٠ ـ د. عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٨١.

٥١ ـ د. عمر فروخ: الإسلام والتاريخ، دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٥٢ ـ د. فرانز روزنثال: علم التاريخ عند المسلمين، تعريب: صالح أحمد العلي، مراجعة: محمد توفيق حسين، مكتبة المثنى ـ بغداد، مؤسسة فرانكلين ـ نيويورك ١٩٦٣.

٥٣ ـ د. فرانز روزنثال: مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي، تعريب: د. أنيس فريحة، مراجعة: د. وليد عرفات، دار الثقافة ـ بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٥٤ ـ د. فؤاد إفرام البستاني: ابن خلدون (مقدمة المقدمة) دار المشرق ـ بيروت، الطبعة الخامسة ١٩٧٥.

٥٥ ـ د. قسطنطين زريق: نحن والتاريخ، دار العلم للملايين ـ بيروت: الطبعة الثالثة ١٩٧٤.

٥٦ ـ كلود ليفي شتراوس: العرق والتاريخ، تعريب: د. سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٨٢.

٥٧ ـ كولنجوود، ر.ج: فكرة التاريخ، تعريب: محمد بكير خليل، مراجعة: محمد عبد الواحد خلاف، لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ مصر ١٩٦٨.

٥٨ ـ د. لطفي عبد الوهاب يحيى: العرب في العصور القديمة (مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام) دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٧٨.

٥٩ ـ لانجلو أوسينوبوس، بول ماس، أمانويل كنت: النقد التاريخي ويشمل: المدخل إلى الدراسات التاريخية، نقد النص، التاريخ العام. تعريب عن الفرنسية والألمانية: د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات ـ الكويت، الطبعة الرابعة ١٩٨١.

٦٠ ـ لويس جوتشلك: كيف نفهم التاريخ (مدخل إلى تطبيق المنهج التاريخي) تعريب. د. عائدة سليمان عارف، د. أحمد مصطفى أبو حاكمة، دار الكاتب العربي ـ بيروت، مؤسسة فرانكلين ـ نيويورك ١٩٦٦.

٦١ ـ محمد جميل بيّهم: عروبة لبنان (تطورها في القديم والحديث) دار الريحاني ـ بيروت ١٩٦٩.

٦٢ ـ د. محمد رشاد خليل: المنهج الإسلامي لدراسة التاريخ وتفسيره، دار المنار ـ القاهرة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

٦٣ ـ د. محمد الطالبي: منهجية ابن خلدون التاريخية، دار الحداثة ـ بيروت ١٩٨١.

٦٤ ـ د. محمد عزيز الحبابي: ابن خلدون معاصراً، تعريب: د. فاطمة الحبابي، دار الحداثة ـ بيروت ١٩٨٤.

٦٥ ـ د. محمد قبيسي: علم التوثيق والتقنية الحديثة، دار الآفاق الحديثة بيروت ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م

٦٦ ـ د. محمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام (نشأتها وتطورها ومصائرها) مؤسسة الرسالة ـ بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨١.

٦٧ ـ د. مصطفى العبادي: مناهج الفكر التاريخي، مكتبة كريدية ـ بيروت ١٩٨٢.

٦٨ ـ د. نور الدين حقيقي: الخلدونية (العلوم الاجتماعية وأساس السلطة السياسية) تعريب: إلياس خليل، منشورات عويدات ـ بيروت ـ باريس ١٩٨٣).

٦٩ ـ هاري إلمر بارنز: تاريخ الكتابة التاريخية، جـ ٢، تعريب: د. محمد عبد الرحمن برج، مراجعة: د. سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٨٧.

٧٠ ـ هيوغ أتكن: دراسة التاريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية، تعريب: د. محمود زايد، دار العلم للملايين ـ بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٢.

٧١ ـ هـ. آيدرس بل: مصر من الإسكندرية الأكبر حتى الفتح العربي (دراسة في انتشار الحضارة الهلينية واضمحلالها) تعريب: د. عبد اللطيف أحمد علي، دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٦٨.

٧٢ ـ هرنشو، ج: علم التاريخ، تعريب وتعليق: عبد الحميد العبادي، دار الحداثة ـ بيروت ١٩٨٢.

٧٣ ـ هيرودوت: تاريخ هيرودوت، ترجمة: هادي هدايتي، تهران ـ انتشارات دانشكاه تهران ١٣٤٠هـ.

٧٤ ـ هيرودوت يتحدث عن مصر: تعريب عن الإغريقية: د. محمد صقر خفاجة، تقديم وشرح: د. أحمد بدوي، دار القلم ـ القاهرة ١٩٦٦.

٧٥ ـ يوسف إليان سركيس: معجم المطبوعات العربية والمعربة، مطبعة سركيس ـ مصر ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٨م.

76 - Aron, Raymond; Introduction à la Philosophie de L'Histoire Essai sur les Limites de L'objectivité Historique, (Gallimard 1948).

77 - Carr, E.H; What is History (Penguin 1961).

78 - Collingwood, R.G; The Idea of History, (Galaxy - New - York 1956).

79 - George, H. B; The Relations of Georgraphy and History (Oxford 1924).

80 - Haddon, A; A History of Anthropology (London 1927).

81 - Khalidi, T; Islamic Historiography The Histories of Mas'udi (Albany 1975).

82 - Mahdi, M; Ibn Khaldoun Philosophy of History (Chicago 1969).

83 - Mead, Margaret; L'Anthropologie comme Science Humaine (Payot 1971).

84 - Meerhoff, H; The Philosophy of History in our Time, An Anthology Selected and Edited (New - York 1959).

85 - Rosenthal, Franz; A History of Muslim Historiography (Leiden 1952).

86 - Sarton, G: Introduction to the History of science (Baltimore Washington 1931).

87 - Seignobos, Langlois; Introduction aux Etudes Historiques (Paris 1898).

88 - Walsh, W. N; Introduction to philosophy of History (London 1951).

فهرس الموضوعات

المقدمة ٧

الفصل الأول: المسار العلمي لدراسة التاريخ والفكر التاريخي .... ١١ ـ ٢٩

ـ تجديد التاريخ وعلاقته بالحرية ٢٢

ـ قضية حرية المؤرخ وحرية النقد بين مؤرخ ووزير سابق ٢٦

الفصل الثاني: مناهج البحث التاريخي عند اليونان والرومان والمسلمين ٣١ ـ ٥٨

أولاً ـ نشأة علم التاريخ عند اليونان ٣١

المكتبات والتوثيق ٣٢

مكتبة الإسكندرية ٣٣

١ ـ زينو دوتوس الأفيسي ٣٤

٢ ـ كاليماخوس البرقاوي ٣٥

٣ ـ أبوللونيوس الرودسي ٣٦

٤ ـ أراتوسشنيس البرقاوي ٣٧

٥ ـ اريستوفانيس البيزنطي ٣٧

٦ ـ أريستارخوس الساموتراقي ٣٧

٧ ـ أفوروس الكيمي ٤٠

٨ ـ ثيوبمبوس الخيوسي ٤١

١ ـ بوليبيوس ٤٢

٢ ـ أبوللودورس الأثيني ٤٢

٣ ـ بوسيد ونيوس ٤٣

٤ ـ كاستور الرودسي ٤٣

٥ ـ ديودور الصقلي ٤٣
٦ ـ نيكولاوس الدمشقي ٤٤
٧ ـ ديونيسيوس ٤٤
ثانياً ـ نشأة علم التاريخ عند الرومان اللاتين ٤٤
١ ـ أنيوس ٤٧
٢ ـ كاتو الرقيب ٤٧
٣ ـ قيصر ٤٨
٤ ـ ڤارو ٤٨
ثالثاً ـ نشأة علم التاريخ عند العرب والمسلمين ٤٩
الفصل الثالث: العلوم المساعدة للتاريخ .... ٥٩ ـ ١١٨
ما هو التاريخ؟ هل التاريخ علم؟ ٥٩
العلاقة القائمة بين التاريخ والعلوم المساعدة ٦٤
١ ـ مصطلح الحديث ٦٧
٢ ـ اللغة العربية واللغات السامية ٧٢
٣ ـ اللغة وفقه اللغة «الفيلولوجيا» ٧٥
٤ ـ فقه اللغة في المفهوم العربي ٧٥
٥ ـ فقه اللغة واللهجات العربية وارتباطها بالنصوص ٧٩
٦ ـ فقه اللغة والمفردات الأعجمية ٨١
٧ ـ علم قراءة الأعداد والحروف ٨٤
٨ ـ علم قراءة الخطوط ٨٥
٩ ـ الكمبيوتر وعلم التوثيق ٨٧
١٠ ـ علم (DNA) والطب الجنائي ٩١
١١ ـ الفاكس ٩٢
١٢ ـ علم الوثائق أو علم الدبلومات أو علم الشهادات الكتابية ... ٩٣
١٣ ـ علم الرنوك أو الرنكيات ٩٤

١٤ ـ علم النميات أو النوميات ٩٤
١٥ ـ علم البيبلوغرافيا والموسوعات المتخصصة ٩٥
١٦ ـ الجغرافيا ١٠٠
١٧ ـ الاقتصاد ١٠١
١٨ ـ الآداب والفنون والعمارة ١٠٢
١٩ ـ الدراسة والمعاينة الميدانية والسفر ١٠٣
٢٠ ـ علم الأجناس والإنسان وعلم وصف الشعوب ١٠٦
٢١ ـ علم السكان أو علم خصائص الشعوب «الاتنولوجيا» ١٠٧
٢٢ ـ علم النفس الاجتماعي ١٠٨
٢٣ ـ العلوم السياسية والدراسات الحقوقية ١٠٨
٢٤ ـ علم الاجتماع ١١١
٢٥ ـ الأعلام والاتصالات الحديثة ١١١
٢٦ ـ الأنترنت ١١٣
الفصل الرابع: قواعد وأساليب ومناهج تحقيق المخطوطات العربية ١١٩ـ ١٦٢
١ ـ تعريف المخطوط ١١٩
٢ ـ فهارس المخطوطات ١٢١
٣ ـ تحقيق المخطوطات والوثائق المخطوطة ١٣١
الوثيقة ـ أهميتها، تزويرها، التحقق من صحتها ١٣١
أ ـ الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا تزوران وثائق لتبرير احتلال العراق ١٣٢
ب ـ يوميات هتلر المزيفة ما زالت مسلية ١٣٥
٤ ـ الصفات الواجبة في المحقق ١٣١
٥ ـ قواعد وأساليب ومناهج تحقيق المخطوطات ١٤٠
ـ معرفة الأيام والشهور ومصطلحاتها العربية القديمة وأهميتها في تحقيق النصوص والوثائق ١٥٦
١ ـ في معرفة الأيام ١٥٦

٢ ـ في معرفة الشهور ١٥٩
٣ ـ الشهور وما يقابلها عند العرب القدامى ١٦٢
الفصل الخامس: منهج وقواعد كتابة البحوث والرسائل الجامعية (كيف تكتب بحثاً أو رسالة أو أطروحة) ١٦٣ـ ٢٠٥
ـ الباحث والبحث ١٦٣
ـ أنواع البحث ١٦٣
ـ الباحث والبحث وشروطه ١٦٤
ـ اختيار موضوع البحث ١٦٦
ـ تعديل موضوع البحث وتغييره ١٦٧
ـ الباحث والأستاذ المشرف ١٦٨
ـ المخطط أو الهيكل المبدئي للبحث ١٦٩
ـ الباحث والمكتبة ١٧١
ـ نموذج لبطاقة المؤلف (بالعربية) ١٧٢
ـ نموذج لبطاقة المؤلف (بالانكليزية) ١٧٢
ـ نموذج لبطاقة الموضوع (بالعربية) ١٧٣
ـ نموذج لبطاقة العنوان (بالانكليزية) ١٧٣
ـ نموذج لبطاقة العنوان (بالعربية) ١٧٣
ـ الباحث والتقميش ١٧٧
ـ تدوين المعلومات ١٧٨
١ ـ نظام البطاقات ١٨٢
ـ نموذج بطاقة (فيش) ١٨٣
٢ ـ نظام الملف أو الدوسيه ١٨٤
ـ الباحث وتفريغ المعلومات وكتابة البحث ١٨٤
ـ الهوامش ١٨٧
ـ خلاصة ونتائج البحث ١٩٠
ـ نتائج البحث ١٩١

ـ إرشادات عامة ١٩٢
ـ بعض علامات الترقيم ١٩٣
ـ بعض الاختصارات الإضافية المستخدمة ١٩٤
ـ تذكير الأعداد وتأنيثها ١٩٥
ـ أحرف الأبجدية العربية والأجنبية ١٩٦
ـ فهرس المصادر والمراجع ١٩٧
ـ طباعة البحث ١٩٨
ـ الطباعة على الكمبيوتر ١٩٩
ـ صفحة العنوان بالنسبة للبحث والرسالة والأطروحة ٢٠٠
ـ نموذج لصفحة عنوان رسالة ٢٠١
ـ نموذج لفهرس المحتويات أو الفهرس العام ٢٠١
ـ تجليد الرسالة أو الأطروحة ٢٠٢
ـ المناقشة ٢٠٣
أ ـ لجنة المناقشة ٢٠٣
ب ـ جلسة المناقشة ٢٠٣
جـ ـ المواصفات التي على الطالب التحلي بها أثناء المناقشة ٢٠٥
د ـ إعطاء النتيجة ٢٠٥
الفصل السادس: الأرشيف العثماني ٢٠٧ـ ٢٦٤
أولاً: تعريف الأرشيف ٢٠٧
١ ـ المجلس الدولي للوثائق ٢١٢
٢ ـ الفرع الإقليمي العربي للوثائق ٢١٣
٣ ـ الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات ٢١٤
٤ ـ جمعية المكتبات اللبنانية ٢١٥
ثانياً: نشأة الأرشيف العثماني ٢١٦
ثالثاً: الشروط الواجبة على الباحثين وطلاب الدراسات العليا للاستفادة من الأرشيف العثماني ٢١٩

أولاً ـ الشروط الواجبة على الباحثين الأجانب ٢١٩
ثانياً ـ الشروط الواجبة على الباحثين الأتراك ٢٢١
ثالثاً ـ الأمور التي يجب على الباحثين الأتراك والأجانب مراعاتها أثناء البحث في الأرشيف ٢٢٢
وثائق الأرشيف العثماني ٢٢٤
أولاً ـ أرشيف رئاسة الوزراء ٢٢٦
ثانياً ـ أرشيف المديرية العامة للأوقاف ٢٢٨
ثالثاً ـ أرشيف طوبقبو سراي ٢٢٨
رابعاً ـ وثائق عن مصر ٢٢٩
ـ وثائق محمد علي باشا ٢٣١
ـ وثائق نابليون بونابرت ٢٣٢
ـ أوقاف السلاطين في مصر ٢٣٢
خامساً ـ وثائق ليبيا ٢٤٠
سادساً ـ وثائق تونس ٢٤٣
سابعاً ـ وثائق الجزائر ٢٤٤
ثامناً ـ وثائق المغرب ٢٥٣
ـ الوثائق العثمانية بدير سانت كاترين شبه جزيرة سيناء ٢٦٠
الفصل السابع: الأرشيف اللبناني في التاريخ الحديث والمعاصر ٢٦٥ـ ٣٢٥
١ ـ مؤسسة المحفوظات الوطنية في بيروت ٢٦٥
٢ ـ وثائق القصر الجمهوري في لبنان ٢٧١
٣ ـ الأرشيف العثماني وأرشيف المحاكم الشرعية في الدولة العثمانية (أرشيف محاكم بيروت وبعض المحاكم الشرعية الأخرى) ٢٧٣
٤ ـ أرشيف البطريركية المارونية والبطريركيات المسيحية وأرشيف الأديرة والكنائس ٢٨١
٥ ـ أرشيف مركز الدراسات الأرثوذكسي في بيروت (مطرانية الروم

الأرثوذكسي) ٢٨٤
٦ ـ أرشيف وثائق ومخطوطات دير المخلص ـ الشوف ٢٨٨
٧ ـ مقتنيات المتحف الوطني اللبناني، وأرشيف مركز الوثائق التابع للمديرية العامة للآثار في بيروت ٢٨٩
٨ ـ أرشيف المعهد العالي للدراسات الإسلامية، وأرشيف جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت ٢٩١
٩ ـ أرشيف الجامعة الأميركية في بيروت (الكلية السورية الانجلية سابقاً) ٢٩٣
١٠ ـ أرشيف ومخطوطات مكتبة الجامعة اليسوعية ٢٩٥
١١ ـ مكتبة الجامعة اللبنانية ٢٩٦
١٢ ـ أرشيف مكتبة جامعة بيروت العربية في بيروت ٢٩٧
١٣ ـ أرشيف مكتبة وكلية الشريعة، وأرشيف دار الفتوى في الجمهورية اللبنانية ٣٠٠
١٤ ـ أرشيف ومكتبة المركز الإسلامي للتربية في بيروت ٣٠١
١٥ ـ أرشيف مكتبات الجامعات الأخرى ٣٠١
١٦ ـ أرشيف دار الكتب الوطنية ـ بيروت ٣٠٢
١٧ ـ مكتبة المعهد الألماني للأبحاث الشرقية ٣٠٤
١٨ ـ المركز الوطني للمعلومات والدراسات في بعقلين (لبنان) (المكتبة الوطنية في بعقلين) ٣٠٩
١٩ ـ وثائق وأرشيف جمعية البر والإحسان في بيروت ٣١٣
٢٠ ـ أرشيف صحيفة النهار ٣١٤
٢١ ـ أرشيف ووثائق القيادات والزعامات السياسية والاجتماعية في لبنان والعالم ٣١٨
٢٢ ـ مكتبة مؤسسة الدراسات الفلسطينية (بيروت ـ فردان) ٣٢٢
الفصل الثامن: بعض مراكز الأرشيف في العالم العربي ٣٢٧ـ ٣٩٦
١ ـ مكتبة الاسكندرية ٣٢٧

٢ ـ أرشيف مكتبة الأسد الوطنية (دمشق) ٣٤١
٣ ـ مركز الوثائق التاريخية (دمشق) ٣٤٢
٤ ـ المؤسسة الفرنسية للدراسات العربية (دمشق) ٣٤٣
٥ ـ دار الكتب المصرية (القاهرة) ٣٤٤
٦ ـ مكتبة الأزهر الشريف ٣٤٨
٧ ـ المدرسة الأقبغاوية التابعة للأزهر الشريف ٣٤٩
٨ ـ أرشيف ووثائق جامعة الدول العربية ٣٥١
٩ ـ مكتبة الملك عبد العزيزالعامة ٣٥٥
١٠ ـ المجمع الثقافي (أبو ظبي) ٣٦٣
١١ ـ مراكز ومكتبات عربية أخرى ٣٦٤
١٢ ـ مكتبة الدكتور جورج عنداري (مخطوطات نادرة) ٣٦٥
١٣ ـ مكتبات العراق ٣٦٧
١ ـ القاعة السومرية ٣٦٧
٢ ـ القاعة البابلية ٣٦٨
٣ ـ القاعة الأشورية ٣٦٩
٤ ـ القاعة الحضرية ٣٦٩
ـ مكتبة جامعة الموصل ٣٧٠
ـ مكتبة الأوقاف في بغداد ٣٧١
ـ مكتبة المتحف الوطني العراقي ٣٧٢
ـ دار المخطوطات ٣٧٣
ـ مكتبة اتحاد المؤرخين العرب ٣٧٣
ـ مكتبة جامعة بغداد ٣٧٤
ـ مكتبة المجمع العلمي العراقي ٣٧٥
ـ ردود الفعل العراقية والعربية والدولية على نهب تراث العراق .. ٣٧٦
ـ الأونيسكو تنشىء صندوقاً للتراث العراقي ٣٧٧

ـ الانتربول يشن حملة لتتبع التحف المسروقة ٣٨٠
ـ عصابات دولية نهبت آثار العراق ٣٨٣
ـ فرق أميركية استعادت تحفاً ومخطوطات فقدت من المتحف الوطني العراقي ٣٨٧
ـ استعادة ٩٥١ قطعة آثار عراقية ٣٨٩
ـ الأونيسكو: مئات لا آلاف القطع سُرقت من متحف بغداد الوطني ٣٩١
ـ اليونسكو وآثار العراق ٣٩٣
١٤ ـ الأرشيف السري لصدام حسين ٣٩٥
الفصل التاسع: الأرشيف الأوروبي والأميركي ٣٩٧ـ ٤٢٧
١ ـ الأرشيف البريطاني ٣٩٧
دراسات وكتب معتمدة على الأرشيف البريطاني ٤٠١
نماذج أخرى من التقارير والوثائق البريطانية ٤٠٤
٢ ـ الأرشيف الفرنسي ٤٠٩
٣ ـ الأرشيف الألماني ٤١٦
١ ـ الأرشيف السياسي لوزارة الخارجية الألمانية في برلين (بون سابقاً) ٤١٧
٢ ـ أرشيف وزارة الخارجية في برلين الشرقية ٤١٧
٣ ـ الأرشيف البروسي السري الرسمي في برلين ٤١٨
٤ ـ أرشيف بوتسدام ٤١٨
٥ ـ أرشيف فرايبورغ ٤١٨
٦ ـ الأرشيف العسكري في تسيلندوف في برلين ٤١٨
٧ ـ أرشيف الأحزاب والمنظمات الشعبية في ألمانيا الديمقراطية في برلين الشرقية سابقاً ٤١٨
٨ ـ أرشيف كوبلنز (نسبة إلى مدينة كوبلن) ٤١٩
٩ ـ أرشيف الخرائط العسكرية في برلين ٤١٩

ـ المكتبات والكتب الألمانية ٤١٩
٤ ـ مكتبة الكونغرس الأميركي (واشنطن) ووثائق وزارة الخارجية الأميركية ٤٢٣
ـ وثائق أميركية تشير إلى أن «السي آي إي» أطاحت رئيس غواتيمالا ٤٢٥
الفصل العاشر: ١ ـ نماذج من مناهج البحث التاريخي عند اليونان «المنهج التطبيقي» .... ٤٢٩ ـ ٤٤٨
ـ هيرودوت ٤٢٩
ـ ثوكديدس الأثيني ٤٣٤
٢ ـ نماذج من مناهج البحث التاريخي عند الرومان «المنهج التطبيقي» ٤٤١
ـ فاييوس بيكتور ٤٤١
ـ اينيوس ٤٤٢
ـ كاتو الرقيب ٤٤٣
يوليوس قيصر ٤٤٦
الفصل الحادي عشر: نماذج من مناهج البحث التاريخي العربي والإسلامي «المنهج التطبيقي» .... ٤٤٩ ـ ٤٨٥
ـ ابن عبد الحكم (١٨٧ ـ ٢٥٧ هـ) ٤٤٩
ـ الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ) ٤٥٦
ـ ابن خلدون (٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ) ٤٦٣
ـ مصطلحات منهجية وتاريخية .... ٤٨٧ ـ ٥٠٧
ـ الوثائق .... ٥٠٩ ـ ٥٤٦
ـ دليل الرسائل والأطروحات الجامعية .... ٥٤٧ ـ ٥٤٩
ـ مصادر الدراسة .... ٥٥١ ـ ٥٦٩
ـ فهرس الموضوعات .... ٥٧١ ـ ٥٧٩